معارج القبول

بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

(في التوحيد)

تأليف

الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي

(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

المجلد الثاني

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه

عمر بن محمود أبو عمر

دار ابن القيم

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

معارج القبول

بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

(في التوحيد)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م
مزيدة بفهارس علمية

دار ابن القيم
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الدمام
ص.ب ١٨٦٥ - الدمام الرمز البريدي ٣١٩٨٢
هاتف: ٨٢٦٨٣٤٣ - فاكس: ٨٢٦٩٨٦٤

فصل
في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد وأنه معنى لا إله إلا الله

هـذا وثـاني نـوعي التـوحيـد ... إفـراد رب العـرش عن نـديـد
أن تـعـبـد الله إلـهـاً واحـداً ... معتـرفـاً بحقـه لا جـاحـداً

(هـذا) أي الأمر والإشـارة إلى مـا تقـدم من تحقيق النـوع الأول من نـوعي التوحيد (وثاني نوعي التوحيد) هو (إفراد رب العـرش عن نديـد) شريـك مساو، السّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ترونهـا ثُمَّ استوى على العـرش وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقمـرَ كُلٌّ يجري لأجلٍ مسمّى يُدَبِّرُ الأمْرَ يفصِّلُ الآياتِ لَعَلَكُّمْ بلقاءِ ربكم تـوقنون. وهـو الذي مَدَّ الأرضَ وجعل فيها رواسيَ وأنهاراً ومن كلِّ الثمراتِ جَعَل فيهـا زوجَيْن اثنينِ يُغْشى اللَّيْلَ النهارَ إنَّ في ذلك لآياتٍ لقـومٍ يتفكرون. وفي الأرْضِ قِـطَعٌ متجـاوراتٌ وجناتٌ من أعنـاب وزرعٌ ونخيلٌ صنـوانٌ وغير صنـوانٍ يسقي بمـاءٍ واحدٍ ونفضِّلُ بَعْضَها على بعضٍ في الأُكل، إنَّ في ذلـك لآياتٍ لقـوم يعقلون﴾ (الـرعد/٢ ـ ٤) وقـال تعالى: ﴿أتى أمْـرُ الله فـلا تستعجلوهُ سبحـانَـهُ وتعـالى عمـا يشركون. يَنزِّلُ الملائكةَ بالرّوحِ مِنْ أمْرِهِ على من يَشاءُ مِنْ عبادِهِ أنْ أنـذروا أنَّهُ لا إله إلا أنا فاتّقون. خَلَقَ السموات والأرض بالحَقِّ تعالى عَمّا يشـركون. خَلَق الإنسـان مِنْ نطفـةٍ فإذا هـو خصيمٌ مبين ـ إلى قولـه ـ أفَمنْ يَخْلُقُ كمن لا يَخْلُق أفلا تذكرون﴾ (النحل/١ ـ ١٧) إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿قال فَمنْ رَبُّكما

يا موسى. قال رَبُّنا الذي أعطى كُلَّ شيءٍ خَلْقَهُ ثمَّ هدى. قال فما بالُ القرون الأولى. قال عِلْمُها عِنْد رَبّي في كتابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي ولا ينسى. الذي جَعَل لَكُمُ الأرضَ مهداً وسَلَك لكم فيها سبلاً وأَنْزَلَ من السّماءِ ماءً فأخرجنا بِهِ أزواجاً مِنْ نباتٍ شتى كلوا وارعْوا أنعامَكم إنّ في ذلكَ لآياتٍ لأولى النهى﴾ (طه/٤٩ ـ ٥٤) وقال تعالى: ﴿قل أرأيتُم إنّ أتاكُم عذابُ الله أو أَتَتْكُم الساعةُ أَغَيْرَ الله تدعونَ إنْ كُنتم صادقين. بل إيّاهُ تدعون فيكشِفُ ما تدعون إليهِ إنْ شاءَ وتَنْسَون ما تشركون﴾ (الأنعام/٤٠ ـ ٤١) وقال تعالى: ﴿وإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً، فلما كشفنا عنه ضرَّه مَرَّ كأنْ لم يَدْعُنا إلى ضُرٍّ مسّه، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ (يونس/١٢) وقال تعالى: ﴿وهو الذي يُسَيِّرُكُم في البَرِّ والبَحْرِ حتى إذا كُنْتُم في الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بهم بريحٍ طيبةٍ وَفَرِحوا بها جاءَتْها ريحٌ عاصفٌ وجاءَهُمْ الموجُ مِنْ كُلِّ مكانٍ وظنُّوا أنَّهم أحيطَ بِهِمْ دعوا الله مخلصينَ لَهُ الدينَ لئن أنجيتنا مِنْ هذهِ لنكونَنَّ مِنَ الشاكرين. فلما أَنْجاهُم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق، يا أيها الناسُ إنّما بَغْيُكُم على أنْفسكم، متاعَ الحياة الدنيا ثم إلى رَبِّكم مَرْجِعُكُم فينبؤكم بما كنتم تعملون﴾ (يونس/٢٢ ـ ٢٣) وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الذين كفروا أنَّ السمواتِ والأرضَ كانتا رَتْقاً ففتقناهُما وجعلنا من الماءِ كلَّ شيءٍ حَيٍّ أفلا يؤمنون. وجعلنا في الأرضِ رواسيَ أَنْ تَميدَ بهم وجعلنا فيها فِجاجاً سبلاً لعلَّهم يهتدون. وجعلنا السماءَ سَقْفاً محفوظاً وَهُم عن آياتها معرضون. وهو الذين خَلَقَ الليل والنهارَ والشّمسَ والقمرَ كُلٌّ في فلكٍ يسبحون﴾ (الأنبياء/٣٠ ـ ٣٣) وقال تبارك وتعالى: ﴿قل لِمَن الأرضُ وَمَنْ فيها إنْ كُنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تذكرون. قل مَنْ رَبُّ السمواتِ السَبْعِ وربُّ العَرْشِ العظيم. سيقولون لله قل أفلا تتقون. قل مَنْ بيدِهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ وَهُوَ يُجيرُ ولا يُجارُ عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنّي تسحرون. بل أتيناهم بالحقِّ وإنهم لكاذبون. ما اتخذ الله مِنْ وَلَدٍ وما كان مَعَهُ

من إلـه إذاً لذهبَ كُـلُّ إلهٍ بمـا خلق وَلَعَلا بعضُهم على بعضٍ سبحـان الله عمّـا يصفون. عالمُ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عمـا يشركـون﴾ (المؤمنون/٨٤ ـ ٦٢) وقـال تعـالى: ﴿ولله ملكُ السّمواتِ والأرضِ وإلى الله المصيـر. ألم تَرَ أنَّ الله يـزجي سحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بينه ثم يَجْعَلُهُ ركامـاً فترى الـوَدْقَ يخرجُ من خـلالِهِ ويُنَـزِّلُ من السماءِ مِنْ جبالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ فيصيبُ به من يشاءُ ويصرِفُهُ عَمَّنْ يشـاءُ يكادُ سنـا برقهِ يذْهَبُ بالأبصارِ. يقلِّبُ الله اللَّيلَ والنهـارَ إنَّ في ذلك لعبرةً لأولى الأبصار. والله خَلَقَ كـلَّ دابَّـةٍ مِنْ مـاءٍ فمنهم مَنْ يمشي على بَـطْنِـهِ وَمِنْهُم من يمشي على رِجْلينِ ومنهم من يمشي على أربــع، يخلقُ الله مـا يشــاءُ إنَّ الله على كـلِّ شيءٍ قدير﴾ (النور/٤٢ ـ ٤٥) وقال تعـالى: ﴿أو لَمْ يَرَوْا إلى الأرض كم أنبتنـا فيها من كـلِّ زوجٍ كريم. إنّ في ذلـك لآيةٍ، ومـا كانَ أكثـرهم مؤمنين. وإنَّ رَبّكَ لَهُـو العزيزُ الرحيم﴾ (الشعراء/٧ ـ ٩) وقال تعالى: ﴿قـل الحمد لله وسـلام على عباده الـذين اصطفى، الله خيـرٌ أم ما يشـركون﴾ (النمـل/٥٩) إلى قولـه: ﴿أَمْ مَّنْ يبدأُ وتفسيـر ذلك هـو (أن تعبد الله) سبحـانه وتعـالى (إلهـاً) حـال من لفظ الجـلالـة (واحداً) لا شريك له في إلهيته كما لا شريك له في ربوبيتـه وأسمائـه وصفاتـه، فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصـد الذي هـو توحيـد الإلهية وبـه احتج الله تعالى في كتابه في غيـر موضـع على وجوب إفـراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنـه لا يكون إلهـاً مستحقاً للعبـادة إلا من كان خـالقاً رازقاً مالكاً متصرفـاً مدبـراً لجميع الأمـور حياً قيـوماً سميعـاً بصيراً عليمـاً حكيما موصوفـاً بكل كمـال منزهـاً عن كل نقص، غنيـاً عما سـواه، مفتقراً إليـه كل مـا عـداه، فـاعـلاً مختـاراً لا معقب لحكمـه ولا راد لقضـائـه ولا يعجـزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات الله عز وجل لا تنبغي إلا له ولا يشركه فيهـا غيره. فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغيره فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشـاء والبدء والإعـادة لا يشركـه في ذلك أحـد وجب إفراده بـالعبادة دون من

سواه لا يشرك معه في عبادته أحد كما قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الناسُ اعبدوا رَبَّكم الذي خَلَقَكُم والذينَ مِنْ قَبْلِكُم لعلكم تتقون. الذي جَعَلَ لَكُم الأرضَ فراشاً والسماءَ بناءً وأَنْزلَ من السماءِ ماءً فأَخْرَجَ به من الثّمراتِ رزقاً لَكُم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ (البقرة/٢١ ـ ٢٢). وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ من يَرْزُقُكُم مِنَ السماءِ والأرضِ أَمْ مَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ ويخرجُ الميِّتَ من الحيِّ ومن يدبِّر الأمْرَ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون. فذلكُم الله ربكم الحق فماذا بَعْدَ الحقِّ إلا الضلال فأَنّي تصرفون ـ إلى قوله ـ قل هل من شركائِكُم من يبدأُ الخَلْقَ ثم يعيده قُلْ الله يبدأُ الخَلْقَ ثم يعيدُه فأَنّي تؤفكون. قل هل من شركائِكُم من يَهْدي إلى الحَقِّ قُل الله يهدي للحق أَفَمَنْ يهدي إلى الحقِّ أَحَقُّ أَنْ يتَّبَعَ أم مَّنْ لا يهدِّي إلا من يُهْدى فما لكم كَيْف تحكمون﴾ (يونس/٣١ ـ ٥٣) وقال تعالى: ﴿إنَّ رَبَّكُم الله الذي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثم استوى على العرشِ يُدَبِّرُ الأمرَ ما مِنْ شفيعٍ إلا مِنْ بَعْدِ إذْنِه ذلكم الله رَبُّكُم فاعبدوهُ أفلا تذكرون. إليه مرجِعُكم جميعاً وَعْدَ الله حقّاً إنّهُ يبدأُ الخلق ثم يعيدُه ليجزيَ الذين آمنوا وَعَمِلوا الصالحاتِ بالقسطِ والذين كفروا لهم شرابٌ من حميمٍ وعذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفرون. هو الذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّرهُ منازلَ لتعلموا عَدَدَ السنينَ والحسابَ، ما خَلَقَ الله ذلك إلا بالحقِّ يفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾ (يونس/٣ ـ ٥) وقال تعالى: ﴿إنَّ رَبَّكُم الله الذي خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثمَّ استوى على العرشِ يُغْشي اللّيلَ النَّهارَ يطلُبُهُ حثيثاً والشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بأَمْرِهِ، ألا لَهُ الخَلْقُ والأمرُ تباركَ الله ربُّ العالمين﴾ (الأعراف/٥٤) وقال تعالى: ﴿الحمدُ لله الذي خَلَقَ السمواتِ والأرضَ وجعلَ الظُّلماتِ والنورَ ثمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون. هو الذي خَلَقَكُم من طينٍ ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمّىً عنده ثم أنتم تمترون.

وَهُوَ الله في السمواتِ وفي الأرضِ يَعْلَمُ سِرَّكُم وَجَهْرَكُم ويعلم ما تكسبون﴾ (الأنعام/١ ـ ٣) وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مفاتحُ الغيبِ لا يعلمها إلا هو، ويعلمُ ما في البر والبحر وما تسقطُ منْ وَرَقةٍ إلا يعلمها، ولا حبَّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين. وَهُوَ الذي يتَوَّفاكُم بالليلِ وَيْعلَمُ ما جرحتم بالنّهارِ ثم يَبْعَثُكُم لقضي أجلٌ مسمّى ثمّ إليهِ مَرْجِعُكُم فينبّؤكُم بما كُنْتُم تعملون. وهو القاهِرُ فَوْقَ عبادِهِ ويرسلُ عَلَيْكُم حفظةً حتى إذا جاء أحدَكُمُ الموتُ توفته رسلُنا وهم لا يفرِّطُون. ثم رُدُّوا إلى الله مولاهُم الحق ألا لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أسرعُ الحاسبين. قل من يُنَجِّيكُم من ظلماتِ البَرِّ والبَحْرِ تدعونَه تضرُّعاً وخيفةً لئن أنجيتَنا من هذهِ لنكونَنَّ من الشاكرين. قل الله ينجِّيكُم منها ومن كلِّ كَرْبٍ ثم أنتم تشركون﴾ (الأنعام/٥٩ ـ ٦٤) وقال تعالى: ﴿قل أَغَيْرَ الله أبغي ربًّا وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ولا تَكْسِبُ كلُّ نفسٍ إلا عليها ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى ثم إلى ربِّكُم مَرْجِعُكُم فينبؤكُم بما كنتم فيه تختلفون. وهو الذي جَعَلَكُم خلائفَ الأرض﴾ (الأنعام/١٦٤ ـ ١٦٥) إلى آخرها وقال تعالى: ﴿الله الذي رَفَعَ الخَلْقَ ثم يعيدُه ومن يرزقُكم من السماء والأرض أإله مع الله، قل هاتوا برهانكم إنْ كُنتم صادقين﴾ (النمل/٦٤) وقال تعالى: ﴿وكأيِّنْ من دابَّةٍ لا تحمِلُ رزقَها الله يرزقها وإيَّاكم وهو السميع العليم. وَلَئِنْ سَأَلْتَهم مَنْ خَلَقَ السّمواتِ والأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَمْسَ والقمَرَ ليقولُنَّ الله، فأني يؤفكون. الله يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمن يشاءُ مِنْ عبادِهِ ويقدِرُ لَه، إنّهُ بكلِّ شيءٍ عليم. ولئن سأَلْتَهم مَنْ نَزَّلَ من السماءِ ماءً فأحيا بهِ الأرضَ مِنْ بَعْدِ موتِها ليقولُنَّ الله، قلُ الحمدُ لله بل أكثرهُم لا يعقلون﴾ (العنكبوت/٦٠ ـ ٦٣) وقال تعالى: ﴿فإذا رَكِبوا في الفُلْكِ دَعَوْا الله مخلصينَ لَهُ الدينَ فلما نجّاهُم إلى البَرِّ إذا هم يشركون﴾ (العنكبوت/٦٥) وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سأَلْتَهم مَنْ خَلَقَ السمواتِ والأرْضَ ليقولُنَّ الله، قل الحمدُ لله بَلْ أكثرهُمُ لا يعلمون. لله ما في السمواتِ والأرضِ إنَّ الله هو الغنيُّ الحميدُ ـ إلى قوله ـ أَلَمْ

تر أنَّ الله يولِجُ الليلَ في النّهارِ ويولِج النّهارَ في الليل وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يجري لأجَلٍ مسمّىً وأنَّ الله بما تعملون خبير، ذلكَ بأنَّ الله هُوَ الحق وأنّما يدعونَ مِنْ دونِه الباطلُ وأنَّ الله هو العليُّ الكبير، ألم تَرَ أنَّ الفلكَ تجري في البحر بنعمةِ الله ليريَكُم من آياتِهِ إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلِّ صبّارٍ شكور، فإذا غَشِيَهُم موجٌ كالظلل دَعَوُا الله مخلصينَ لَه الدّينَ، فلما نجّاهُم إلى البَرِّ فمنهم مقتَصِدٌ وما يجحدُ بآياتنا إلا كلّ ختّارٍ كفور﴾ (لقمان/٢٥ ـ ٣٢) إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿ألم تر أنَّ الله أَنْزَلَ من السماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الأرضُ مخضرة إنَّ الله لطيفٌ خبير، لَهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وإنَّ الله لَهُو الغَنيُّ الحميد. ألم تَرَ أنَّ الله سَخَّر لَكُم ما في الأرضِ والفلكِ تجري في البحرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السماءَ أَنْ تَقَعَ على الأرْضِ إلا بإذنِهِ إنَّ الله بالنّاسِ لرءوفٌ رحيم. هو الذي أَحْياكُم ثُمَّ يميتكم ثم يُحييكُم إنَّ الإنسان لكفور﴾ (الحج/٦٣ ـ ٦٦) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ من سلالةٍ من طينٍ ثمَّ جعلناهُ نطفةً في قرارٍ مكين. ثم خَلَقنا النُّطفةَ عَلَقةً فخلقنا العلقةَ مضغةً فخلقنا المضغةَ عظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناهُ خلقاً آخر، فتبارَكَ الله أحسنُ الخالقين. ثمَّ إنَّكُم بعد ذلك لميِّتونَ، ثم إنَّكُم يَوْمَ القيامةِ تبعثون. وَلَقَدْ خَلَقنا فوقَكُم سَبْعَ طرائِقَ وما كنّا عَنِ الخَلْقِ غافلين. وأَنْزلنا من السّماءِ ماءً بقدرٍ فأسكنّاه في الأرضِ وإنّا على ذهابٍ به لقَادِرونَ. فأنشأ لَكُمْ به جَنّاتٍ مِنْ نخيلٍ وأعنابٍ لكم فيها فواكِه كثيرةً ومنها تأكلون. وشجرةً تخرجُ مِنْ طَوْرِ سَيْناءَ تنبتُ بالدُّهنِ وَصِبْغٍ لِلآكلينَ. وإنَّ لكم في الأنعامِ لعبرةً نسقيكُم مما في بطونِها وَلَكُم فيها منافِعُ كثيرةٌ ومنها تأكلون. وعليها وعلى الفلكِ تحملون﴾ (المؤمنون/١٢ ـ ٢٢). وقال تعالى: ﴿هُوَ الذي خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ وما بينهما في سِتّةِ أيّامٍ ثمَّ استوى على العرشِ ما لكم مِنْ دونِه من وَلِيٍّ ولا شفيعٍ أفلا تذكرون﴾ (السجدة/٤) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿الحَمْدُ لله الذي لَهُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ وَلَهُ الحمدُ في

الآخرةَ وَهُوَ الحكيمُ الخبيرُ. يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منهها وما يَنْزِلُ من السماءِ وما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ الرحيمُ الغفور﴾ (سبأ/١ ـ ٢) وقال تعالى: ﴿الحمدُ لله فاطِرِ السمواتِ والأرض جاعلِ الملائكة رسلاً أولى أجنحةٍ مثنى وثلثَ ورباع يزيدُ في الخلقِ ما يشاءُ إنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٍ. ما يَفْتَحِ الله للنّاسِ من رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها وما يُمْسك فلا مُرْسِلَ له من بعده وهو العزيزُ الحكيم﴾ (فاطر/١ ـ ٢) وقال تعالى: ﴿الله الذي يرسلُ الرياحَ فتثيرُ سحاباً فيبسطهُ في السماءِ كيفَ يشاءُ ويجعله كسفاً فترى الوَدْق يخرجُ من خلالِهِ فإذا أصابَ به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرونَ. وإن كانوا من قَبْلِ أن يُنَزَّلَ عليهم من قبله لمبلسين﴾ (الروم/٤٨ ـ ٤٩) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿والله الذي أَرْسَلَ الرياحَ فتثيرُ سحاباً. فسقناه إلى بلد ميِّتٍ فأحيينا به الأرضَ بَعْدَ موتِها كذلك النشور. مَنْ كانَ يُريدُ العِزّةَ فللهِ العزةُ جميعاً إليه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيِّبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُه ـ إلى قوله ـ والله خَلَقَكُم مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نطفةٍ ثم جعلكمْ أزواجاً وما تحملُ من أنثى ولا تضعُ إلا بعلمه وما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ولا يُنْقَصُ من عُمْرِهِ إلا في كتابٍ إنَّ ذلك على الله يسير. وما يستوي البحرانِ هذا عذبٌ فراتٌ سائغٌ شرابُه، وهذا ملحٌ أجاجٌ ومن كلٍّ تأكلونَ لحماً طريّاً وتستخرجونَ حليةً تلبسونها وترى الفلكَ فيه مواخِرَ ولتبتغوا من فَضْلِهِ ولعلَّكم تشكرون. يولجُ الليلَ في النّهارِ ويولجُ النَّهارَ في الليل وسخَّر الشَّمْسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّى ذلكم الله ربكم له الملك﴾ (فاطر/٩ ـ ١٣) إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿الله الذي خَلَقَكُم ثم رَزَقَكُمْ ثم يميتكُمْ ثم يحييكُمْ هل من شركائِكُمْ من يفعلُ مِنْ ذلِكمُ مِنْ شيء، سبحانَ الله وتعالى عما يشركون﴾ (الروم/٤٠) وقال تعالى: ﴿وإذا مسَّ الإنسانَ ضُرٌّ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خَوَّلَهُ

نعمةً منه نسيَ ما كان يدعو إليه مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لله أنداداً ليضِلَّ عَنْ سبيلِهِ، قل تَمتَّعْ بكفرِكَ قليلاً إنَّكَ من أصحابِ النار﴾ (الزمر/٨) وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خَلَقَ السموات والأرض ليقولُنَّ الله، قل أفرأيتم ما تدعونَ من دون الله إن أرادنيَ الله بضرٍّ هل هنَّ كاشفاتُ ضره، أو أرادنيَ برحمةٍ هل هن ممسكات رحمتِهِ، قل حسبي الله، عليه يتوكل المتوكلون﴾ (الزمر/٣٨) وقال تعالى: ﴿الله الذي جَعَلَ لكمْ الليلَ لتسكنوا فيه والنهارَ مبصراً، إنّ الله لذو فضل على الناس ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون. ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنَّى تؤفكُون، كذلك يؤفَكُ الذين كانوا بآيات الله يجحدون. الله الذي جَعَلَ لكم الأرضَ قراراً والسماء بناءً وصوَّرَكُم فأحسنَ صُوَرَكُم ورزَقَكُم مِنْ الطيّباتِ، ذلك الله رَبُّكم فتبارك الله رب العالمين﴾ (غافر/٦٢ - ٦٤) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿قل أإنَّكُم لتكفرونَ بالذي خَلَقَ الأرض في يومينِ وتجعلونَ له أنداداً ذلك ربُّ العالمين. وجعلَ فيها رواسيَ من فوقِها وباركَ فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها في أربعةِ أيّامٍ سواءَ للسائلين. ثمَّ استوى إلى السماءِ وهيَ دخانٌ فقال لها وللأرْضِ ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعينَ. فقضاهنَّ سَبْعَ سمواتٍ في يومينِ وأوحى في كلِّ سماءٍ أمرَها وزيّنا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وحفظاً، ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (فصلت/٩ - ١٢) وقال: ﴿ولئنْ سألْتَهُم مَنْ خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خلقهنَّ العزيزُ العليم، الذي جَعَلَ لكمُ الأرضَ مهداً وجعل لكمْ فيها سبلاً لعلَّكُم تهتدون. والذي نَزَّلَ من السماءِ ماءً بقدرٍ فأنشرنا به بلدةً ميتاً كذلك تُخْرجون. والذي خَلَقَ الأزواجَ كُلَّها وجعلَ لَكُم من الفُلْكِ والأنعام ما تركبون، لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمةَ رَبِّكم إذا استويتُم عليه وتقولوا سبحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (الزخرف/٩ - ١٣) الآيات، وقال تعالى: ﴿ولئن سألتهم مَنْ خَلقهم ليقولُنَّ الله فأنّى يؤفكون﴾ (الزخرف/٨٧) وغير ذلك من الآيات التي يقرر الله تعالى فيها ربوبيته ويمتن بنعمه وتفرده بأنواع

التصرفات، وعباد الأوثان يقرون بها لله عز وجل، ويقرون بأن أوثانهم التي يدعون من دونه مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئاً، ويقرون أن الله هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء، بل هو الخالق وما عداه مخلوق، وهو الرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سووهم به في استحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرد بها وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إله إلا الله: ﴿**أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عجاب**﴾ (ص/٥) فألزمهم الله تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية ان يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة بل هم أقل وأذل وأحقر وأعجز عن أن يخلقوا ذباباً أو أن يستنقذوا منه شيئاً سلبه. ومن تدبر هذه الآيات التي ذكرنا وما في معناها حق التدبر علم يقيناً أن عباد الأوثان مقرون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد الله بذلك وأنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر وإلا فأنواع التوحيد متلازمة، من أشرك غير الله معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في بيان الشرك. ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: «كم تعبد اليوم من إله» قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحداً في السماء. قال ﷺ: «فمن تعد لرغبتك ورهبتك» قال الذي في السماء[1]. وتقدم أيضاً في هذه الآية أنهم إنما كان شركهم بالله في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع شيئاً كما قال تعالى: ﴿**فإذا رَكبوا في الفلكِ دَعَوُا الله مخلصين له الدِّينَ، فلم نجاهم إلى البر إذا هم**

---

(١) حديث تقدم في إثبات علو الله تعالى.

يشركون. ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾ (العنكبوت/٦٥ ـ ٦٦) وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا ومما لم نذكر. والمقصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر، وأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا مكابرة كفرعون ونمرود، والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(معترفاً) حال من فاعل تعبد **(بحقه)** تعالى عليك، وعلى جميع عباده **(لا جاحداً)** وحقه عليك أن تعبده لا تشرك به شيئاً كما قال تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾** (النساء/٣٦) وقال: **﴿وقضى رَبُّكَ ألا تعبدوا إلا إياه﴾** (الإسراء/٢٣) وقال تعالى: **﴿أَنِ اعبدُوا الله ما لكم من إلهٍ غيرُه﴾** (المؤمنون/٣٢) وغيرها من الآيات سنذكر ما تيسر منها قريباً إن شاء الله تعالى. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله تعالى على العباد، وما حق العباد على الله؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»[1] الحديث.

وهو الذي به الإله أرسلا ... رسله يدعون إليه أولا
وأنزل الكتاب والتبيانا ... من أجله وفرق الفرقانا

(وهو) أي توحيد الإلهية **(الذي به الإله)** عز وجل **(أرسلا رسله)** من أولهم إلى آخرهم **(يدعون إليه أولاً)** قبل كل أمر فلم يدعوا إلى شيء قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات افترقت أو اتفقت، لا يشرك

---

(١) البخاري (١٣/٣٤٧) في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.
ومسلم: (١/٥٨/ ح ٣٠) في الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

معه فيها غيره، كما قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد»[1] وقد أخبر الله عز وجل عن اتفاق دعوة رسله إجمالاً وتفصيلاً فقال تعالى: ﴿**شرعَ لكمْ مِنَ الدينِ ما وَصّى به نوحاً والذي أوحينا إليكَ وما وصّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أنْ أقيموا الدِّينَ ولا تتفرقوا فيه**﴾ (الشورى/١٣) وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وكذلك بقية الرسل، وقال تعالى: ﴿**واسأَلْ من أرسلنا قبلِكَ مِنْ رسلِنا أجعلنا من دونِ الرحمنِ آلهةً يعبدون**﴾ (الزخرف/٤٥) وقال تعالى: ﴿**وما أرسلنا قبلكَ من رسولٍ إلا نوحي إليهِ أَنَّهُ لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ (الأنبياء/٢٥) وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كلِّ أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتَنبوا الطاغوت**﴾ (النحل/٣٦) وقال تعالى: : ﴿**إنّا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوحٍ والنّبيِّينَ من بعده وأوحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط وعيسى وأيوبَ ويونُسَ وهٰرونَ وسليمانَ وآتينا داودَ زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليكَ مِنْ قبل ورسلاً لم نَقْصُصْهم عليكَ وكلَّمَ الله موسى تكليماً. رسلاً مبشرينَ ومنذرينَ لئلا يكونَ للنّاسِ على الله حجةٌ بَعْدَ الرُّسلِ، وكان الله عزيزاً حكيما**﴾ (النساء/١٦٣ - ١٦٥) وفي الصحيح عن المغيرة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أَغْيَرُ منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»[2] وأما في مقامات التفصيل فقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أرسلنا نوحاً إلى قومِهِ**

---

(١) البخاري (٦/٤٧٧) في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب مريم**﴾.
مسلم (٤/١٨٣٧/ ح ٢٣٦٥) في الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم قبل قليل.

فقال يا قومِ اعبدوا الله ما لكُم من إلهٍ غيرُه إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيم﴾ (الأعراف/٥٩) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وإلى عادٍ أخاهُم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكُم من إلهٍ غيرُهُ أفلا تتقون﴾ (الأعراف/٦٥) إلى آخر الآيات وقال تعالى: ﴿وإلى ثمودَ أخاهُم صالحاً قالَ يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيرُه﴾ (الأعراف/٧٣) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وإلى مَدْيَنَ أخاهُم شعيباً قالَ يا قومِ اعبدوا الله ما لكُم من إلهٍ غيرُه﴾ (الأعراف/٨٥) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيمُ لأبيه آزرَ أتتخذُ أصناماً آلهةً إنّي أراكَ وقومَكَ في ضلالٍ مبين. وكذلك نِري إبراهيمَ ملكوتَ السمواتِ والأرض وليكونَ من المؤمنين. فلما جَنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال هذا ربي، فلما أَفَلَ قال لا أُحِبُّ الآفلين. فلما رأى القمرَ بازغاً قال هذا ربي، فلما أَفَلَ قال لئن لم يهدني ربي لأكونَنَّ من القومِ الضالّين. فلما رأى الشمسَ بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أَفَلَتْ قال يا قومِ إنّي بريءٌ مِمّا تشركون﴾ (الأنعام/٧٤ ـ ٧٨). وهذا في مقام مناظرته عليه الصلاة والسلام لعبّاد الكواكب على سبيل الاستدراج أو التوبيخ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة لحكمة الله عز وجل المسخرة بقدرته وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها وتركهم عبادته أو إشراكهم معه فيها غيره عز وجل فلما أقام عليهم الحجة: ﴿قال يا قوم إنّي بريءٌ مما تشركونَ، إنّي وَجّهتُ وجهيَ للذي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين. وحاجَّة قومُه قال أتحاجُّوني في الله وقد هدان ولا أخافُ ما تشركونَ به إلا أن يشاءَ ربي شيئاً وَسِعَ ربِّي كلَّ شيءٍ علماً أفلا تذكَّرون. وكيفَ أخافُ ما أشركتم ولا تخافونَ أنَّكُم أشركْتُم بالله ما لم يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُم سلطاناً، فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُم تعلمون. الذين آمنوا ولم يَلْبِسوا إيمانهم بظلمْ أولئك لهمُ الأمنُ وهم مهتدون﴾ (الأنعام/٧٨ ـ ٨٢) أي ﴿الذين آمنوا﴾ يعني صدقوا ووحدوا ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ أي شرك إذ هو الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل، وفي الصحيح عن

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانَهم بظلمٍ أولئكَ لَهُمُ الأمنُ وَهُم مهتدون**﴾ قال أصحاب رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**إنَّ الشِّرْكَ لظلمٌ عظيم**﴾ (لقمان/١٣)[1] فالذين آمنوا الإيمان التام الذي لم تشبه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه، ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله، ولا معاصي الله المحبطة لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمن التام من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء، باجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما. ثم قال تعالى: ﴿**وتلكَ حُجَّتُنا آتيناها إبراهيمَ على قومِه نَرْفَعُ درجاتٍ من نشاءُ إنَّ رَبَّكَ حكيمٌ عليم**﴾ (الأنعام/٨٣) وقال تعالى: ﴿**ولقد آتينا إبراهيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وكنَّا به عالمين. إذ قالَ لأبيهِ وقومِهِ ما هذِهِ التماثيلُ التي أنْتُم لها عاكفونَ. قالوا وجدنا آباءَنا لها عابدينَ. قال لقد كُنْتُم أنتم وآباؤكم في ضلالٍ مبين. قالوا أجئتنا بالحقِّ أم أنْتَ من اللّاعبينَ قال بل ربُّكم رَبُّ السمواتِ والأرضِ الذي فطرهُنَّ وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدَنَّ أصنامَكُم بعد أن تُولّوا مدبرينَ. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلَّهم إليه يرجعون. قالوا من فعلَ هذا بآلهتنا إنَّهُ لمنَ الظالمين. قالوا سمعنا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعينِ النّاسِ لعلهم يشهدون. قالوا أأنتَ فَعَلْتَ هذا بآلهتنا يا إبراهيمْ. قال بل فعلَهُ كبيرُهم هذا فاسألوهُمْ إن كانوا ينطقون. فَرَجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنَّكُم أنتم الظالمون. ثم نُكِسوا على رءوسِهم لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاءِ ينطقون. قالَ أفتعبدونَ من دونِ الله ما لا يَنْفَعُكم شيئاً ولا يَضُرُّكُم، أُفٍّ لكم ولما تعبدونَ من دونِ الله أفلا تعقلون**﴾

---

(١) البخاري (١/٨٧) في الإيمان، باب ظلم دون ظلم.
ومسلم (١/١١٤ - ١١٥/ ح ١٢٤) في الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(الأنبياء/٥١ ـ ٦٧) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿واتلُ عليهم نبأَ إبراهيمَ. إذ قال لأبيه وقومِهِ ما تعبدونَ. قالوا نعبدُ أصناماً فنظَلُّ لها عاكفينَ. قال هل يسمعونَكُم إذ تدعونَ. أو ينفعونَكُم أو يَضُرُّون. قالوا بل وجدنا آباءَنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتُم ما كنتم تعبدونَ أنتم وآباؤكُم الأقدمونَ، فإنّهم عدوٌّ لي إلا ربّ العالمين. الذي خلَقني فهو يهدينِ. والذي هو يطعِمُني ويسقينِ. وإذا مَرِضْتُ فهو يشفين. والذي يميتُني ثم يحيينِ. والذي أطمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لي خطيئتي يومَ الدين﴾ (الشعراء/٦٩ ـ ٨٢) وقال تعالى: ﴿وإنَّ من شيعتِهِ لإبراهيم. إذ قال لأبيهِ وقومِهِ ماذا تعبدون. أإفكاً آلهةً دونَ الله تريدونَ. فما ظَنُّكُمْ بربِّ العالمين. فنظرَ نظرةً في النُّجومِ. فقال إنّي سقيمٌ. فتولوا عَنْهُ مدبرينَ. فراغَ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلونَ. ما لكُمْ لا تنطقونَ. فراغَ عليهم ضرباً باليمينِ فأقبلوا إليه يَزِفّونَ. قال أتعبدون ما تنحتونَ. والله خلقكم وما تعملونَ. قالوا ابنوا له بنياناً فألقوهُ في الجحيم﴾ (الصافات/٨٣ ـ ٩٧) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿واذكُر في الكتابِ إبراهيمَ إنَّهُ كانَ صدّيقاً نبيّاً. إذ قال لأبيهِ يا أبتِ لم تعبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يبصرُ ولا يغني عَنْكَ شيئاً. يا أبتِ إنّي قَدْ جاءني من العِلْمِ ما لم يأتِك فاتبعني أهدِكَ صراطاً سَوّياً. يا أبَتِ لا تعبُدِ الشيطانَ إنَّ الشيطانَ كانَ للرحمنِ عصيّاً. يا أبت إنّي أخافُ أَنْ يمسك عذابٌ من الرّحمنِ فتكون للشيطانِ ولياً﴾ (مريم/٤١ ـ ٤٥).

فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تقدر عل جلب خير ولا دفع شر ولا تغني عنه شيئاً. فتبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال. ثم بين له أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى: ﴿إنّي قد جاءني من العلمِ ما لم يَأْتِكَ فاتبعني أهدِكَ صراطاً سويا﴾ وبين أن فعله ذلك عبادة للشيطان، موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان، عياذاً بالله من ذلك. وقال تعالى: ﴿وإبراهيمَ إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوهُ ذلكمْ خيرٌ

لكم إنْ كنتمْ تعلمون. إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً، إنَّ الذين تعبدون من دونِ الله لا يملكونَ لكم رزقاً فابتغوا عِنْدَ الله الرزقَ واعبدوهُ واشكروا له إليه ترجعون﴾ (العنكبوت/١٥ ـ ١٧) إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براءٌ مِمّا تعبدون. إلا الذي فطرني فإنّهُ سيهدين. وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِبهِ لَعَلَّهم يرجعون﴾ (الزخرف/٢٦ ـ ٢٨) وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إنّي تركتُ مِلّةَ قومٍ لا يؤمنونَ بالله وهم بالآخرةِ هم كافرونَ. واتّبعتُ ملّة آبائيَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ، ما كان لنا أن نشركَ بالله من شيءٍ ذلكَ مِنْ فَضْل الله علينا وعلى النّاسِ ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يشكرون. يا صاحبي السّجْنِ أأربابٌ متفرقونَ خَيْرٌ أمِ الله الواحدُ القهار. ما تعبدونَ من دونِهِ إلا أسماءً سمّيتموها أنْتُم وآباؤكُم ما أنْزَلَ الله بها من سلطان، إنِ الحكْمُ إلّا لله، أَمَرَ ألا تعبدوا إلا إياهُ ذلك الدين القيم﴾ (يوسف/٣٧ ـ ٤٠) الآيات وغيرها. وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿ألم يأتِكُم نبأُ الذينَ من قبلكُم قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم لا يعلمهمْ إلا الله جاءتهمْ رُسُلُهُمْ بالبيِّناتِ فردّوا أيديَهم في أفواههم وقالوا إنّا كفرنا بما أرسلْتُم به، وإنّا لفي شَكٍّ مما تدعونا إليه مريب. قالتْ رُسُلُهم أفي الله شكٌ فاطرِ السمواتِ والأرضِ يدعوكم ليغفرَ لكمْ من ذنوبِكُم ويؤخِرْكُم إلى أَجَلٍ مُسَمّى، قالوا إن أنْتم إلا بشرٌ مثلنا تريدونَ أن تصدّونا عمّا كانَ يعبدُ آباؤنا فأتونا بسلطانٍ مبين. قالت لهم رسلُهم إنْ نَحْنُ إلا بشرٌ مِثْلَكُم ولكنَّ الله يمنُّ على من يشاءُ مِنْ عِبادِهِ، وما كان لنا أن نأتيكُم بسلطانٍ إلا بإذن الله، وعلى الله فليتوكَّلِ المؤمنون. وما لنا ألا نتوكَّلَ على الله وقد هدانا سُبُلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ (إبراهيم/٩ ـ ١٢) الآيات. ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل ومحاورتهم مع قومهم وعواقب ذلك لطال الفصل. وأما نبينا محمد ﷺ وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآن كله من

فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

(**وأنزل**) الله عز وجل (**الكتاب**) اسم جنس لكل كتاب أنزله الله عز وجل على رسله وأشهرها الأربعة وهي التوراة على موسى موعظة وتفصيلاً لكل شيء. والإنجيل على عيسى فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. والزبور على داود الذي كان إذا قرأه أوّبت معه الجبال والطير، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه. (**والتبيانا**) من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعلم به وهو الكتاب. ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها. (**من أجله**) أي من أجل التوحيد (**وفرق الفرقانا**) إذ يقول تعالى: ﴿**وقرآناً فرقناهُ لتقرأَهُ على النّاسِ على مُكْثٍ ونزّلناهُ تنزيلاً**﴾ (الإسراء/١٠٦) الآيات. وسنذكر إن شاء الله تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك وبالله التوفيق.

وكلف الله الرسول المجتبى ... قتال من عنه تولى وأبى
حتى يكون الدين خالصاً له ... سراً وجهراً دقه وجله
وهكذا أمته قد كلفوا ... بذا وفي نص الكتاب وصفوا

(**وكلف الله**) تعالى أي أمر أمر افتراض (**الرسول المجتبى**) نبينا محمد ﷺ (**قتال**) مفعول كلف الثاني (**من عنه**) عن التوحيد (**تولى وأبى**) أي أعرض وامتنع (**حتى**) غاية للقتال (**يكون الدين خالصاً له**) أي لله عز وجل (**سراً وجهراً**) لا معارض له ولا مشاقّ (**دقه وجله**) أي قليل العبادة وكثيرها وصغيرها وكبيرها. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يا أيها النبيُّ جاهِدِ الكفارَ والمنافقينَ واغلظ عليهم**﴾ (التوبة/٧٣) الآية، وقال تعالى: ﴿**فقاتلْ في سبيلِ الله لا تُكَلَّفُ إلا نفسكَ وحرض المؤمنين عسى الله أنْ يكُفَّ بأسَ الذين كفروا، والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً**﴾ (النساء/٨٤) وقال تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونُ الدين لله، فإن انتهوا فلا عدوانَ إلا على الظالمين**﴾ (البقرة/١٩٣) وقال تعالى: ﴿**قل**

للذين كفروا إن ينتهوا يُغْفَرْ لهم ما قد سلف، وإن يعودوا فقدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأوّلين. وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدينُ كُلّهُ لله فإنِ انتهوا فإنّ الله بما يعملونَ بصير. وإن تولّوا فاعلموا أنَّ الله مولاكم نعمَ المولى ونعمَ النصير﴾ (الأنفال/٣٨ ـ ٤٠) وقال تعالى: ﴿فإذا انسلخَ الأشهرُ الحرم فاقتلوا المشركينَ حيثُ وجدتموهم وخذوهُم واحصروهُم واقعدوا لهم كُلَّ مَرْصَدْ فإن تابوا﴾ (التوبة/٥) يعني رجعوا عن الشرك إلى التوحيد ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها، وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل»[1] الحديث في الصحيح، ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل وليس هذا موضع بسطها.

(وهكذا) كما كلف ﷺ بجهاد الكفار (أمته) المستجيبون له (قد كلفوا بذا) أي الذي كلف به (وفي نص الكتاب) القرآن (وصفوا) أي بذلك كما قال تعالى: ﴿محمَّدُ رسولُ الله والذين مَعَهُ أشداءُ على الكفّارِ رحماءُ بينَهم تراهُم رُكّعاً سجداً﴾ (الفتح/٢٩) الآية، وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا من يَرْتَدَّ منكمْ عن دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقومٍ يحبُّهم ويحبّونَهُ أذلةٍ على المؤمنينَ أعزّةٍ على الكافرينَ يجاهدونَ في سبيل الله ولا يخافونَ لومةَ لائم﴾ (المائدة/٥٤) والآيات قبلها وبعدها، ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي عز وجل: ﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنينَ أنفسهُمْ وأموالَهُمْ بأنَّ لهمُ الجنّةَ يقاتِلونَ في سبيلِ الله فيقتلونَ ويقتلونَ

---

(١) البخاري (١/٧٥) في الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.
ومسلم (١/٥٣/ ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.
من حديث ابن عمر وفي الباب من حديث عمر بن الخطاب وأوس بن حذيفة والنعمان بن بشير وأنس بن مالك وجابر بن عبدالله وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وعداً عليه حقّاً في التوراةِ والإنجيلِ والقرآن، ومن أوفى بعهدِهِ من الله، فاستبشروا ببيعِكُمُ الذي بايعتُم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة/١١١) لكانت هذه الآية كافية في نعش القلوب وتهييج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابحة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها، والله المستعان.

[فضل شهادة أن لا إله إلا الله]

وقد حوته لفظة الشهادة ... فهي سبيل الفوز والسعادة
من قالها معتقداً معناها ... وكان عاملاً بمقتضاها
في القول والفعل ومات مؤمناً ... يبعث يوم الحشر ناج آمنا

(**وقد حوته**) أي جمعته واشتملت عليه (**لفظة الشهادة**) أي شهادة أن لا إله إلا الله (**فهي**) أي هذه الكلمة (**سبيل الفوز**) بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله عز وجل: ﴿**فمن زُحْزِحَ عن النّارِ وأدخِلَ الجنَّةَ فقَدْ فاز**﴾ (آل عمران/١٨٥). (**و**) هي سبيل (**السعادة**) في الدارين أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار. وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التّلاق. إذ يقول تعالى: ﴿**فوربِّكَ لنسألَنَّهم أجمعينَ، عمّا كانوا يعملون**﴾ (الحجر/٩٢) وقال تعالى: ﴿**فلنسألنَّ الذين أرسلَ إليهم ولنسألنَّ المرسلين**﴾ (الأعراف/٦) فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى: ﴿**ويومَ يناديهم فيقولُ ماذا أجبتُمُ المرْسَلين**﴾ (القصص/٦٥) والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك. وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى: ﴿**يوم يجمعُ الله الرسل فيقول ماذا أُجِبْتُم، قالوا لا عِلْمَ لنا إنّكَ أنْتَ**

علامُ الغيوب﴾ (المائدة/١٠٩) وغير ذلك من الآيات، وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده إن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولاً قبل كل نعمة فقال تعالى: ﴿**ينزِّلُ الملائكةَ بالروحِ من أَمْرِهِ على مَنْ يشاءُ من عبادِهِ أن أنذروا أنّهُ لا إله إلا أنا فاتقون﴾** (النحل/٢) وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها. مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى التي قال الله عز وجل: ﴿**فمن يَكْفُر بالطّاغوتِ ويؤمنْ بالله فَقَدِ استمسكَ بالعروةِ الوثقى لا انفصامَ لها﴾** (البقرة/٢٥٦) قاله سعيد بن جبير والضحاك[١]، وهي العهد الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿**لا يملكونَ الشفاعةَ إلا من اتّخذَ عِنْدَ الرحمنِ عهداً﴾** (مريم/٨٧) قال ذلك عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: هو شهادة أن لا إله إلا الله، والبراءة من الحول والقوة إلا بالله، وأن لا يرجو إلا الله عز وجل[٢]. وهي الحسنى التي قال الله عز وجل: ﴿**فأَمَّا من أعطى واتّقى، وصَدَّقَ بالحسنى، فسنيسِره لليُسرى﴾** (الليل/٥ ـ ٧) الآيات، قاله أبو عبدالرحمن السلمي والضحاك ورواه عطية عن ابن عباس[٣]. وهي كلمة الحق التي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿**إلا من شَهِدَ بالحقِّ وَهُمْ يعلمون﴾** (الزخرف/٨٦) قال ذلك البغوي[٤]. وهي كلمة التقوى التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿**وألزمهم كلمةَ التّقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلها﴾** (الفتح/٢٦) روى ذلك ابن جرير وعبدالله بن أحمد والترمذي بأسانيدهم إلى أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ[٥].

---

(١) أنظر ابن كثير (١/٣١٩).

(٢) هو من رواية علي بن أبي طلحة عنه وروايته عنه منقطعة أنظر ابن كثير (٣/١٤٥).

(٣) ابن كثير (٤/٥٥٣ ـ ٥٥٤) والبغوي (معالم ٥/٥٨٣) وعطية العوفي فيه مقال معروف.

(٤) البغوي (معالم التنزيل ٥/١١٠).

(٥) ابن جرير (٢٦/١٠٤) وعبدالله في زوائد المسند (٥/١٣٨) والترمذي (٥/٣٨٦/ ح ٣٢٦٥) وقال هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة والبيهقي في الأسماء =

وهي القول الثابت الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول تعالى: ﴿**يثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقولِ الثابتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرة**﴾ (إبراهيم/٢٧) أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ[١]. وهي الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً قبل ذلك إذ يقول تعالى: ﴿**ضربَ الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعها في السماء**﴾ (ابراهيم / ٢٤) قاله علي بن طلحة عن ابن عباس[٢]، أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله عز وجل. وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد[٣]. وهي الحسنة التي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿**من جاء بالحسنَةِ فَلَهُ عشرُ أمثالِها**﴾ (الأنعام/١٦٠) وقال تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم منْ فَزَعٍ يومئذ آمنون**﴾ (النمل/٨٩) قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النَخعي، وعن أبي ذرّ مرفوعاً «هي أحسن الحسنات»[٤] وهي تمحو الذنوب والخطايا». وهي المثل الأعلى الذي ذكر الله عز وجل إذ يقول: ﴿**ولله المثلُ الأعلى في السّمواتِ والأرض**﴾ (الروم/٢٧) قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير[٥]، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر[٦]. وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذناً يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله» فقال ﷺ: «خرجت من

= والصفات (ص ١٣٢ - ١٣٣).
وسنده ضعيف فيه ثوير بن أبي فاختة وهو ضعيف.

(١) البخاري (٨/٣٧٨) في تفسير سورة إبراهيم، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.
ومسلم (٤/٢٢٠١/ ح ٢٨٧١) في صفة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

(٢) ابن كثير (٢/٥٤٩) وروايته عنه مرسلة.

(٣) ابن كثير (٢/٥٤٩).

(٤) ابن جرير (٨/١١٠) وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٣/٤٠٤) وسنده ضعيف (أنظر ابن كثير ٢/٢٠٥).

(٥) ابن جرير (٢١/٣٨) وابن كثير (٣/٤٤٠).

(٦) أنظر ابن كثير (٣/٤٤١).

النـار»[1] وفيه عن عبـادة بن الصامت رضي الله عنـه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسـول الله حرم الله عليـه النار»[2] وفي حديث الشفاعة الآتي إن شاء الله تعـالى: «أخرجـوا من النار من قـال لا إله إلا الله. وكان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[3]. وهي سبب دخول الجنة كما في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ: «من قـال أشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شـريك لـه وأن محمداً عبـده ورسولـه وأن عيسى عبـدالله وابن أمته وكلمتـه ألقاهـا إلى مريم وروح منـه وأن الجنة حق وأن النـار حق أدخله الله الجنة من أي أبـواب الجنـة الثمـانيـة شـاء[4]. وفي روايـة: «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»[5]. وهي أفضل ما ذكر الله عز وجـل به، وأثقـل شيء في ميزان العبـد يوم القيـامة كمـا في المسند عن عبـدالله بن عمـرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبـع والأرضين السبع لـو وضعن في كفة ووضعت لا إلـه إلا الله في كفـة لـرجحت بهن لا إلـه إلا الله، ولـو أن السمـوات السبـع والأرضين السبع كل حلقة مبهمة لفصمتهن لا إله إلا الله»[6]. وفيه عنـه أيضاً عن النبي ﷺ: «أن مـوسى عليه الصـلاة والسلام قـال: يـا رب علمني شيئاً أذكـرك وأدعوك به، قـال: يا مـوسى قل لا إلـه إلا الله. قال مـوسى: يا رب كـل عبادك يقولون هذا. قال: يـا موسى قـل لا إله إلا الله، قـال: لا إله إلا الله، إنمـا أريد

---

(١) مسلم (١/٢٨٨/ ح ٣٨٢) في الصـلاة، باب الإمسـاك عن الإغـارة على قـوم في دار الكفـر إذا سمع فيهم الأذان. من حديث أنس.

(٢) مسلم (١/٥٧ ـ ٥٨/ ح ٢٩) في الإيمـان، باب الـدليل على أن من مـات على التـوحيـد دخـل الجنة.

(٣) سيأتي إن شاء الله تعالى.

(٤، ٥) البخاري (٦/٤٧٤) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقـولوا على الله إلا الحق**﴾. ومسلم (١/٥٧/ ح ٢٨) في الإيمـان، باب الـدليـل على إن مـات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٦) أحمد (٢/٢٢٥). وسنده صحيح.

شيئاً تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله»[1]. وفي الترمذي والنسائي وفي المسند عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: فإنك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب[2]. وهي التي لا يحجبها شيء دون الله عز وجل كما في الترمذي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه»[3] وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش»[4]، وهي الأمان من وحشة القبور وهول الحشر كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله وقد قاموا ينفضون التراب

---

(١) لم أجده في مسند أحمد ولم يعزه الهيثمي إليه وإنما عزاه إلى أبي يعلى فقط (المجمع ١٠/٨٥) وقال في رجال إسناده ضعف وهو عنده في مسنده (٢/٥٢٨).

(٢) أحمد (٢/٢١٣، ٢٢١ - ٢٢٢) والترمذي (٥/٢٤ - ٢٥/ ح ٢٦٣٩). في الإيمان باب ١٧. وابن ماجه (٢/١٤٣٧/ ح ٤٣٠٠) في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة. وسنده صحيح. ولم أجده عند النسائي (أنظر تحفة الأشراف ٦/٢٧٠٣).

(٣) الترمذي (٥/٥٣٦/ ح ٣٥١٨) في الدعوات، باب ٨٧. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.

(٤) الترمذي (٥/٥٧٥/ ح ٣٥٩٠) في الدعوات، باب رقم ١٢٧، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. قلت: إسناده حسن.

عن رءوسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»[1].

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، وسنذكر إن شاء الله تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إله إلا الله اخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» الحديث[2]. وهذا لفظ مسلم.

(من قالها) أي قال هذه الكلمة حال كونه **(معتقداً)** أي عالماً ومتيقناً **(معناها)** الذي دلت عليه نفياً وإثباتاً **(وكان)** مع ذلك **(عاملاً بمقتضاها)** على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم العمل به **(في القول)** أي قول القلب واللسان **(والفعل)** أي عمل القلب واللسان والجوارح قال الله عز وجل: **﴿يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولونَ ما لا تفعلونَ، كَبُرَ مقتاً عِنْدَ الله أَنْ تقولوا ما لا تفعلون﴾** **(الصف/٢ ـ ٣)** **(ومات مؤمناً)** أي على ذلك، وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال ﷺ: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله[3] **(يبعث يوم الحشر)** أي يوم الجمع **(ناج)** من النار **(آمناً)** من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: **﴿إنَّ الذين سبقتْ لَهُمْ مِنّا الحسنى أولئك عنها مبعدون. لا يسمعونَ حسيسَها وهم فيما اشتَهَتْ أنفسهم خالدون. لا يحزنُهُم الفَزَعُ الأَكْبَرُ وتتلقاهُمُ الملائكةُ هذا يومُكُم**

---

(١) لم أجده في مسند أحمد ولم أر أحداً عزاه إليه غيره ورواه ابن أبي حاتم وابن عدي في الكامل (١٥٨٢/٤) وفي سنده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط بإسنادين ضعيفين (المجمع ٨٦/١٠).

(٢) البخاري (٥١/١) في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم (٦٣/١/ ح ٣٥) في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها.

(٣) البخاري (٢٨٢/١٠) في اللباس، باب الثياب البيض وغيره، ومسلم (٩٥/١/ ح ١٥٤) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

الذي كنتم توعدون﴾ (الأنبياء/١٠١ ـ ١٠٣) وقال تعالى: ﴿من جاء بالحسنةِ فَلَهُ خيرٌ منها وَهم من فزع يومئذٍ آمنون﴾ (النحل/٨٩).

[معنى شهادة أن لا إله إلا الله]

فإن معناها الذي عليه ... دلت يقيناً وهدت إليه
أن ليس بالحق إله يعبد ... إلا الإله الواحد المنفرد
بالخلق والرزق وبالتدبير ... جل عن الشرك والنظير

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمة (الذي عليه) متعلق بقوله (دلت) بصريح لفظها (وهدت) أي أرشدت (إليه) هو (أن ليس بالحق) متعلق بيعبد (إله) هو اسم ليس ومنفيها والنكرة في سياق النفي تعم والحكم المنفي (يعبد) الذي هو متعلق بالحق والاستحقاق فيخرج ما عبد بباطل، ولذا سماه المشركون إلهاً فتسميته بذلك باطلة فلا يستحق أن يعبد. فمعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله، لا إله نافياً جميع ما يعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، إلا الله مثبتاً العبادة لله فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف بحق هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديره بموجود فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل لا معبود موجود إلا الله، لزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو الله فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله فيكون ذلك كله توحيداً، فما عبد على هذا التقدير إلا الله إذ هي هو، وهذا والعياذ بالله أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافراً إذ كل ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحداً، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود. إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا بأس ويكون التقدير لا إله حقاً موجود إلا الله، فبقيد الاستحقاق ينتفي المحذور الذي ذكرنا.

(**إلا الإله الواحد المنفرد. بالخلق والرزق وبالتدبير. الخ**) وهو الله سبحانه وتعالى، أي هو الإله الحق، فكما تفرد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفع والضر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها، وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقاً فلا شريك له فيها: ﴿**ذلك بِأَنَّ الله هو الحق وأنّ ما يدعون من دونِه هو الباطل وأَنَّ الله هو العليُّ الكبير**﴾ (لقمان/٣٠)، ﴿**ما اتّخَذَ الله من وَلَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِنْ إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضُهم على بعضٍ، سبحانَ الله عمّا يصفون، عالمُ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عمّا يشركون**﴾ (المؤمنون/٩١)، ﴿**أم اتخذوا آلهةً من الأرض هم يُنْشِرون، لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربِّ العرش عمّا يصفون، لا يسأَلُ عمّا يفعلُ وهم يسألون**﴾ (الأنبياء/٢١)، ﴿**قل لو كان مَعَهُ آلهةً كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً، سبحانه وتعالى عما يقولونَ علوّاً كبيراً، تسبِّحُ له السمواتُ السبعُ والأرض ومن فيهنَّ، وإن مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بحمدِهِ ولكن لا تفقهونَ تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً**﴾ (الإسراء/٤٢)، ﴿**لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ. وما من إله إلا الله، وإن لم ينتهوا عما يقولونه ليمسنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم**﴾ (المائدة/٧٣)، ﴿**إنَّ هذا لهو القصصُ الحقُّ، وما من إله إلا الله، وإنَّ الله لهو العزيز الحكيم**﴾ (إل عمران/٦٢). ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ بِهِ شيئاً ولا يتخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ الله، فإنْ تَوَلّوا فقولوا أشهدوا بأنّا مسلمون**﴾ (آل عمران/٦٤)، ﴿**قل أرأيتُم ما تدعونَ من دونِ الله، إن أرادَني الله بضرٍّ هل هنَّ كاشفاتُ ضرِّهُ أو أرادني برحمةٍ هل هنَّ ممسكاتُ رحمته، قل حسبي الله، عليه يتوكل المتوكلون**﴾ (الزمر/٣٨)، ﴿**قل أرأيتُم**

شركاءَكُم الذين تدعون من دونِ الله أروني ماذا خلقوا من الأرضِ أم لهم شركٌ في السمواتِ أم آتيناهم كتاباً فهم على بيّنةٍ منه بل إن يعد الظالمونَ بعضَهم بعضاً إلا غروراً﴾ (فاطر/٤٠)، ﴿قل أرأيتُم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرضِ أم لهم شركٌ في السمواتِ ائتوني بكتابٍ من قبلِ هذا أو أثارةٍ من علمٍ إن كنتم صادقين﴾ (الأحقاف/٤)، ﴿قل من ربِّ السمواتِ والأرضِ، قل الله، قل أفاتخذتم من دونِ الله أولياءَ لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً، قل هل يستوي الأعمى والبصيرُ، أم هل تستوي الظلماتُ والنورُ، أم جعلوا لله شركاءَ خلقوا كخلقه فتشابه الخلقُ عليهم، قل الله خالقُ كلّ شيء وهو الواحدُ القهار﴾ (الرعد/١٦)، ﴿قل إنما أنا منذرٌ، وما من إله إلا الله الواحدُ القهارُ، ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغفار﴾ (ص/٦٥).

[شروط شهادة أن لا إله إلا الله]

وبشروط سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلا حيث يستكملها

(وبشروط سبعة) متعلق بقيدت (قد قيدت) أي قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار. (وفي نصوص الوحي) من الكتاب والسنة (حقاً وردت) صريحة صحيحة (فإنه) أي الشأن وذلك علة تقييدها بهذه الشروط السبعة (لم ينتفع قائلها) أي قائل لا إله إلا الله (بالنطق) أي بنطقه بها مجرداً (إلا حيث يستكملها) أي هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك. وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان.

والعلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة، فأصغ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعلقها، ثم اعمل على وفق ذلك، تفز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله عز وجل كما وعد الله تعالى ذلك إنه لا يخلف الميعاد:

الأول (العلم) بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل: ﴿**فاعلم أَنَّهُ لا إلهَ إلا الله**﴾ (محمد/١٩) وقال تعالى: ﴿**إلّا مَنْ شَهِدَ بالحقِّ**﴾ (الزخرف/٨٦) أي بلا إله إلا الله ﴿**وهم يعلمون**﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم. وقال تعالى: ﴿**شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إله إلا هُوَ والملائكةُ وأولو العِلْم قائماً بالقسطِ لا إلهَ إلّا هُوَ العزيزُ الحكيم**﴾ (آل عمران/١٨) وقال تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذينَ يعلمونَ والذين لا يعلمون، إنَّما يتذكَّرُ أولوا الألباب**﴾ (الزمر/٩) وقال تعالى: ﴿**إنّما يخشى الله من عبادِه العلماءُ**﴾ (فاطر/٢٨) وقال تعالى: ﴿**وتلكَ الأمثالُ نضربُها للنّاسِ، وما يعقِلُها إلا العالمون**﴾ (العنكبوت/٤٣) وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[1].

(واليقين) أي **والثاني اليقين المنافي للشك** بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿**إنّما المؤمنونَ الذين آمنوا بالله ورسولِهِ ثمَّ لم يرتابوا وجاهدوا في سبيل الله ـ إلى قوله ـ أولئك هم الصادقون**﴾ (الحجرات/٣) فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين ـ والعياذ بالله ـ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إنما يستأذِنُكَ الذين لا يؤمنونَ بالله واليومِ الآخرِ وارتابتْ قلوبُهم فهم**

(١) مسلم (١/٥٥/ ح ٤٣) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

في رَيْبِهم يترددون﴾ (التوبة/٤٥) وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكّ فيهما إلا دخل الجنة»[1] وفي رواية: «لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة»[2]. وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»[3] الحديث، فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

(و) الثالث (القبول) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى: **﴿وكذلكَ ما أرسلنا من قَبْلِكَ في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوها إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أمَّةٍ وإنّا على آثارِهم مقتدون. قال أَوَلَوْ جئتُكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم، قالوا إنّا بما أرسلتُم به كافرون. فانتقَمنا مِنْهُمْ، فانْظُر كَيْفَ كانَ عاقبةُ المكذبين﴾** (الزخرف/٢٣ ـ ٢٥) وقال تعالى: **﴿ثُم نُنَجّي رُسُلَنا والذين آمنوا، كذلِكَ حَقّاً علينا ننجي المؤمنين﴾** (يونس/١٠٣) وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أرسلنا مِنْ قَبْلِكَ رسلاً إلى قومِهم فجاؤهم بالبيناتِ فانتقمنا من الذين أَجْرَموا، وكانَ حقّاً علينا نصرُ المؤمنين﴾** (الروم/٤٧) وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب، كما قال تعالى: **﴿احشُروا الذين ظلموا وأزواجَهم وما كانوا يعبدون من دونِ الله فاهدوهم إلى صراطِ الجحيم، وقفوهم إنَّهم مسئولونَ﴾** إلى قوله: **﴿إنّهم كانوا إذا قيلَ لهم لا إله إلا الله يستكبرون. ويقولونَ أإنا لتاركوا آلهتِنا لشاعر مجنون﴾** (الصافات/٢٢ ـ ٣٦)

(١، ٢) مسلم (١/ ٥٥ ـ ٥٧/ ح ٢٧) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٣) مسلم (١/ ٥٩ ـ ٦٠/ ح ٣١) في الإيمان، باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿**أَجَعَلَ الآلهةَ إلهاً واحداً، إنَّ هذا لشيءٌ عجاب. وانطلق الملأُ مِنْهم أنِ امشوا واصبِروا على آلِهَتِكُم إنَّ هذا لشيءٌ يراد. ما سمعنا بهذا في الملةِ الآخرة، إن هذا إلا اختلاق**﴾ (ص/٥ ـ ٧) وقالوا ههنا: ﴿**أإنا لتاركوا آلهتنا لِشاعرٍ مجنون**﴾ فكذبهم الله عز وجل ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿**بل جاءَ بالحَقِّ وَصدّقَ المرسلين**﴾ (الصافات/٣٧) إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿**إلا عبادَ الله المخلَصين، أولئك لَهُم رزقٌ معلوم، فواكِهَ وهم مكرمون، في جنّاتِ النعيم**﴾ (الصافات/٤١) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿**مَنْ جاءَ بالحسنةِ فَلَهُ خيرٌ منها وهم من فزعٍ يومئذ آمنون**﴾ (النحل/٨٩) وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

(و) **الرابع (الانقياد) لما دَلّتْ عليه** المنافي لترك ذلك قال الله عز وجل: ﴿**وأنيبوا إلى ربِّكم وأَسلموا له**﴾ (الزمر/٥٤) وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحسنُ ديناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ محسن**﴾ (النساء/١٢٥) وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُسْلِم وجهَهُ إلى الله وَهُوَ محسنٌ فَقَدِ استمسكَ بالعروةِ الوثقى**﴾ (لقمان/٢٢) أي بلا إله إلا الله ﴿**وإلى الله عاقبةُ الأمور**﴾ ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد، وهو محسن موحد. ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو

---

(١) البخاري (١/١٧٥) في العلم، باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم.
ومسلم (٤/١٧٨٧/ ح ٢٢٨٢) في الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم.

المعنيُّ بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فلا يُحزنْكَ كفرُه، إلينا مَرْجِعُهم فننبِّؤهم بما عملوا إنَّ الله عليم بذاتِ الصدورِ. نمتّعهم قليلاً ثم نضّطَرُّهم إلى عذابٍ غليظ**﴾ (لقمان/٢٣ ـ ٢٤) وفي حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1] وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

(و) **الخامس (الصدق) فيها المنافي للكذب**، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطىء قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿**آلم. أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتركوا أَنْ يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون. وَلَقَدْ فتنّا الذين مِنْ قَبْلِهم فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين**﴾ (العنكبوت/١ ـ ٣) إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: ﴿**وَمِنَ النّاسِ من يقولُ آمنّا بالله وباليومِ الآخرِ وما هم بمؤمنين. يخادِعونَ الله والذين آمنوا وما يخدَعونَ إلا أَنْفُسَهُم وما يشعرون. في قلوبهمْ مرضٌ فزادَهم الله مرضاً ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون**﴾ (البقرة/٨ ـ ١١) وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرَّمه الله على النار»[2] فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب. وفيهما أيضاً من حديث أنس بن مالك وطلحة بن

---

(١) رواه الخطيب في تاريخه (٤/٣٦٩) والحكيم وأبو نصر السجزي في الإبانة (كنز العمال ح ١٠٨٤). والديلمي في الفردوس (ح ٧٧٩١).
قال أبو نصر حسن غريب وكذلك قال النووي. قلت: فيه نعيم بن حماد وقد ضعف (أنظر جامع العلوم والحكم وكلام ابن رجب عليه).

(٢) البخاري (١/٢٢٦) في العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم.
ومسلم (١/٦١/ ح ٣٢) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

عبيدالله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطَّوع»، قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[1]، وفي بعض الروايات: «إن صدق ليدخلن الجنة»[2] فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقاً.

(و) **السادس (الإخلاص)** وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**ألا لله الدينُ الخالِصُ**﴾ (الزمر/٣) وقال تعالى: ﴿**وما أُمِر إلا ليعبدوا الله مخلصينَ لَه الدّينَ حنفاء**﴾ (البينة/٥) الآية وقال تعالى: ﴿**فاعبدِ الله مخلصاً له الدين**﴾ (الزمر/٢) وقال تعالى: ﴿**قل إنّي أمرتُ أن أعبُدَ الله مخلصاً له الدين**﴾ (الزمر/١١) ﴿**قل الله أعبد مخلصاً له ديني**﴾ (الزمر/١٤) وقال تعالى: ﴿**إنّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسفلِ من النّارِ ولن تجد لهم نصيراً، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتَصموا بالله وأخْلَصوا دينَهم لله فأولئك مع المؤمنين**﴾ (النساء/١٤٦) وغير ذلك من الآيات. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أسعدُ الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»[3] وفي الصحيح عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل»[4]. وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضى إلى العرش

(١، ٢) البخاري (١/١٤٨ ـ ١٤٩) في العلم، باب القراءة على المحدث، وفي الإيمان، باب الزكاة في الإسلام.
ومسلم (١/٤١ ـ ٤٢/ ح ١٢) في الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام.
ومسلم (١/٤٠ ـ ٤١/ ح ١١- في الإيمان باب الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.

(٣) البخاري (١/١٩٣) في العلم، باب الحرص على الحديث. وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار (١١/٤١٨).

(٤) البخاري (١١/٥١٨) في الصلاة، باب إذا دخل بيتاً يصلي حيث يشاء.
مسلم (١/٤٥٦/ ح ٢٦٤) في المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر.

ما اجتنبت الكبائر» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه[1].
وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق الله لها السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»[2].

(و) **السابع (المحبة)** لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ من يتَّخِذ من دونِ الله أنداداً يحبّونَهم كحبِّ الله، والذين آمنوا أشدُّ حبّاً لله**﴾ (البقرة/١٦٥)، وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا من يرتدَّ مِنْكُم عن دينِهِ فسوفَ يأتي الله بقومٍ يحبهم ويحبونه، أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرينَ يجاهدونَ في سبيلِ الله ولا يخافونَ لومةَ لائم**﴾ (المائدة/٥٤) فأخبرنا الله عز وجل أن عباده المؤمنين أشد حباً له، وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحداً كما فعل مدَّعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونه كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابِّه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها قال الله تبارك وتعالى: ﴿**أرأيتَ مَنِ اتّخذَ إلهَهُ هواهُ أفأنْتَ تكونُ عليه وكيلاً**﴾ (الفرقان/٤٣) الآيات، وقال تعالى: ﴿**أفرأيتَ من اتَّخذَ إلهَهُ هواهُ وأضَلَّهُ الله على علمٍ وَخَتَمَ على سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ على بَصَرِهِ غشاوة، فمن يهديه من بعد الله**﴾ (الجاثية/٢٣) فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر

---

(١) تقدم قبل قليل.

(٢) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٢٨) وسنده ضعيف فيه محمد بن عبدالله بن ميمون بن مسيكة ويعقوب بن عاصم وهما مقبولان كما قال الحافظ. «إذا توبعا وإلا فلينان».

الله عز وجل ونواهيه. وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿**قد كانَتْ لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذين معه إذ قالوا لقومِهم إنا برآءُ مِنْكم وممّا تعبدونَ من دونِ الله كفرنا بكم وبدا بيننَا وبينَكُمُ العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تؤمنوا بالله وحدَه**﴾ (الممتحنة/٤) الآيات، وقال تعالى: ﴿**لا تَجِدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّونَ من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءَهم او أبناءهم او إخوانَهم أو عشيرتَهم، اولئك كتب في قلوبهم الايمان**﴾ (الجاثية /٢٢) الآية، وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تَتَّخذوا اليهودَ والنصارى أولياءَ بَعْضُهم أولياءُ بعض، ومن يتولَّهُم منكم فإنّه منهم**﴾ (المائدة/٥١) الآيات، وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تَتخِّذوا آباءَكُم وإخوانَكُم أولياءَ إن استحبّوا الكفرَ على الإيمان، ومن يتولَّهُمْ منكم فأولئكَ هُمُ الظالمون**﴾ (التوبة/٢٣ ـ ٢٤) الآيتين. وقال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوَّكُم أولياء**﴾ (الممتحنة/١) إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات. وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿**قل إنْ كُنتم تحبّونَ الله فاتبعوني يحببكُمُ الله ويغفِرْ لكم ذنوبَكُم والله غفورٌ رحيم. قل أطيعوا الله والرسولَ، فإنْ تولوّا فإنَّ الله لا يحبُّ الكافرين**﴾ (آل عمران/٣١) وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» أخرجاه من حديث أنس رضي الله عنه[1]. وفيهما عنه وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[2]. وفي كتاب الحجة بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو بن

---

(١) البخاري (١/٧٢) في الإيمان، باب من كره أن يعود في الكفر، وفي الأدب، باب الحب في الله (١/٤٦٣) ومسلم (١/٦٦/ ح ٦٨) في الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٢) البخاري (١/٥٨) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان.
ومسلم (١/١٧) في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل.

العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[1] وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخبر عن الله والأمر بما يحبه الله ويرضاه والنهي عما يكره ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه وإن كان ذلك مخالفاً لهواه كان مؤمناً حقاً، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك. وفي الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه»[2]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك. وقد أصبح غالب مواخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً[3]. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادَّعى قوم محبة الله عز وجل فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم. قل أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾[4] وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[5]. قال حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم ـ وأثنى عليه ـ حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا ـ أو سمعت ـ جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: جاءت ملائكة إلى

---

(١) تقدم قبل قليل وأن سنده ضعيف.

(٢) رواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب (٤/٢٨٦) وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. ورواه الطبراني في المعجم الصغير من حديث عبدالله بن مسعود (١/٢٢٣ ـ ٢٢٤) وفيه عقيل الجعدي قال البخاري منكر الحديث (المجمع ١/٩٥) وعنه الخرائطي في مكارم الأخلاق (تخريج الأحياء ١/١٥٩) بسند ضعيف والحديث له شواهد أخرى يرتقي إلى درجة الاحتجاج.

(٣) أنظر جامع العلوم والحكم (ص ٣٢).

(٤) أنظر ابن كثير (١/٣٦٧) وهي رواية مرسلة وقد روي غيرها عن ابن عباس.

(٥) البخاري (١٣/٢٤٩) في الاعتصام بالكتاب والسُنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وقد خرجه الحاكم (١/٥٥) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد خرجه البخاري كما ترى.

النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنهم نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فَرْقٌ بين الناس[1]. ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة رسول الله ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله عز وجل: ﴿**قل إن كانَ آباؤكم وأبناؤكُم وإخوانكُم وأزواجكُم وعشيرتكُم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشونَ كسادَها ومساكنَ ترضَوْنَها أحبَّ إليكُم من الله ورسولِه وجهادٍ في سبيلِه فتربّصوا حتى يأتيَ الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾ (التوبة/٢٤) وغير ذلك من الآيات.

ثم **اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينها وبين أحاديث الوعيد التي فيها**: من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام، أو لا يدخل الجنة من فعل كذا، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر النبي ﷺ وبأن أهل الجنة أيضاً متفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكبه، أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم

---

(١) البخاري (١٣/٢٤٩ ـ ٢٥٠) في الإعتصام بالكتاب والسُنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب. وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التي فيها تحريم أهل هٰتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التي فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حمماً لإمكان الجمع بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة، فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك. أو يكون المراد أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أعدت للكافرين التي لا يخرج منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقة العليا من النار التي يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء الله تعالى عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد. وهذه إشارة كافية في هذا الموضع، وسنذكر إن شاء الله تعالى بسط ذلك في موضعه عند ذكر الشفاعات، ونذكر الأحاديث التي فيها هذا وهذا، والأحاديث التي يكون بها الجمع بين ذلك، وقد ذكر الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى في هذا الباب كلاماً حسناً بعد سياقه حديث معاذ وحديث عتبان وحديث أبي ذر وحديث عبادة وقد تقدمت مع غيرها من الأحاديث. قال: وأحاديث هذا الباب نوعان: أحدهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، وهذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، بل يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنة بلا عقاب قبل. وحديث أبي ذر معناه أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، وليس فيه أن لا يعذب عليها مع التوحيد، وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه»[1]. الثاني فيه أن يحرم على النار، وقد حمله بعضهم على الخلود فيها أو على ما يخلد فيها أهلها. وهي ما عدا الدرك الأعلى من النار، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين

---

(١) مسند البزار (كشف الأستار ١/ ١٠) وقال: وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً ورفعه أصح قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ١/ ١٧).
ورواه الطبراني في الصغير (١/ ١٤٠) والأوسط (المجمع ١/ ١٧).

وبرحمة أرحم الراحمين. وفي الصحيحين: «إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله»[1] وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو أظهر. وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدَّة، لكن للإله إلا الله شروطاً، فإياك وقذف المحصنات. وقيل للحسن: إن ناساً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك[2]. وهذا الحديث: «إن مفتاح الجنة لا إله إلا الله» أخرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا سألك أهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل: لا إله إلا الله»[3] ويدل على هذا كون النبي ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، كما في الصحيحين عن أبي أيوب أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم»[4]. وفي صحيح مسلم عن أبي

---

(١) هو من حديث الشفاعة الذي ذكر في عِدّة مواطن في هذا الكتاب وأخرجه البخاري (١٣/٤٧٣ - ٤٧٤) في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. ومسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/١٨٢ - ١٨٤/ ح ١٩٣).

(٢) ذكره البخاري تعليقاً في الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله (٣/١٠٩) ووصله في التاريخ وأبو نعيم في الحلية.

(٣) أحمد (٥/٢٤٢) وليس فيه ذكر قوله: «إذا سألك أهل اليمن». وفيه شهر بن حوب وهو ضعيف عن معاذ بن جبل وهو منقطع. وفيه إسماعيل بن عياش وروايته عن غير الشاميين ضعيفه وهو كذلك هنا.

(٤) البخاري (١٠/٤١٤) في الأدب، باب فضل صلة الرحم. =

هـريرة رضي الله عنـه أن رجلاً قـال: يا رسـول الله، دلني على عمل إذا عملتـه دخلت الجنة. قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً. وتقيم الصـلاة المكتوبـة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» فقـال الرجـل: والذي نفسي بيـده لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ: «من سـره أن ينظر إلى رجـل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[1].

وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فاشتـرط عليَّ شهـادة أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسـول الله وأن أقيم الصـلاة وأن أوتي الزكاة وأحج حجة الإسلام وأن أصوم رمضان وأن أجاهـد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله مـا أطيقهما، الجهـاد والصدقـة. فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حركها وقال: «فلا جهاد، ولا صدقة! فبم تـدخل الجنة إذاً؟» قلت: أبايعك، فبـايعته عليهن كلهن»[2]. ففي الحـديث أن الجهاد والصـدقة شـرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصياح والحـج. ونظيـر هذا أن النبي ﷺ قـال: «أمرت أن أقـاتـل النـاس حتى يشهـدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً رسول الله ﷺ» ففهـم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى الشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتـال مانعي الـزكاة. وفهم الصـديق رضي الله عنه أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك منعـوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». وقال: الزكاة حق المال. وهـذا الذي فهمه الصديق رضي الله عنه قـد رواه عن النبي ﷺ صريحـاً غير واحـد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس وغيرهما رضي الله عنهم، وأنـه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصـلاة

= مسلم (١/٤٢ ـ ٤٣/ ح ١٣) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة.

(١) البخاري (٣/٢٦١) في الزكاة، باب وجوب الزكاة.
مسلم (١/٤٤/ ح ١٤) في الإيمان، باب بيان الإيمان الـذي يدخـل به الجنـة وأن من تمسك بـه أمر به دخل الجنة.

(٢) أحمد (٥/٢٢٤) وفي سنده أبو المثنى العبدي (مؤثر بن عفارة) وهو مقبول كما قال الحافظ: «إذا توبع وإلا فليِّن» ولا يروى هذا إلا من طريقه أنظر الاستيعاب (١/٢٣٠).

ويؤتوا الزكـاة»[1] ودل على ذلك قـوله تعـالى: ﴿**فإن تـابوا وأقـاموا الصـلاة وآتوا الزكاة**﴾ (التوبة/٥) الآية ولا تثبت إلا بأداء الفـرائض مع التـوحيد، ولمـا قرر أبـو بكـر رضي الله عنه هـذا للصحابـة رجعوا إلى قـوله ورأوه صـوابـاً، فـإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهـادتين مطلقـاً، بل يعـاقب بإخـلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة. وقد ذهب طـائفة إلى أن هـذه الأحاديث المذكورة أولاً وما في معناها كانت قبل نزول الفـرائض والحدود، منهم الـزهري والثوري وغيرهما، وهذا بعيـد جداً، فـإن كثيراً منهـا كانت بـالمدينـة بعد نـزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبـوك وهي في آخر حيـاة النبي ﷺ، وهؤلاء منهم من يقـول: هـذه الأحـاديث منسـوخـة، ومنهم من يقـول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن زيـادة النص هل هي نسـخ أم لا؟ والخـلاف في ذلك بين الأصـوليين مشهـور، وقـد صـرح الثـوري بـأنهـا منسـوخة، وأنـه نسختهـا الفـرائض والحدود. وقـد يكون مـرادهم بالنسـخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ويكـون مرادهم أن آيات الفرائض والحدود تبين توقف دخـول أهل الجنـة والنجاة من النـار على فعـل الفرائض واجتنـاب المحارم فصـارت النصوص منسـوخة أي مبينـة مفسرة، ونصـوص الحدود والفـرائض ناسخـة أي مفسرة لمعنى تلك النصـوص موضحـة لها. وقالت طـائفة تلك النصـوص المطلقـة قد جـاءت مقيدة في أحـاديث أخر، ففي بعضهـا: «من قـال لا إلـه إلا الله مخلصـاً دخـل الجنـة»[2]. وفي بعضهـا «مستيقناً»[3]. وفي بعضها «مصـدقاً بهـا قلبه لسـانه»[4]. وفي بعضهـا «يقولها من

---

(١) حديث ابن عمر رواه: البخاري (١/٧٥) في الإيمان، باب: «فإن تـابوا وأقـاموا الصـلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم».
ومسلم (١/٥٣/ ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.
حديث أنس رواه البخاري (١/٤٩٧) في الصلاة باب فضل استقبال القبلة.
وفي الباب عن أبي هريرة وجابر.
(٢، ٣، ٤) تقدم لفظه.

قلبه»[1]. وفي بعضها: «قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه»[2]. وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يأله قلبه غير الله حباً ورجاء وخوفاً وطمعاً وتوكلاً واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً. وتحققه بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ أن لا يعبد بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» قيل: ما إخلاصها يا رسول الله؟ قال: «أن تحجزك عما حرم الله عليك» وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم[3]، ولكن إسنادهما لا يصح. وجاء أيضاً من مراسيل الحسن نحوه، وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله غير الله، والإله الذي يطاع ولا يعصى هيبة وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله عز وجل أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الربا وعلى الحلف بغير الله عز وجل وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوَّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون.

---

(١) تقدم لفظه.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تصفيفه (المجمع ١/٢٦).

(٣) حديث زيد بن أرقم رواه الطبراني في الكبير (ح ٥٠٧٤) وفي سنده الهيثم بن جماز وهو ضعيف وأبو داود الدارمي وهو متروك والأوسط (مجمع الزوائد ١/٢٣) وفي سنده عبدالرحمن بن غزوان وهو وضاع.
حديث أنس رواه الخطيب في تاريخه (١٢/٦٤) وفي سنده محمد بن عبدالرحمن بن غزوان كان يضع الحديث (الميزان ت ٧٨٥٧).

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ومن أتى حائضاً أو أمرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة وإن كان ذلك لا يخرجه من الملة بالكلية، ولهذا قال السلف: كفر دون كفر، وشرك دون شرك، وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال تعالى: ﴿أرأيت من اتّخذَ إلهَهُ هواهُ﴾ (الفرقان/٤٣) قال الحسن رحمه الله: هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه[١]، وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع[٢]. وروي من حديث أبي أمامة مرفوعاً بإسناد ضعيف «ما تحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع»[٣]، وفي حديث آخر: «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم ويقال لهم كذبتم»[٤]. ويشهد لهذا الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»[٥]، فدل هذا على أن من أحب شيئاً وأطاعه، وكان من غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه. ويدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى: ﴿**ألمْ أعهد إليكُم يا بني آدَم أن لا تعبدوا الشيطانَ إنّه لكم عدوٌّ مبين**﴾ (يس/٦٠) وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿**يا أبتِ لا تعبدِ الشيطانَ إنَّ الشيطانَ كان للرحمنِ عصيّاً**﴾ (مريم/٤٤) فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٦/ ٢٦٠).

(٢) أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/ ٢٦٠).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السُنة (ح ٣) والطبراني في الكبير (المجمع ١/ ١٩٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١١٨) وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٣٩). وسنده موضوع.

(٤) رواه أبو يعلى (المطالب العالية ح ٣٢٧٤) وقال البوصيري سنده ضعيف.

(٥) البخاري (٦/ ٨١) في الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله وفي الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال.

الـرحمن وهم الـذين قـال فيهم: ﴿إنّ عبـادي لَـيْسَ لـكَ عليـهم سـلطان﴾ (الحجر/٤٢) فهم الذين حققـوا قول لا إلـه إلا الله وأخصلوا في قولهـا وصـدقـوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبة ورجـاء وخشية وطـاعة وتـوكلاً، وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا الله، وهم عباد الله حقاً. فأمـا من قال لا إلـه إلا الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذَّب قوله فعله، ونقص من كمـال توحيـده بقدر معصيـة الله في طاعـة الشيطان والهـوى: ﴿وَمَنْ أضَـلُّ مِمّنِ اتّبَـعَ هـواهُ بغيـرِ هـدىً مِنَ الله﴾ (القصص/٥٠)، ﴿ولا تتبِّـعِ الهـوى فيضِلَّكَ عن سبيـلِ الله﴾ (ص/٢٦). ثم قال رحمـه الله: فيا هـذا كن عبـداً لله لا عبداً للهوى، فإن الهوى يهوي بصاحبـه في النار ﴿أأربـابٌ متفرقـونَ خيرٌ أمِ الله الواحدُ القهار﴾ (يوسف/٣٩)، «تعس عبد الدرهم، تعس عبـد الدينـار». والله لا ينجو غداً من عـذاب الله إلا من حقق عبوديـة الله وحده ولم يلتفت إلى شيء من الأغيـار، من علم أن إلهه ومعبـوده فرد فليفـرده بالعبـودية ولا يشـرك بعبـادة ربـه أحداً[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فصل في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

قد عرفت مما قدمنا في معنى لا إله إلا الله أن الإله هو المـألوه الـذي تألهـه القلوب أي تعبده محبة وتذللاً وخوفاً ورجاءً ورغباً ورهباً وتوكلاً عليه واطراحاً بين يديه واستعـانة بـه، والتجاء إليـه، وافتقاراً إليـه. وذلك لا ينبغي إلا لله عـز وجل خالق كل شيء ومصوره ومصرفه ومدبره، مبدي الخلق ومعيده، ومحييه ومبيـده، الفعال لما يريد، الذي هو على كل شيء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجـأ منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وإنْ يَمْسَسْـكَ الله بِضُرٍّ فـلا كاشفَ لَـهُ إلا هُوَ، وإنْ يُرِدْكَ بخيرٍ فلا رادّ لفضله ـ ما يفتح الله للنّاسِ من رحمةٍ فلا ممسِكَ لها وما

---

(١) جامع العلوم والحكم.

يمسك فلا مرسلَ له من بعده ـ يا أَيُّها النَّاسُ أنتم الفقراءُ إلى الله والله هو الغنيُّ الحميد، إنْ يشأْ يذهبكم ويأتِ بخلقٍ جديد، وما ذلك على الله عزيز﴾. والعبد إن أريد به المعبَّد أي المذلل المسخر دخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوي والسفلي من عاقل وغيره ومن رطب ويابس ومتحرك وساكن وظاهر وكامن ومؤمن وكافر وبر وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق لله عز وجل مسخر بتسخيره مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه وحد ينتهي إليه ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تُدْرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهار﴾ (يس/٤٠) كل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة، ذلك تقدير العليم، وتدبير العدل الحكيم. وإن أريد به العابد خص ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثر المشركين يعبدون الله عز وجل ويتقربون إليه بكثير من العبادات، لكن لما عبدوا مع الله غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباء منثوراً ﴿كرمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرونَ مما كسبوا على شيء﴾ (إبراهيم/١٨) و﴿كمثلِ صفوانٍ عليه تراب فأصابَهُ وابلٌ فتركه صلداً﴾ (البقرة/٢٦٤)، ﴿وكسرابٍ بقيعةٍ يحسبَهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجِدْهُ شيئاً﴾ (النور/٣٩)، ﴿أو كظلماتٍ في بحرٍ لجّيٍ يغشاهُ موجٌ من فوقِهِ موجٌ من فَوْقِهِ سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوقَ بعض إذا أخرجَ يَدَهُ لم يكدْ يراها ومن لم يَجْعَلِ الله له نوراً فما له من نور﴾ (النور/٤٠). ذلك بأنهم ﴿اتخذوا الشياطينَ أولياءَ من دونِ الله) و﴿اتبعوا ما أسخْطَ الله وكرهوا رضوانَه فأحبطَ أعمالهم﴾ (الأعراف/٣٠)، وتولوا الطاغوت فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطان وقد عهد الله إليهم أن لا يعبدوه وبين لهم عداوته وقال: ﴿إنَّ الشيطانَ لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنّما يدعو حِزْبَهُ ليكونوا من أصحابِ السعير﴾ (فاطر/٦). وقال: ﴿أفتتخذونَهُ وذريتَهُ أولياءَ من دوني وهمْ لَكُم عدوٌ بئسَ للظالمين بدلاً﴾ (الكهف/٥٠) فخالفوا أمر الله وتولوا أعداءه وكذبوا رسله وأنبياءه وحاربوا حزبه وأولياءه. وأرادوا تشييد الكفر وإعلاءه ورد الحق وإباءه. فأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر أولياءه ويحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ويجعل حزبه هم الغالبين، ويجعل

العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. لكن المؤمنون هم عباده حقاً الذين أفردوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسووا شيئاً من خلقه به. أولئك الذين تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى في الأولى: ﴿**مَنْ جاءَ بالحسنةِ فَلَهُ عشرُ أمثالِها**﴾ (الأنعام/١٦٠) وقال في الثانية: ﴿**مثلُ الذين ينفقونَ أموالَهم في سبيلِ الله كمثلِ حبّةٍ أنبَتتْ سَبْعَ سنابلَ في كلِّ سبنلةٍ مائةُ حبَّةٍ والله يضاعِفُ لمن يشاءُ والله واسعٌ عليم**﴾ (البقرة/٢٦١) وقال في الثالثة: ﴿**من ذا الذي يقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعِفَهُ لَهُ أضعافاً كثيرة، والله يقبِضُ وَيْبسُطُ وإليهِ ترجعون**﴾ (البقرة/٢٤٥) تولوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور الرشاد. ﴿**ومن يَتولَّ الله ورسولَه والذين آمنوا فإنَّ حِزْبَ الله همُ الغالبون**﴾ (المائدة/٥٦) ملأ الله قلوبهم بنور معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره، دنا الشيطان من قلوبهم فاحترق بنور إيمانهم فنكص على عقبه خاسئاً حسيراً، وأيس منهم أن يطيعوه فانقلب مذموماً مدحوراً. فعند ذلك عزَّى نفسه اللعين وقال: ﴿**إلا عبادَكَ مِنْهُمُ المخلصين**﴾ (الحجر/٤٠) وقال عز وجل: ﴿**إنّ عبادي ليس لَكَ عَلَيْهم سلطان**﴾ (الحجر/٤٢) حفظوا الله فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره. وانكفوا عما نهى عنه، ثم تجردوا لنصرة دينه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ودخل الناس بذلك في دين الله أفواجاً طوعاً وكرهاً، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل. نصروا الله فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم. عرفوا ما خلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يعنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصة الله من خلقه والمصطفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ليوفيهم

أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

ثم العبـادة هي اسم جـامـع لكـل ما يـرضي الإله السـامـع

(ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار **(هي اسم جامع لكل ما)** يحب و**(يرضى)** مبني للمعروف فاعله **(الإله السامع)** وهو الله عز وجل من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى الله عز وجل وغير ذلك، والباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية الله وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في الله والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك. ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب. ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. ا. هـ.[1].

قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة. ولذا ترى من يدَّعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عز وجل ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا: ﴿**لو شاءَ الله ما أشركنا ولا آباؤنا**﴾ (الأنعام/١٤٨) وقالوا: ﴿**لو شاءَ الرحمنُ ما عبدناهم ما لَهَمْ بذلكَ مِنْ علم**﴾ (الزخرف/٢٠) وغير ذلك. وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال: ﴿**ربِّ بما أغويتني**﴾ (الأعراف/١٦). وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه: فيحب

---

(١) أنظر العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ومجموع الفتاوى (١٠/١٤٩) وما بعدها.

ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه. وإنما تتلقى معرفة محابّ الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى: ادَّعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿**قل إنْ كُنتم تحبّونَ الله فاتّبعوني يحببكم الله**﴾ (آل عمران/٣١) فمن ادعى محبة الله ولم يك متبعاً رسوله فهو كاذب. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته لرسول الله ﷺ[1].

وكذلك الرجاء وحده إذا استرسل فيه العبد تجرأ على معاصي الله وأمن مكر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿**فلا يأمَنُ مَكْرَ الله إلا القومُ الخاسرون**﴾ (الأعراف/٩٩).

وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقنط من رحمته ويئس من روحه وقد قال تعالى: ﴿**إنَّهُ لا ييأَسُ من رَوْحِ الله إلا القومُ الكافرون**﴾ (يوسف/٨٧). وقال: ﴿**ومن يَقْنُط من رحمةِ ربه إلا الظالّون**﴾ (الحجر/٥٦).

فالأمن من مكر الله خسران، واليأس من روحه كفران، والقنوط من رحمة الله ضلال وطغيان، وعبادة الله عز وجل بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان.

فالعبد المؤمن بين الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿**يرجونَ رحمتَه ويخافونَ عذابَه**﴾ (الإسراء/٥٧) وقال تعالى: ﴿**أمّنْ هُوَ قانتٌ آناءَ الليلِ ساجداً وقائماً يحذَرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه**﴾ (الزمر/٩). وبين الرغبة والرهبة كما قال تعالى في آل زكرياء عليهم السلام: ﴿**إنّهم كانوا يسارعونَ في الخيراتِ ويدعونَنا رَغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين**﴾ (الأنبياء/٩) فتارة يمده الرجاء والرغبة فيكاد أن يطير شوقاً إلى الله، وطوراً يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه، خائف من عقوباته ملتجىء منه إليه، عائذ به منه راغب فيما لديه. وكذلك هو في صفات الله عز وجل لا ناف ولا مشبه، وفي أفعال العباد لا جبري ولا قدري، وفي أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته ليس بذي النصب ولا التشيع، وفي الوعد والوعيد ليس بخارجي ولا مرجىء. فدين الله بين الغلو والجفاء والتفريط والإفراط، وخير الأمور

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء (١٠/٢٣).

الأوساط. وللعبادة ركنان لا قوام لها إلا بهما وهما الإخلاص والصدق، وحقيقة الإخلاص أن يكون قصد العبد وجه الله عز وجل والدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿وسيجنبُّها الأتقى الذي يؤتى مالَه يتزكى. وما لأحدٍ عندَه من نعمةٍ تجزى إلا ابتغاءَ وجْهِ ربِّهِ الأعلى ولسوف يرضى﴾ (الليل/١٧ ـ ٢١) وقال تعالى: ﴿مَنْ كانَ يريدُ العاجلةَ عجَّلنا له فيها ما نشاءُ لمن نريد، ثم جعلنا لهه جَهَنَّمَ يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أرادَ الآخرةَ وسعى لها سَعْيها فأولئك كانَ سَعْيُهم مشكوراً﴾ (الإسراء/١٨ ـ ١٩). وقال تعالى: ﴿وما كانَ لِنَفْسٍ أن تموتَ إلا بإذنِ الله كتاباً مؤجّلاً، ومن يردْ ثوابَ الدنيا نؤته منها، ومن يردْ ثوابَ الآخرةِ نؤته منها، وسنجزي الشاكرين﴾ (آل عمران/١٤٥) وقال تعالى: ﴿من كان يريدُ حَرْثَ الآخرةِ نَزِدْ في حرثِهِ، ومن كانَ يريدُ حَرْثَ الدنيا نؤتِهِ منهاوَمَا لَهُ في الآخرةِ من نصيب﴾ (الشورى/٢٠) وقال تعالى: ﴿من كانَ يريدُ الحياةَ الدنيا وزينَتها نوفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخسون أولئك الذين لَيْس لهم في الآخرةِ إلا النَّارُ وَحَبِطَ ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعملون﴾ (هود/١٦) وقال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تبطِلوا صدقاتِكُم بالمنِّ والأذى كالذي ينْفِقُ مالَهُ رئاءَ النّاس ولا يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فمَثلُهُ كمثلِ صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابَه وابلٌ فتركَهُ صلداً لا يقدرونَ على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القومَ الكافرين. ومثل الذين ينفقونَ أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثلِ جنّةٍ بربوةٍ أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفينِ. فإن لم يصبها وابلٌ فطل، والله بما تعملونَ بصير﴾ (البقرة/٢٦٤/٢٦٥). وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1] وفي صحيح

(١) البخاري (١/٩) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي وغيره. =

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1] وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه[2]. ولو ذهبنا نذكر أحاديث الإخلاص لطال الفصل. وأما الصدق فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، والاستعداد للقاء الله، وترك العجز، وترك التكاسل عن طاعة الله، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم الله، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع. قال الله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا اتّقوا الله وكونوا مَعَ الصّادقين**﴾ (التوبة/١١٩) وقال تعالى: ﴿**من المؤمنينَ رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ (الأحزاب/٢٣) الآية، وقال تبارك وتعالى: ﴿**آلم . أَحَسِبَ النّاسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتّنا الذينَ مِنْ قَبْلهم فليعلمَنَّ الله الذين صدقوا وليعلَمَنَّ الكاذبين - إلى قوله - وَمِنَ النّاس مَنْ يقولُ آمنا بالله فإذا أوذيَ في الله جعل فتنةَ النّاسِ كعذاب الله، ولئن جاءَ نصرٌ من رَبِّكَ ليقولَنَّ إنّا كُنّا مَعَكم، أو ليس الله بأعلمَ بما في صدور العالمين. وَلَيَعْلَمنَّ الله الذين آمنوا وليَعْلَمَنَّ المنافقين**﴾ (العنكبوت/١ - ١١) وقال تعالى: ﴿**أم حَسِبْتُمْ أن تدخلوا الجنةَ ولما يأتِكُم مثلُ الذين خلوا من قَبْلِكُم مستْهُم البأساءُ والضرّاءُ وزلزلوا**﴾ (البقرة/٢١٤) الآية وقال تعالى: ﴿**أمْ حسبتم أنْ تدخلوا الجنّةَ ولما يعلمِ الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين - إلى قوله عز وجل - وكأيِّن من نبي قَاتَلَ مَعَهُ ربيونَ كثيرٌ فما وهنوا**

= ومسلم (٣/١٥١٥/ ح ١٩٠٧) في الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية.

(١) مسلم (٤/١٩٨٧/ ح ٢٥٦٤) في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله. وفيه زيادة وأعمالكم في آخره.

(٢) البخاري (٦/٢٧) في الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.
ومسلم (٣/١٥١٢/ ح ١٩٠٤) في الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

لما أصابَهُمْ في سبيلِ الله وما ضُعفُوا وما استكانوا والله يُحِبُّ الصابرين﴾ (آل عمران/١٤٢ ـ ١٤٦) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿ليسَ البرَّ أن تولوا وجوهَكُم قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ولكنَّ البِرَّ مَنِ آمن بالله واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيينَ وآتى المالَ على حُبِّهِ ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلينَ وفي الرقابِ وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاةَ والموفونَ بعهدهم إذا عاهدوا والصابرينَ في البأساءِ والضَرَّاءِ وحينَ البأْسِ أولئكَ الذين صدقوا وأولئكَ هو المتقون﴾ (البقرة/١٧٧) وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»[1] وفي الحديث الآخر: «الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[2]. وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله عز وجل. ثم اعلم أنه لايقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ فيعبد الله تعالى بوفق ما شرع، وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿ومن يَبتغِ غَيْرَ الإسلامِ ديناً فلن يقبلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخرةِ من الخاسرين﴾ (آل عمران/٨٥). وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[3] وفي رواية لمسلم: «من

---

(١) مسلم (٤/٢٠٥٢/ ح ٢٦٦٤) في القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز.

(٢) ضعيف رواه الترمذي (٤/٦٣٨/ ح ٢٤٩٩) في صفة القيامة، باب رقم ٢٥. وابن ماجة (٢/١٤٢٣/ ح ٤٢٦٠) في الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له وأحمد (٤/١٢٤). والحاكم (١/٥٧) و(٤/٢٥١) وقال في الأولى صحيح على شرط البخاري وقال في الثانية هذا صحيح الإسناد. ولم يوافقه الذهبي في الأولى وقال: لا والله أبو بكر واه ووافقه في الثانية. قلت: الحديث ضعيف فيه أبو بكر بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف (والحديث من رواية شداد بن أوس رضي الله عنه).

(٣) البخاري (٥/٣٠١) في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. =

عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1] فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها، فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها، والنية الخالصة، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها، فإخلاص النية بدون صدق العزيمة هوس وتطويل أمل وتمن على الله وتسويف في العمل وتفريط فيه، وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه يكون شركاً أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص. فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل وكان الباعث عليه أولاً إرادة الله والدار الآخرة كان شركاً أصغر بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر. وإخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثاً في الدين وشرع ما لم يأذن الله به، فيكون رداً على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العمل من العبد إلا بصدق العزيمة، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية واتباع السنة، ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُم أَيّكم أَحسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك/٢) قال: أخلصه وأصوبه[2]، يعني خالصاً من شوائب الشرك موافقاً للسنة.

وفي الحديث مخها الدعاء ... خوف توكل كذا الرجاء
ورغبة ورهبة خشوع ... وخشية إنابة خضوع
والاستعاذة والاستعانة ... كذا استغاثة به سبحانه
والذبح والنذر وغير ذلك ... فافهم هديت أوضح المسالك
وصرف بعضها لغير الله ... شرك وذاك أقبح المناهي

(و) ثبت (**في الحديث**) الذي في السنن كما سنذكره (**مخها**) أي مخ العبادة ولبها (**الدعاء**) قال الله عز وجل: ﴿**وقالَ ربُّكُمْ ادْعوني أَستَجِبْ لكُم، إنَّ الذينَ**

= ومسلم (٣/١٣٤٣/ ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(١) مسلم (٣/١٣٤٣/ ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة.

(٢) أنظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٦٠٠) وتمامه: قيل له: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟, قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون صواباً خالصاً.

يَستَكْبِرونَ عن عبادتي سَيدْخلونَ جَهنمَ داخِرين﴾ (غافر/٦٠) وقال تعالى: ﴿ادْعوا رَبكُمْ تَضرعاً وخُفْيَةَ إنَّهُ لا يُحبُّ المُعتدَين. ولا تُفْسدوا في الأَرضِ بعدَ إصْلاحِها وادْعوهُ خَوْفاً وَطَمعاً إنَّ رَحمةَ الله قَريبٌ مِنَ المُحسِنين﴾ (الأعراف/٥٥ ـ ٥٦) وقال تعالى: ﴿وإذا سَألكَ عِبادي عنّي فإنّي قَريبٌ أُجيبَ دَعْوةَ الداعِ إذا دعانْ، فَلْيَستَجيبُوا لي وليؤْمِنوا بي لَعَلَّهُم يَرشُدُونْ﴾ (البقرة/١٨٦) وغير ذلك من الآيات، وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»[1]. وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة» وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة[2]، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها. وفيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿وقالَ ربّكُم ادْعوني أَستَجبْ لَكُم إنّ الذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادتي سَيَدْخلُونَ جَهنَّم داخِرين﴾ (غافر/٦٠) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[3]. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه»[4]. وفيه من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إذا سألت فاسأل الله» وهو حديث حسن صحيح[5].

(خوف) أي ومن أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل، قال الله تعالى:

---

(١) الترمذي (٥/٤٥٥/ ح ٣٣٧٠) في الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء وابن ماجه (٢/١٢٥٨/ح٣٨٢٩).
والبخاري في الأدب المفرد (٢/٧١٢) وابن حبان (٢/١١٥) والحاكم (١/٤٩٠). وسنده حسن.

(٢) الترمذي (٥/٤٥٦/ ح ٣٣٧١) في الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء وقال: هذا حديث غريب. وإسناده ضعيف.

(٣) الترمذي (٥/٣٧٤/ ح ٣٢٤٧) في التفسير، باب ومن سورة المؤمن وأبو داود (٢/٧٦/ ح ١٤٧٩) في الصلاة، باب الدعاء. وسنده صحيح.

(٤) الترمذي (٥/٤٥٦/ ح ٣٣٧٣) في الدعاء باب ٢.
وابن ماجه (٢/١٥٥٨/ ح ٣٨٢٧) في الدعاء باب فضل الدعاء. البخاري في الأدب المفرد (٢/٦٥٨) والحاكم والبزار كلهم من طريق أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة وهو لين الحديث.

(٥) الترمذي (٤/٦٦٧/ ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم ٦٠ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿فَلا تَخافوهُمْ وَخافونِ إِنْ كُنتم مُؤْمِنين﴾ (آل عمران/١٧٥) وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خافَ مَقامَ ربِّه جَنَّتان﴾ (الرحمن/٤٦) وقال تبارك وتعالى: ﴿والذينَ يُؤْتُونَ ما آتَواْ وَقُلوبُهمْ وَجِلَة أَنَّهم إلى رَبِّهم راجِعُون) وقال عز وجل: ﴿ويَرْجُونَ رَحْمتَه وَيَخافونَ عَذابه﴾ (الإسراء/٥٧) وقال تبارك اسمه: ﴿أَمْ مَّنْ هُو قانِتُ آناءَ اللَّيلِ ساجِداً وقائماً يحَذرُ الآخِرةَ ويَرجُو رَحمةَ ربِّه﴾ (الزمر/٩) الآية وغيرها من الآيات. وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون» رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي ذر وحسنه الترمذي[1]. وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «والله لا أدري، والله لا أدري ـ وأنا رسول الله ﷺ ـ ما يفعل بي ولا بكم»[2]. وفي الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»[3] وفيه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إنه سلعة الله الجنة»[4]. وله عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله جل ذكره: أخرجوا من ذكرني يوماً أو خافني في مقامي»[5]. وله

---

(١) أحمد (٥/١٧٣) وابن ماجه (٢/١٤٠٢/ ح ٤١٩٠) في الزهد، باب الحزن والبكاء.
والترمذي (٤/٥٥٦/ ح ٢٣١٢) في الزهد، باب قول النبي ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وسنده حسن.

(٢) البخاري (٣/١١٤) في الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه.

(٣) الترمذي (٤/٧١٥/ ح ٢٦٠١) في صفة جهنم، باب رقم ١٠ وابن عدي في الكامل (٧/٢٦٦٠). والقضاعي في مسند الشهاب (ح ٧٩١، ٧٩٢)، كلهم من طريق يحيى بن عبيدالله عن أبيه عن أبي هريرة وسنده ضعيف جداً فيحيى متروك وأبوه مجهول وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ح ٢٨) وأحمد في الزهد (ص ٢٣١) وفيه الحسن البصري وهو مدلس وقد عنعن. وقد حسنه العلامة الألباني لشواهده السلسلة الصحيحة ح ٩٥٠).

(٤) الترمذي (٤/٦٣٣/ ح ٢٤٥٠) في صفة القيامة، باب ١٨. وسنده ضعيف فيه أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف وبكير بن فيروز لم يوثقه غير ابن حبان. قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر.

(٥) الترمذي (٤/٤١٢/ ح ٢٥٩٤) في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج =

هو وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿والّذينَ يُؤْتُونَ ما آتَوا وَقُلوبُهُمْ وَجِلَة﴾ (المؤمنون/٦٠) هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا أبنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم: ﴿أُولئِكَ يُسارِعُونَ في الخَيرات﴾ (المؤمون/٦١)[1]. وفيه من حديث أبي جحيفة قال: قالوا يا رسول الله قد شبتَ، قال: «شيبتني هود وأخواتها»[2] ومن حديث أبي بكر رضي الله عنه: «شيّبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»[3] وغير ذلك من الأحاديث.

(توكل) أي ومن أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل، وهو اعتماد القلب

= من النار من أهل التوحيد. وقال: هذا حديث حسن غريب. والحاكم (١/٧٠).
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفيه المبارك بن فضالة وهو مدلس وقد صرح بالتحديث عند الحاكم فالحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(١) الترمذي (٥/٣٢٧ ـ ٣٢٨/ ح ٣١٧٤) في التفسير، باب ومن سورة المؤمنين.
وابن ماجه (٢/١٤٠٤/ ح ٤١٩٨) في الزهد، باب التوق من العمل. والحاكم (٢/٣٩٢) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قلت: إسناده منقطع فهو من رواية عبد الرحمن بن سعد الهمداني عن عائشة ولم يدركها (أنظر جامع التحصيل ت ٤٢٩).
ورواه كذلك من طريقه أحمد (٦/١٥٩ و٢٠٥) وابن جرير في تفسيره (١٨/٣٣).
ورواه ابن جرير في تفسيره من حديثها رضي الله عنها وفي سنده مبهم وهو الراوي عنها.
ورواه كذلك عنها بسند فيه انقطاع من رواية العوام بن حوشب عنها.
ورواه ابن جرير من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات سوى محمد بن حميد الرازي فإنه سيء الحفظ.

(٢) لم يروه الترمذي بهذا اللفظ وإنما روي عنده باللفظ الآتي وهذا رواه الطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر (١٧/٢٨٦/ ح ٧٩٠) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٧/٣٦).
ورواه ابن سعد في الطبقات (١/٤٣٥ و٤٣٥ ـ ٤٣٦) عن قتادة مرفوعاً: قال الشيخ الألباني: وإسناده صحيح لولا أنه مرسل.

(٣) الترمذي (٥/٤٠٢/ ٣٢٩٧) في التفسير، باب ومن سورة الواقعة. وفي الشمائل (ح ٤٨) وأبو يعلى في مسنده (ح ١٠٨) وابن سعد في الطبقات (١/٤٣٥) والحاكم: (٢/٣٤٣) وأبو نعيم في الحلية. وقال الحاكم: إسناده على شرط البخاري ووافقه الذهبي. أنظر: العلل للدارقطني (س ١٧) والعلل للرازي (ح ١٨٢٦ و١٨٩٤) والمقاصد الحسنة (ح ٦٠٦) والسلسلة الصحيحة (ح ٩٥٥).

عليه وثقته به وأنه كافية، قال الله عز وجل: ﴿وعَلى الله فَتوكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنين﴾ (المائدة/٢٣) فجعله تعالى شرطاً في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهله إذ قال تعالى: ﴿وعلى الله فَلْيتوكَّلِ المؤْمِنون﴾ وقال موسى لقومه: ﴿إِنْ كُنْتم آمنْتُم بالله فعليْهِ تَوكَّلوا﴾ (يونس/٨٤) الآيات وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وما كانَ لَنا أَنْ نأْتِيكُمْ بِسُلْطانٍ إلاَّ بإِذْن الله، وَعلى الله فَلْيتوكّلِ المؤْمِنُون. وما لَنا أَنْ لا نَتوكَّلَ على الله وَقَدْ هَدانا سُبُلَنا، وَلَنصْبِرَنَّ على ما آذَيتُمُونا، وَعَلَى الله فَلْيَتوكِّلِ المُتوكِّلون﴾ (إبراهيم/١١ ـ ١٢) وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنّي تَوَكَّلْتُ على الله رَبّي وَربِّكُم، ما مِنْ دابَّةٍ إلاّ هُوَ آخذٌ بِناصِيَتِها﴾ (هود/٥٦) الآية وكذلك عن نبيه نوح عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَليكُم مَقامِي وَتَذكِيرِي بِآيَاتِ الله فَعَلى الله تَوَكَّلْتُ فأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُن أَمْركُم عَليكُم غُمَّة﴾ (يونس/٧١) الآية. وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَما تَوْفيقي إلاّ بالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإِلَيْهِ أُنِيب﴾ (هود/٨٨) وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلى الله إِنَّك عَلَى الحَقِّ المُبين﴾ (النمل/٧٩) وقال تعالى: ﴿وَلله غَيْبُ السَّمواتِ والأَرْضِ، وإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، فَاعْبُدْه وَتَوكَّل عَلَيه﴾ (هود/١٢٣) وقال تعالى: ﴿رَبِّ المشْرِق وَالمَغربْ لا إِلهَ إِلاْ هُوَ فاتَّخَذْهُ وَكِيلاً﴾ (المزمّل/٩) وقال تعالى: ﴿فإِنْ تَوَلَّواْ فَقُلْ حَسْبِي الله لا إِلَه إلا هُوَ عَليهِ تَوَكَّلتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيم﴾ (التوبة/١٢٩) وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿الّذينَ قالَ لَهُم النّاسُ إِنّ الناسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فاخْشَوْهُم فَزادَهم إيماناً وَقالُوا حَسْبُنا الله ونِعمَ الوَكيل﴾ (آل عمران/١٧٣) وقال تعالى فيهم: ﴿إِنّما المؤْمِنونَ الّذينَ إذا ذُكر الله وَجلَتْ قُلُوبُهم، وإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهم إيماناً وعَلى رَبِّهم يَتوكَّلُون﴾ (الأنفال/٢) وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ الله خَيرٌ وأَبْقى لِلَّذين صَبَروُا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتوكّلوُن﴾ (النحل/٤٢) وقال تعالى: ﴿ومنْ يَتوكَّلْ على الله فَهوُ حَسْبُه﴾ (الطلاق/٣) أي كافية، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ الله بكافٍ عَبْدَه﴾ (الزمر/٣٦) الجواب: بلى. والآيات في هذا الباب كثيرة. وقال ابن عباس رضي

الله عنهما في هذه الآية: ﴿حَسْبُنا الله ونعمَ الوَكيل﴾ (آل عمران/١٧٣): قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين: ﴿قَالَ لَهُم الناسُ إنّ الناسَ قَدْ جَمعُوا لَكُم فاخشَوْهُم، فَزَادَهُم إيماناً وَقالُوا حَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيل﴾ (آل عمران/١٧٣)[١]. وفي الصحيح عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب، هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[٢] وفي السنن «الطيرة شرك، الطيرة شرك» قال ابن مسعود: وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل[٣]. وفي جامع الترمذي وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[٤]. وفي حديث الإيمان بالقدر «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»[٥]. وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه والدارمي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأعلم آية في كتاب الله عز وجل لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق/٢)[٦] ولابن ماجه عن عمرو بن العاص

---

(١) البخاري (٨/٢٢٩) في التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم..

(٢) البخاري (١١/٣٠٥) في الرقاق، باب من يتوكل على الله فهو حسبه.
ومسلم (١/١٩٨/ ح ٢١٨) في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

(٣) الترمذي (٤/١٦٠/ ح ١٦١٤) في السير، باب ما جاء في الطيرة. وقال هذا حديث حسن صحيح. وأبو داود (٤/١٧/ ح ٣٩١٠) في الطب، باب في الطيرة.

(٤) الترمذي (٤/٥٧٣/ ح ٢٣٤٤) في الزهد، باب رقم ٣٣ وقال حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٣٩٤/ ح ٤١٦٤) في الزهد، باب التوكل واليقين. وابن حبان (موارد ح ٢٥٤٨) والحاكم (٤/٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) الترمذي (٤/٦٦٧/ ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم ٦٠. وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٦) أحمد (٥/١٧٨ - ١٧٩) وابن ماجه (٢/١٤١١/ ح ٤٢٢٠) في الزهد باب الورع والتقوى. والدارمي (٢/٣٠٣). والنسائي في التفسير (مصباح الزجاجة ٣/٣٠١) وأحمد بن منيع في مسنده وإسناده منقطع بين أبي السليل وأبي ذر.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قلب ابن آدم لكل واد شعبة، فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد هلك، ومن توكل على الله كفاه الشعب»[1] وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

(كذا الرجاء) أي **ومن أنواع العبادة الرجاء**، قال الله عز وجل: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾** (الكهف/١١٠) وقال تعالى: **﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ، وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾** (العنكبوت/٥) وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنيا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** (يونس/٧) وغير ذلك من الآيات وفي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[2] وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار»[3]. وقال ﷺ في دعاء المكروب: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين» الحديث رواه أبو داود عن أبي بكر[4].

(ورغبة ورهبة خشوع) أي **(ومن أنواع العبادة الرغبة فيما عند الله عز وجل من الثواب**، وهي راجعة إلى معنى الرجاء. **والرهبة مما عند الله من العقاب**، وهي راجعة إلى معنى الخوف. **والخشوع هو التذلل لله عز وجل**، قال تعالى في

---

(١) ابن ماجه (٢/١٣٩٥/ ح ٤١٦٦) في الزهد، باب التوكل واليقين. قال البوصيري: هذا إسناد ضعيف، صالح بن رزيق ليس له إلا هذا الحديث قال في الميزان حديثه منكر (مصباح الزجاجة ٣/٢٨٥).

(٢) تقدم ذكره.

(٣) البخاري (١١/٣٠١) في الرقاق، باب الرجاء مع الخوف.

(٤) أبو داود (٤/٣٢٤/ ح ٥٠٩٠) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح وأحمد (٥/٤٢) وإسناده حسن.

آل زكريا عليهم السلام: ﴿إنّهم كانوا يُسارِعونَ في الخَيْراتِ ويَدْعونَنا رَغَباً ورهباً وكانوا لنا خاشِعين﴾ (الأنبياء/٩٠) وقال تعالى: ﴿وَيخرّونَ لِلأَذْقانِ يَبكُونَ وَيزيدَهُم شُوعاً﴾ (الإسراء/١٠٩)، وقال تعالى: ﴿واستَعينُوا بالصّبْرِ والصّلاةِ، وإنَّها لكَبيرةٌ إلا على الخاشِعينَ. الّذينَ يَظُنونَ أَنَّهُم مُلاقُو رَبِّهم وأنّهم إلَيْهِ راجِعُون﴾ (البقرة/٤٥ ـ ٤٦) وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفلَحَ المؤْمِنونَ، الّذينَ هُم في صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾ (المؤمنون/٢)، وقال تعالى: ﴿وإيّايَ فارْهَبون﴾ (البقرة/٤٠) وقال تعالى: ﴿فإذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وإلى رَبِّكَ فارْغَبْ﴾ (الإنشراح/٨) وغير ذلك من الآيات. وفي حديث الدعاء عند النوم: «اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك» الحديث في الصحيحين[1]. ولابن أبي حاتم في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وتثنوا عليه بما هو أهله، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إنّهُم كانوا يُسارِعونَ في الخَيْراتِ وَيدْعونَنا رَغَباً ورَهباً، وكانوا لَنَا خَاشِعين﴾ (الأنبياء/٩٠)[2] وفي الصحيح من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود «خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»[3] وغير ذلك من الأحاديث.

الخشوع لله (وخشية) أي ومن أنواع العبادة الخشية، وهي مرادفة للخوف. قال الله عز وجل: ﴿فَلا تَخْشَوْهُم وآخْشَوْنِ﴾ البقرة/١٥٠)، وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿إنَّ الذينَ هُمْ مِن خَشْيةِ رَبهِمْ مُشْفِقُون﴾ (المؤمنون/٥٧) الآيات، وقال تعالى: ﴿والّذينَ هُمْ منْ عَذابِ ربهِمْ مُشْفِقُون﴾ (المعارج/٢٧) الآيات.

---

(١) البخاري (١٣/٤٦٢) في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أنزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾. ومسلم (٤/٢٠٨١/ ح ٥٦ و٥٧ و٥٨) في الذكر، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٣/٢٠٣) وسنده ضعيف فيه عبدالرحمن بن إسحق الواسطي أبو شيبة وهو ضعيف. ورواه الحاكم (٢/٣٨٣ (٣٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يوافقه الذهبي للعلة المتقدمة.

(٣) مسلم (١/٥٣٤/ ح ٧٧١) في صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

وقال تعالى في شأن كتابه العزيز: ﴿وأَنْذِرْ بهِ الذينَ يخافونَ أَنْ يُحشَروا إلى رَبّهمْ لَيسَ لَهُم مِنْ دونِهِ وَلِيٌّ ولا شَفيع﴾ (الأنعام/٥١) الآيات، وقال تعالى: ﴿طه. ما أَنْزلنا عَليكَ القرآنَ لِتَشقى. إلّا تَذكِرَةً لِمَنْ يَخْشى﴾ (طه/١-٣) وقال تعالى: ﴿إنّما تُنذِرَ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرحمنَ بالغَيبِ﴾ (يس/ ١١) الآية وقال تعالى: ﴿الله نَزَّلَ أَحْسنَ الحديثِ كِتاباً مُتشابهاً مثانِيَ تَقْشعرُّ مِنْه جُلودُ الذّينَ يَخشَونَ رَبّهم، ثُمّ تَلينُ جُلودُهم وَقُلوبُهم إلى ذِكْرِ الله﴾ (الزمر/٢٣) الآية، وقال تعالى: ﴿هذا ما توعَدونَ لِكُلِّ أوابٍ حَفيظٍ. مَنْ خَشيَ الرّحمنَ بالغَيْبِ وجاءَ بِقَلْبٍ مُنيبْ﴾ (ق/٣٣) الآيات، وقال تعالى في شأن الساعة: ﴿إنّما أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخشْاها﴾ (النازعات/٤٥). وقال تعالى: ﴿فذكر إنْ نَفَعتْ الذِّكرىٰ، سَيَذكّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (الأعلى/١٠) وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿يا أَيّها النَّاسُ اتَّقوا رَبّكُم واخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي والدٌ عَنْ وَلَدِه ولا مَوْلودٌ هُوَ جازٍ عَنْ والدِهِ شَيئاً﴾ (لقمان/٣٣) الآية. وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع»[1]، وفيه عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله. وأما الأثران فأثر في سبيل الله، وأثر فريضة من فرائض الله تعالى، وقال حديث حسن[2]. وفي الصحيح: «إن أخشاكم، وأتقاكم لله أنا»[3]

---

(١) الترمذي (٤/١٧١/ ح ١٦٣٣) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله. وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٦/١٢) في الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه وأحمد (٢/٥٠٥) والحاكم (٤/٢٦٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الترمذي (٤/١٩٠/ ح ١٦٦٩) في فضائل الجهاد، باب رقم ٢٦. وقال حديث حسن غريب وهو كما قال فيه الوليد الفلسطيني: صدوق يخطيء كما قال الحافظ.

(٣) البخاري (٩/١٠٤) في النكاح، باب الترغيب في النكاح.
ومسلم (٢/٧٧٩/ ح ١١٠٨) في الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته.

الحديث وغير ذلك من الأحاديث.

(إنابة) أي ومن أنواع العبادة الإنابة وهي التوبة النصوح، والرجوع إلى الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وأَنيبوا إلى رَبِّكم وأَسْلموا لَه﴾ (الزمر/٥٤) وقال تعالى في ذكر شعيب: ﴿ومَا تَوفيقي إلاّ بِالله عَليهِ تَوَكّلْتُ وإلَيْهِ أُنِيبْ﴾ (هود/٨٨) وقال تعالى: ﴿ومَا اخْتَلفتُم فيهِ منْ شَيءٍ فَحكْمهُ إلى الله، ذلكُم الله رَبي عَليهِ تَوكّلتُ وإليهِ أُنيبْ﴾ (الشورى/١٠) وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه: ﴿رَبّنا عَلَيكَ توَكّلنا وإليكَ أَنْبنا وإليكَ المَصِير﴾ (الممتحنة/٤) وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين: ﴿والذينَ اجْتَنبوا الطَّاغوتَ أنْ يَعبُدوها وأنابُوا إلى الله لَهُم البُشرى فَبَشرّ عِبادِي﴾ (الزمر/١٧) وقال عن عبده داود عليه السلام: ﴿فاستَغْفرَ رَبهُ وَخرَّ راكِعاً وأَنابْ﴾ (ص ٢٤) وفي ذلك آيات كثيرة سنذكر إن شاء الله ما تيسر منها في بابه.

(خضوع) أي ومن أنواع العبادة الخضوع، وهو والخشوع والتذلل بمعنى وتقدمت الآيات والأحاديث فيه. (والاستعاذة) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذة، وهي الامتناع بالله عز وجل والالتجاء إليه، قال عز وجل: ﴿وإذا قَرأْتَ القرآنَ فاستَعذْ بالله مِنَ الشّيطانِ الرّجيم﴾ (النحل/٩٨) وقال تعالى: ﴿وقُلْ رَبِّ أَعوذُ بِكَ منْ هَمزاتِ الشّياطين. وأَعوذُ بكَ ربِّ أَنْ يَحضُرُون﴾ (المؤمنون/٩٧ ـ ٩٨) وقال تعالى: ﴿وإمّا يَنْزَغنَّكَ مِنَ الشّيطانِ نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله إنّه هُوَ السَّميعُ العَليمْ﴾ (الأعراف/٢٠٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعوذُ بِرَبِّ الفَلَقْ مِنْ شَرّ مَا خَلَقْ﴾ (الفلق/١ ـ ٢) السورة، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعوذُ بربِّ النّاسِ. مَلِكِ النّاسِ. إلهِ النّاسِ. مِنْ شَرّ الوَسْواسِ الخَنّاسِ﴾ (الناس/١ ـ ٤) السورة. وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وقَالَ موسى إنّي عُذْتُ بِربيّ وَرَبّكُم مِنْ كُلّ مُتكبِّرٍ لا يُؤمِنُ بيومِ الحِسَاب﴾ (غافر/٢٧) وقال تعالى عنه عليه السلام: ﴿وإنّي عُذتُ بِربِّي وَرَبكُم أَنْ تَرْجُمون﴾ (الدخان/٢٠) وقال النبي ﷺ: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. من همزه ونفخه

ونفثه»[1] وقال: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»[2] وقال: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»[3] وقال: «تعوذوا بالله من الفتن»[4] واستعاذ ﷺ من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال، ومن الرد إلى أرذل العمر ومن المأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر. ومن فتنة النار وعذاب النار. ومن شر فتنة الغنى. ومن شر فتنة الفقر. ومن فتنة المحيا والممات. ومن فتنة المسيح الدجال وغير ذلك.

(والاستعانة) أي **ومن أنواع العبادة الاستعانة**، وهي طلب العون من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُه وإِيَّاكَ نَستَعينُ**﴾ (الفاتحة/٤) أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبرأ من كل معبود دونك ومن عابديه، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك، فلا حول لأحد عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك، إلا بتوفيقك ومعونتك. وقال عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿**فَصَبرٌ جَميلٌ والله المُستعانُ على ما تَصِفُون**﴾ (يوسف/١٨) وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿**قال رَبِّ احكُمْ بِالحَقِّ وَرَبُّنا الرّحمنُ المُستعانُ على ما تَصِفُون**﴾ (الأنبياء/١١٢) وفي الترمذي من حديث وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» الحديث. وقال فيه حسن صحيح[5]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ الحديث وفيه: «احرص على ما ينفعك،

---

(١) رواه أبو داود (١/١٢٧/ ح ٤٦٦) في الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد وسنده صحيح وليس فيه الجملة الأخيرة. من همزه...» ولعلَّ الشيخ جمع بين حديثين فهي عند أبي داود في باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء (ح ٧٦٤) وفي سنده عاصم بن عمير لم يوثقه غير ابن حبان.

(٢) مسلم (٤/٢٠٨٠/ ح ٢٧٠٩) في الذكر والدعاء، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء، من حديث أبي هريرة.

(٣) مسلم (١/٣٥٢/ ح ٤٨٦) في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٤) مسلم (٤/٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠/ ح ٢٨٦٧) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار.

(٥) الترمذي (٤/٦٦٧/ ح ٢٥١٦) في صفة القيامة، باب رقم ٥٩، وقال: حديث حسن صحيح.

واستعن بالله»[1] وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[2] وغير ذلك من الأحاديث.

(كذا استغاثة به سبحانه) أي **ومن أنواع العبادة الاستغاثة بالله عز وجل** وهي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر، قال الله عز وجل: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم فَاسْتَجَابَ لَكُم أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ (الأنفال/٩) وقال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ**﴾ (النمل/٦٢) الآية وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾ (الشورى/٢٨) الآية. ومن دعاء النبي ﷺ: «يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك أستغيث»[3] وفي الطبراني بإسناده من حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[4]، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في الاستسقاء: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»[5] وغير ذلك من الأحاديث.

(والذبح) أي **(ومن أنواع العبادة الذبح نسكاً لله تعالى من هدى وأضحية**

---

(١) مسلم (٤/٢٠٥٢/ ح ٢٦٦٤) في القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز.

(٢) الحديث ليس عند الترمذي إنما عند:
أبي داود (٢/٨٦/ ح ١٥٢٢) في الوتر، باب في الاستغفار، والنسائي (٣/٥٣) في السهو، باب نوع آخر من الدعاء. وإسناده صحيح.

(٣) رواه قريباً منه دون قوله: «يا بديع السموات والأرض» والحاكم في مستدركه (١/٥٠٩). وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ولم يوافقه الذهبي بل قال منقطع والقاسم بن عبدالرحمن وأبوه ليسا بحجّة.

(٤) الطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ١٠/١٦٢) وفيه ابن لهيعة.

(٥) تقدم ذكره.

وعقيقة وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿فصلِّ لربكَ وانْحَر (الكوثر/٣) وقال تعالى: ﴿قُل إنّ صَلاتي وَنُسكِي وَمْحيايَ وَمماتي لله رَبِّ العَالَمينَ لا شَريكَ لَهُ وبِذلكَ أُمِرْت﴾ (الأنعام/١٦٣) الآيات وقال تعالى: ﴿والبُدْنَ جَعَلْناها لَكُم مِنْ شَعائِرِ الله لَكُم فيها خَيْرٌ، فاذكُروا آسمَ الله عَلَيْها صَوافَّ، فإذا وَجَبَتْ جُنوبُها فَكُلوا مِنْها﴾ (الحج/٣٦) الآيات. وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله»[1] الحديث. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن طارق بن شهاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرِّب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّب. قال: ليس عندي شيء أقرب. فقالوا له: قرب ولو ذباباً. فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا للآخر: قرب. قال ما كنت لأقرِّب لأحد شيئاً دون الله عز وجل: فضربوا عنقه فدخل الجنة»[2].

(والنذر) أي ومن أنواع العبادة النَّذْر لله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثم ليقضوا تَفَثَهُم وليوفوا نذورهم﴾ وقال تعالى: ﴿يُوفونَ بالنَّذْرِ وَيَخافونَ يوماً كانَ شرُّهُ مستَطيراً﴾ (الإنسان/٧)، وقال تعالى: ﴿وما أَنْفقْتُم مِنْ نَفقَةٍ أَوْ نَذَرتُم مِنْ نَذْرٍ فإنَّ الله يَعلَمُهْ﴾ (البقرة/٢٧٠) الآية. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» رواه الجماعة إلا مسلماً[3]. وعن عمر رضي الله عنه قال: نذرت نذراً في الجاهلية،

---

(١) مسلم (٣/١٥٦٧/ح ١٩٧٨) في الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله.

(٢) أحمد في الزهد (ص ١٥) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٠٣) وكلاهما عن سلمان موقوفاً. وسنده صحيح. وابن القيم عزاه إلى أحمد مرفوعاً ولم أجده.

(٣) البخاري (١١/٥٨١) في الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية وأبو داود (٣/٢٣٢/ ح ٣٢٨٩) في الأيمان والنذور، باب ما جاء في النذر في المعصية. والترمذي (٤/١٠٤/ ح ١٥٢٦) في النذور والأيمان، باب من نذر أن يطيع الله فليطعه. والنسائي (٧/١٧) =

فسألت النبي ﷺ بعدما أسلمت، فأمرني أن أوفي بنذري. رواه ابن ماجه[1]. وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب إثم من لا يفي بالنذر، وذكر حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثاً بعد قرنه «ثم يجيء قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السمن»[2]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أوف بنذرك» وهو في الصحيح أيضاً[3]. ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجه مبهماً فسرته رواية الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت، فقال النبي ﷺ: «لو كان عليها دين أكنت قاضيه؟ قال: نعم. قال: فاقض الله، فالله أحقُّ بالقضاء»[4] وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ.

ومن شرط النذر لله تعالى أن يكون طاعة، وأن يكون مما يطيقه العبد، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله تعالى أو ذريعة إلى عبادة غير الله تعالى، ولمن كان معلقاً بحصول شيء فلا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصوله. أما الأول فلقوله ﷺ: «لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم» الحديث رواه أبو داود[5]، وكذا حديث عائشة السابق وغيره. وأما الثاني

= في الأيمان والنذور، باب النذور في المعصية. وابن ماجه (١/٦٨٧/ ح ٢١٢٦- في الكفارات، باب النذر في المعصية.

(١) ابن ماجه (١/٦٨٧/ ح ٢١٢٩) في الكفارات، باب الوفاء بالنذر وسنده صحيح. وأصله في الصحيحين بذكر النذر وهو الاعتكاف في المسجد الحرام يوماً وسيأتي قريباً بعد حديث.

(٢) البخاري (١١/٥٨٠ ـ ٥٨١) في الأيمان والنذور، باب إثم من لا يفي بالنذر.

(٣) البخاري (١١/٥٨٢) في الأيمان والنذور، باب إذا نذر أو حلف أنه لا يكلم إنساناً في الجاهلية ثم أسلم.
ومسلم (٣/١٢٧٧/ ح ١٦٥٦) في الأيمان، باب نذر الكافر وماذا يفعل إذا سلم.

(٤) البخاري (١١/٥٨٤) في الأيمان والنذور، باب من مات وعليه نذر.

(٥) أبو داود (٣/٢٢٨/ ح ٣٢٧٤) في الأيمان، باب اليمين في قطيعة الرحم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وإسناده حسن.

فلحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله، فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله ﷺ، فأستفتيته فقال: «لتمش ولتركب» متفق عليه[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: «مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»[2] فأمره ﷺ بترك ما لم يكن مطيقه ولم يكن مشروعاً، وأمره بإتمام الصوم لكونه يطيقه ولكونه مشروعاً. وأما الثالث فلقوله ﷺ: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود وغيره وإسناده صحيح[3]. وأما الرابع فلحديث ثابت بن الضحاك أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال: «كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» فقالوا لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا، قال: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود[4]. وفي سدّ الذرائع إلى ذلك حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وأما الخامس فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل»[5] وهو في الصحيح. وفيه في رواية عنه نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «إنه لا يرد شيئاً، ولكنه يستخرج به من البخيل»[6] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) البخاري (٤/٧٨) في الحج، باب من نذر المشي إلى الكعبة.
ومسلم (٣/١٢٦٤/ ح ١٦٤٤) في النذر، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة.

(٢) البخاري (١١/٥٨٦) في الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية.

(٣) رواه أبو داود (٣/٢٣٩/ ح ٣٣١٦) في الإيمان والنذور، باب في النذر فيما لا يملك. ورواه مسلم (٣/١٢٦٢/ ح ١٦٤١) في النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله. والنسائي (٧/٢٨) في الأيمان والنذور، باب كفارة النذر.

(٤) أبو داود (٣/٢٣٨/ ح ٣٣١٣) في الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر وإسناده صحيح.

(٥ - ٦) البخاري (١١/٤٩٩) في القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر، وفي الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ومسلم (٣/١٢٦٠/ ح ١٦٣٩) في النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

قال النبي ﷺ: «لا يأتي ابنَ آدم النذرُ بشيء، ولكن يلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّرَ له، فيستخرج الله به من البخيل، فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل»[1] وغير ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء الله تعالى.

[أنواع أخرى من العبادات الظاهرة والباطنة]

(وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميدوالتمجيد والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه وسائر الأذكار المشروعة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والحب في الله والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطها الذي لا قوام لها إلا به هو كمال الحب وغايته مع غاية الذل، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كله. فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة. وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه كالخوف من عدوّ أو غرق أو حرق ونحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة: إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله. ولذا قلنا **(وصرف بعضها)** أيّ شيء منها قلَّ أو كثر **(لغير الله)** كائناً من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو غيره، كل ذلك **(شرك)** أكبر، **(وذاك)** إشارة إلى الشرك هو **(أقبح المناهي)** على الإطلاق، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَضلُّ ممنّ يَدْعُو مِنْ دونِ الله مَنْ لا يَستَجيبُ لهُ إلى يَومِ القيامةِ وَهُم من دعائِهم غافلون**﴾ (الاحقاف/٥) الآيات، أي لا أحد أضل منه، وقال تعالى: : ﴿**وَمَنْ يَدْعُ مع الله إلهاً آخرَ لا برهانَ له به فإنّما حسابُهُ عِنْدَ**

---

(١) البخاري (١١/٤٩٩) في القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر، وفي الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ومسلم (٣/١٢٦١/ ح ١٦٤٠) في الأيمان والنذور، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

رَبِّـه إنه لا يفلِحُ الكـافرون﴾ (المؤمنـون/١١٧) وقال الله عـز وجل: ﴿إنَّ الشـركَ لَظُلمٌ عظيم﴾ (لقمان/١٣) فالشرك أعظم الـظلم، لأن الظلم هـو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلماً من شكاية العبد ربه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير إلى من لا يرحمه ولا يسمعـه ولا يبصره ولا يعلمـه ولا يملك لنفسـه ولا لداعيـه من ضر ولا نفـع ولا موت ولا حيـاة ولا نشور، ولا يغني عنه مثقال ذرة، وعـدوله عمن بيـده ملكوت كـل شيء وهو يجيـر ولا يجار عليـه، ويفزع في قضـاء حوائجـه إلى من لا قدرة لـه على شيء البتـة ﴿والـذين يَـدْعونَ مِنْ دونِـهِ ما يملكـونَ مِنْ قِطميـر. إنْ تدعـوهُم لا يسمعوا دُعـاءَكُم ولو سمعوا ما استجابُوا لَكُم ويـومَ القيامـةِ يكفرونَ بِشِـرْكِكُم ولا ينبِّؤكَ مثلُ خبيـر﴾ (فاطر/١٣ ـ ١٤) وصرفه عبادة خالقـه ـ الذي خلقـه لعبادتـه وتوحيـده ورباه بنعمـه الـظاهرة والبـاطنـة وحفـظه وكـلأه بـالليـل والنهـار وحمـاه من جميـع المخـاوف والأخطار ـ لمخلوق مثله خلقه الله بقـدرته ولم يكن من قبل شيئاً، بل هو مسخـر مدبر مربوب متصرف فيه الله تعالى بم شاء من أنواع التصرف لا يبدي حراكاً ولا ينفك من قبضة الله عز وجل، بل هو خلقه وملكه مخلوق لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مـألوهـاً معبوداً: ﴿ضَـرَبَ لَكُم مثلاً مِنْ أنفسكم: هَـلْ لَكُم ممّا مَلَكَتْ أيمانُكم من شركاء فيما رزقـناكم فـأنْتُم فيهِ سـواء﴾ (الروم/٢٨) الآية، هذا والله أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر، ولذا لم تدعُ الرسل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد. وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنـه: قلت يـا رسـول الله أي الـذنب أعـظم؟ قـال: «أن تجعـل لله نـداً وهـو خلقك»[1].

وسنذكر إن شاء الله من الآيات، والأحاديث قريباً ما تقرُّ به أعين الموحدين،

---

(١) البخاري (٨/١٦٣) في تفسير سورة البقرة، بـاب قول الله تعـالى: ﴿فلا تجعلوا للّه أنـداداً وأنتم تعلمون﴾. وفي كتب عِدّة.
ومسلم (١/٩٠/ ح ٨٦) في الإيمان، باب الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده.

وتدحض شبهة المعاندين، ويدمغ باطل الملحدين، والله المستعان وبه التوفيق.

فـــصـــل
في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وكونه ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر، وبيان كل منهما

قد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة. ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه، فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كمل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى الله تعالى بما سمى به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفي عنه التشبيه والتمثيل، فضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد: أحدهما نفي ذلك عن الله عز وجل وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة، ثانيهما تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه وقد قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمثلِهِ شيءٌ وَهُوَ السميعُ البصير**﴾ (الشورى/١١) وقال تعالى: ﴿**يعلمُ ما بين أَيْديهمْ وما خَلْفَهُمْ ولا يحيطونَ بِهِ علماً**﴾ (طه/١١٠). وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

[أول ظهور الشرك]

وأول ما ظهر الشرك في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم عليه السلام نحو عشرة قرون كما قدمنا، وبه قال ابن عباس وغيره في

تفسير قوله عز وجل: ﴿كانَ الناسُ أمّةً واحدةً فَبَعثَ الله النبيِّين مبشرينَ ومنذرينَ وأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكتابَ بالحقِّ ليحكُمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، وما اختلفَ فيه إلا الذين أوتوهُ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ بغياً بَيْنَهُمْ فهدى الله الذين آمنوا لما اختَلفُوا فيه من الحقِّ بإذنِهِ، والله يهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم﴾ (البقرة/٢١٣)، وذلك لأن الشيطان لعنه الله لم يزل دائباً جاداً مشمراً في عداوة بني آدم عليه السلام منذ كان أبوهم طيناً، فلما نفخ الله فيه الروح وعلمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿أأسجدُ لمنْ خلقتَ طيناً﴾ (الإسراء/٦١) وقال تعالى: ﴿لَمْ أكُنْ لأسجُدَ لبشرٍ خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنون﴾ (الحج/٣٣) فلما سأله الله عز وجل عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه ـ والله تعالى أعلم به ـ فقال سبحانه له: ﴿ما مَنَعَكَ ألا تسجدَ إذ أمرتك﴾ (الأعراف/١٢) فأجاب الخبيث مفتخراً بأصله، طاعناً على ربه تعالى في حكمته وعدله: ﴿قال أنا خيرٌ مِنْهُ، خلقتني من نارٍ وخلقْتَهُ مِنْ طين﴾ (الأعراف/١٢)، فعامله الجبار بنقيض ما قصده وأذاقه وبال حسده، وأثمر له استكبارُه الذل الأبدي الذي لا عز بعده: ﴿قال اخرجْ منها فما يكونُ لَكَ أن تتكَبَّرَ فيها فاخرجْ إنَّكَ مِنَ الصَّاغرين﴾ (الأعراف/١٣) وقال: ﴿أخرجْ منها مذءوماً مدحوراً﴾ (الأعراف/١٨) الآية وقال: ﴿اخرجْ منها فإنّكَ رجيم، وإنَّ عليكَ لعنتي إلى يومِ الدين﴾ (الحجر/٣٤ ـ ٣٥) فطلب الإنظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالثأر، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيل له إلا على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبار: ﴿قال ربِّ فأنظرني إلى يوهم يبعثونَ. قال فإنَّكَ مِنَ المنظرينَ إلى يومِ الوقتِ المعلوم﴾ (ص/٧٩ ـ ٨٠) أجابه الله تعالى إلى طلبته ليمتحن عباده اختباراً وابتلاء ﴿ليبلوكُم أيُّكُم أحسنُ عملاً﴾ (تبارك/٢) فقابل النعمة بالكفران وجدد صفقة الخسران وأقسم ليستعملن

---

(١) سيأتي بعد قليل مع مصادره.

مدته وليستغرقن حياته في إغواء ذرية آدم الذين كان طرده وإبعاده بسببهم إذ لم يسجد لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربه، بل قدس نفسه اللئيمة وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمة ومحادَّة ومشاقَّة: ﴿**قال فبما أغويتَني لأقعدنَّ لَهُمْ صراطَكَ المستقيم، ثم لآتينَّهُمْ من بينِ أيديهِمْ وَمِنْ خَلفهم وعن أيْمانِهم وَعَنْ شمائِلِهم ولا تجدُ أكْثَرَهُم شاكرين**﴾ (الأعراف/١٦ ـ ١٧) ولم يقل اللعين: «من فوقهم» لعلمه أن الله تعالى من فوقهم، قال الله سبحانه: ﴿**هذا صراطٌ عليَّ مستقيم، إنَّ عبادي لَيْسَ لك عليهم سلطان**﴾ (الحجر/٤٢) وقد علم الرجيم ذلك فقال آيساً منهم: ﴿**إلا عبادَكَ مِنْهُمُ المخلصين**﴾ (الحجر/٤٠) ثم لما سعى إلى آدم وحواء زوجه في الجنة ودلهما على تلك الشجرة التي نهاهم الله عز وجل عنها أن يقربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنة، فاستدرجهم اللعين بخداعه وحيلته البائرة، وغيرهم بتلك اليمين الفاجرة: ﴿**وقاسَمَهُما إنّي لَكُما لَمِنَ النّاصحين**﴾ (الأعراف/٢١) فنفذ قضاء الله تعالى وقدره بأكلهما منها: ﴿**ليقضيَ الله أمراً كانَ مفعولاً**﴾ الأنفال/٤٢). وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عز وجل وسعة رحمته الذي لا يقدر أحد على شيء منه: ﴿**وأنَّ الفَضْلَ بيدِ الله يؤتيهِ مَنْ يشاءُ والله ذُو الفضلِ العظيم**﴾ (الحديد/٢٩) فلما عاتبهما الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿**ألم أنْهكُما عن تلكما الشجرةِ وأقل لكما إنَّ الشيطانَ لكما عدوٌّ مبين**﴾ (الأعراف/٤٢) فلم يعترضا على قضاء الله وقدره ولم يحتجا بذلك على ارتكاب ما نهى الله عنه ولم يخاصما به كما قال اللعين مواجهاً ربه بقوله: ﴿**فبما أغْوَيتَني**﴾ (الأعراف/١٦) بل اعترافا بقدرة الله عليهما وأقرّا بظلمهما لأنفسهما وصرحا بافتقارهما إلى ربهما وبكمال غناه عنهما: ﴿**قال ربنا ظلمنا أنْفُسنا وإنْ لم تَغْفِر لنا وترحَمْنا لنكونَنَّ مِنَ الخاسرين**﴾ (الأعراف/٢٣) وهذه هي الكلمات التي قال الله عز وجل: ﴿**فتلقى آدمُ من رَبِّهِ كلماتٍ فتابَ عليه إنّهُ هُوَ التَّوابُ الرحيم**﴾ (البقرة/٣٧).

ثم أراد الله سبحانه أن يهبطهم إلى دار أخرى هي دار الامتحان والابتلاء

ليتبين حزبه الذين يتبعون رسله ويقاتلون أعداءه ويغرس لهم بصالح الأعمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورَجله وقد أعد لهم جهنم وساءت مصيراً، وألقى العداوة ونصب الحرب بين هذين الحزبين في هذه الدار ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم فقال تعالى: ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً بعضُكُم لِبَعْضٍ عدوٌّ فإمَّا يأتينَّكُم مني هدىً فمن تَبِعَ هدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون. والذين كفروا وكذَّبُوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ النَّارِ همْ فيها خالدون**﴾ (البقرة/٣٨). ثم كان من كيد الشيطان مما قص الله عز وجل من إلقائه الفتنة بين ابني آدم وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة.

ولما مات آدم عليه السلام كان وصيه شيثاً عليه السلام، ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم على شريعة من الحق كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[1].

وزين الشيطان لعنه الله لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها، وبيان ذلك ما روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس قال في وَدّ وسُواع ويغوث ويعوق ونسر: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنوسى العلم عبدت ا. هـ.[2]. فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة

---

(١) ابن جرير (جامع البيان ٢/٣٣٤) وسنده صحيح. ورواه الحاكم في مستدركه (٢/٤٤٢) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) البخاري (٨/٦٦٧) في التفسير، وتفسير سورة نوح، باب: ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق.

للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم. فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحاً عليه السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالى وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالى بالطوفان. ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهة مع الله منها هدا وصدى وصموداً، فأرسل الله عز وجل إليهم هوداً عليهم السلام فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، فلما حق عليهم العذاب أهلكهم الله تعالى بالريح. ثم ثمود كذلك وأرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فكذبوه فأهلكوا بالصيحة. ثم قوم إبراهيم وعبدوا الشمس والقمر والنجوم وعبدوا الأصنام وغير ذلك، وقد قص الله تعالى في كتابه كل ذلك مفصلاً عن الأمم ورسلهم.

وعبد أول بني إسرائيل العجل وآخرهم عبدوا عزيراً، وعبدت النصارى المسيح وعبدت المجوس النار وعبد قوم الماء وعبد كل قوم ما زينه الشيطان لهم على قدر عقولهم، هذا في الأمم الأولى وكل منها له وارث من الأمم المتأخرة، فالأصنام التي في قوم نوح قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لُحَيّ قبحه الله تعالى كما ذكره ابن عباس فيما رواه البخاري عنه رضي الله عنه قال: أما وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وسواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع. انتهى[1].

[دخول الوثنية إلى بلاد العرب على يد عمرو بن لَحُيّ الخزاعي]

وتفسير ذلك ما ذكره الكلبي حيث قال: وكان عمرو بن لحي كاهناً وله رئى من الجن فقال له: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، إئت جدة، تجد فيها أصناماً معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عدن بن زيد اللات فدفع إليه وَدّاً

(١) البخاري (٨ / ٦٦٧) في تفسير سورة نوح، باب: وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق.

فحمله. فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمى به، وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام. قال الكلبي: فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى وداً. قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول اسقه إلهك فأشربه. قال ثم رأيت خالد بن الوليد رضي الله عنه كسره فجعله جذاذاً، وكان رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره. قال الكلبي: فقلت لمالك بن حارثة صف لي وَدّاً كأني أنظر إليه، قال كان ثمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر - أي نقش - عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء وقبضة فيها نبل بغير جعبة. وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سُواعاً فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخله يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجل من العرب.

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هُذيلٌ على سواع

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته هَمْدان فدفع إلى مالك بن زيد بن جشم يعوق فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدان ومن ولاها من اليمن، وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذي رعين يقال له معدي كرب نسراً فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هوَّدهم ذو نواس، فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبي ﷺ فهدمها وكسرها. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبة في النار. وكان أول من سيَّب السوائب»[1]

---

(١) البخاري (٨/٢٨٣) في تفسير سورة المائدة، باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام.
ومسلم (٤/٢١٩١/ ح ٢٨٥٦) في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

وفي لفظ: «وغير دين إبراهيم»[1]. وروى ابن إسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجوف الخزاعي: «يا أكثم، رأيت عَمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجل منك به ولا بك منه» فقال أكثم: عسى ألا يضرني شبهه يا رسول الله، قال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البَحِيرة وسيَّب السائبة وحمى الحامي»[2]. قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مُآب من أرض البلقاء ـ وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه. فأعطوه صنماً يقال له هُبَل، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[3]. وقال ابن إسحاق: واتخذوا إسافاً ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جرهم هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين[4]. قال وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم بمفضى السيول من إساف ونائل

واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنماً. قال ابن إسحاق وكان لخولان صنم يقال له عُم أنس بأرض خولان يقسمون له من أموالهم من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عُم أنس من حق الله

---

(١) ليس هذا اللفظ في الصحيحين ولا في أحدهما ومعناه عند أحمد في المسند (٣/٣٥٣) من رواية جابر رضي الله عنه. والرواية الآتية.

(٢) ابن هشام (١/٧٨) وسنده صحيح وابن إسحق صرح بالتحديث ورواه أحمد في مسنده من حديث جابر رضي الله عنه (٣/٣٥٣) و(٥/١٣٧).

(٣) سيرة ابن هشام (١/٧٩).

(٤) سيرة ابن هشام (١/٨٤).

تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه. وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ مِنَ الحَرْثِ والأنعامِ نصيباً فقالوا هذا لله بِزَعْمِهم وهذا لشركائِنا، فما كانَ لشركائِهم فلا يَصِلُ إلى الله، وما كان لله فَهُوَ يَصِلُ إلى شركائِهم ساءَ ما يحكمون**﴾ (الأنعام/١٣٦) قال وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صنم يقال له سعد، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل ـ وكانت مرعية لا تركب، وكان يهراق عليه الدماء ـ نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني فأخذ حجراً فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفّرتَ عليَّ إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعدٍ ليجمعَ شَمْلَنا ... فشتتنا سعدٌ فلا نحن من سعدِ
وهل سعدٌ إلا صخرةٌ بتنوفة ... من الأرض لا تدعو لغي ولا رشدِ

وكان لدوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي. قال وكان لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء أبي طالب[1]. قلت فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها[2]. قال وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف. قال وكان مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد، وقال ابن هشام فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه فهدمها، ويقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3]. قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة فبعث إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه

---

(١) سيرة ابن هشام (١/٨٢ ـ ٨٥).

(٢) ذكرها ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢/٢١٤) من رواية أبي صالح عن ابن عباس وهو ضعيف يرسل.

(٣) ابن هشام (١/٨٨). والبداية والنهاية (٢/١٩٢).

فهدمها[1]. قال وكانت قلس لطيء ومن يليها بجبل طيء بين سلمى وأجأ، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه[2]. قال وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام[3]. قال: وكانت رضاء بيتاً لبني ربيعة بن كعب وفيها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددتُ على رضاء شدة فتركتُها قفراً بقاعٍ أسحماً[4]

وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بني قيس:

بين الخورنقِ والسديرِ وبارقٍ والبيتِ ذي الشرفاتِ من سنداد[5]

قال ابن إسحاق وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة فلما أسلم فتيان بني سلمة ـ معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وغيرهم ـ ممن أسلم وشهد العقبة وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذرات الناس منكساً على رأسه فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك، فيغدو يلتمسه فيجد به مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك. فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك

---

(١) ابن هشام (١/٨٨ ـ ٨٩) والبداية والنهاية (٢/١٩٢).
(٢) ابن هشام (١/٨٩).
(٣) ابن هشام (١/٨٩).
(٤) ابن هشام (١/٨٩ ـ ٩٠) والبداية والنهاية (٢/١٩٢).
(٥) ابن هشام (١/٩١).

خير فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذا أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكنْ ... أنْتَ وكلب وسط بئر في قرنْ
أفٍّ لملقاك إلهاً مستدن ... تهانُ أو تسئل عن سوء الغبنْ
الحمدُ لله العلي ذي المِنَنْ ... الواهِبِ الرَزّاقِ ديَّانِ الدِّيَنْ
هو الذي أنقذني مِنْ قَبْلِ أنْ ... أكونَ في ظلمةِ قبرٍ مرتَهَنْ[1]

قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفراً تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش: ﴿**أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عجاب**﴾ (ص/٥) وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب ويهدي لها كما يهدي الكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينحر عندها كما ينحر عند الكعبة[2]، وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً وجعل الثلاثة أثافي لقدره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك[3].

وقال أبو رجاء العطاردي لما بعث النبي ﷺ فسمعنا به سمعنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار، قال وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا

---

(١) البداية والنهاية (٣/١٦٥ ـ ١٦٦).
(٢) ابن هشام (١/٨٥).
(٣) إغاثة اللهفان (٢/٢٢٠).

بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به، قال وكنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه[1].

وقال أبو عثمان النهدي: كنا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا رباً. قال فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلبه إذا نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، فإذا حجر فنحرنا عليه الجزور[2].

وقال عمرو بن عبسة كنت ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم إلٰه، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره[3].

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلثمائة وستين صنماً فجعل يطعن بنشبة قوسه في وجوهها وعيونها ويقول: جاء الحق وزهق الباطل وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت[4].

[أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام]

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في خاتمة كتابه الإغاثة:

فصل[5]

وتلاعبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعبَ بكل قوم على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى

---

(١) ذكره ابن القيم في إغاثة اللهفان مسنداً من طريق حنبل وسنده صحيح (٢/٢٢٠). ورواه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٠٦) وفي سير أعلام النبلاء (٤/٢٥٤ (٢٥٥). وأبو رجاء تابعي أسلم في حياة رسول الله ﷺ ولم يره.

(٢) رواه أبو بكر بن أبي شيبة وإسناده حسن. أنظر إغاثة اللهفان (٢/٢٢٠).

(٣) رواه ابن سعد في طبقاته (٤/٢١٧) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف ورواه الواقدي من طريقه (سير أعلام النبلاء ٢/٤٦٠).

(٤) أنظر إغاثة اللهفان (٢/٢٢١).

(٥) إغاثة اللهفان من (٢/٢٢٢).

الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج، ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيداً، وقال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[1] وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل. قلت وسنذكر الأحاديث المسندة في ذلك قريباً إن شاء الله تعالى. قال فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلاً وإما عناداً لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئاً، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسدنة وحجاباً وحجاً وقرباناً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً، فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار. ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخربه عثمان رضي الله عنه. ومنها بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند. قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهمن ووضع لهم أصناماً وجعل أعظم بيوتها بيتاً بمدينة من مدائن السند وجعل فيه صنمهم الأعظم وزعم أنه بصورة الهيولي الأكبر، وفتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها الملتان. إلى أن قال رحمه الله: وأصل هذا المذهب منم مشركي الصابئة وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه. وهذا مذهب قديم في العالم وأهله طوائف شتى، فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك يستحق التعظيم، والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهر على نوع النار، وله بيت خاص قد بنوه

---

(١) حديث وسيأتي.

باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوّام وحجبة ياتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك. ولهذا يقارفها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحري الصلاة في هذه الأوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً[1]، وسدّاً لذريعة الشرك وعبادة الأصنام[2].

قلت: وقد ذكر الله عز وجل عبادة الشمس عن أهل سبأ من أرض اليمن في عهد بلقيس، كما حكى قول الهدهد حيث قال: ﴿**وجدْتُها وقومَها يسجدونَ للشمسِ من دونِ اللهِ**﴾ (النمل/٢٤) إلى آخر الآيات، وهداها الله تعالى إلى الإسلام على يد نبيه سليمان عليه السلام حيث قال: ﴿**ربِّ إنِّي ظلمتُ نفسي وأسلمتُ مَعَ سليمانَ للهِ ربِّ العالمين**﴾ (النمل/٤٤).

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (فصل)[3] وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنماً وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي، ومن شريعة عبّاده أنهم اتخذوا لهم صنماً على شكل عجل ويجره أربعة، وبيد الصنم جوهرة، ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه. ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على صور الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب لابن خطيب الريّ[4] تعرف

---

(١) أنظر تفصيل ذلك بما لا تجده في غيره في «إقتضاء الصراط المستقيم لمخالفته أصحاب الجحيم». لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

(٢) إغاثة اللهفان إلى (٢/٢٢٣).

(٣) إغاثة اللهفان من (٢/٢٢٤).

(٤) هو الفخر الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري وكتابه هذا مختلف في =

عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريق إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً زعموا أنها على صورها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده.

ومن أسباب عبادتها أيضاً أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشيطان، فجهلتهم وسقطهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب[1]، وعقلاؤهم يقولون إن تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول إنها الملائكة، وبعضهم يقول إنها هي العقول المجردة، وبعضهم يقول هي روحانيات الأجرام العلوية، وكثير منهم لا يسأل عما عهد بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهاً ولا يسأل عما وراء ذلك. وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قبل نوح عليه السلام كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبق الأرض. قال إمام الحنفاء: ﴿**واجْنُبني وبنيَّ أَنْ نعبُدَ الأصنام، ربِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كثيراً مِنَ النَّاس**﴾ (إبراهيم/٣٥ - ٣٦) والأمم التي أهلكها الله تعالى بأنواع الهلاك كلهم يعبدون الأصنام كما قص الله عز وجل ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل وأتباعهم من الموحدين. ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي

= نسبته إليه فبعضهم نسبه إلى علي بن أحمد الحرالي أنظر كشف الظنون (٩٨٩) وقد شط السبكي رحمه الله في الكلام عليه حين قال: «وبتقدير صحة نسبته إليه ليس بسحر فليتأمله من يحسن السر». وقد جزم الملطي أنه له ورد عليه في كتاب سماه: «انقضاض البازي في انفضاض الرازي».

(١) أنظر تفصيل ذلك في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون[1]، وقد قال الله تعالى: ﴿فأبى أكثرُ النّاسِ إلا كفوراً﴾ (الإسراء/٨٩) وقال تعالى: ﴿وإنْ تُطِعْ أكثَرَ مَنْ في الأرض يُضِلّوكَ عَنْ سبيلِ الله﴾ (الأنعام/١١٦) وقال تعالى: ﴿وما أكثر الناسِ ولو حَرَصْت بمؤمنين﴾ (يوسف/١٠٣) وقال تعالى: ﴿وما وجدنا لأكْثَرِهِمْ من عهدٍ، وإنْ وَجدنا أكثرَهُم لفاسقين﴾ (الأعراف/١٠٢) ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبّاً لها وتعظيماً ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها وتحمل أنواع المكاره في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها، ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر، غير ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلا إقداماً وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته، فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشد، فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير، والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء الله وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعباده وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات وأن الله سبحانه بريء منهم هو وجميع رسله وملائكته وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملاً، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف، وقد أباح الله عز وجل لرسوله وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا، وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة. فهؤلاء في شق ورسل الله في شق[2]. ثم قال رحمه الله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٧٨) في الرقاق، باب الحشر، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) إلى (٢/٢٢٦) من إغاثة اللهفان.

فـــصـــــل[1]

ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعلوا فيه حظاً من الإلهية وشبهوه بالله تعالى، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيره مثلاً له ونداً وشبهاً له، لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم أمة جعلته سبحانه مثلاً لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلاً وشبهت به الخالق فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بني آدم، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلواً في من يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهة إلهاً واحداً وقالوا اصبروا على آلهتكم، وصرحوا بأنه إله معبود يرجي ويخاف ويعظم ويسجد له ويحلف باسمه ويقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى. ثم ذكر رحمه الله تعالى في ذلك بحثاً نفيساً فأجاد وأفاد، ثم ذكر باقي طوائف المشركين من عباد النار والماء والحيوانات والملائكة وغيرهم من الثنوية والدهرية والفلاسفة، وذكر من أوضاع شرائعهم الباطلة وأصولها وكيفية عبادتهم لما ألهوه ونقض ذلك عليهم أتم نقض[2]، تغمده الله برحمته.

[أكثر شرك الأمم في الإلهية، لا بجحود الصانع]

والمقصود أن أكثر شرك الأمم التي بعث الله إليها رسله وأنزل كتبه غالبهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثنوية، وأما غيرهم ممن جحدها عناداً كفرعون ونمرود وأضرابهم فهم مقرون بالربوبية باطناً كما قدمنا، وقال الله عز وجل عنهم: ﴿**وجحدوا بِها واستَيقَنتْها أنفسُهُم ظلماً**﴾ (النمل/١٤) وبقية المشركين يقرّوون بالربوبية باطناً وظاهراً كما صرح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من

(١) من (٢/٢٢٦) من إغاثة اللهفان.

(٢) أنظر إلى آخر كتابه إغاثة اللهفان رحمه الله تعالى.

جهة إشراكهم في الإلهية وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضاد نوعاً من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عباد القبور إذا قال أحدهم يا شيخ فلان ـ لذلك المقبور ـ أغثني أو افعل لي كذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعيدة وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار تراباً. فدعاؤه إياه عبادة صرفها له من دون الله لأن الدعاء مخ العبادة، فهذا شرك في الإلهية. وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله معتقداً أنه قادر على ذلك هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع الله تعالى في ملكوته. ثم إنه لم يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان ويصرحون بذلك، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد، فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

[الشرك الأكبر]

والشركُ نوعان فشركٌ أكبر ... به خلود النارِ إذ لا يَغْفَرُ
وهو اتخاذُ العبدِ غير الله ... نِدّاً به مسوّياً مضاهي

(**والشرك**) الذي هو ضد التوحيد (**نوعان**) أي ينقسم إلى نوعين:

(**فشرك أكبر**) ينافي التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام (**به خلود**) فاعله في (**النار**) أبداً (**إذ**) تعليل لأبدية الخلود أي لكونه (**لا يغفر**) قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويغفُر ما دونَ ذلكَ لِمَنْ يشاء ومن يشركْ بالله فقد افترى إثماً عظيماً**﴾ (النساء/٤٨) وقال تعالى: ﴿**ومن يشركْ بالله فقدْ ضَلَّ ضلالاً بعيداً**﴾ (النساء/١١٦) وقال تعالى: ﴿**لقد كَفَرَ الذين قالوا إنَّ الله هو المسيحُ بنُ مريم، وقال المسيحُ يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربِّي وربُكم إنَّه من يشركْ بالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عليهِ الجنَّةَ ومأواهُ النار وما للظالمين مِنْ أنصار**﴾

(المائدة/٧٢) وقال تعالى: ﴿فاجتنبوا الرِّجْسَ من الأوثانِ واجتنبوا قولَ الزُّورِ حنفاءَ لله غَيْرَ مشركينَ، ومن يشركْ بالله فكأنَّما خَرَّ مِنَ السماءِ فتخطَّفُه الطيرُ أو تهوى به الريحُ في مكانٍ سحيق﴾ (الحج/٣١) وقال لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاءُ ولو أشركوا لَحَبِطَ عنهم ماكانوا يعملون﴾(الأنعام/٨٨) وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿ولقد أوحينا إليكَ وإلى الذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ليحبَطَنَّ عَمَلُكَ ولتكونَنَّ من الخاسرين، بل الله فاعْبُد وكنْ من الشاكرين﴾ (الزمر/٦٥) فالشرك أعظم ذنب عصى الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيام السارية ليلاً ونهاراً ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبياً رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوع المحال وهو كثير في اللغة العربية، أي لو قدر وقوع ذلك من ملك أو رسول لكان كغيره من المشركين في حبوط عمله وحلول غضب الله عليه، وإلا فلم يرسل الله تعالى رسولاً إلا معصوماً من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك ﴿الله أعلمُ حَيْثُ يجعلُ رسالته﴾ (الأنعام/١٢٤). والآيات في بيان عظم الشرك ووعيد فاعله أكثر من أن يحيط بها هذا المختصر، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسر فنقول وبالله التوفيق:

وفي الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار» وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة[1]. وفيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: أتى

---

(١) البخاري (٣/١١٠) في الجنائز في فاتحته، وفي تفسير سورة البقرة، باب: «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً». وفي الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلل فهو على نيته.
ومسلم (١/٩٤/ ح ٩٢) في الإيمان، باب من لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

النبيَّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[1]. وفيه عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار»[2]. وفيه من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق»[3]. وفيه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن نجعل لله نداً وهو خلقك»[4] الحديث. وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور الحديث[5]. وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل: ﴿**إنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يشركَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاء**﴾ وقال: ﴿**إنَّهُ من يشركْ بالله فَقَدْ حرم الله عليه الجنة**﴾ وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله تعالى يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضاً، القصاص لا محالة» تفرد به أحمد[6]. وله عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) مسلم (١/٩٤/ ح ٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٢) مسلم (١/٩٤/ ح ٩٣) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٣) البخاري (٣/١١٠) في الجنائز، باب في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله ءلا الله. وفي التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة.
ومسلم (١/٩٤/ ح ٩٤) في الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

(٤) تقدم ذكره.

(٥) البخاري (٥/٢٦١) في الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور.
ومسلم (١/٩١/ ح ٨٧) في الإيمان، باب بيان الكبائر وكبائرها.

(٦) أحمد (٦/٢٤٠) والحاكم (٤/٥٧٥ ـ ٥٧٦) وقال حديث صحيح ولم يخرجاه ولم يوافقه الذهبي وقال صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة. ورواه الطبراني في الكبير (ح ٦١٣٣). والصغير =

رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» ورواه النسائي أيضاً[1]. ولأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة»[2]. وللترمذي وقال حسن صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عَنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك. يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[3]. ولابن أبي حاتم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئاً إلا حَلّتْ لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به ويغفر ما دونَ ذلك لمن يشاء**﴾[4]. ولأبي يعلى عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب». قيل يا نبي الله وما الحجاب؟ قال: «الإشراك بالله. قال: ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة

= (١/٤٠) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه وفيه يزيد بن سفيان بن عبدالله بن رواحة تكلم فيهه ابن حبان وذكر حديثه (٣/١٠٢) وروي عن سلمان من طريق آخر عند الطبراني في الكبير (ح ٦١٣٧) والبزار وفيه حميد بن الربيع وعلي بن عاصم وكلاهما ضعيف وقد وثقا والحديث حسن لشواهد له عِدّة.

(١) أحمد (٤/٩٩). والنسائي (٧/٨١) في تحرم الدم في فاتحته. والحاكم (٤/٣٥١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) أحمد (٥/١٧٢) والدارمي (٢/٣٢٢) وفيه شهر بن حوشب ضعيف من جهة حفظه والحديث حسن لشاهده الآتي في الحديث القادم وله شاهد عند الحاكم (٤/٢٤١) وأحمد (٥/١٠٨) بلفظ مقارب وفيه زيادة وإسناده حسن.

(٣) الترمذي (٥/٥٤٨/ ح ٣٥٤٠) وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفيه كثير بن فائد لم يوثقه غير ابن حبان قال عنه الحافظ: مقبول والحديث حسن لشاهده السابق.

(٤) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ١/٥٢٢) وسنده ضعيف فيه موسى بن عبيدة الربذي (في الأصل الترمذي وهو خطأ) وهو ضعيف وهو صحيح لشواهده المتقدمة.

من الله تعالى، إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿**إنّ الله لا يغفرُ أَنْ يشركَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاء**﴾[1]. ولأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»[2] ولابن أبي حاتم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: «وما دينه» قال يصلي ويوحد الله قال: «استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه» فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه، قال فنزلت: ﴿**إنَّ الله لا يغْفِرُ أَنْ يشركَ به ويغفِرُ ما دونَ ذلك لمن يشاء**﴾[3]. وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً»[4] ولابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله» ثم قرأ: ﴿**ومن يشركْ بالله فقدِ افترى إثماً عظيماً**﴾ (النساء/٤٨) «وعقوق الوالدين» ثم قرأ: ﴿**أَنِ اشكر لي ولوالدَيْكَ إليَّ المصير**﴾[5] (لقمان/١٤) وللإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانَهم بظلم**﴾ (الأنعام/٨٢) شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿**يا بني لا تشرك بالله**

---

(١) أبو يعلى (ابن كثير ١/٥٢٢) وسنده كالذي قبله.

(٢) مسند أحمد (٣/٧٩). وفيه عطية العوفي وهو ضعيف والحديث صحيح لشواهده الصحيحة المتقدمة قبل قليل.

(٣) ابن أبي حاتم (ابن كثير ١/٥٢٢) والطبراني في الكبير (ح ٤٠٦٣) وسنده ضعيف فيه واصل بن السائب وهو ضعيف وأبو سورة كذلك.

(٤) الطبراني في الكبير (ح ١١٦١٥) وفيه إبراهيم بن الحكم بن إبان وهو ضعيف وتابعه حفص بن عمر العدني عند الحاكم (٤/٢٦٢) وهو واه. وحسنه العلامة الألباني.

(٥) ابن مردويه (ابن كثير ١/٥٢٣) وفيه سعيد بن بشير الأزدي وهو ضعيف وهو من رواية الحسن عن عمران ولم يسمع منه (المراسيل ص ٣٨ (ابن أبي حاتم)) والحديث صحيح له شواهد عِدّة.

إنّ الشِّركَ لظلم عظيم﴾ (لقمان/١٣)» الحديث في الصحيحين[١]. ولابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء رضي الله عنهما: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو صلبتم أو حرقتم»[٢]. ولابن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أوصانا رسول الله ﷺ بسبع خصال: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم»[٣]. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله عز وجل؟» قلت الله ورسوله أعلم. قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»[٤]. وللبخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «أي عم، قل لا إله إلا الله أحاجُّ لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» فنزلت: ﴿**ما كان للنبيِّ والذين آمنوا**

---

(١) البخاري (١/٨٧) في الإيمان، باب ظلم دون ظلم. وفي الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾ وغيرهما.
ومسلم (١/١١٤ ـ ١١٥/ ح ١٢٤) في الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده.
وأحمد (ح ٣٥٨٩ و٤٠٣١ و٤٢٤٠) نسخة أحمد شاكر.

(٢) ابن مردويه (ابن كثير ٢/١٩٥) ولم يسق إسناده.
ورواه من حديث أبي الدرداء:
ابن ماجه (٢/١٣٣٩/ ح ٤٠٣٤) في الفتن، باب الصبر على البلاء. والطبراني في الكبير (المجمع ٤/٢١٩ ـ ٢٢٠) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف.
ورواه من حديث عبادة بن الصامت.
الطبراني (المجمع ٤/٢١٩) وفيه سلمة بن شريح قال الذهبي لا يعرف.
ورواه من حديث معاذ:
أحمد (٥/٢٣٨) والطبراني (المجمع ٤/٢١٨) وسند أحمد فيه انقطاع بين عبد الرحمن بن جبير ومعاذ وإسناد الطبراني متصل وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو متروك.
والحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(٣) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٢/١٩٥) وفيه سلمة بن شريح وهو مجهول وقد تقدمت شواهده.

(٤) تقدم ذكره.

أَنْ يستغْفروا للمشركينَ ولو كانوا أولي قربَى من بَعْدِ ما تبيَّن لهم أنَّهم أصحابُ الجحيم﴾[1] (التوبة/١١٣).

والأحاديث في عظم ذنب الشرك وشدة وعيده أكثر من أن تحصى، وقد قدمنا من أحاديث التوحيد جملة وافية عند الكلام على لا إله إلا الله وغير ذلك والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله عز وجل ونفي الشرك فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم ينهوا عن شيء قبل انشرك كما قدمنا بسط ذلك. وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء: ﴿واعبدُوا الله ولا تشركوا بِهِ شيئاً وبالوالدينِ إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارِ ذي القربى والجارِ الجُنُبِ والصاحب بالجَنْبِ وابنِ السبيل وما ملكتْ أيمانُكُم، إنَّ الله لا يحبُّ من كانَ مختالاً فخوراً﴾ (النساء/٣٦) وكما في آية الأنعام التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تعالى أَتْلُ ما حرَّمَ رَبُّكُم عليكُم ألا تشركوا بِهِ شيئاً، وبالوالدينِ إحساناً، ولا تقتلوا أولادَكُم مِنْ إملاقٍ نحنُ نرزقُكُم وإيَّاهُم، ولا تقربوا الفواحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، ولا تقتلوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله الا بالحقِّ، ذلكم وَصَّاكم به لعلَّكم تعقلون. ولا تقربوا مالَ اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يَبْلُغَ أشُدَّهُ، وأوفوا الكيلَ والميزانَ بالقسطِ، لا نكلِّفُ نفساً إلا وُسْعَها، وإذا قُلْتُم فاعدِلوا ولو كانَ ذا قربى، وَبِعَهْدِ الله أوفوا، ذلكم وصّاكمْ بِهِ لَعَلَّكُم تذكّرون. وأَنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوهُ، ولا تتبعوا السُّبلَ فتفرَّقَ

---

(١) البخاري (١٩٣/٧) في مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، وفي الجنائز، باب إذا قال المشرك لا إله إلا الله عند الموت، وفي تفسير سورة براءة، باب قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ وغيره.
ومسلم (١/٥٤/ ح ٢٤) في الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع.

بِكُم عَنْ سبيله، ذلكُم بـه لَعَلَّكُم تتقـون﴾(الأنعـام /١٥١ـ ١٥٣) وكـما في آيـات الإسراء: ﴿وقضى رَبُّك ألا تعبدوا إلا إيَّاهُ وبالوالـدينِ إحسانـاً ـ إلى قولـه ـ ذلكَ مما أوحى إليكَ رَبُّكَ مِن الحكمةِ، ولا تَجْعَلْ مَعَ الله إلهـاً آخرَ فَتُلْقى في جَهنَّـم ملوماً مدحوراً﴾ (الإسراء/٢٣ ـ ٣٩) فابتدأ تلك الأوامـر والنواهي بـالأمر بـالتوحيـد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك. وكما في آيات الفـرقان في الثنـاء على عبادة المؤمنين في اجتنابهم الفواحش: ﴿والذينَ لا يـدعون مَعَ الله إلهاً آخرَ ولا يقتلونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله إلّا بالحَقِّ ولا يزنون﴾ (الفـرقان/٦٨) الآيـات وغير ذلـك من الآيات. وكذلك في أحاديث النبي ﷺ الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامـر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائر المتقدم، وكما في حديث من سأل النبي ﷺ فقال: دلني على عمر يقربني من الجنـة ويباعـدني عن النار، قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنـه ليسير على من يسـره الله عليه: تعبـد الله ولا تشـرك به شيئـاً»[1] وذكر الحـديث. وكذا في أحـاديث أركان الإسـلام، كحـديث جبريل المشهور[2]، وحديث ابن عمر[3]، وحديث وفد عبد القيس[4] وغيـرها يبـدأ فيها بالشهادتين. ومن تتبع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين لـه أنها لا تخـرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بـذلك، ولم يخلق الله الخلق إلا لذلك.

---

(١) البخاري (٣/٢٦١) في الزكاة، باب وجوب الزكـاة، ومسلم (١/٤٤/ ح ١٤) في الإيمان، بـاب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

(٢) رواه البخاري (١/١١٤) في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ.
ومسلم في الإيمان، باب الإسلام والإيمان والإحسان (١/٣٩/ ح ٩ و١٠) من حديث أبي هـريرة رضي الله عنه.

(٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قال ﷺ: بني الإسلام على خمس:
أخـرجه: البخـاري (١/٤٩) في الإيمان، بـاب دعـاؤكم إيمـانكم. ومسلم (١/٤٥/ ح ١٦) في الإيمان، باب أركان الإسلام.

(٤) حـديثهم رواه البخاري (١/١٢٩) في الإيمـان، باب أداء الخمس، وفي العلم، بـاب تحـريض النبي ﷺ وقد عبد القيس أن يحفظوا الإيمان، وفي مواقيت الصلاة، بـاب قولـه تعالى: ﴿منيبين إليه واتقوه﴾ وغيرها كثيراً.
ومسلم: (١/٤٦/ ح ١٧) في الإيمـان، باب الأمـر بالإيمـان بالله تعـالى من حـديث ابن عبـاس رضي الله عنهما.

[التعريف بالشرك]

(وهو) أي الشرك الذي تقدم ذكره في المتن وذكر النصوص فيه في الشرح (**اتخاذ العبد غير الله**) من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك. (**نداً**) من دون الله (**مسوياً به**) الله يحبه كحب الله ويخافه ويخشاه كخشية الله ويتبعه على غير مرضاة الله ويطيعه في معصية الله ويشركه في عبادة الله (**مضاهي**) به الله قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دونِ الله أنداداً يُحبُّونَهم كحبِّ الله**﴾ (البقرة/١٦٥) وحكى عنهم في اختصامهم في النار: ﴿**قالوا وَهُم فيها يَخْتَصِمونَ. تالله إنْ كُنّا لفي ضلالٍ مبين. إذ نسوّيكُم بربِّ العالمين**﴾ (الشعراء/٩٦ ـ ٩٨) وقد أخبرنا الله عز وجل أنهم لم يسووهم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماتة ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقرون لله تعالى بالربوبية: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ليقولُنَّ خَلَقَهُنَّ العزيزُ العليم**﴾ (الزخرف/٩) وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تقدمت، ولكنهم سووهم بالله تعالى في حبهم إياهم كحب الله ولم يجعلوا المحبة لله وحده في خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشية لله والخوف من الله وحده، وأشركوهم في عبادة الله ولم يفردوا الله بالعبادة دون من سواه، مع أنهم لم يعبدوهم استقلالاً بل زعموهم شفعاء لهم عند الله ليقربوهم إلى الله زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب ملكاً للمخلوق ويطلبونه منه وأن له أن يشفع بدون إذن الله والله تعالى يقول: ﴿**ما من شفيعٍ إلا مَنْ بَعْدِ إذْنِهِ**﴾ (يونس/٣) ولهذا سمى الله تعالى استشفاعهم ذلك شركاً كما قال تعالى: : ﴿**ويعبدونَ مِنْ دونِ الله ما لا يضرُّهُم ولا ينفعُهُمْ ويقولونَ هؤلاء شفعاؤُنا عِنْدَ الله، قل أتنبئونَ الله بما لا يَعْلَمُ في السمواتِ ولا في الأرض، سبحانَهَ وتعالى عمّا يشركون**﴾ (يونس/١٨) فجمعوا في ذلك بين شركين: الأول عبادتهم إياهم من دون الله عز وجل، والثاني جعلهم شفعاء بدون إذن الله عز وجل. وقال تعالى: ﴿**ألا لله الدينُ الخالِصُ، والذين اتخذوا من دونِ الله أولياءَ ما نعبدُهُم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾

(الزمر/٣) وقال تعالى: ﴿وما نرى مَعَكُم شفعاءَكُم الذين زعمتم أنَّهم فيكُم شركاء﴾ (الأنعام/٩٤). وأيضاً فقد أخبرنا الله تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة لله، قال الله تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلكِ دَعُوُا الله مخلصينَ له الدين، فلما نجَّاهُم إلى البر إذا هم يشركون﴾ (العنكبوت/٦٥) وقال تعالى: ﴿وهو الذي يُسَيِّرُكُم في البَرِّ والبَحْرِ حتى إذا كنتم في الفلكِ وَجَرَيْنَ بهم بريحٍ طيبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصِف وجاءهم الموجُ من كلِّ مكانٍ وظنّوا أنَّهم أحيطَ بهم دعوا الله مخلصين له الدِّينَ لئن أنجيتَنا من هذهِ لنكونَنَّ من الشاكرينَ. فلما نجّاهُم إذا هم يَبْغُونَ في الأَرْضِ بغير الحق﴾ (يونس/٢٢) وقال تعالى: ﴿قل من ينجّيكم مِنْ ظلماتِ البَرِّ والبَحْرِ تدعونَه تضرُّعاً وخفيةً لئن أنجيتَنا من هذهِ لنكونَنَّ من الشاكرين، قل الله ينجِّيكُم منها ومن كل كَرْبٍ ثم أنتم تشركون﴾ (الأنعام/٦٣) وقال تعالى: ﴿وإذا مَسَّ الإنسانُ ضُرٌّ دعا ربهُ منيباً إليه، ثم إذا خوَّلَهُ نعمةً مِنْهِ نسيَ ما كانَ يدعو إليهِ مِنْ قَبْلُ وجعلَ لله أنداداً لِيُضِلَّ عن سبيله﴾ (الزمر/٨) وقال تعالى: ﴿وإذا مَسَّ الناسُ ضُرٌّ دعوا رَبَّهُمْ منيبينَ إليه ثم إذا أذاقَهمْ منه رحمةً إذا فريقٌ منهم بربِّهم يشركون﴾ (الروم/٣٣) وقال تعالى: ﴿وإذا مَسَّكُم الضُرُّ في البَحْر ضَلَّ من تدعونَ إلا إيَّاهُ، فلما نجَّاكُم إلى البَرِّ أعرضتم وكانَ الإنسانُ كفورا﴾ (الإسراء/٦٧) الآيات، وقال تعالى: ﴿قل أرأيتَكُم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكُم الساعةُ أغيرَ الله تدعونَ إن كنتم صادقين. بل إيّاهُ تدعونَ فيكشِفُ ما تدعونَ إليهِ إن شاءَ وتَنْسوْن ما تشركون﴾ (الأنعام/٤٠ ـ ٤١) وغير ذلك من الآيات. وفي حديث حصين المتقدم لما قال له النبي ﷺ: «كم تعبد اليوم من إليه» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فمن تعبد لرغبتك ورهبتك» قال: الذي في السماء[1]. ولما ركب بعض مشركي قريش فاراً من النبي ﷺ

(١) تقدم ذكره.

حين فتح مكة فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم من هذا إلا هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلا هو فإنه لا ينفع في البر إلا هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبن إلى رسول الله ﷺ فلأضعن يدي في يده[1]. وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عباد القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الولي في الرخاء ببعير أو تبيع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك. وأيضاً فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا الله. وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى الله وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون له شريك في الملك أو ولي من الذل: ﴿**لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا ـ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كانَ مَعَه من إله إذا لذهب كل إله بما خَلَقَ ولعلا بعضُهم على بعض سبحان الله عمَّا يصفون. عالمُ الغَيْبِ والشهادةِ فتعالى عما يشركون ـ قل لو كانَ مَعَهُ آلهةٌ كما يقولونَ إذا لابتغوا إلى ذي العرشِ سبيلاً، سبحانَه وتعالى عما يقولونَ علوّاً كبيراً. تسبِّحُ له السمواتُ السَبْعُ والأرضُ ومن فيهنَّ وإنْ من شيءٍ إلا يسبِّحُ بحمدِه ولكنْ لا تفقهونَ تسبيحَهم إنَّه كانَ حليماً غفوراً**﴾ وغير ذلك من الآيات.

يقصده عند نزولِ الضُرِّ ... لجلبِ خيرٍ أو لدفع الشَرِّ
أو عند أي غرض لا يقدر ... عليه إلا المالكُ المقتدرُ
مع جعلهِ لذلك المدعو ... أو المعظم أو المرجو
في الغيبِ سلطاناً به يطلع ... على ضميرٍ من إليه يفزع

(١) الصحابي هو عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه وحديثه رواه النسائي (٧/١٠٥ (١٠٦) في تحريم الدم، باب الحكم في المرتد. من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وسنده حسن.

(**يقصده**) أي المتخذ ذلك الند من دون الله يقصد نده (**عند نزول الضر**) به من خير فاته أو شر دهمه (**لجلب خير**) له (**أو لدفع الشر**) عنه (**أو عند**) احتياج (**أي غرض**) من الأغراض، والحال أنه (**لا يقدر عليه**) أي على ذلك الغرض (**إلا المالك المقتدر**) وهو الله سبحانه وتعالى (**مع جعله**) أي العبد (**لذلك المدعوّ أو المعظم أو المرجوّ**) من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جني (**في الغيب سلطاناً**) أي يعتقد أن له سلطاناً غيبياً فوق طوق البشر (**به يطلع**) أي بذلك السلطان الذي اعتقده فيه (**على ضمير من إليه**) إلى ذلك الند (**يفزعُ**) في قضاء أي حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو غير ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه ويرى مكانه ويعلم حاجته ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع الله، والمقصود أنه يثبت له من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة العبودية، ويجعله مستحقاً العبادة مع الله. ومن هنا يتبين لك ما قدمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولا بد، ويتبين لك عظم ذنب الشرك وأنه أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر، وأن الله تعالى لا يغفره ولا يقبل لأحد معه عملاً وأنه لا أشد هلكة منه، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، وما هلكت الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك والاباء عن التوحيد، ولا نجا الرسل وأتباعهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة إلا بالتزام التوحيد والبراءة من الشرك، فما هلك قوم نوح بالطوفان، ولا عاد بالريح العظيم ولا ثمود بالصيحة ولا أهل مدين بعذاب يوم الظلة إلا بالشرك وعبادة الأصنام، وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب، ولم يخرج عصاة الموحدين من النار في الآخرة إلا بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبداً مؤبداً إلا بالشرك.

ثم اعلم أن ما عبد من دون الله إما عاقل أو غير عاقل، فالعاقل كالآدمي والملائكة والجن. وينقسمون إلى قسمين: راض بالعبادة، له، وغير راض بها. فالأول كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم كما قال الله عز وجل: ﴿**إذ تبرأ الذينَ اتُّبِعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذي اتَّبعوا لو أن لنا كرةً فنتبرأ منهم كما تبرؤا**

مِنَّا، كذلك يريهُمُ الله أعمالَهُمْ حسرات عليهم وما هم بخارجينَ من النار﴾ (البقرة/١٦٦) وقال تعالى في شأن إبليس: ﴿لأملأنَّ جَهَنَّم مِنْكَ ومِمَّنْ تَبعكَ منهمْ أجمعين﴾ (ص/٨٥)، وقال في شأن فرعون: ﴿يقدُمُ قومَه يومَ القيامةِ فأوردهم النار وبِئْس الوردُ المورود﴾ (هود/٩٨) وقال تعالى: ﴿وقالَ الذينَ كفروا ربَّنا أرنا اللَّذَيْن أضلانا مِنَ الجنِّ والإنسْ نجعلهما تحت أقدامِنا ليكونا مِنَ الأسفلين﴾ (فصلت/٢٩) وقال تعالى: ﴿ويومَ يحشرهم جميعاً يا معشرَ الجنِّ قد استكثرتُم مِنَ الإنْس، وقال أولياؤهُم مِنَ الإنْس رَبَّنا استَمْتَع بعضُنا ببعضٍ وبلغنا أَجَلَنا الذي أَجَّلْتَ لنا. قال النّارُ مثواكُم خالدين فيها إلا ما شاءَ الله﴾ (الأنعام/١٢٨) وغير ذلك من الآيات.

والقسم الثاني وهو من كان مطيعاً لله وغير راض بالعبادة له من دون الله كعيسى ومريم وعزيز والملائكة وغيرهم فهم برآء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿إذ قالَ الله يا عيسى بن مريمَ أأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتخذوني وأميَ إلهينِ مِن دونِ الله، قال سبحانَكَ ما يكونُ لي أن أقولَ ما لَيْس لي بحقٍّ، إنْ كنتُ قلتُه فَقَدْ علمتَه، تعلمُ ما في نفسي ولا أَعْلَمُ ما في نفسِكَ، إنّكَ أَنْتَ علاّمُ الغيوب﴾ (المائدة/١١٦) إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن الملائكة: ﴿ويوم يحشُرُهم جميعاً ثم يقولُ للملائكةِ أهؤلاءِ إيّاكُم كانوا يعبدون. قالوا سبحانَكَ أَنْتَ وليُّنا من دونِهِمْ بل كانوا يعبدونَ الجِنَّ أكثرهم بهم مؤمنون﴾ (سبأ/٤٠)، وقال تعالى في شأن كل من عبد من دون الله تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من أولياء الله مطلقاً إلى يوم القيامة: ﴿ويوزمَ يحشُرُهُم وما يعبدونَ من دونِ الله فيقولُ أأنتمْ أضللتمْ عبادي هؤلاءِ أم هم ضَلّوا السبيلَ، قالوا سبحانَك ما كانَ ينبغي لنا أَنْ نتّخِذَ من دونك من أولياءَ ولكن متَّعتَهمْ وآباءَهم حتى نسوا الذكرَ وكانوا قوماً بوراً. فقد كذبوكُم بما تقولونَ فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً﴾ (الفرقان/١٧ ـ ١٩) الآية وغيرها من

الآيات. وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى: ﴿**إنَّكُم وما تعبدونَ من دونِ الله حصبُ جهنَّمَ أنتم لها واردون. لو كانَ هؤلاء آلهة ما وردوها وكلٌّ فيها خالدون**﴾ (الأنبياء/٩٨ ـ ٩٩) ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله كما قال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا قوا أنفسكُم وأهليكُم ناراً وقودُها الناسُ والحجارة**﴾ (التحريم/٦) الآية، وكما يعذب عبد الدينار والدرهم بهما كما قال الله عز وجل: ﴿**والذين يكنزونَ الذَّهَبَ والفضةَ ولا ينفقونَها في سبيلِ الله فبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليم. يوم يُحمى عليها في نَارِ جَهَنَّم فتكوى بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورُهُم هذا ما كنزتم لأنفسكُم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾ (التوبة/٣٤ ـ ٣٥).

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في الشفاعة بطوله وفيه: «ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم»[1] وفيه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت»[2] الحديث. وفي حديث الصور الطويل: ألا ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عَبَد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى. ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول تعالى: ﴿**لو كانَ هؤلاءِ آلهة ما ورودها وكل فيها خالدون**﴾[3]، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الدارقطني والطبراني وعبدالله بن أحمد وغيرهم من المصنفين

---

(١) تقدم ذكره.
(٢) تقدم ذكره.
(٣) سيأتي بطوله وكلام الأئمة عليه.

في السنة عن رسول الله ﷺ الحديث بطوله. وفيه: «ثم ينادي أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا. قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته»[1] الحديث. قلت وقوله: «يمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون» ألخ هذا في مثل عيسى وعزير. وأما عبدة الطاغوت فتقودهم طواغيتهم حقيقة لا أشباهها كما صرح به الكتاب والسنة. والله أعلم.

[الشرك الأصغر]

والثان شرك أصغر وهو الريا فسره به ختام الأنبيا

(و) النوع (**الثان**) من نوعي الشرك (**شرك أصغر**) لا يخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب (**وهو الريا**) اليسير في تحسين العمل (**فسره به**) أي فسر الشرك الأصغر بالرياء (**ختام الأنبيا**) محمد ﷺ في قوله: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»[2] وبذلك فسر قول الله عز وجل: ﴿**فمن كان يرجو لقاءَ ربِّهِ فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادةِ ربِّه أحداً**﴾ (الكهف/١١٠) وعن شهر بن حوشب قال جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويحج يبتغي

---

(١) سيأتي بطوله.

(٢) رواه أحمد (٥/٤٢٨ و٤٢٩) وابن حبان (ح ٢٤٩٩) والبغوي في شرح السُنة (ح ٤١٣٥) وإسناده على شرط مسلم. من حديث محمود بن لبيد.

وجه الله ويحب أن يحمد؟ فقال عُبادة: ليس لـه شيء، إن الله تعالى يقـول: أنا خير شريك، فمن كان لـه معي شرك فهـو له كله لا حـاجة لي فيـه[1]. وعن أبي سعيـد الخدري رضي الله عنـه قال: قـال رسول الله ﷺ: «ألا أخبـركم بمـا هـو أخـوف عليكم من المسيح عنـدي؟ قال قلنـا بلى. قال الشـرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمقام الرجل» رواه أحمد[2]. وفيـه رواية: «يتـوم الرجـل فيصـلي فيزين صلاتـه لما يـرى من نظر رجـل إليه»[3]. ولـه عن شداد بن أوس رضي الله عنـه قال: إن أخـوف ما أخـاف عليكم أيهـا النـاس لمـا سمعت رسـول الله ﷺ يقول: «من الشهوة الخفية والشرك» فقال عبادة بن الصـامت وأبو الـدرداء: اللهم غفراً، ألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قـد يئس أن يعبد في جـزيرة العرب. أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتهـا، فما هذا الشرك الذي تخـوفنا بـه يا شـداد؟ فقال شـداد: أرأيتكم لو رأيتم رجـلاً يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق، أترون أنه قـد أشرك؟ قـالوا: نعم والله، إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق لـه لقد أشـرك. فقال شـداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشـرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك». قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل مـا خلص منه، ويـدع ما أشـرك به؟ فقال شداد عند ذلك: فأني سمعت رسول الله ﷺ يقـول: «إن الله تعالى يقـول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، من أشرك بي شيئاً فإن عمله قليله وكثيره لشريكـه الـذي أشرك بـه، أنا عنـه غني»[4]. وله عنـه رضى الله عنـه أنـه بكى فقيـل: مـا يبكيك؟ قال: شيء سمعتـه من رسول الله ﷺ فـأبكاني، سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «أتخوف على أمتي الشـرك والشهوة الخفيـة» قلت: يا رسـول الله أتشرك

---

(١) رواه ابن أبي حـاتم في تفسيره (ابن كثيـر ٣/١١٤) وشهر بن حـوشب. صاحب أوهـام ويرسـل. ورواه الطبري في تفسيره (١٦/٤٠).

(٢، ٣) أحمد (٣/٣٠) وابن ماجـه (٢/١٤٠٦/ ح ٤٢٠٤) في الزهـد، باب الـريـاء والسمعـة. وسنـده حسن.

(٤) أحمد (٤/١٢٥ ـ ١٢٦) وفيه شهر بن حوشب وللحديث شواهد عِدّة صحيحة.

أمتك من بعدك؟ قال: «نعم، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراءون بأعمالهم. والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه» ورواه ابن ماجه[1]. وللبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: أنا خير شريك، من أشرك بي أحداً فهو له كله»[2] ولأحمد عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك»[3]. وله عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء. يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[4]. وله عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري ـ وكان من الصحابة ـ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك» أخرجه الترمذي وابن ماجه[5]. ولأحمد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى

---

(١) أحمد (٤/١٢٤) وابن ماجه قريباً منه (٢/١٤٠٦/ ح ٤٢٠٥) في الزهد، باب الرياء والسمعة.
وسند أحمد فيه عبد الواحد بن زياد وهو ضعيف فيه مقال شديد (تعجيل المنفعة ت ٦٧٤).
وتابعه عند ابن ماجه الحسن بن ذكوان وسنده فيه عامر بن عبدالله وهو لين الحديث.

(٢) البزار (ابن كثير ٣/١١٥) ومسلم (٤/٢٢٨٩/ ح ٢٩٨٥) في الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله. وابن ماجه (٢/١٤٠٥/ ح ٤٢٠٢) في الزهد، باب الرياء والسمعة.

(٣) أحمد (٢/٣٠١) وسنده حسن.

(٤) تقدم وأن إسناده على شرط مسلم.

(٥) أحمد (٤/٢١٥) والترمذي (٥/٣١٤/ ٣١٥٤) في التفسير تفسير سورة الكهف وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر.
وابن ماجه (٢/١٤٠٦/ ح ٤٢٠٣) في الزهد، باب الرياء والسمعة.
وابن حبان (الإحسان ٩/٢١٩/ ح ٧٣٠١).
وفي سنده زياد بن مينا. قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن). قال ابن المديني: إسناده صالح يقبله القلب.

راءى الله بـه»[1]. وله عن أبي سعيـد الخدري رضي الله عنـه عن رسـول الله ﷺ قال: «من يرائي يرائي الله به، ومن يسمِّع يسمِّع الله بـه»[2]. وله عن عبـدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنـه سمع رسـول الله ﷺ يقول: «من سمَّـع الناس بعلمـه سمَّع الله به مسامع خلقه وصغره وحقره» فذرفت عينا عبدالله[3]. وللبزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة، فيقول الله: ألقوا هذا، وأقبلوا هـذا. فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلا خيراً. فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبـل اليوم من العمـل إلا ما أريـد به وجهي»[4] ولـوهب عن عبدالله بن قيس الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس»[5]. ولأبي يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «من أحسن الصلاة حيث يراه النـاس وأساءهـا حيث يخلو فتلك استهانـة استهان بها ربه عز وجل»[6].

[الرياء والنفاق]

ثم اعلم أن الـرياء قـد أطلق في كتاب الله كثيـراً ويراد بـه النفاق الـذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الـدرك الأسفل من النـار كما قـال تعالى: ﴿كالذي يُنْفِقُ

---

(١) أحمد (٥/٤٥) وسنده صحيح.

(٢) أحمد (٣/٤٠) وابن ماجه (٢/١٤٠٧/ ح ٤٢٠٦) في الزهد، باب الرياء والسمعة.
وفيه عطية العوفي وهـو ضعيف وله شـواهد صحيحـة كالـذي قبله. وهو عنـد البخاري ومسلم من حديث جندب رضي الله عنه.

(٣) أحمد (٢/١٦٢) (٢/١٩٥) وفي سنده رجـل مبهم ورواه الطبراني في الكبير وسمّى الـرجل وهـو خيثمة بن عبدالرحمن فإسناده صحيح.

(٤) البزار (ابن كثير في تفسيره ٣/١١٦) وفيه الحـارث بن غسان قـال عنه الـذهبي مجهول (الميـزان ١/٤٤١) وقال ابن حجر: وحـديثه في الـرياء لا يتـابع عليـه (اللسان ٢/١٥٦) ورواه العقيلي في الضعفاء الكبير (١/٢١٨). وقال: حَدّث بمناكير.

(٥) رواه الطبراني في الكبير (المجمع ١٠/٢٢٦) من رواية يزيد بن عياض عن عبـدالرحمن الأعـرج عنه به مرفوعاً ويزيد بن عياش متروك والحديث له شواهد حسنة. وانظر ابن كثير (٣/١١٦).

(٦) أبـو يعلى (٩/٥٤) وسنده ضعيف فيـه إبراهيم بن مسلم الهجـري وهو ضعيف ورواه البيهقي في الصلاة (٢/٢٩٠) من طريقه.

مالَهُ رئاءَ النّاسِ ولا يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فمثَلُهُ كمثَلِ صفوانٍ عليهِ ترابٌ فأصابَهُ وابِلٌ فتركَهُ صلْداً لا يقدرونَ على شيءٍ مِمّا كسبوا، والله لا يهدي القومَ الكافرين﴾ (البقرة/٢٦٤) وقال تعالى: ﴿والذين ينفقونَ أموالَهُمْ رئاءَ النّاسِ ولا يؤمنونَ بالله ولا باليومِ الآخِرِ ومن يَكُنِ الشيطانُ لَهُ قريناً فساءَ قريناً﴾ (النساء/٣٨)وقال تعالى: ﴿إنَّ المنافقينَ يخادِعونَ الله وَهُوَ خادِعُهم وإذا قاموا إلى الصّلاةِ قاموا كسالى يراءونَ النّاسَ ولا يذكرونَ الله إلا قليلاً﴾ (النساء/١٤٢) وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء، ومنها ما يصرح بمعناه دون لفظه كقوله تعالى: ﴿وإذا لَقُوا الذينَ آمنوا قالُوا آمنّا، وإذا خَلَوْا إلى شياطينِهِمْ قالوا إنّا مَعَكُم إنّما نَحْنُ مُسْتهزِئونَ﴾ (البقرة/١٤) والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها. والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سماه النبي ﷺ شركاً أصغر خفياً هو حديث: «الأعمال بالنيات» وهو ما رواه الشيخان عن عمر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكلِّ امرءٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُهُ إلى الله ورسولِهِ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]، فالنية هي الفرق في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أطلقت النية في القرآن بلفظ الابتغاء وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله وكان موافقا للشرع فذلك العمل الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل فذلك النفاق الأكبر، سواء في ذلك من يريد به جاهاً ورئاسة وطلب دنيا، ومن يريد حقن دمه وعصمة ماله وغير ذلك، فهذان ضدان ينافي أحدهما الآخر لا محالة. قال الله عز وجل: ﴿ومن يُرِدْ ثوابَ الدُّنيا نؤتِهِ منها، ومن يرد ثوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ منها﴾ (آل عمران/١٤٥) وقال تعالى: ﴿من كانَ يريدُ العاجِلةَ عجَّلنا لَهُ فيها ما نشاءُ لمنْ

---

(١) البخاري (١/٩) في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.
ومسلم (٣/١٥١٥/ ح ١٩٠٧) في الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وجماعة عِدّة من الأئمة في مصنفاتهم.

نريدُ ثمَّ جعلنا لَهُ جَهَنَّم يصلاها مذموماً مدحوراً. ومن أرادَ الآخِرةَ وسعى لها سَعْيها وَهُوَ مؤمنٌ فأولئِكَ كانَ سَعْيُهم مشكوراً﴾ (الإسراء/١٨ ـ ١٩) وقال تعالى: ﴿من كانَ يريدُ الحياةَ الدُّنيا وزينَتها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وَهُم فيها لا يُبْخَسونَ. أولئِكَ الذين لَيْسَ لهم في الآخِرَةَ إلا النّار وَحَبطَ ما صنعوا فيها وباطِلٌ ما كانوايَعملون﴾ (هود/١٥ ـ ١٦) وقال تعالى: ﴿مَنْ كان يريدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ له في حَرْثِهِ، ومن كانَ يريدُ حَرْثَ الدنيا نؤتِهِ منها وما لَهُ في الآخرةِ من نصيب﴾ (الشورى/٢٠) وقال تعالى يثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعمونَ الطّعامَ على حُبِّهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنَّما نطعِمُكُمْ لوجْهِ الله لا نريدُ مِنْكُم جزاءً ولا شكوراً﴾ (الإنسان/٨ ـ ٩) وقال: ﴿إلا ابتغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلى﴾ (الليل/٢٠) وغير ذلك من الآيات. وإن كان الباعث على العمل هو إرادة الله عز وجل والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وفسره بالرياء العملي، وزاده إيضاحاً بقوله: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه»[1]، وهذا لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص من العمل بقدره، وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله. اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئاً. وأمّا حديث أبي موسى رضي الله عنه في الصحيح قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجلُ يقاتِلُ للمغنَمِ، والرجُلُ يقاتِل للذكر، والرجل يقاتِل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[2] فهذا الحديث يحتمل المعنيين، وتعينه لأحدهما النية، فإن كان أصل العمل لغير الله فهو النفاق، وإن كان أصله لله وأحب مع

---

(١) تقدم قبل قليل وأن سنده حسن.

(٢) البخاري (٢٧/٦) في الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. وباب من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره شيء. وفي العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً. وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾.
ومسلم (١٥١٢/٣/ ح ١٩٠٤) في الامارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ذلك أن يذكر ويثنى عليه بـه فهو المعنى الـذي سبق في حديث عبـادة رضي الله عنـه في الرجـل: «يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمـد» الحديث وفي آخـره قال: «ليس له شيء»[1]. والله تعالى أعلم.

[الحلف بغير الله]

ومنـه إقسـام بغيـر البـاري كمـا أتى في محكم الأخبـار

أي ومن الشـرك الأصغر الـذي لا يخرج من الملة (**أقسـام**) مصدر أقسم أي الحلف (**بغير الباري**) كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلـك، كما في الصحيح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسيـر في ركب يحلف بأبيـه، فقال: «ألا إنَّ الله ينهـاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[2] وفي روايـة قال عمـر: فوالله مـا حلفت بها منـذ سمعت النبي ﷺ ذاكـراً ولا آثـراً[3]. متفق عليـه. ولأبي داود والنّسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بـأمهاتكم ولا بالأندادِ، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[4]. ولأحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسـول الله ﷺ: «من كان حـالفاً فـلا يحلف إلا بالله»[5]. وللنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا إلَّا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[6]. وسمع ابن عمر رضي الله

---

(١) تقدم وأن فيه شهر بن حوشب وأنه من روايته عن عبادة.

(٢، ٣) البخاري (١١/ ٥٣٠) في الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم وفي الشهادات، بـاب كيف يستحلف، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب أيام الجاهليّة وفي الأدب، باب من لم يـر إكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً وغيرها.
ومسلم (٣/ ١٢٦٦/ ح ١٦٤٦) في الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى.

(٤) أبـو داود (٣/ ٢٢٢/ ح ٣٢٤٨) في الأيمان والنـذور، بـاب كـراهيـة الحلف بـالآبـاء، والنسـائي (٧/ ٥) في الأيمان، باب الحلف بالأمهات. وإسناده صحيح.

(٥) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي (٧/ ٥) في الأيمان والنذور، باب الحلف بالآباء. وهو الحديث الـذي تقدم قبـل قليل عن ابن عمـر رضي الله عنهما عنـد سمـاع النبي ﷺ عمـر رضي الله عنـه يحلف بأبيه.

(٦) أخرجه أبو داود والنسائي وهو الحديث الذي تقدم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عنهما رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر» أو «أشرك»، أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه[1]. وعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من حلف بالأمانة رواه أبو داود[2]. وفي الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلاً يحلف بالأمانة فقال: «ألست الذي يحلف بالأمانة»[3]. وعن قتيلة بنت صفي أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، ويقول أحدهم: «ما شاء الله ثم شئت» رواه أحمد والنسائي وصححه وابن ماجه[4]. وقد ثبت في كفارة الحلف بغير الله حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزَّى فليقل لا إله إلا الله»[5]. ومن الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشئت، كما روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده»[6]. ولأبي داود بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان،

---

(١) أبو داود (٣/٢٢٣/ ح ٣٢٥١) في الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالآباء.
والترمذي (٤/١١٠/ ح ١٥٣٥) في الأيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله.
وأحمد (ح ٤٩٠٤ و٥٢٢٢ و٥٢٥٦ و٥٣٤٦ و٥٣٧٥). والحاكم (٤/٢٩٧) والحديث صحيح.

(٢) أبو داود (٣/٢٢٣/ ح ٣٢٥٣) في الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة وأحمد (٥/٣٢٥) وإسناده صحيح.

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات (المجمع ٤/١٨١).

(٤) أحمد (٦/٣٧١ - ٣٧٢).
والنسائي (٧/٦) في الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة.
وابن ماجه (١/٦٨٥/ ح ٢١١٨) في الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت وإسناده صحيح.

(٥) البخاري (١١/٥٣٦) في الأيمان، باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت وغيره.
ومسلم (٣/١٢٦٧/ ح ١٦٤٧) في الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله.

(٦) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٩٨٨) وإسناده صحيح.
وأخرجه ابن ماجه (ح ٢٢١٧) وأحمد (ح١٨٣٩ نسخة أحمد شاكر).

ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»[1] وتقدم في ذلك حديث قتيلة، والفرق بين الواو وثم أنه إذا عطف بالواو كان مضاهياً مشيئة الله بمشيئة العبد إذ قرن بينهما، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿**وما تشاؤونَ إلاّ أَنْ يشاءَ الله**﴾ (الإنسان/٣٠) ومثله قول: لولا الله وفلان هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان، ذكره إبراهيم النخعي. ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿**فلا تجعلوا لله أَنْداداً وأنتم تَعلمون**﴾ (البقرة/٢٢) قال: الأندادُ هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك[2].

فصل

في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه وبيان المشروع من الرقى والممنوع منها، وهل تجوز التمائم

هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضر إليها كان ذلك شركاً أكبر والعياذ بالله، لأنه حينئذ صار متوكلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره.

ومن يثق بودعةٍ أو ناب ... أو حلقةٍ أو أعينِ الذئابِ
أو خَيطِ أو عضوٍ من النسورِ ... أو وترٍ أو تربةِ القبورِ
لأي أَمْرِ كائن تعلقه ... وكله الله إلى ما علقه

---

(١) (٤/ ٢٩٥/ ح ٤٩٨٠) في الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي وإسناده صحيح.
(٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ١/ ٦١) وإسناده حسن.

(**ومن يثق**) هذا الشرط جوابه (**وكلهُ**)الآتي:

(**بودعة**) قال في النهاية هو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم. وإنما نهى عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين[1].

(**أو ناب**) كما يفعله كثير من العامة يأخذون ناب الضبع ويعلقونه من العين.

(**أو حلقة**) وكثيراً ما يعلقونها من العين وسيأتي في الحديث أنهم يعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد.

(**أو أعين الذئاب**) وكثيراً ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفرّ منها، ومنهم من يقول إنه إذا وقع بصر الذئب على جني لا يستطيع أن يفر منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم.

(**أو خيط**) وكثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقدونه فيه عقداً بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرهم يقرأ عليه سورة: ﴿**أَلَمْ نشرحْ لَكَ صدرك**﴾ (الإنشراح/١) إلى آخرها، ويعقد عند كل كاف منها عقدة، فيجتمع في الخيط تسع عقد بعدد الكافات، ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه.

(**أو عضو من النسور**) كالعظم ونحوه يجعلونها خرزاً ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين.

(**أو وتر**) وكانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه وعلقوه يزعمون عن العين على الصبيان والدواب.

(**أو تربة القبور**) وما أكثر من يستشفى بها لا شفاهم الله، واستعمالهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك. وهذا كله ناشيء عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته فزعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه بل قيل له إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان. وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/١٦٨).

العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم. نسأل الله العافية.

(لأي أمر كائن تعلقه) الضمير عائد إلى ما تقدم وغيره **(وكله الله)** أي تركه **(إلى ما علقه)** دعاء عليه أي لا حفظه الله ولا كلأه بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿**وما يؤمِنُ أَكْثَرُهُم بالله إلاّ وهمْ مشركون**﴾ (يوسف/١٠٦) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» رواه أحمد[١]. وله عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «ما هذا؟» قال: من الواهنة، فقال: «أنزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً»[٢] ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿**وما يؤمِنُ أكثرهُم بالله إلا وَهُمْ مشركون**﴾ (يوسف/١٠٦)[٣] وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت»[٤]. وعن رويفع رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً برىء منه» رواه أحمد[٥]. وله عن عبدالله بن

---

(١) أحمد (٤/١٥٤) وأبو يعلى والطبراني في الكبير (١٧/٢٩٧/ح ٨٢٠) والحاكم (٤/٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي قال المنذري: إسناده جيد. قلت فيه خالد بن عبيد المعافرين: لم يوثقه إلا ابن حبان. ولكن صح من حديثه بلفظ: من تعلق تميمة فقد أشرك رواه أحمد (٤/١٥٦) والحاكم (٤/٢١٩)

(٢) أحمد (٤/٤٤٥) وابن ماجه (٢/١١٦٧/ ح ٣٥٣١) في الطب باب في تعليق التمائم والطبراني في الكبير (١٨/١٧٢/ح/٣٩٢) وابن حبان (الإحسان ٧/٦٢٨) وإسناده فيه المبارك بن فضالة وهو لين الحديث من رواية الحسن عن عمران ولم يسمع منه. وله شواهد عِدّة.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تيسر العزيز الحميد (ص ١٦٠) من حديث عروة بن الزبير عن حذيفة ولا يعرف له سماع منه.

(٤) البخاري (٦/١٤١) في الجهاد، باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل.
ومسلم (٣/١٦٧٢/ ح ٢١١٥) في اللباس، باب كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير.

(٥) أحمد (٤/١٠٨، ١٠٩) وأبو داود (١/ ٩ - ١٠/ ح ٣٦) والنسائي (٨/١٣٥) في الزينة، باب=

عكيم مرفوعاً «من علق شيئاً وكل إليه» ورواه الترمذي[1]. وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير. قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً. فقال: ما هذا الخيط؟ قالت قلت: خيط رقي لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» قالت قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب الناس رَبَّ الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» رواه أحمد[2]، وروى جملة الدلالة منه على الباب أبو داود[3]، أعني الجملة المرفوعة إلى النبي ﷺ. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: الرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة، والتمائم شيء يلقونه على الأولاد عن العين، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ا. هـ.[4]. وقوله في الرقى: وخص منها الدليل ما خلا عن الشرك الخ يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

= عقد اللحية. وإحدى أسانيد أحمد فيه ابن لهيعة. وسنده عندهما صحيح.

(١) أحمد (٤/ ٣١٠) والترمذي (٤/ ٤٠٣/ ح ٢٠٧٣) في الطب، باب ما جاء في كراهية التعليق. وعبدالله بن عكيم أدرك النبي ﷺ ولم يره (التهذيب ٥/ ٢٨٣) وقال الترمذي: وحديث عبدالله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى.
(ومحمد سيء الحفظ جداً).
وقال: وفي الباب عن عقبة بن عامر.
قلت: قد تقدم فالحديث صحيح لشواهده.

(٢، ٣) أحمد (١/ ٣٨١) ورواه أبو داود (٤/ ٩/ ح ٣٨٨٢). في الطب، باب في تعليق التمائم. وإسناده حسن.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ١٣٣).

[الكلام على الرقى]

ثم الـرقى من حمَّـةٍ أو عـينٍ فـإن تكن من خالص الـوحيين
فـذاك من هدى النبي وشـرعته وذاك لا اختـلاف في سنتيـه

(**ثم الرقى**) إذا فعلت (**من حمة**) وهي تطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب وغيرها (**أو عين**) وهي من الإنس كالنفس من الجن وهي حق ولها تأثير، لكن لا تأثير لها إلّا بإذن الله عز وجل، وقال الله تعالى: ﴿**وإنْ يكاد الذين كفروا ليزلقونَكَ بأبصارِهم**﴾ (القلم/٥١) الآية فسره بأصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما[١]. وفي تحقيقها أحاديث: ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «العين حق. ولو كانشيءسابقَ القدرِ سبقت العين. وإذا استُغسلتم فاغسلوا»[٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق» أخرجاه[٣]، ولأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق»[٤]. ولأحمد عنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم»[٥]. وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أصدق الطِّيَرَة الفأل، والعين حق»[٦]. وله هو والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أسماء رضي الله عنها

---

(١) الطبري (٢٩/٢٩) وابن كثير (٤/٤٣٦).
(٢) مسلم (٤/١٧١٩/ ح ٢١٨٨) في السلام، باب الطب والمرض والرقي.
(٣) البخاري (١٠/٢٠٣) في الطب، باب العين حق، وفي اللباس، باب الواشمة.
ومسلم (٤/١٧١٩/ ح ٢١٨٧) في السلام، باب الطب والمرض والرقي.
(٤) أحمد (٢/٤٨٧) وابن ماجه (٢/١١٥٩/ ح ٣٥٠٧) في الطب، باب العين.
وفي سنده مضارب بن حزن قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن). قلت: قد توبع مع توثيق ابن حبان والعجلي وقد روى عنه جماعة فحديثه حسن إن شاء الله تعالى. والحديث له شواهد وقد تقدم منها.
(٥) أحمد (٢/٢٣٩) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (المجمع ٥/١١٠).
قلت: نعم ولكنه مقطوع فهو من رواية مكحول عن أبي هريرة ولم يلقه. والشطر الأول صحيح لشواهده.
(٦) أحمد (٢/٢٨٩ ـ ٤٨٧) والسند الأول من رواية محمد بن قيس المدني قاص عمر بن عبدالعزيز =

قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم، فلو كان يسبق القدر لسبقته العين»[1] ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا هام، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل»[2]. وله عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة ـ أخو بني عدي بن كعب ـ وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبَّأة. فلبط سهل، فأُتيَ رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه ولا يفيق؟ قال: هل تتهمون فيه من أحد؟» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة. فدعا رسول الله ﷺ عامراً، فتغيظ عليه وقال: «علام يقتل أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك بركت» ثم قال له: «اغتسل له» فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس[3]. وله عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال فانطلقا يلتمسان الخَمَرَ، قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في

= عن أبي هريرة وهو مرسل والثاني قد تقدم وأنه حسن والحديث له شواهد عِدّة صحيحة وقد تقدم بعضها.

(١) أحمد (٦/٤٣٨) والترمذي (تحفة الأحوذي: ٦/٢١٩ ـ ٢٢٠/ ح ٢١٣٦ ـ ٢١٣٧). في الطب، باب ما جاء في الرقية من العين، وابن ماجه (٢/١١٦٠/ ح ٣٥١٠) في الطب، باب من استرقى من العين. والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ح ١٥٧٥٨). والحديث حسن فيه عبيد بن رفاعة روى عنه عِدّة ووثقه ابن حبان والعجلي.

(٢) أحمد (٥/٧٠) وفيه حيّة بن حابس التميمي قال عنه الحافظ مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن) وسنده فيه اضطراب أنظر الإصابة (١/٢٧٢ في ترجمة حابس بن ربيعة والصحيح في الحديث أنه عن حابس لا عن أبي هريرة وقد رواه أحمد (٥/٧٠) وأبو داود (ح ٢٠٦٢) وغيرهم. والحديث له شواهد عِدّة.

(٣) أحمد (٣/٤٨٦ ـ ٤٨٧) وسنده صحيح ورواه مالك في الموطأ (٢/٢٢٨) وابن ماجه (٣٥٠٩) وعبد الرزاق (١٩٧٦٦) والطبراني (ح ٥٥٧٥ وغيره).

الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثاً فلم يجبني، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها» قال فقام، فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه، فليبرك، فإن العين حق»[1]. وله عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد، والعين حق»[2] وغير ذلك من الأحاديث المصرحة بأن العين حق، وسنذكر بعضها أيضاً في شرعية الرقى منها وغيرها.

ولنرجع إلى المقصود من شرح المتن: **(فإن تكن)** أي الرقي **(من خالص الوحيين)** الكتاب والسنة، وإضافة خالص إلى الوحيين من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى من الوحي الخالص بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعبذين، ولا يكون بغير اللغة العربية، بل يتلو الآيات على وجهها والأحاديث كما رويت وعلى ما تلقيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز، **(فذلك)** أي الرقي من الكتاب والسنة هو **(من هدي النبي)** ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان، **(و)** من **(شرعته)** التي جاء بها مؤدياً عن الله عز وجل. **(وذاك)** معطوف على ذاك الأول، والمشار إليه بهما واحد ولكن الخبر في الثاني غير الخبر في الأول فيكون من عطف الجملة على الجملة، والخبر (لا اختلاف في سنيته) بين أهل العلم إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله وتقريره فرقاه جبريل عليه السلام ورقى هو ﷺ أصحابه وأمر بها وأقر عليها. ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك وبالله التوفيق:

قال البخاري رحمه الله تعالى: باب الرقى بالقرآن والمعوذات ، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض

---

(١) أحمد (٤٤٧/٣) وفيه أميّة بن هند بن سهل قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن). والحديث صحيح لشواهده كالذي تقدم. ولم يعزه في المجمع إلى أحمد مع عزوه للطبراني (المجمع ١١١/٥).

(٢) أحمد (٢٢٢/٢) وفيه هشام بن أبي رقية لم يوثقه غير ابن حبان (تعجيل المنفعة ت ١١٣٦) وروى عنه عِدّة: فالحديث حسن مع أن له شواهد عِدّة. =

الـذي مات فيـه بالمعـوذات، فلما ثقـل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسـه لبركتها[1]، ثم قال: باب الرقي بفاتحة الكتاب ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ[2]، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقـالوا: هـل معكم من دواء أو راق فقـالـوا: إنَّكم لم تقـرونـا، ولا نفعـل حتى تجعلوا لنا جعلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشـاء، فجعل يقـرأ بأمِّ القـرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ، فأتوا بـالشاء فقـالوا لا نـأخذه حتى نسـأل النبي ﷺ، فسألـوه، فضحك وقال: «ومـا أدراك أنَّها رقيـة، خذوهـا وأضربـوا لي بسهم»[3]. ثم قال: باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، وساق فيه بـإسناده عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ مرُّوا بمـاء فيه لـديغ أو سليم، فعـرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هـل فيكم من راق؟ إنَّ في الماء رجـلاً لديغـاً أو سليماً. فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ، فجـاء بالشـاء إلى أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجراً، حتى قدموا المـدينة فقالوا: يا رسول الله، أخذ على كتاب الله أجراً. فقال رسـول الله ﷺ: «إنَّ أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله»[4]. قلت وهذا هو الذي علقه آنفاً عن ابن عباس. ثم قـال رحمه الله: بـاب رقية العين، وذكـر فيه حـديث عـائشـة رضي الله عنهـا قـالت: أمرني رسـول الله ﷺ أو أمر أن يسترقى من العين[5]. وحديث أم سلمـة

---

(١) البخاري (٩/٦٣) في فضـائـل القـرآن بـاب فضـل المعـوذات وفي الـطب بـاب النـفث فـي الرقية (١٠/٢٠٩)، وفي الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند النوم.
ومسلم (٤/١٧٢٣/ ح ٢١٩٢) في السلام، باب رقية المريض بالمعوذات.

(٢، ٣) البخاري (١٠/١٩٨) في الطب، باب النفث في الرقيـة، وباب الـرقي بفاتحـة الكتاب، وفي الإجارة، باب ما يعطي في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتـاب. وفي فضائـل القرآن، بـاب فاتحة الكتاب.
ومسلم (٤/١٧٢٧/ ح ٢٢٠١) في السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار.

(٤) البخاري (١٠/١٩٨ ـ ١٩٩) في الطب، باب الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب.

(٥) البخاري (١٠/١٩٩) في الطب، بـاب رقية العين، ومسلم (٤/١٧٢٥/ ح ٢١٩٥) في السـلام، باب استحباب الرقية من العين.

رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرة»[1] وذكر باب «العين حق»[2] ثم قال: باب رقية الحية والعقرب، وذكر فيه حديث عبدالرحمن بن الأسود عن أبيه قال: سألت عائشة عن الرقية من الحمة فقالت: رَخَّص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمة[3]. ثم قال: باب رقية النبي ﷺ، وذكر فيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قال لثابت: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: «اللهُمَّ رَبَّ الناسِ، مذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً»[4] وحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»[5]. وحديثها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقي يقول: «امسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت»[6]. وحديثها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا ـ وفي رواية: وريقة بعضنا ـ يشفي سقيمنا بإذن ربنا»[7]. وعن أنس رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة، رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه[8]. قال أبو البركات ابن

---

(١) البخاري (١٠/١٩٩) في الطب، باب رقية العين. ومسلم (٤/١٧٢٥/ ح ٢١٩٧) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.

(٢، ٣) البخاري (١٠/٢٠٥ ـ ٢٠٦) في الطب، باب رقية الحيّة والعقرب. ومسلم (٤/١٧٢٤/ ح ٢١٩٣) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.

(٤) البخاري (١٠/٢٠٦) في الطب، باب رقية النبي ﷺ.

(٥) البخاري (١٠/٢٠٦) في الطب، باب رقية النبي ﷺ. ومسلم (٤/١٧٢٢/ ح ٢١٩١) في السلام، باب استحباب رقية العين.

(٦) البخاري (١٠/٢٠٦) في الطب، باب رقية النبي ﷺ ومسلم (٤/١٧٢٢/ ح ٢١٩١) في السلام، باب استحباب رقية المريض.

(٧) البخاري (١٠/٢٠٦) في الطب، باب رقية النبي ﷺ. ومسلم (٤/١٧٢٤/ ح ٢١٩٤) في السلام، باب استحباب الرقية من العين.

(٨) أحمد (٣/١١٨ و١١٩ و١٢٧) ومسلم (٤/١٧٢٥/ ح ٢١٩٦) في السلام، باب استحباب الرقية من العين. والترمذي (٤/٣٩٣/ ح ٢٠٥٦) في الطب، باب ما جاء في الرخصة في الرقية. =

تيمية: النملة قروح تخرج في الجنب. وعن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال: «ألا تعلمين، هذه رقية النملة» الحديث رواه أحمد وأبو داود[1]. وعن عوف بن مالك قال: كنَّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقي ما لم يكن فيه شرك» رواه مسلم وأبو داود[2]. وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقي، فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقي. قال: «فاعرضوها» فقال: «ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» رواه مسلم[3]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» الحديث رواه البخاري ومسلم بطوله في مواضع[4]. وعند ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم قال: سحر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود قال: فاشتكى لذلك أياماً قال فأتاه جبريل فقال ان رجلاً من اليهود سحرك وعقد لك عقداً، فأرسل رسول الله ﷺ علينا فاستخرجها فجاء، بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال[5]. ولمسلم عن

= وابن ماجه (٢/١١٦٢/ ح ٣٥١٦) في الطب، باب ما رخص فيه من الرقي.

(١) أحمد (٦/٣٧٢) وفيه المسعودي وقد اختلط ورجل مبهم من آل أبي حثمة.
وأبو داود (٤/١١/ ح ٣٨٨٧) في الطب، باب ما جاء في الرقى وإسناده حسن وقد ذكر الرجل المبهم وهو أبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة.

(٢) مسلم (٤/١٧٢٧/ ح ٢٢٠٠) في السلام، باب لا بأس في الرقى ما لم يكن فيه شرك.
وأبو داود (٤/١٠ - ١١/ ح ٣٨٨٦) في الطب، باب ما جاء في الرقي والحاكم (٤/٢١٢).

(٣) مسلم (٤/١٧٢٦ - ١٧٢٧/ ح ٢١٩٩) في السلام، باب استحباب الرقية من العين. وأحمد (٢/٣١٥).

(٤) البخاري (١٠/٢٢١) في الطب، باب السحر، وبال هل يستخرج السحر (١٠/٢٣٢) وفي الجهاد، باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر وغيره.
ومسلم (٤/١٧١٩ - ١٧٢٠/ ح ٢١٨٩) في السلام، باب السحر.

(٥) ابن أبي شيبة والنسائي (٧/١١٢ - ١١٣) في تحريم الدم، باب سحرة أهل الكتاب وإسناده صحيح.

أبي سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ قال: نعم. قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك»[1] وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة» رواه ابن ماجه هكذا مرفوعاً[2]، ورواه مسلم وغيره موقوفاً[3].

أما الرقى المجهولةُ المعاني ... فذاك وسواس من الشيطانِ
وفيه قد جاءَ الحديثُ أنّهُ ... شرك بلا مرية فاحذرنه
إذ كل من يقوله لا يدري ... لعله يكون محض الكفر
أو هو من سحر اليهود مقتبس ... على العوام لبسوه فالتبس

أي أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا في يء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿**وإنَّ الشياطينَ ليوحونَ إلى أوليائهم ليجادِلوكم**﴾ (الأنعام/١٢١) وعليه يحمل قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[4] وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفراً أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضر أو رقية أو سحر. ولعمر الله لقد انهمك غالب الناس في هذه البلوى غاية الإنهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة، فمنه ما يدَّعون أنه

---

(١) مسلم (٤/١٧١٨ - ١٧١٩/ ح ٢١٨٦)في السلام، باب استحباب الرقية من العين.

(٢) ابن ماجه (٢/١١٦١/ ح ٣٥١٣) في الطب، باب ما رخص فيه من الرقى وفيه أبو جعفر الرزاي وهو سيء الحفظ. ومسلم عن بريدة موقوفاً (١/١٩٩). ورواه أحمد (٤/٤٣٦) وأبوداوود (ح ٣٨٨٤) عن عمران بسند صحيح. والحديث صحيح لشواهده.

(٣) مسلم (١/١٩٩ - ٢٠٠/ ح ٢٢٠) في الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.
والترمذي (تحفة الأحوذي ٦/٢١٧/ ح ٢١٣٤) في الطب، باب ما جاء في الرخصة من الرقية.
ورواه البخاري (١٠/٢١١) في الطب، باب من لم يرق، وباب من اكتوى أو كوى غيره.

(٤) أبو داود (٤/٩/ ح ٣٨٨٩) في الطعام باب في تعليق التمائم.
وابن ماجه (٢/١١٦٦ - ١١٦٧/ ح ٣٥٣٠) في الطب، باب تعليق التمائم.
وأحمد (١/٣٨١) والحاكم ٤/٢١٧ و٤١٨) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وابن حبان (الإحسان ح ٦٥٨) وسنده صحيح.

من القرآن أو من السنة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ بالسنة حتى يترجموه بالأعجمية أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفع منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء وبالأعجمية لغيره ولا تصلح إحداهما فيما تصلح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعمون أنه من أسماء الله تعالى التي ليست في الكتاب ولا في السنة وأنهم علموها من غيرهما فمنه ما يدعون أنه دعا به آدم عليه السلام أو نوح أو هود أو غيرهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون إنه ليس إلا في أم الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوب في البيت المعمور، ومنه ما يقولون هو مكتوب على جناح جبريل عليه السلام أو جناح ميكائيل أو جناح إسرافيل أو غيرهم من الملائكة، أو على باب الجنة أو غير ذلك. وليت شعري متى طالعوا اللوح المحفوظ فاستنسخوه منه، ومتى رقوا إلى البيت المعمور فقرأوه فيه، ومتى نشرت لهم الملائكة أجنحتها فرأوه، ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشاهدوه، كلما شعوذ مشعبذ وتحذلق متحذلق وأراد الدجل على الناس والتحيل لأخذ أموالهم طلب السبل إلى وجه تلك الحيلة ورام لها أصلاً ترجع إليه، فإن وجد شبهة تروج على ضعفاء العقول وأعمياء البصائر وإلا كذب لهم كذباً محضاً وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحين، فيصدقونه لحسن ظنهم به. ومنه أسماء يدعونها، تارة يدعون أنها أسماء الملائكة، وتارة يزعمون أنها من أسماء الشياطين، واعتقادهم في هذه الأسماء أنها تخدم هذه السورة أو هذه الآية، أو هذا الإسم من أسماء الله تعالى، فيقولون: يا خدام سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا، يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا أجيبوا، العجل العجل ونحو ذلك. وما من سورة من القرآن ولا آية منه ولا اسم من أسماء الله يعرفونه إلا وقد انتحلوا له خداماً ودعوهم له، ساء ما يفترون. وتارة يكتبون السورة أو الآية ويكررونها مرات عديدة بهيئات مختلفة حتى يجعلون أولها آخراً وآخرها أولاً، وأوسطها أولاً في موضع وآخِراً في آخر. وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرف على حدته

ويزعمون أن لها بهذه الهيأة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات، ولا أدري من أين أخذوها وعمَّن نقلوها، ما هي إلا وساوس شيطانية زخرفوها، وخرافات مضلة ألفوها، وأكاذيب مختلفة لفقوها، لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يعرف لها أصل في سنة ولا قرآن، ولم تنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان. إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون. وسيجزون ما كانوا يعملون. وتارة يكتبون رموزاً من الأعداد العربية المعروفة من آحاد وعشرات ومئات وألوف وغيرها ويزعمون أنها رموز إلى حروف آية أو سورة أو اسم أو شيء مما قدمنا بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب وغير ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلة المختلقة، وغالبها مأخوذ عن الأمة الغضبية الذين أخذوا السحر عن الشياطين وتعلموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموها بغير العربية لمقاصد لا تتم بزعمهم إلا بذلك، ومنها ما هو من عبّاد الملائكة والشياطين ونحوهم يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال هي أسماء الله ليروجوا الشرك بذلك عليهم فيدعون غير الله من دونه، وهذه مكيدة لم يقدر عليها إبليس إلا بوساطة هؤلاء المضلين وهو: ﴿**إنَّما يدعو حِزْبَهُ ليكونوا مِنْ أصحابِ السعير**﴾ (فاطر/٦) والله تعالى يقول: ﴿**أو لم يَكْفِهم أنَّا أنزلنا عليكَ الكتابَ يُتلى عليهم إنَّ في ذلكَ لرحمةً وذكرى لقومٍ يؤمنون**﴾ (العنكبوت/٥١)، ﴿**ومن لم يَجْعَلِ الله لَهُ نوراً فما له من نور**﴾ (النور/٤٠).

فتحصل من هذا أن **الرقي لا تجوز إلا باجتماع ثلاثة شروط**، فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنة فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر.

الثالث: أن يعتقد أنها سبب من الأسباب لا تأثير لها إلا بإذن الله عز وجل فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب والله هو المسبب إذا شاء.

[التمـــائـــم والـــحـــجـــب]

وفـي التّـمـــائم الـمـعـلـقـاتِ إنْ تَـلـكُ آيـات مـبـيـنـات
فـالاخـتـلاف واقـع بين السلف فبعضهم أجـازها والبعض كف

(**وفي التمائم المعلقات**) أي التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها (**إن تلك**) هي أي التمائم (**آيات**) قرآنية (**مبينات**)، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات (**فالاختلاف**) في جوازها **واقع بين السلف**) من الصحابة والتابعين فمن بعدهم (**فبعضهم**) أي بعض السلف (**أجازها**) يروى ذلك عن عائشة رضي الله عنها وأبي جعفر محمد بن علي وغيرهما من السلف[1]، (**والبعض**) منهم (**كف**) أي منع ذلك وكرهه ولم يره جائزاً، منهم عبدالله بن عكيم وعبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر وعبدالله بن مسعود وأصحابه كالأسود وعلقمة ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم رحمهم الله تعالى[2]. ولا شك أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور، لا سيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على الله عز وجل إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه، بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال على أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو نفسك كذا وكذا، أو يقول له إن معك قريناً من الجن أو نحو ذلك. ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية موهماً أنه صادق الفراسة فيه، شديد الشفقة عليه، حريص على جلب النفع إليه، فإذا

---

(١) أنظر فتح المجيد (ص ١٣٢).
(٢) أنظر فتح المجيد (ص ١٣٢).

امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفاً مما وصف له حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالبه، والتجأ إليه وعول عليه دون الله عز وجل وقال له: فما المخرج مما وصفت، وما الحيلة في دفعه؟ كأنما بيده الضر والنفع، فعند ذلك يتحقق فيه أمله، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له، فيقول له إنك إن أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجاباً طوله كذا وعرضه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول، وهذا الحجاب علقه من كذا وكذا من الأمراض أترى هذا ـ مع هذا الاعتقاد ـ من الشرك الأصغر، لا بل هو تأله لغير الله وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه، وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم، فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل إلا بوساطة أخيه من شياطين الإنس: ﴿**قُلْ من يكلؤكُمْ باللّيلِ والنّهارِ مِنَ الرّحمنِ، بل هم عن ذِكْر رَبِّهم معرضون**﴾ (الأنبياء/٤٢) ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئاً من القرآن ويتعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبداً لا يقدسه عن شيء من الأشياء، تالله ما استهان بكتاب الله تعالى أحد من أعدائه استهانة هؤلاء الزنادقة المدعين الإسلام به. والله ما نزل القرآن إلا لتلاوته، والعمل به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه والإيمان به، كل من عند ربنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويكتسبوا كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال، ولو أنَّ ملكاً أو أميراً كتب كتاباً إلى من هو تحت ولايته أن افعل كذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا وانههم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهيه ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سوء العذاب. فكيف بتنزيل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

وإن تكن مما سِوى الوحيينِ فإنها شرك بغير مين

بــل إنّــهــا قسـيـمــة الأزلامِ في البعد عن سيما أولي الإسلام

(وإن تكن) أي التمـائم **(مما سـوى الوحيين)** بـل من طلاسم اليهـود وعباد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحـوهم أو من الخرز أو الأوتـار أو الحلق من الحديد وغيره **(فإنها شرك)** أي تعلقها شرك **(بدون مين)** أي شك، إذ ليست هي من الأسبـاب المباحـة والأدوية المعـروفة، بـل اعتقـدوا فيهـا اعتقـاداً محضاً أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها لخصوصية زعموا فيها كـاعتقاد أهـل الأوثان في أوثانهم، **(بـل إنها قسيمـة)** أي شبيهة **(الأزلام)** التي كـان يستصحبها أهـل الجاهليـة في جاهليتهم ويستقسمـون بها إذا أرادوا أمـراً، وهي ثلاثـة قداح مكتوب على أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثـالث: غفل، فـإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل تـرك ذلك، أو الغفـل أعاد استقسامه. وقد أبدلنا الله تعالى ـ وله الحمد ـ خيـراً من ذلك: صـلاة الاستخارة ودعاءها.

والمقصود أن هذه التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بهـا من حيث الاعتقـاد الفـاسـد والمخـالفـة للشـرع **(في البعـد عن سيمـا أولى الإسلام)** أي عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمـان في قلوبهم أعظم من أن يـدخل عليـه مثل هـذا، وهم أجل شأناً وأقوى يقيناً من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره. وبالله التوفيق.

فـــصـــل

من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيداً وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

هذا وَمِنْ أعمالِ أَهْـلِ الشِّركِ من غيـر مـا تـردُّدٍ أو شـكِّ
ما يقصد الجهال من تعظيم مـا لـم يـأذنِ الله بـأن يـعـظـمـا
كـمن يَـلُذْ ببـقعـة أو حـجـر أو قبـر ميت أو ببعض الشجـر

متخـذاً لـذلـك المـكـان عيـداً كفعـل عـابـدي الأوثـان

(هـذا) أي الأمر والإشـارة إلى ما تقـدم (**ومن أعمال أهـل الشـرك**) التي لا يفعلهـا غيـرهم ولا تليق إلا بعقـولهم السخيفـة، وأفئـدتهم الضعيفـة، وقلوبهم المطبوع عليها، وأبصارهم المغشي عليها (**ما**) أي الذي (**لم يأذن الله**) عـز وجل في كتابه ولا سنـة نبيه (**بـأن يعظمـا**) بألف الإطـلاق، وأن ومدخـولها في تـأويل مصدر أي لم يأذن الله بتعـظيمه ذلـك التعظيم الـذي منحه إيـاه من لم يفرق بين حق الله تعالى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم، بل لم يفـرق بين أولياء الله وأعدائه ولا بين طاعته ومعصيته، فيتخذ من دون الله أنداداً وهو يرى أن ذلك الذي فعله قربة وطاعة لله وأن الله يحب ذلك ويـرضاه، ويكـذِّب الرسـل ويدَّعي أنه من أتباعهم، ويـوالي أعداء الله وهـو يظنهم أوليـاؤه، كفعل اليهـود والنصارى يجاهرون الله بالمعاصي ويكذبون كتابه ويغيـرونه ويبـدلونـه ويحرفـون الكلم عن مواضعه ويقتلون الأنبيـاء بغير الحق وينسبـون لله سبحانـه وتعالى الـولد ويفعلون الأفاعيل ويقولون نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم البغضـاء إلى الله وأعداؤه. وسبب هذا كله ـ في الأمم الأولى والأخرى ـ هو الاعراض عن الشـريعة وعـدم الاهتمام لمعرفة ما احتوت عليه الكتب من البشارة والنذارة والأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد، ومعرفة مـا يجب لله على عباده فعله ومـا يجب تركـه (**كمن يَلُذْ ببقعة**) أي يعوذ بها ويختلف إليها ويتبرك بها ولو بعبادة الله تعـالى عندهـا، وتقدم تقييـد ذلك بمـا لم يأذن بـه الله، فيخرج بهـذا القيد مـا أذن الله تعالى بتعـظيمـه كتعظيم بيته الحرام بالحج إليه وتعظيم شعائر الله من المشاعر والمواقف وغيرها، فـإن ذلك تعـظيم لله عز وجـل الذي أمـر بذلـك لا لتلك البقعة ذاتهـا كمـا قـال عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه لما استلم الحجـر الأسود: أمـا والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولـولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك مـا قبلتك[1]، وكذلك التعظيم أيضاً نفسه إنَّما أردنا منع تعظيم لم يأذن الله به لا المأذون فيـه،

---

(١) البخاري (٣/٤٦٢) في الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود وفي باب تقبيل الحجر الأسود (٣/٤٧٥). ومسلم (٢/٩٢٥/ ح ١٢٧٠) في الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود.

فإنَّ الله تعالى قد أمر بتعظيم الرسل بأن يطاعوا فلا يعصوا ويحبوا ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة الله عز وجل ومعصيته معصية الله عز وجل، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان بالله إلا به إذ هو عين تعظيم الله تعالى، فإنهم إنما عُظموا لأجل عظمة المرسل سبحانه وتعالى وأُحبوا لأجله واتُّبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله عز وجل، فلو أن أحداً عظم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به ورفعه فوق منزلته التي أنزله الله عز وجل وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئاً من الإلٰهية لانعكس الأمر وصار عين التنقص والاستهانة بالله وبرسله كفعل اليهود والنصارى الذي ذكر الله عز وجل عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعزير، فكذبوا بالكتاب وتنقصوا الرب عز وجل بنسبة الولد إليه وغير ذلك وكذبوا الرسول في قوله: ﴿**إِنِّي عبدُ الله آتانيَ الكتابَ وجعلني نبياً**﴾ (مريم/٣٠) فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم، سبحان الله عما يصفون، وسلام على المرسلين. (**أو حجر، أو قبر ميت، أو ببعض الشجر**) أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة الله عندها فإن ذلك ذريعة إلى عبادتها ذاتها كما فعل إبليس لعنه الله بقوم نوح حيث أشار عليهم بتصوير صالحيهم ثم بالعكوف على قبورهم وصورهم وعبادة الله عندها إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتها من دون الله تعالى فعبدوها، (**متخذاً لذلك المكان**) من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها (**عيدا**) أي ينتابها ويعتاد الاختلاف إليها (**كفعل عابدي الأوثان**) في تعظيمهم أوثانهم واعتيادهم إليها، ولذا سمى النبي ﷺ العكوف على الأشجار وتعليق الأسلحة بها على جهة التعظيم «تألهاً»، كما في الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لها إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون. لتركبن سنن من قبلكم»[1] ولقد عمت البلوى

(١) الترمذي (٤/٤٧٥/ ح ٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم وقال حسن =

بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زماننا هـذا، ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذباً إلا وقد اعتادوا الاختـلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتاً معلومة يفـوت عيدهم بفـواتها ويـرون من أعظم الخسـارات أن يفوت الـرجلَ ذلـك العيد المعلوم. وآل بهم الأمـر إلى أن صنفوا في أحكام حجهم إليها كتباً سموها مناسك حج المشاهد. ومن أخـل بشيء منها فهو عندهم أعظم جرماً ممن أخل بشيء من مناسك الحج إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لهـا طوافـاً معلوماً كـالطواف بـالبيت الحرام، وشـرعوا تقبيلهـا كما يقبَّـل الحجـر الأسود حتى قـالوا إن زحمت فـاستلم بمحجن أو أشر إليـه، قياسـاً على فعل النبي ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذوراً من المـواشي والنقود، ووقفـوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلـك من شرائعهم الشيـطانية، وقواعدهم الوثنية. وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص النبوية في سد ذرائـع الشرك في الفصل الآتي وبالله التوفيق.

[زيـــارة الـقـبـــور]

ثـم الـــزيـــارةُ عـلى أقـســام ... ثـلاثـة يـا أمـة الإسـلام
فـإن نوى الـزائر فيمـا أضمـره ... في نفســه تـذكــرة بـالآخــره
ثم الــدعــا لــه ولــلأمــواتِ ... بـالعفـو والصفـح عن الـزَلّات
ولم يكن شـد الرحـال نحوهـا ... ولم يقـل هجراً كقـول السفهـا
فتلك سـنــة أتت صــريـحــه ... في السنن المثبتــة الصحيحــه

(**ثم الزيارة**) أي زيارة القبور تأتي (**على أقسام ثلاثة**):

زيارة سنيّة، وزيارة بدعية، وزيارة شركية فتفهموها (**يا أولي الإسلام**).

والبداءة بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البـدعية لكـونها أخف جـرماً من

= صحيح.

ورواه أحمد (٥/٢١٨) وابن حبان (الإحسان ٨/٢٤٨) والحاكم (٤/٤٥٥) وقـال صحيح ووافقـه الذهبي.

الشركية، ثم هي بعد ذلك. **(فإن نوى الزائر)** للقبور **(فيما أضمره في نفسه)** أي كانت نيته بتلك الزيارة **(تذكرة بالآخرة)** أي ليتعظ بأهل القبور ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله يؤملون الآمال ويخولون الأموال، ويجولون في الأقطار بالأيام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعات وفرادى، وأبادهم ملوكاً ونواباً وقواداً وأجناداً، وقدِموا على ما قدَّموا غياً كان أو رشاداً، وصار لهم التراب لحفاً ومهاداً، بعد الغرف العالية التي كان عليها الحجاب أرصاداً، تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، وشريفهم وحقيرهم، ومأمورهم وأميرهم. اتفق ظاهر حالهم واتحد، ولا فرق للناظر إليهم يميز به أحداً من أحد. وأما باطناً فالله أكبر لو كشف للناظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسن مآب، وأولئك في أسوإ حالة وأشد العذاب، فليعلم الواقف عليهم الناظر إليهم، أنه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحق، فليتأهب لذلك، وليتب إلى العزيز المالك، وليلتجىء إليه من شر كل ما هنالك. **(ثم)** قصد أيضاً **(الدعا)** أي دعاء الله عز وجل **(له)** أي لنفسه **(وللأموات)** من المسلمين **(بالعفو)** من الله عز وجل **(والصفح عن الزلات)** وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك **(و)** مع ذلك **(لم يكن شد الرحال نحوها)** الضمير للقبور لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[1]. **(ولم يقل هجراً)** أي محظوراً شرعاً **(كقول)** بعض **(السفها)** لما في السنن من حديث بريدة قال فيه النبي ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجراً»[2] **(فتلك)** الإشارة إلى النوع المذكور من الزيارة **(سنة)** طريقة نبوية **(أتت صريحة)** أي واضحة ظاهرة

---

(١) البخاري (٣/٧٠) في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد بيت المقدس. وفي الحج، باب حج النساء وغيره.
ومسلم (٢/٩٧٥/ ح ١٣٣٨) في الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى الحج وغيره.

(٢) النسائي (٤/٨٩).
ولم يروه بهذا اللفظ من أهل السنن غيره وسنده صحيح.

(**في السنن**) أي الأحاديث (**المثبتة**) في دواوين الإسلام (**الصحيحة**) سنداً ومتناً، منها حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد ﷺ في زيارة قبر أمه فزوروها، فإنها تذكر الآخرة» رواه الترمذي وصححه[1]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «إستأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزورها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» رواه الجماعة[2]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» رواه أحمد ومسلم والنسائي[3]. ولأحمد من حديث عائشة رضي الله عنها مثله وزاد «اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم»[4]. وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» رواه أحمد ومسلم وابن ماجه[5]، زاد مسلم في رواية «يرحم الله المتقدمين منا ومنكم

---

(١) الترمذي (٣/ ٣٧٠/ ح ١٠٥٤) في الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور.
وأصله عندمسلم (٢/ ٦٧٢/ ح ٩٧٧) في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربَّه عز وجل في زيارة قبر أمّه.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٧٢/ ح ٩٧٦) في الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربّه عز وجل في زيارة قبر أمّه.
وأبو داود (٣/ ٢١٩/ ح ٣٢٣٤) في الجنائز، باب في زيارة القبور والنسائي (٤/ ٩٠) في الجنائز، باب زيارة قبر المشرك.
وابن ماجه (١/ ٥٠١/ ح ١٥٧٢) في الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين.
ولم يروه البخاري ولا الترمذي.

(٣) مسلم (١/ ٢١٨/ ح ٢٤٩) في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.
والنسائي (١/ ٩٣/ ٩٥) في الطهارة، باب في حلية الوضوء.

(٤) أحمد (٦/ ٧١، ٧٦، ١١١) وفي سنده جميعاً شريك القاضي قال عنه الحافظ: صدوق يخطيء كثيراً تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة.

(٥) مسلم (٢/ ٦٧١/ ح ٩٧٥) في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. والنسائي (٤/ ٩٤) في الجنائز، باب الأمر بالاستغفار للمؤمنين.
وابن ماجه (١/ ٤٩٤/ ح ١٥٤٧) في الجنائز، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر.

والمتأخرين»[1]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر» رواه الترمذي وقال: حسن[2]. وكذلك الأحاديث في خروجه ﷺ إلى بقيع الغرقد كثيراً يدعو لهم ويترحم عليهم[3].

وكان الصحابة إذا أتوا قبره ﷺ صلوا وسلموا عليه فحسب، كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[4]. وكذا التابعون ومن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى لم يذكر عنهم في زيارة القبور غير العمل بهذه الأحاديث النبوية وأفعال الصحابة لم يعدلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرها بل وقفوا عندها، فهذه الزيارة الشرعية المستفادة من الأحاديث النبوية، وعليها درج الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكر بالقبور والاعتبار بأهلها والدعاء لهم والترحم عليهم وسؤال الله العفو عنهم، فمن ادعى فيها غير هذا طولب بالبرهان، وأني له ذلك ومن أين يطلبه؟ بل كذب وافترى، وقفا ما ليس له به علم. بلى إن العلوم الشرعية دالة على ضلاله وجهله (**أو قصد الدعاء**)من الصلاة وغيرها أوالاعتكاف عند قبورهم أو نحو ذلك (**والتوسلا**) بألف الاطلاق (**بهم**) أي بأهل القبور (**إلى الرحمن جل وعلا**) عما ائتفكه أهل الزيغ والضلال (**فبدعة محدثة**) لم يأذن الله تعالى بها (**ضلالة**) كما قال ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[5] وقال ﷺ: «من أحدث في

---

(١) مسلم (٢/٦٦٩ ـ ٦٧١/ ح ٩٧٤) في الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

(٢) الترمذي (٣/ ٣٦٩/ ح ١٠٥٣) في الجنائز، باب ما يقول إذا زار القبور أو أمر بها وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان قال عنه الحافظ: فيه لين وقال ابن حبان: ينفرد عن أبيه بما لا أصل له. قلت: وهذا الحديث عن أبيه والحديث صحيح لشواهده إلا قوله: فاقبل عليهم بوجهه فإنها منكرة.

(٣) أنظر مسلم (ح ٩٧٤) وقولها: كان رسول الله كلما كانت ليلتها من رسول الله يخرج من آخر الليل إلى البقيع.

(٤) رواه البيهقي في أواخر كتاب الحج (٥/ ٢٤٥) بسند صحيح وقريباً منه روى مالك في الموطأ (١/ ١٦٦) في قصر الصلاة، ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ وإسناده صحيح.

(٥) مسلم (٢/ ٥٩٢/ ح ٨٦٧) في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة والنسائي (٣/ ١٨٨ ـ ١٨٩) في العيدين، باب كيف الخطبة من حديث جابر رضي الله عنه.

أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [1] وقال ﷺ في رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2] وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة[3] وغير ذلك. فإن من قال: اللهم إني أسألك بجاه فلان، وهو ميت أو غائب، وإن كان يرى أنه لم يدع إلا الله ولم يعبد سواه فهو قد عبد الله بغير ما شرع وابتدع في الدين ما ليس منه واعتدى في دُعائه ودعا الله بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن الله تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى كما قال تعالى: ﴿**ولله الأسماءُ الحسنى فادعوه بها**﴾ (الأعراف/١٨٠) ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه البتة، بل قد نهانا رسول الله ﷺ عن أن نقسم بشيء من المخلوقات مطلقاً فكيف بالأقسام بها على الله عز وجل.

وأما حديث الأعمى الذي به يحتج المجوّزون للتوسل بالمقبور فلا حجة لهم فيه بحمد الله لو فهموا معناه ووضعوه موضعه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفقوا لفهم مدلوله، فإن هذا الحديث بجميع ألفاظه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظه من الكتب التي خرج فيها: قال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أنَّ رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: أدع الله أن يعافيني. قال: «إنْ شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرت فهو

---

(١) البخاري في الصلح (٥/٣٠١) باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود. ومسلم (٣/١٣٤٣/ ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة. من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) البخاري تعليقاً (٤/٣٥٥) في البيوع، باب النجش.
ومسلم (٣/١٣٤٤/ ح ١٧١٨) في الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة. من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو داود (٤/٢٠٠/ ح ٤٦٠٧) في السُنة، باب لزوم السُنة.
والترمذي (٥/ ٤٤/ ح/٢٦٧٦) في العلم، باب ١٦.
وابن ماجه في المقدمة (١/١٥ - ١٦/ ح ٤٢) باب اتباع سُنة الخلفاء الراشدين. وأحمد (٤/١٢٦، ١٢٧) من حديث العرباض بن سارية وإسناده صحيح.

خير لك». قال: فادعه. قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه. ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ» هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي ا.هـ.[1] قلت الظاهر بالاستقراء أن أبا جعفر هذا هو الرازي التيمي مولاهم مشهور بكنيته وهو من رجال الأربعة واسمه عيسى بن أبي عيسى عبدالله بن ماهان، وأصله من مرو كان يتجر إلى الري، روي عن عطاء وعمرو بن دينار وقتادة، وعنه أبو عوانة وشعبة كما في هذا الحديث قال ابن معين ثقة، وقال ابن المديني ثقة يخلط عن المغيرة، وقال الفلاس سيء الحفظ، وقال أبو حاتم: ثقة صدوق صالح الحديث، وقال في التقريب: صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن المغيرة، من كبار السابعة مات في حدود الستين ومائة. والظاهر من عباراتهم أن تخليطه عن المغيرة خاصة وهو ثبت فيمن سواه. وبهذا يجمع بين قول من يضعفه وقول من يوثقه، كيف ومن الموثقين له شيخا البخاري يحيى بن معين وعلي بن المديني وهما هما[2]. والله أعلم. ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه أن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله أدعُ الله أن يكشف لي عن بصري. قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّ محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف

---

(١) الترمذي (٥/٥٦٩/ ح ٣٥٧٨) في الدعوات، باب ١١٩. وأبو جعفر هو الخطمي كما قال الإمام الترمذي وليس الرازي (وقد ورد في بعض النسخ للترمذي) (ليس الخطمي أو غير الخطمي) وهو خطأ ففي نسخة أحمد شاكر إثبات الترمذي أنه الخطمي وكذلك في تحفة الأشراف (ح ٩٧٦٠) وهذا يوافق قول جمهور العلماء أنه الخطمي وممن قال بذلك: النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٩٥٩) والإمام أحمد (٤/١٣٨) وسماه في رواية أخرى المدني وهو الخطمي لا الرازي. وكذلك قال الحاكم (١/٥٢٦) وابن أبي خيثمة كما في التوسل والوسيلة (ص ٩٩) نقلاً عن تاريخه. والطبراني في الكبير (ح ٨٣١١) وغيرهم قال العلامة الألباني: ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة ويروي عن شعبة كما في إسناده هنا (التوسل ص ٧٠) والحديث صحيح.

(٢) لا ضرورة لذكر هذا وقد تبين أنه الخطمي لا الرازي.

عن بصري، اللهم فشفعه في» قال فرجع وقد كشف الله بصره[1]. وقال يحمد رحمه الله تعالى في مسنده: حدثنا روح حدثنا شعبة عن عمير بن يزيد الخطمي المديني قال: سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله ادع الله أن يعافيني. فقال: «إن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك، وإن شئت دعوت لك». قال: بل ادع الله لي. فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللهم فشفعني فيه وشفعه في»[2]. قلت: عمير بن يزيد الخطمي هذا هو أبو جعفر الذي فرَّق الترمذي بينه وبين أبي جعفر المذكور في روايته، وقد قلنا الظاهر أنه هو الرازي التيمي وكلاهما شيخ لشعبة وكلاهما صدوق فيحتمل أن كلاً منهما سمعه من عمارة، وسمعه شعبة من كليهما وحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا، فرواه عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الرازي التيمي، وسمعه روح منه عن الخطمي فحدث به كذلك والله عز وجل أعلم[3]. والمقصود أن هذا الحديث إن جزمنا بصحته فليس فيه لهم حجة ولا دليل على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة، فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبي ﷺ الدعاء له بكشف بصره، وهو حي حاضر قادر على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمن على ذلك ويقول: اللهم شفعه فيَّ، فسأل من النبي ﷺ الدعاء، وسأل قبول دعائه من الله عز وجل لعلمهم التام بالإيمان بالله عز وجل وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبهذا أمره النبي ﷺ أن يدعو الله تعالى، فاجتمع الدعاء من الجهتين. وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم كثيراً ما كانوا يسألون من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالنصر وأن يستسقي لهم إذا أجدبوا وبتكثير الطعام كما سأله منه عمر رضي الله عنه في غزوة

---

(١) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٦٦٠) والحاكم (١/٥٢٦) وقال: على شرط البخاري وأقره الذهبي.

(٢) أحمد (٤/١٣٨) وسنده صحيح وليس فيه (السند) الخطمي بل المديني فقط وقد ذكرها الطبراني في الكبير (ح ٨٣١١) (أي الخطمي المدني).

(٣) هذا لا يضر الحديث شيئاً إن ثبت وقد قدمنا أنه الخطمي فقط.

تبوك[1] وقالت له أم أنس خويدمك أنس ادع الله تعالى له[2]، وأمثال ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى وكذلك في موقف القيامة يسأل الخلائق من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربهم في فصل القضاء واحد بعد واحد، حتى تنتهي إليه ﷺ فيذهب ويسجد تحت العرش ويحمد الله تعالى ويثني عليه إلى أن يقول له: «ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع» وذلك إذا أذن الله عز وجل له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريره. وقد قال ﷺ لعمر وهو ذاهب للعمرة: «لا تنسنا من دعائك»[3] وكذلك استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس والصحابةُ متوافرون كما في صحيح البخاري: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[4]، وكان من دعاء العباس يومئذ: «اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»» ذكره الزبير بن بكار، وكان ذلك الجدب عام الرمادة. وكذلك قال معاوية لما استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي، فقال: «اللهم إنا نستشفع ـ أو نتوسل ـ إليك بخيارنا، يا يزيد أرفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حق سقوا[5]، فكان أفضل القرون يسألون الله عز وجل، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عز وجل لهم ولهم، وتوسلهم إنما كان بدعائهم لا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥ ـ ٥٦/ ح ٤٤) في الإيمان، باب الدليل على أنّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) مسلم (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨/ ح ٦٦٠) في المساجد، باب جواز الجماعة في النافلة، والصلاة على حصير وخمرة وثوب وغيرها من الطاهرات.

(٣) أبو داود (٢/ ٨٠/ ح ١٤٩٨) في الصلاة، باب في الدعاء. والترمذي. والترمذي (٥/ ٥٥٩/ ح ٣٥٦٢) في الدعوات، باب رقم ١١٠.
وابن ماجه (٢/ ٩٦٦/ ح ٢٨٩٤) في المناسك، باب فضل دعاء الحاج وفي سنده عاصم بن عبيدالله بن عاصم بن عمر بن الخطاب وهو ضعيف.

(٤) البخاري (٢/ ٤٩٤) في الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام إذا قحطوا، وفي فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

(٥) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٤٤٤) وأبو زرعة في تاريخ دمشق (١/ ٦٠٢) قال الحافظ العسقلاني: رواه أبو زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في تاريخيهما بسند صحيح. وقال العلامة الألباني: رواه ابن عساكر في تاريخه بسند صحيح.

بذواتهم، وهذا جائز في كل زمان ومكان أن تسأل من عبد صالح حاضر عندك أن يدعو لك وتؤمن أنت على دعائه، أو تسأل من مسافر الدعاء بظهر الغيب ونحو ذلك كما ثبت عن النبي ﷺ ودرج عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

ولو كان ذلك عندهم جائزاً أعني التوسل بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتي إلى النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يتوسل به في محله أينما كان إذ لا فائدة زائدة في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكذلك عمر والصحابة معه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباس لو كان التوسل بالذوات لا بالدعاء، وكذا معاوية وأصحابه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيد بن الأسود ولم يطلبوا منه الدعاء، ولما أمر النبي ﷺ عمر إذا وجد أويساً أن يطلب منه الاستغفار[1]، بل كان يكفيه أن يقول: اللهم بحق أويس القرني، ولم يعرف هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا بغيره من الأنبياء ولا بأحد من أفاضلهم الأولياء بعد موته، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرق بين ذلك وبين مماتهم، وهذا في التوسل بأهل القبور عام عند القبر وغيره وأما عبادة الله عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ، لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه، كما قدمنا عن قوم نوح من استدراج الشيطان لهم. وكذلك فعل بغالب هذه الأمة والعياذ بالله، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يصلي على القبور أو إليها وغلظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريباً إن شاء الله تعالى.

وإن دعا المقبورَ نفسه فقد ... أشرك بالله العظيم وجحد
لن يقبل الله تعالى منه ... صرفاً ولا عدلاً فيعفو عنه
إذ كل ذنب موشك الغفران ... إلا اتخاذ الند للرحمن

(**وإن دعا**) الزائر (**المقبور نفسه**) من دون الله عز وجل وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل من جلب خير أو دفع ضر أو شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك من قضاء الحوائج (**فقد أشرك**) في فعله ذلك (**بالله العظيم**) المتعالي

---

(١) مسلم (٤/١٩٦٨/ح ٢٥٤٢) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني رضي الله عنه.

عن الأضداد والأنداد والكفؤ والولي والشفيع بدون إذنه (وجحد) حق الله عز وجل على عباده وهو إفراده بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ونفي ضد ذلك عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ الله إلهاً آخَرَ لا برهانَ له به فإنَّما حسابُه عِنْدَ رَبِّه إنَّهُ لا يفلِحُ الكافرون﴾ (المؤمنون/١١٧) وقال تعالى: ﴿ولا تَدْعُ مِنْ دونِ الله ما لا ينفَعُكَ ولا يضُرُّك، فإنْ فعلت فإنَّكَ إذاً من الظالمين. وإن يمسَسْكَ الله بضُرٍّ فلا كاشفَ له إلا هو، وإن يردْكَ بخيرٍ فلا رادَّ لفَضْله﴾ (يونس/١٠٦ ـ ١٠٧) وقال تعالى: ﴿ومن أضل مِمَّنْ يدعو مِنْ دونِ الله مَنْ لا يستجيبَ له إلى يومِ القيامة وهم عن دعائِهم غافلون. وإذا حُشِرَ النّاسُ كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ (الأحقاف/٥ ـ ٦) وقال تعالى: ﴿إنَّ الذين تدعونَ من دونِ الله عبادٌ أمثالُكُم فادعوهم فليستجيبوا علكُم إنْ كنتم صادقين﴾ (الأعراف/١٩٤) الآيات. وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الناسُ ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا له، إنَّ الذينَ تدعونَ من دونِ الله لَنْ يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإنْ يَسْلُبهمُ الذبابُ شيئاً لا يستنقذوهُ مِنْهُ، ضَعُفَ الطالِبُ والمطلوب. ما قدروا الله حَقَّ قدره﴾ (الحج/٧٣) الآيات وقال تعالى: ﴿والذين تدعونَ من دونِهِ ما يملكونَ من قطمير. إنْ تدعوهم لا يسمعوا دعائَكُم، ولو سَمِعوا ما استجابوا لَكُم، ويومَ القيامة يكفرونَ بشركِكُم، ولا ينبؤكَ مِثْلُ خبير﴾ (فاطر/١٣) وقال تعالى: ﴿أولئكَ الذين يدعونَ يبتغونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلةَ أيُّهم أقرب ويرجونَ رَحْمَته ويخافونَ عذابه﴾ (الإسراء/٥٧) الآيات وغيرها ما لا يحصى يخبر الله تعالى أن من دعا مع الله إلهاً آخر ولو لحظة فقد كفر وإن مات على ذلك فلا فلاح له أبداً، ولو فعل ذلك نبيه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشف للضر غيره ولا جالب للخير سواه، وأنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه، وأن من عبد من دون الله يكون عدواً لعابده يوم القيامة وكافراً بعبادته إياه من دون الله تعالى، وأنهم كلهم عباد مثل عابديهم مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذباب فكيف يقدرون على قضاء شيء من

حوائج عابديهم؟ بل قد أخبرنا عز وجل أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا له، وأخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم أنهم لا يملكونَ كشف ضر من دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلة إلى ربهم والقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فينبغي للعباد الاقتداء بهم في ذلك الابتغاء والرجاء والخوف من الله عز وجل، لا دعاؤهم دونه، تعالى الله عما يشركون.

(لا يقبل الله تعالى منه) أي من ذلك الداعي مع الله غيره المتخذ من دونه أولياء **(صرفاً)** أي نافلة **(ولا عدلاً)** أي ولا فريضة **(فيعفو عنه)** في ذلك لأن الكافر عمله كلا شيء، قال الله تعالى: **﴿فلا نقيمُ لهم يَوْمَ القيامَةِ وزناً﴾** (الكهف/١٠٥) وقال تعالى: : **﴿وَقَدِمنا إلى ما عملوا مِنْ عَمَلٍ فجعلناهُ هباءً منثوراً﴾** (الفرقان/٢٣) وقال تعالى: **﴿وَمَثَلُ الذين كفروا بِرَبِّهم أعمالُهم كرمادٍ اشتَدَّتْ به الريحُ في يومٍ عاصفٍ لا يقدرونَ مِمّا كسبوا على شيء﴾** (إبراهيم/١٨)، وقال تعالى: **﴿والذين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بقيعةٍ يَحْسَبُهُ الظمآن ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يَجِدْهُ شيئاً﴾** (النور/٣٩) الآيات، وقال تعالى لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام: **﴿ذلك هدىَ الله يهدي به مَنْ يشاءُ ولو أشركوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعملون﴾** (الأنعام/٨٨) وقال لسيدهم وخاتمهم وأكرمهم على ربه تعالى: **﴿ولقد أوحىَ إليكَ وإلى الذينَ مِنْ قبلِكَ لئن أشركْتَ ليحبَطَنَّ عَمَلُكَ ولتكونَنَّ من الخاسرين، بل الله فاعبُد وكنْ مِنَ الشاكرين﴾** (الزمر/٦٥).

(إذ) حرف تعليل **(كل ذنب)** لقي العبد ربه به **(موشك الغفران)** أي يرجى ويؤمل أن يغفر ويعفى عنه **(إلا اتخاذ الند للرحمٰن)** فإن ذلك لا يغفر ولا يخرج صاحبه من النار ولا يجد ريح الجنة، قال الله تعالى: **﴿إنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يشرك به ويغفر ما دونَ ذلِكَ لمنْ يشاء. ومن يُشْرِكْ بالله فَقَدِ افترى إثماً عظيماً﴾** (النساء/٤٨) وقال تعالى: **﴿ومن يشرِكْ بالله فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً﴾** (النساء/١١٦)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يشرِكْ بالله فَقَدْ حَرَّمَ الله عليهِ الجَنَّةَ ومأواهُ النار وما للظالمينَ مِنْ أَنصار﴾ (المائدة/٧٢) وقال تعالى: ﴿ومن يشرِكْ بالله فكأَنَّما خَرَّ مِنَ السماءِ فتخَطُفُهُ الطَّيرُ أو تهوى به الرِّيحُ في مكانٍ سحيق﴾ (الحج/٣١)، وقد قدمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية في الدلالة على ما وراءه ولله الحمد والمنة.

فصل

في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

هذا الفصل هو المقصود بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارة إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيد له، فإنما المقصود من ذكر ضلال الأمم الأولى هو تحذير الأحياء الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزجر من وقع منهم عما وقع فيه لئلا يحل بهم ما حل بهم من النكال، كما أن الله سبحانه وتعالى ما قص علينا من أخبار الأمم الأولى إلا لنتعظ بهم ونعتبر بمصارعهم ولنعلم أسباب هلاكهم فنتقيه ونعلم سبل النجاة التي سلكها رسل الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرة فنسلكها ونقفوا أثرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَم يهدِ للذينَ يرثونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِها أَنْ لو نشاءُ أَصبناهُمْ بذنوبِهِمْ ونطبَعُ على قلوبِهِمْ﴾ (الأعراف/١٠٠) الآية، وقال تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ في مساكِنِ الذين ظَلموا أَنْفُسَهُمْ وتبيَّنَ لَكُم كَيْفَ فعلنا بِهِمْ وَضَرَبْنا لَكُمُ الأمثالَ، وقد مكروا مَكْرَهم وَعِنْدَ الله مكرُهُم﴾ (إبراهيم/٤٥)، وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِهِمْ كم أهلكنا مِنْ قبلهم من القرونِ يمشونَ في مساكِنِهم، إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ أفلا يسمعون﴾ (السجدة/٢٦)، وقال تعالى بعد أن قص علينا ما قص في سورة هود: ﴿ذلِكَ مِنْ أَنْباءِ القرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ منها قائمٌ وحصيدٌ، وما ظلمناهُم ولكِنْ ظلموا أَنْفُسَهُمْ فما أغنت عَنْهُم آلهتُهم التي يدعونَ مِنْ دونِ الله مِنْ شيء لمَّا جاءَ أمرُ رَبِّكَ وما زادوهُم غيرَ تتبيب. وكذلك أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القرى وَهِيَ ظالمة إنَّ أخذَهُ أليمٌ شديد﴾

(هود/١٠٠ ـ ١٠٢) الآيات، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاَّ أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»[١] وهو في الصحيح، فإذا كان هذا الخطر على من دخل ديارهم فما ظنك بمن عمل مثل عملهم وزيادة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن على القبر سراجاً أوقدا أو ابتنى على الضريح مسجدا
فإنَّهُ مجدد جهارا لسنن اليهود والنصارى

(ومن على القبر) متعلق بأوقد **(سراجا)** مفعول **(أوقدا)** بألف الإطلاق، والمعنى ومن أوقد سراجاً على القبر **(أو ابتنى)** بمعنى بنا وزيدت التاء فيه لمعنى الاتخاذ **(على الضريح)** أي على القبر واشتقاقه من الضرح الذي هو الشق **(مسجدا)** أو اتخذ القبر نفسه مسجدا ولو لم يبن عليه **(فإنه)** أي فاعل ذلك **(مجدد)** بفعله ذلك **(جهارا)** أي تجديداً واضحاً مجاهراً به الله ورسوله وأولياءه **(لسنن)** أي لطرائق **(اليهود والنصارى)** في اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ويعكفون عليها، وأعياد لهم ينتابونها، ويترددون إليها، كيف وقد قال الرسول ﷺ للذين طلبوا منه ذات أنواط «الله أكبر، إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿**اجْعَل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنَّكُم قومٌ تجهلون**﴾ لتتبعن سنن من كان قبلكم»[٢] وقال ﷺ: «لتتبعنَّ سنن مَنْ كان قَبْلَكُم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموه. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟» أخرجاه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه[٣]، وقد وقع

---

(١) البخاري (٦/٣٧٨ ـ ٣٧٩) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحاً**﴾. وفي المساجد، باب الصلاة في مواضع الخسف، وفي المغازي، باب نزول النبي ﷺ في الحجر، وفي التفسير، باب (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين).
ومسلم (٤/٢٢٨٦/ ح ٢٩٨٠) في الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين.

(٢) الترمذي (٤/٤٧٥/ ح ٢١٨٠) في الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلك وقال: حسن صحيح ورواه أحمد (٥/ ٢١٨) وإسناده صحيح.

(٣) البخاري (١٣/٣٠٠) في الاعتصام، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم. وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. =

الأمر والله كما أخبر ﷺ به، فالله المستعان.

كم حذر المختار عن ذا ولعن ... فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر ... وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر ... بأن يسوى هكذا صح الخبر

(كم) خبرية للتكثير (حذر المختار) نبينا محمداً ﷺ (عن ذا) الفعل من اتخاذ القبور مساجد وأعياداً والبناء عليها وإيقاد السرج عليها، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح ـ أو الرجل الصالح ـ بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[1]. وفيه عنها وهي وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم قال: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذّر ما صنعوا»[2] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[3]. وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها» رواه الجماعة إلا

= ومسلم (٤/٢٠٥٤/ ح ٢٦٦٩) في العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

(١) البخاري (١/٥٢٣ ـ ٥٢٤) في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد، وباب الصلاة في البيعة وغيرها.
ومسلم (١/٣٧٥ ـ ٣٧٦/ ح ٥٢٨) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور.

(٢) البخاري (٣/٢٠٠) في الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور. وباب ما جاء في قبر النبي ﷺ، وفي المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.
ومسلم (١/٣٧٦/ ح ٥٢٩) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

(٣) البخاري (١/٥٣٢) في الصلاة، باب الصلاة في البيعة. وغيره.
ومسلم (١/٣٧٦/ ح ٥٣٠) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها.

البخاري وابن ماجه[1]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» رواه الجماعة إلا ابن ماجه[2]. وعن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إنَّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إنّي أنهاكم عن ذلك» رواه مسلم[3]. وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يُجَصَّصَ القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه، رواه أحمد ومسلم والثلاثة وصححه الترمذي ولفظه: نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ[4]، وفي لفظ النسائي: نهى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه[5]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، رواه أهل السنن[6]. وللترمذي

---

(١) مسلم (٢/٦٦٨/ ح ٩٧٢) في الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليها.
وأبو داود (٣/٢١٧/ ح ٣٢٢٩) في الجنائز، باب كراهية القعود على القبر. والترمذي (٣/٣٦٧/ ح ١٠٥٠) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية المشي على القبور. والنسائي (٢/٦٧) في القبلة، باب النهي عن الصلاة إلى القبر.

(٢) البخاري (١/٥٢٨ ـ ٥٢٩) في الصلاة، باب كراهية الصلاة في المقابر، وفي التطوع، باب التطوع في البيت.
ومسلم (١/٥٣٨/ ح ٧٧٧) في صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته.
وأبو داود (٢/٦٩/ ح ١٤٤٨) في الصلاة، باب في فضل التطوع.
والترمذي (٢/٣١٣/ ح ٤٥١) في الصلاة، باب ما جاء في فضل التطوع في البيت.
والنسائي (٣/١٩٧) في صلاة الليل، باب الحث على الصلاة في البيوت والفضل في ذلك.

(٣) مسلم (١/٣٧٧ ـ ٣٧٨/ ح ٥٣٢) في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد.

(٤) مسلم (٢/٦٦٧/ ح ٩٧٠) في الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه. وأبو داود (٣/٢١٦/ ح ٣٢٢٥) في الجنائز، باب في البناء على القبر، والترمذي (٣/٣٦٨/ ح ١٠٥٢) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها والنسائي (٤/٨٦) في الجنائز، باب الزيادة على القبر، وباب البناء على القبر، وباب تجصيص القبور.

(٥) النسائي (٤/٨٦) في الجنائز. باب البناء على القبر.

(٦) أبو داود (٣/٢١٨/ ح ٣٢٣٦) في الجنائز، باب في زيارة النساء للقبور، والترمذي (٢/١٣٦/ ح ٣٢٠) في الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً. والنسائي (٤/٩٤ ـ =

وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور[٦] ولابن ماجه مثله من حديث حسان رضي الله عنه[٧]، ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود بأسناد حسن ورواته ثقات[٤]. وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو فيها، فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم» رواه في المختارة[٥]، وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد

= ٩٥) في الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور. وابن ماجه.
ولم أجده عند ابن ماجه إلا باللفظ الآتي وهو (زوّارات) من حديث ابن عباس (١/٥٠٢/ ح ١٥٧٥) في الجنائز باب ما جاء في النهي عن زيادة النساء القبور.
وفي سنده أبو صالح مولى أم هانيء بنت أبي طالب وهو ضعيف والحديث صحيح لشاهده الآتي دون الزيادة «والمتخذين عليها المساجد والسرج» مع بيان مفارقة بين قوله زوّارات وزائرات أنظر في أحكام الجنائز للعلامة الألباني (ص ١٨٦ - ١٨٧).

(١) الترمذي (٣/٣٧١/ ح ١٠٥٦) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء وقال: حسن صحيح.
وابن ماجه (١/٥٠٢/ ح ١٥٧٦) في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور وسنده حسن والحديث صحيح لشاهده من حديث حسان الآتي. والحديث السابق.

(٢) ابن ماجه (١/٥٠٢/ ح ١٥٧٤) في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور. وفيه عبدالرحمن بن بهمان قال عنه الحافظ: مقبول (إذا توبع وإلا فليِّن) فسنده ضعيف والحديث صحيح لشواهده المتقدمة.

(٣) أحمد (ح/٣٨٤٤، ٤١٤٣، ٤١٤٤، ٤٣٤٢) نسخة أحمد شاكر وإسناده حسن من طريقين.
ورواه أبو حاتم (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٦٦٨) تحقيق ناصر بن عبد الكريم العقل. وابن حبان (موارد ح ٣٤٠ و٣٤١).
وقوله إسناده جيد هو قول ابن تيميّة رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم.

(٤) أبو داود (٢/٢١٨/ ح ٢٠٤٢) في المناسك، باب زيارة القبور. وإسناده كما قال.

(٥) الضياء المقدسي في المختارة (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٧ - ٢٩٨) وأبو يعلى في =

أخبرني سهيل بن أبي صالح قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى فقال: هلم إلى العشاء، فقلت لا أريده، فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء»[1]. وروى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2] وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

(وقد نهى) النبي ﷺ **،عن ارتفاع القبر)** بالبناء أو نحوه، كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناء عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها **(وأن يزاد فيه فوق شبر)** كما في السنن عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبي ﷺ أن يبنى على القبر أو يزال عليه أو يجصص[3].

(وكل قبر مشرف) يعني مرتفع **(فقد أمر(** النبي ﷺ **(بأن يسوى)** بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تجاوز الشرع في ارتفاعها، **(هكذا صح الخبر)** ، وهو ما رواه مسلم عن ثمامة بن شُفِي قال: كنا مع فَضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا، فأمر فَضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[4]. وله عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن

= مسنده (الاقتضاء ص ٢٩٦) وإسماعيل بن إسحق في فضائل الصلاة على النبي ﷺ (ح ٢٠). وحَسَّن إسناده الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تخريج الأذكار.

(١) سعيد بن منصور في سننه (الاقتضاء ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩) وإسماعيل بن إسحق في فضائل الصلاة على النبي ﷺ (ح ٣٠) دون قوله (لعن الله اليهود. . .) وإسناده مرسل قوي والحديث صحيح لشواهده.

وقوله: «ثم ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء» من كلام الحسن بن الحسن.

(٢) الموطأ (١/١٧٢) في قصر الصلاة، باب جامع الصلاة من حديث عطاء بن يسار مرسلاً، والحديث صحيح لشواهده المتقدمة وغيرها.

(٣) تقدم قبل قليل.

(٤) مسلم (٢/٦٦٦/ح ٩٦٨) في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر.

أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[1].

وحذر الأمة عن إطرائه ... فغرهم إبليس باستجرائه
فخالفوه جهرة وارتكبوا ... ما قد نهى عنه ولم يجتنبوا

(وحذر) النبي ﷺ (**الأمة عن إطرائه**) أي الغلو فيه، كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[3]. وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل» رواه النسائي بسند جيد[4]. وعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النَّبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيِّد الله تعالى» قلنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[5]. وهذا كله من حماية النبي ﷺ جناب التوحيد. وكما قال لمن قال: تعالوا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، قال: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[6] والله سبحانه

---

(١) مسلم (٢/٦٦٦/٩٦٩) في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر.
(٢) البخاري (٦/٤٢٢) في الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾. وغيره وليس هذا اللفظ عند مسلم وأصل هذا الحديث عنده دون هذه الجملة.
(٣) النسائي (٥/٢٦٨) في الحج، باب التقاط الحصى. وابن ماجه (٢/١٠٠٨/ ح ٣٠٢١) في المناسك، باب قدر حصى الرمي. وأحمد ١/٢١٥ و٣٤٧ وإسناده صحيح.
(٤) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٢٤٨) وإسناده جيد كما قال.
(٥) النسائي في عمل اليوم والليلة (ح ٢٤٥) و(٢٤٦) و(٢٤٧) وسنده صحيح. ورواه أبو داود (ح ٤٨٠٦). وأحمد (٤/٢٥).
(٦) رواه الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت (المجمع ١٠/١٦٢) وفي سنده ابن لهيعة. ورواه أحمد من طريقه (٥/٣١٧) الشطر الأول ولكن قال: لا يقام لي إنما يقام لله تبارك وتعالى.

وتعالى قد بين ما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديق خبرهم وامتثال أمرهم واجتناب نهيهم واتباعهم على شريعتهم ومحبتهم هم واتباعهم وتوابع ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه لم يدَّع أحد منهم الربوبية ولا دعوا إلى عبادة أنفسهم ولا ينغبي لهم ذلك كما قال تعالى: ﴿ما كانَ لِبَشَرٍ أنْ يؤتيَهُ الله الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثمَّ يقول للنَّاسِ كونوا عباداً لي من دونِ الله،ولكنْ كونوا رَبَّانيِّين بما كُنْتُمْ تُعَلِّمونَ الكتابَ وبما كنتم تَدْرُسون. ولا يأمُرُكم أنْ تَتَّخذوا الملائِكَةَ والنَّبيينَ أرباباً، أيأمُرُكُم بالكُفْرِ بعد إذ أنْتُمْ مسلمون﴾ (آل عمران/٧٩ ـ ٨٠) وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المسيحُ أنْ يكونَ عبداً للهولا الملائكةُ المقربونَ وَمَنْ يستنْكِفْ عن عِبادَتِهِ وَيَسْتَكْبِر فَسَيَحْشُرُهُم اليه جميعاً﴾ (النساء/١٧٢) الآيات، وقال: ﴿ما المسيحُ بن مريمَ إلا رسولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل وأُمُّهُ صديقة كانا يأكلانِ الطعام﴾ (المائدة/٧٥) الآية، وقال تعالى: ﴿إن هو إلا عَبْدٌ أنعمنا عليهِ وجعلناهُ مثلاً لبني إسرائيل﴾ (الزخرف/٥٩) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذين قالوا إنّ الله هُوَ المسيحُ بنُ مريم، قل فمن يَمْلِكُ لكم مِنْ الله شيئاً إنْ أرادَ أنْ يُهْلِكَ المسيحَ بنَ مريم وأُمَّه وَمَنْ في الأرض جميعاً ولله مُلْكُ السَّمواتِ والأرض يخلق ما يشاءُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قدير﴾ (المائدة / ١٧)، وقال تعالى: ﴿وقالوا اتَّخَذَ الرَّحمنُ ولداً، سبحانَهُ بل عبادٌ مكرمون، لا يسبِقونَهُ بالقولِ وَهُمْ بأمْرِهِ يعملون، يعلمُ ما بينَ أيديهم وما خَلْفهم ولا يشفعونَ إلا لمن ارتَضى وَهُم من خَشْيَتِهِ مشفقون. ومن يَقُلْ منهم إنِّي إلهٌ مِنْ دونه فذلكَ نجزيه جهنم، كذلِكَ نجزي الظالمين﴾ (الأنبياء/٢٦ ـ ٢٩) وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ولا أقولُ لَكُم عندي خزائِنُ الله ولا أَعْلَمُ الغَيْب ولا أقولُ إنِّي ملك﴾ (الأنعام/٥٠) وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿قل لا أمْلِكُ لِنَفسي نفعاً ولا ضَرّاً إلا ما شاءَ الله، ولو كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيبَ لاستكثرتُ مِنَ الخير﴾ (الأعراف/١٨٨) وقال تعالى له: ﴿ليس لَكَ مِنَ الأَمْرِ شيء﴾ (آل عمران/١٢٨) وقال تعالى: ﴿قل إنّما أدعو رَبِّي

ولا اشركُ به أحداً، قل إنّي لا أَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً ولا رَشَداً، قل إنّي لن يجيرَني من اللهأحدٌ ولن أجِدَ مِنْ دونِهِ ملتحداً، إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ (الجن / ٢٠ ـ ٢٣) الآيات، وقال تعالى: ﴿قل ما كُنْتُ بدعاً مِنَ الرُّسُلِ وما أدرى ما يفعل بي ولا بِكُم، إنْ أَتَّبِعُ إلاّ ما يوحى إلي، وما أنا إلا نذيرٌ مبين﴾ (الاحقاف/٩) وقال تعالى: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسل، أفإنْ مات أو قُتِلَ انقلبتُم على أعقابِكُم﴾ (آل عمران/١٤٤) الآيات، وقد تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم مات النبي ﷺ وقال: أيهاالناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ﷺ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، إلى آخر خطبته رضي الله عنه[1]. وهذا باب واسع كثيرة النصوص فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي متعلقاته ومكملاته.

(فغرهم) أي أكثر الأمة بعدما سمعوا الزواجر والنواهي (إبليس) لعنه الله واعاذنا منه (باستجرائه) أي باستهوائه إياهم واستدراجه لهم وإدخالهم في الهلكات شيئاً فشيئاً كما فعل بالأمم السلفة قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهوون إما بلغو وإما بجفاء لا يبالي ما أهلك العبد به سواء قصره على الصراط المستقيم وهون عليه أمره حتى لا يدخله ولا يسلكه أو جاوزه به حتى يتبع سبيل الضلال فتفرق به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسل من الكفار وعادوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرة زين لهم ذلك وضرب لهم الأمثلة والمقاييس وانهم مثلهم بشر يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد آباؤهم ويتنقصوا شيوخهم بذلك وتكون لهم الكبرياء في الأرض وغير ذلك. والذين صدقوا الرسل واتبعوهم أتى الكثير من خلوفهم وزين لهم الغلو فيهم بالكذب والقول عليهم بالبهتان ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل، واتاهم بذلك في صورة محبتهم وموالاتهم حتى جعلهم مثله في البعد عن الله ورسله ولم يسلم من ذلك إلا عباد الله المخلصون الذين هداهم الله صراطه

---

(١) تقدمت في كلام المصنف في علو الله على خلقه.

المستقيم، فلم يقصروا عنه ولم يستبدلوا به غيره، بل استمسكوا بـه واعتصموا: ﴿**ومن يعتصم بالله فَقَدِ هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيم**﴾ (آل عمران/١٠١)، ﴿**ومن يُطِعِ اللهوالرَّسولَ فأولئك مـع الذين أَنْعَمَ الله عليهم من النَّبيينَ والصِدِّيقينَ والشهداءِ والصالحين وَحَسُنَ أولئكَ رفيقاً**﴾ (النساء/٦٩).

(**فخالفوه**) أي الـذين استهواهم الشيـطان خالفـوا النص من الكتاب والسنـة (**جهرة وارتكبوا، مـا قد نهى عنـه**) من الغلو والإطراء ومـا لم يأذن بـه الله (**ولم يجتنبوا**) ذلك ولا شيئاً: فنهى عن الحلف بغير الله عـز وجل وهؤلاء لا يحلفـون الا بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب ولا يحلفون بـالندّ فيكـذبون. ونهى أن تقرن مشيئـة العبـد بمشيئـة الله تعـالى، وهؤلاء يثبتـون لـه ذلـك على سبيـل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدوّ والآصال، ويسـألون منهم قضـاء الحوائـج دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاة منهم أن بعض الأولياء هو المتصرف في الكـون والمدبرله في كـل حال. ودعـا الرسـول ﷺ إلى عبادة الله وحـده ودعائـه وحده لا شريك له، فدعوا مع الله غيره، حتى دعـوا الرسـول الآتي بذلـك نفسه مـع الله عز وجل. ونهى عن اتخاذ القبور مساجد وهؤلاء يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها بل ولها من دون الله عز وجل، وكثير منهم يفضلون الصلاة فيها على مساجـد الله عـز وجـل التي بنيت لـذلـك. ونهى أن تجصص القبـور أو يبنى عليهـا، وهؤلاء قد ضـربوا عليهـا القباب وزخـرفوهـا، وحبسوا عليهـا العقـارات وغيـرها وأوقفـوهـا، وجعلوا لهـا النـذور والقـربـات، وكم عبـادة إليهـا دون الله صرفوهـا، ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلـك ودعا عليـه بالغضب وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتهم، ومـا بينهم وبين بنائهم عليهـا إلا موت أهلها أو حلم يتمثل لهم الشيطان فيـه أو خيال أو سمـاع صوت فيسـارعون الى ذلـك أسرع من مسـارعة أهـل الدين إلى الكتـاب والسنـة. ونهى عن إيقـاد السرج عليها، وهؤلاء يقفون الوقوف على تسريجها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل مـا لم يجعلوه في مساجـد الله، وكأنمـا ندبهم الـرسول ﷺ إلى ذلـك بتلك اللعنـة التي عنى بها من فعـل ذلك. وقـال ﷺ: «لا تشد الـرحـال إلا إلى

ثلاثة مساجد»[1] الحديث وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنونهم صالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور ويرون ارتكاب ذلك المنهي من اعظم القربات. ونهى ﷺ عن اتخاذها أعياداً[2]، وهؤلاء قد اتخذوها أعياداً ومعابد لا بل معبودات من دون الله عز وجل، ووقتوا لها المواقيت زماناً ومكاناً، وصنفوا فيها مناسك حج المشاهد وحجوا إليها أكثر ممايحج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخل بشيء من مناسكها أعظم جرماً ممن أخل بشيء من مناسك الحج، حتى أن من كان منهم قد حج عشرات مرات أو أكثر يبايع من شهد أحد المشاهد أن يعاوضه بجميع حججه بتلك الزيارة فيمتنع أشد الامتناع، ويخشعون عندها أكثر مما يخشع عند شعائر الله، وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»[3] وهؤلاء قد أطروا من هو دونه من أمته بكثير بل قد أطروا من لم يؤمن به ﷺ ساعة من الدهر أعظم من اطراء النصارى ابن مريم، بل جعلوه هو الرب على سبيل الاستقلال. وقال ﷺ: «انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»[4]، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سراً وجهراً وهتفوا باسم غير الله في السراء والضراء والشدة والرخاء وأخلصوا لهم الدعاء من دون الله عز وجل وصرفوا إليهم جل العبادات من الصلاة والنذر والنسك والطواف وغير ذلك. وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلان فكيف بمن يقول يا فلان مالي سواك، ويقول قد استغثت الله فلم يغثني حتى استغثت فلاناً فأغاثني، وإنه ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفة شيء مما ينسبونه إلى وليه من الأكاذيب المختلقة والحكايات الملفقة، وترى أكثر مساجد الله المبنية للصلوات معطلة حساً ومعنى، وفيها من الأزبال والكناسات والاوساخ ما لا يعد ولا يحصى، فإذا أتيت قباب المقابر والمساجد المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطار والزبرقة والستور المنقشة المعلمة

---

(١) تقدم ذكره.
(٢) تقدمت أدلته.
(٣) تقدم قبل قليل.
(٤) تقدم قبل قليل.

المرصعة والأبواب المفصصة المحكمة، ولها من السدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تحصيهم الاقلام، وعليها من الأكسية والرايات والأعلام ما لو قسم لاستغنى به كثير من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها، والأموال المجبية اليهامن الثمار والنقود والأنعام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جني الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي مُناف للتوحيدوأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد، تالله ما قوم نوح ولا عاد ولا ثمود ولا أصحاب الأيكة بأعظم شركاً ولا أشد كفراً من هؤلاء الملاحيد وليس أولئك بأحق منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيراً من اولئك ولا براءة لهم من ذلك الوعيد، ولكن الله يمهل ولا يهمل وما بطشه من الظالمين ببعيد، ﴿**وكذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القرى وَهِيَ ظالمة إِنَّ أَخْذَهُ أليمٌ شديد**﴾ (هود/١٠٢).

فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ورفعوا بناءها وشادوا
بالشيد والآجرّ والأحجار لا سيما في هذه الأعصار

(**فانظر**) أيها المؤمن (**إليهم**) وإلى أعمالهم (**قد غلوا**) في أهل القبور الغلو المفرط الذي نهاهم الله تعالى ورسوله ﷺ عنه (**وزادوا**) عما حذرهم عنه الرسل (**ورفعوا بناءها**) أي بناء القبور المنهي عن مجرده قليله وكثيره (**وشادوا**) أي ضربوه (**بالشيد**) وهو الجص (**والآجرِّ**) اللبن المحرق (**والأحجار**) المنقشة المزخرفة (**لا سيما**) بزيادة (**في هذه الأعصار**) القريبة بعد ظهور دولة العبيديين[1] الذين قال فيهم أهل العلم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، فاعتنوا

(١) وهي الدولة التي تسمت باسم الفاطميين نسبة لآل البيت وأنى لهم ذلك وسيّدهم يهودي (عبدالله بن ميمون القداح) وهي دولة إسماعيلية نزاريّة ومنها انبثقت الدرزيّة الملحدة بأمر إمامها الحاكم بأمر الله الفاطمي وملكت في مصر حتى أباد شوكتهم الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي.

ببناء القباب على القبور وزخرفتها وتشييدها وجعلها مشاهد، وندبوا الناس إلى زيارتها وأتوا بذلك باسم محبة أهل البيت وكل من جاء بعدهم من الدول المبتدعة زاد فيها وأحدث أكثر مما أحدث من قبله حتى اتخذوها مساجد ومعابد، إلى أن عبدت من دون الله، وسألوا منها ما لا يقدر عليه إلا الله وفعلوا بها مايفعل أهل الأوثان بأوثانهم وزادوا كثيراً فضلوا عن سواء السبيل، وأضلوا من قدروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلا اسمه، ولا من الكتاب والسنة لديهم إلا لفظه ورسمه، ولكن الأرض لا تخلو من مجدد لمعالم الشريعة الحنيفية، ومنبه على ما يخل بها أو يناقضها من البدع الشيطانية، ولا تزال طائفة من هذه الأمة أمة محمد ﷺ على الحق ظاهرة لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى، والله سبحانه يقول: ﴿**إنَّا نحن نَزَّلنا الذِّكْرَ وإنَّا لَه لحافظون**﴾ (الحجر/٩).

وللقناديل عليها أوقدوا ... وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والرايات ... وافتنوا بالأعْظُمِ الرفات
بل نحروا في سوحها النحائر ... فعل أولي التسييب والبحائر
والتمسوا الحاجات من موتاهم ... واتخذوا إلههم هواهم

(**وللقناديل**) من الشموع وغيرها (**عليها**) أي على القبور وفي قبابها (**أوقدوا**) تعرضاً لِلّعنة من رسول الله ﷺ لمن فعل ذلك إذ يقول: «لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[1] فأوقفوا لتسريجها الوقوف الكثيرة وجعلوا عليها سدنة وخداماً معدّين لإيقادها، وويل للسادن إن طفىء مصباح قبر الشيخ (**وكم لواء فوقها قد عقدوا**) تعظيماً لها وتألهاً ورغبة ورهبة، (**ونصبوا**) عليها (**الاعلام والرايات**) لا سيما يوم عيدها لأنهم قد اتخذوا لكل قبر عيداً أي يوماً معتاداً يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها كما أن الحج يوم عرفة، مخالفة منهم ومشاقة لله ورسوله إذ يقول ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً»[2] فقد اتخذوا قبور

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.

من هو دونه أعياداً، ومن فاته يوم ذلك العيد المعتاد فقد فاته المشهد وفاته خير كثير، وفي ذلك العيد تنصب الزينة الباهرة وتدق الطبول والأعواد، ويجتمع الرجال والنساء في ميدان واحد لابسين زينتهم قد عطر كل من الجنسين بأطيب ما يجد ولبس أطيب ما يجد، وتجبى الأموال من الأوقاف والنذور وغيرها على اختلاف أجناسها من نقود وثمار وأنعام وخراجات وغيرها مما علم الله تعالى أنها لا يبتغي بها وجهه ولم تنفق في مرضاته بل في مساخطه **(وافتتنوا)** في دينهم **(بالأعظم الرفات)** النخرة فعبدوها من دون الله عز وجل دعاء وتوكلاً وخوفاً ورجاء ونذراً ونسكاً وغير ذلك، **(بل نحروا في سوحها)** أي في أفنية القبور **(النحائر)** من الابل والبقر والغنم إذا نابهم أمر أو طلبوا حاجة من شفاء مريض أو ردّ غائب او نحو ذلك، وأكثرهم يسمها للقبر من حيث تولد ويربيها له إلى أن تصلح للقربة في عرفهم، ولا يجوز عندهم تغييرها ولا تبديلها ولا خصيها ولا وجاؤها لا يذهب شيء من دمها إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس **(فعل أولي التسييب والبحائر)** أي كفعل مشركي الجاهلية من العرب وغيرهم في تسييبهم السوائب وتبحير البحائر وجعل الحام كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطاً في موضعه، غير أن اولئك سموهم آلهة وشفعاء وسموا مثل هذا الفعل بهم عبادة، وهؤلاء سموهم سادة وأولياء وسموا دعاءهم إياهم تبركاً وتوسلاً وكلاهما مشرك في فعله بالله عز وجل، وهؤلاء أعظم شركاً وأشد لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة بل هم في الشدة أكثر شركاً وأشد تعلقاً بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهلية الأولى فيشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة كما أخبرنا الله عنهم بقوله تعالى: ﴿**فاذا رَكبوا في الفُلْكِ دَعُوا الله مخلِصينَ له الدينَ، فلما نَجَّاهم إلى البَرِّ إذا هم يشركون**﴾ (العنكبوت/٦٥) وغيرها من الآيات. **(والتمسوا الحاجات)** التي لا يقدر عليها إلا الله عز وجل **(من موتاهم)** من جلب الخير ودفع الشر **(واتخذوا إلههم هواهم)** وهذا هو السبب في عبادة غير الله بل في جميع معاصي الله، وهو الذي كلما هوى أمراً أتاه، ولم يأتهم الشيطان من غير باب الهوى ولم يصطد أحداً بغير شبكته، لأن الهوى يعمي عن الحق. ويضل عن السبيل أتباعه، وهو سبب الشقاوة كما أن التزام الشريعة باطناً وظاهراً سبب السعادة، فهما ضدان لا

يجتمعان ولا يكون الحكم إلا لواحد منهما، لأن الشريعة تدل على مرضاة الله وتأمر بها، وتحذر من مساخط الله وتنهى عنها، والهوى بضد ذلك، ولهذا قال ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره»[1] يعني لمخالفة أسبابها من الأعمال الصالحة للهوى، «وحفت النار بالشهوات»[2] لموافقة أسبابها من المعاصي للهوى. فطوبى لمن كان هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، وويل لمن قدم هواه على ذلك لقد هلك.

قد صادَهُمْ إبليسُ في فخاخهِ ... بل بعضهم قد صار من أفْراخِهِ
يدعو إلى عبادةِ الأوثانِ ... بالمالِ والنفسِ وباللسانِ

(**قد صادهم**) من الاصطياد بل من مطاوع اصطاد لأن التاء التي قلبت طاء هي لمعنى الطلب وأما حذفها فيدل على وصول الطالب إلى مطلوبه، (**إبليس في فخاجه**) التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرها في صورة الطاعات، فأول ما زين لقوم نوح العكوف على صور صالحيهم ليتذكروا عبادتهم الله تعالى فيقتفوا أثرهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا. وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة أول ما أشار عليهم ببناء القباب على القبور باسم محبة الأولياء ثم بالعكوف عليها وعبادة الله عز وجل عندها تبركاً وتيمناً بتلك البقاع التي فضلت بهم إذ دفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسهم دون الله عز وجل، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئاً فشيئاً إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، فصار الأمر كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القرى والأمصار، وفي كل زمن تشيع وتزيد وفي كل عصر من الأعصار، (**بل بعضهم قد صار من أفراخه**) المساعدين له الداعين إلى ما دعا إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (**يدعو إلى عبادة الأوثان**) من القبور وغيرها (**بالمال والنفس وباللسان**)، فمن دعايتهم إلى ذلك أنهم يجمعون أنواعاً من المطالب ويدخلونها القبر إلى القبة المبنية عليه في سراديب معدة تحتها فإذا

(١، ٢) مسلم (٤/٢١٧٤/ ح ٢٨٢٣) في صفة الجنة في فاتحته ورواه البخاري بلفظ حجبت في الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات (١١/ ٣٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اتى اليهم الجاهل المفتون ووقف على الحاجب فإن لم يكن له مطلوب معين قال له أدخل يدك فما خرج فيها فهو الباب الذي ترزق منه لا تعدوه إلى غيره، فإن خرج في يده تراب فحارث، وإن خرج قطن فحائك، وإن خرج فحم أو نحوه فحداد أو صائغ، وإن خرج آلة حجامة فحجام، وإن خرج كذا فهو كذا، على فواعدهم يعرفونها، ومخرقة لهم يألفونها، وإن كان له مطلوب معين قال له ما تريد من الشيخ؟ قال أريد كذا، فإن كان ذلك يوجد فيها أدخل القبر، وإلا قال ارجع الآن وموعدك الوقت الفلاني فإن الشيخ الآن مشغول أو نحو ذلك من الاعذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ، فلا يكرر الطلب أدباً معه، فلا يأتي في المرة الثانية إلا وقد استعد له بمطلوبه، فإذا جاء وأدخل يده خرج فيها ذلك المطلوب فحينئذ خرج ينادي: شيء لله يا شيخ فلان، وكلما وجد أحداً أراه ذلك وقال: هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه، فيجمعون من أموال الناس بهذه الحيل والشعوذة ما لا يحصى، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناس فحسب، بل احتالوا لسلب دينهم وأخرجوهم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر، وليس هذا خاصاً بقبور الصالحين الذين عرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أي قبر تمثل فيه الشيطان أو حكيت له حكاية أو رؤيت له رؤيا صدقاً كانت أو كذباً فقد استحق عندهم أن يبنى عليه القباب ويعكف عنده وينذر له ويذبح عليه ويستشفي به المرضى ويستنزل به الغيث ويستغاث به في الشدائد ويسأل منه قضاء الحوائج ويخاف ويرجى ويتخذ نداً من دون الله عز وجل وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علواً كبيراً.

الله أكبرُ لو رأيتَ على القبو ... رِ عكوفَهم صُبْحاً وبالإمساءِ
والله أكبرُ لو ترى أعيادَهم ... جَمْعَ الرِّجالِ معاً وجمعِ نساءِ
والله أكبرُ لو رأيتَ مساجداً ... بنيتْ على الموتى بأيِّ بناءِ
قَدْ زُخْرِفَتْ بحجارةٍ منقوشةٍ ... بالشِّيد قَدْ ضُرِبَتْ مَعَ الإعلاءِ
ورءوسُها قد زُيِّنَتْ بأهِلَّةٍ ... من أَنْفسِ المنقوشِ دونَ مِراءِ
قَدْ أُسرِجَتْ وَلَكمْ على تسريجها ... وقفوا الشُّموعِ لها بأيِّ أداء

كم سـادِنٍ قَـدْ وُكِّلوهُ بشـأنهـا طيبـاً وتنـظيفـاً وشـأْنِ ضيـاءِ
ويـلٌ لَهُ لـو قَـدْ أَخَـلَّ ببعضِ ذا مـاذا يقـاسِي مِنْ ضـروبِ بـلاءِ
وَلَكَمْ عليهـا رايـة قـد نُشِّـرتْ ألـوانُهـا سَلَبَتْ لقلبِ الـرائي
وكـرائمُ الأنعـام تنحَـرُ سـوحهـا منـذورةٌ يؤتى بهـا لِـوفـاءِ
لم يَفْـردوا ربَّ السمـاءِ بـدعـوةٍ بَـلْ للقبـورِ تجـاوَبـوا بنـداءِ
يـدعـونَهم في كَشْفِ كُـلِّ مَلَمَّـةٍ في الجهرِ قد هتفوا وفي الإخفاء
ويعظـمونهـمـو بِكـلِّ عبـادَةٍ يـا صاحِ في السَّـراءِ والضَـرَّاءِ
وتـراهُ بـالـرَّحمنِ يَحْلِفُ كـاذِبـاً وصفـاتِـهِ العليـا وبـالأَسمـاءِ
لـكنّـه لا يسـتطيع الحلف بـالمقبـورِ ذا إنْ لـم يَكُـنْ ببـراءِ
زادوا على شِـرْكِ الـذين إليهمـو بُعِثَ الـرَّسـولُ بـأَصْـدَقِ الأَنبـاءِ
إذا يخلصون لدى الكروب وهٰؤلا ء فشـركهـم في شِـدَّةٍ ورخـاءِ
بل في الشدائد شِرْكهم أضعاف ما قد أشركـوا في حـالـة السَّـراءِ
فتـراهُ ينـذر في الـرّخـاء ببـدنـةٍ وببـدنتين لـدى اشتـدادِ بـلاءِ
وجميـع مـا يـأتيـه في سَـرَّائِـهِ فَلَهُ بِـهِ الأَضعـافُ في الضَـرَّاءِ
تـالله مـا ظَفَـرَ اللعينُ بمثلهـا مِنْ بَعْضِ أَهْـلِ الشِّرعـةِ الغراءِ
حتى إذا مـا هيّـأوا لعـدوِّهـم سَبَبَ الـدُّخـولِ وسُلَّم الإغـواءِ
طمـع العـدوُّ بهم لنيـلِ مـرادِهِ منهم فغـرَّ القـومَ بـاستجـداءِ
لمَّـا أسـاءوا الـظَنَّ بـالـوحيين لٰكن أحسنـوه بِـزُخْـرفِ الأَعـداءِ
لم يهتدوا بالنَّصِ قَط بَـلِ اقتفوا آراءَ من قـد كـانَ عنهـا نـائي
نبـذوا الكتـابَ فلم يقيمـوا نَصَّـهُ إذ كـان ميلهـمـو إلى الأَهـواءِ
وعبـادةُ الأَوثانِ قـد صـارَتْ لهم دينـاً تعـالى الله عَنْ شـركـاءِ
وطـرائِقُ البِـدَعِ المضِلّةِ صَيَّـروا سُبُـلاً مكـان المِلّةِ السمحـاءِ
يـا ربّ ثبتنـا على دين الهـدى وعلى سلوكِ طـريقـهِ البيضـاء

واردد بتوفيقٍ إليها مَنْ نأى ... مِمَّن قَد استهوى أولو الأغواء
يا ربنا فاكشِف غطاءَ قلوبنا ... بالنّورِ أخرجنا من الظلماءِ
واسلك بنا نهج النَّجاةِ ونجِّنا ... مِنْ حيرةٍ وضلالةٍ عمياءِ
واجعل كتابَك يا كريمُ إمامنا ... ورسولَكَ المقدامَ للحنفاء
وانصر على الأعداءِ حزبَكَ إنهمْ ... خبطتهمو فتنٌ مِنَ الأعداءِ
راموا بنا السوأى بسوء مكايدٍ ... فاقصمهمو يا ربِّ للأسواء
واردُدْ إلهي كيدَهم في بيدهم ... وأبدهمو بيداً عن البيداء
أظهر على الأديان دينَك جهرةً ... وشعارهُ فارفع بدونِ خفاء
واجعل لوجهك خلّصاً أعمالَنا ... بعبادةٍ وولايةٍ وبراءِ[1]

فصل
أذكر فيه بيان حقيقة السِّحر وحكم السَّاحر وذكر عقوبة من صَدّق كاهناً

أي ما عليه من العقوبة شرعاً، وأن منه أي من السحر علم التنجيم وهو النظر في النجوم الآتي بيانه، وذكر عقوبة من صدق كاهناً بقلبه؛ ويعني عقوبته الوعيدية. والبحث في هذا الفصل في أمور:

الأول: هل السحر حقيقة وقوعه ووجوده أم لا.
الثاني: حكم متعلمه إن عمل به أو لم يعمل.
الثالث: عقوبته شرعاً ووعيداً.
الرابع: أنواعه.

والسحر حق وله تأثير ... لكن بما قدره القدير
أعني بذا التقدير ما قد قدره ... في الكون لا في الشرعة المطهره

---

(١) قال أحمد بن حافظ الحكمي (ابن المصنّف): هذه الأبيات من شعر المؤلف رحمه الله: وقد ورد بعض منها في قصيدته الطويلة «همزية الإصلاح».
حمداً بلا حدٍ ولا إحصاء ... لله مولى الحمد والنعماء

هذا هو البحث الأول في حقيقته وتأثيره:

(والسحر حق) يعني متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجوداً حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمراً وخبراً. وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجوداً في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبي الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: ﴿**إنَّ هذا لساحِرٌ عليم - إلى قوله - قال فرعونُ ائتوني بِكلِّ ساحرٍ عليم**﴾ (الشعراء/٣٤ - ٣٧) وقال تعالى عن السحرة: ﴿**فلما أَلْقَوا سَحَروا أعينَ النّاسِ واسترهبوهم وجاءوا بسحرٍ عظيم**﴾ (الأعراف/١١٦) وقال تعالى فيهم: ﴿**فإذا حبالهم وعصيهم يخيَّلُ إليهِ مِنْ سِحْرِهِم أَنَّها تسعى، فأَوْجَسَ في نَفْسِه خفيةً موسى، قلنا لا تَخَفْ إنَّكَ أَنْتَ الأعلى، وألقِ ما في يمينك تلقَفْ ما صَنَعوا إنّما صنعوا كيد ساحِر ولا يُفْلِحُ الساحِر حيث أتى**﴾ (طه/٦٦ - ٦٩) يقال إنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصى فرآها الناس حيات عظاماً ضخاماً وذلك قوله تعالى: ﴿**سَحَروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بِسِحْرٍ عظيم**﴾ وقوله: ﴿**يخيَّلُ إليه من سِحْرِهم أَنَّها تسعى**﴾ قال الله تعالى: ﴿**فأَوْجَسَ في نَفْسِه خيفةً موسى، قلنا لا تَخَفْ إنَّكَ أَنْتَ الأعلى، وألقِ ما في يمينك**﴾ (طه/٦٧ - ٦٩) يعني العصا ﴿**تلقف**﴾ تبتلع ﴿**ما صنعوا**﴾ أي السحرة أي ما اختلقوا وائتفكوا من الزور والتخييل، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿**فإذا هي تَلْقفُ ما يَأْفِكون**﴾ (الأعراف/١١٧) وهون الله أمرهم على نبيه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿**إنَّما صنعوا كيد ساحر**﴾ مكره وخداعه ﴿**ولا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حيث أتى**﴾، ﴿**فوقع الحقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يعملون، فَغُلِبوا هنالِكَ وانقلبوا صاغرين**﴾ (الأعراف/١١٩) إلى آخر الآيات، وقد أخبر الله تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: ﴿**إنما أَنْتَ مِنَ المسَحَّرين**﴾ (الشعراء/١٥٣) وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿**إنما أَنْتَ مِنَ المسَحَّرين**﴾ وقالت قريش لنبينا محمَّدٍ ﷺ كما ذكر الله تعالى ذلك عنهم في

غير موضع بل ذكر الله عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسلهم فقال تعالى: ﴿**كذلِكَ ما أتى الذينَ مِنْ قَبْلِهم مِنْ رسولٍ إلا قالوا ساحِرٌ أو مجنونٌ أتواصَوْا به**﴾ (الذاريات/٥٢) الآية، وقال سبحانه في ذم اليهود: ﴿**ولما جاءَهم رسولٌ من عِنْدِ الله مصدِق لما مَعَهم نَبَذَ فريقٌ مِنَ الذين أوتوا الكتاب كتابَ الله وراءَ ظهورِهم كأَنَّهم لا يعلمون، واتَّبعوا ما تتلو الشياطينُ على ملكِ سليمان وما كَفَر سليمانُ ولكِنَّ الشياطينَ كفروا يعلِّمونَ النَّاسَ السِّحْرَ وما أُنْزِل على الملكينِ ببابلِ هاروتَ وماروتَ وما يعلِّمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نَحْنُ فتنةٌ فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرِّقون به بين المرءِ وزوجِه وما هم بضارِّين بِهِ من أحدٍ إلا بإذْنِ الله، ويتعلَّمونَ ما يَضُرُّهُم ولا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِموا لمن اشتراهُ مَا لَهُ في الآخرةِ من خلاق، ولبئس ما شَرَوْا به أَنْفُسَهُمْ لو كانوا يعلمون. ولو أَنَّهم آمنوا واتَّقوا لمثوبةٌ مِنْ عِنْدِ الله خيرٌ لو كانوا يعلمون**﴾ (البقرة/١٠١ ـ ١٠٢) وقال تعالى: ﴿**ومن شَرِّ النفّاثاتِ في العُقَد**﴾ (الفلق/٤) والنفاثات هن السواحر يعقدن وينفثن. والمقصود أنه قد ثبت بهذه النصوص وغيرها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحر حقيقة وجوده.

(**وله تأثير**) فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، (**لكن**) تأثيره ذلك إنما هو **بما قدره القدير**) سبحانه وتعالى، أي بما قضاه وقدره وخلقه عندما يلقى الساحر ما ألقى، ولذا قلنا (**أعني بذا التقدير**) في قوله بما قدره القدير (**ما قد قدره في الكون**) وشاءه (**لا**) أنه أمر به (**في الشرعة**) التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه **المطهرة**)، من ذلك وغيره كما تقدم أن القضاء والأمر والحكم والإرادة كل منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكوني يشمل ما يرضاه الله ويحبه شرعاً، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعي يختص بمرضاته سبحانه وتعالى ومحابه، ولهذا قال تعالى في الشرعي: ﴿**يريدُ الله بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُريدُ بِكُمُ العسر**﴾ (البقرة/١٨٥) وقال عز وجل: ﴿**ولا يرضى لعبادِهِ الكفر وإن تشكروا يَرْضَهُ لَكُم**﴾

(الزمر/٧) فأخبر تعالى أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وأنه يرضى لهم الشكر ولا يرضى لهم الكفر، مع كون كل من العسر واليسر والشكر والكفر واقع بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه ومشيئته، قال الله تعالى: ﴿**الله خالِقُ كُلِّ شيء وَهُوَ على كلِّ شيءٍ وكيل**﴾ (الزمر/٦٢) وقال تعالى: ﴿**إنَّا كُلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدر**﴾ (القمر/٤٩) والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضراً وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه وتكوينه، لأنه تعالى خالق الخير والشر، والسحر من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿**فيتعلَّمون مِنْهما ما يُفَرِّقونَ بِهِ بَيْنَ المرءِ وزوجِه وما هُمْ بضارِّينَ بِهِ مِنْ أحدٍ إلا بإذنِ الله**﴾ (البقرة/١٠٢) وهو القضاء الكوني القدري، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعاً، وقد ثبت في الصحيحين من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عز وجل ودعاه ثم قال: «أشعرت يا عائشة، إن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن العاصم اليهودي من بني زريق. قال: فبماذا؟ قال: مِشْطٍ ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أروان. قال فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: «والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين». قلت: يا رسول الله أفأخرجته: قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شراً» وأمر بها فدفنت[1]. وفي رواية قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً. قال وفيم؟ قال في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان - وذكره -[2] هذا لفظ البخاري المشاطة ما يخرج من الشعر، والمشط أسنان ما

(١، ٢) البخاري (١٠/٢٢١) في الطب، باب السحر وفي باب هل يستخرج السحر (١٠/٢٣٢). وفي الجهاد باب هل يعفى عن الذمي إذا سحر، وفي الأدب باب قول الله: إن الله يأمر بالعدل =

يمشط به، والمشاقة من مشاقة الكتان، وجف طلعة غشاؤها وهو الوعاء الذي يكون فيه الطلع، تحت راعوفة هو حجر يترك في البئر عند الحفر ثابت لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقى، وقيل حجر على رأس البئر يستقي عليه المستقي، وقيل حجر بارز من طيها يقف عليها المستقي والناظر فيها، وقيل في أسفل البئر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعه لصلابته. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قال المازري رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السجر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث أيضاً مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه فاحالة كونه من الحقائق محال، ولا يستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوي قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة. قال: ومن أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته، وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل. فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلاً من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل

= والإحسان.

ومسلم (٤/١٧١٩/ ح ٢١٨٩) في السلام، باب السحر.

إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطىء زوجاته وليس بواطيء، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده. ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور. وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلالة والله أعلم ا. هـ.[1] قلت: قول المازري خلافاً لمن أنكر ذلك، قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: أجمعوا على أن السحر له حقيقة، إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عنده. ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر[2]، وقال القرطبي رحمه الله تعالى: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفراييني حيث قالوا إنه تمويه وتخييل ا. هـ.[3].

قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيواناً وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله عز وجل ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في

---

(١) شرح النووي (١٤/١٧٤ ـ ١٧٥). وقول القاضي عياض هو في الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/١٨٢).

(٢) الإفصاح لابن هبيرة (٢/٢٢٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٤٦).

الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقى الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصي حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولاً غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم. وبالله التوفيق.

واحكم على الساحر بالتكفير ... وحده القتل بلا نكير
كما أتى في السنة المصرحة ... مما رواه الترمذي وصححه
عن جندب وهكذا في أثر ... أمر بقتلهم روي عن عمر
وصح عن حفصة عند مالك ... ما فيه أقوى مرشد للسالك

هذا هو البحث الثاني وهو حكم الساحر:

(**واحكم على الساحر**) تعلَّمه أو علَّمه عمل به أو لم يعمل (**بالتكفير**) أي بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور:

منها سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُم رسولٌ مِنْ عِندِ الله مصدِّقٌ لما مَعَهُم نَبَذَ فريقٌ مِنَ الذين أوتوا الكتابَ كتابَ الله وراءَ ظهورِهِمْ كأَنَّهم لا يعلمون**﴾ (البقرة/١٠١) سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ، كل ذلك نبذه كفر، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله، وهذا معلوم من سبب نزول الآية كما قال الربيع بن أنس وغيره: إن اليهود سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله سبحانه وتعالى ما سألوه عنه فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل: ﴿**واتَّبعوا ما تتلو الشياطينُ على مُلْكِ سليمانَ وما كَفَر سليمانُ ولكِنَّ الشياطينَ كفروا يعلّمون النَّاسَ السحر**﴾ (البقرة/١٠٢) الآيات[1].

---

(١) ابن كثير (١/١٤٠/ وهو من قول الربيع بن أنس.

ومنها قوله: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾ تتقوله وتزوره ﴿على ملك سليمان﴾ أي في ملكه وعهده، ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضاً عما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر، وهو من عبادة الطاغوت التي هي أصل الكفر، وقد سمى الله تعالى طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، سمى ذلك عبادة وأنه اتخاذ لهم أرباباً من دون الله فقال تعالى: ﴿اتَّخذوا أحبارَهُم ورهبانَهُم أرباباً من دونِ الله﴾ (التوبة/٣١) الآية، قال عدي بن حاتم رضي الله عنه حين سمع رسول الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟» قال بلى. قال: «فتلك عبادتكم إياهم»[1]، ولهذا قال تعالى بعدها: ﴿وما أُمِرُوا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هُوَ سبحانَه عَمَّا يشركون﴾ (التوبة/٣١) فإذا كان هذا في طاعة الأحبار والرهبان فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي، فهل فوق هذا الشرك من كفر؟ ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ وعبادة الشيطان هي اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال ودعا إليه، كما قال عز وجل فيه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَد إليكُم يا بني آدمَ أَنْ لا تعبدوا الشيطانَ إنَّه لَكُم عدوٌّ مبين. وأَنِ اعبدونِ هذا صراطٌ مستقيم. ولقد أَضَلَّ مِنْكُم جِبِلًّا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾ (يس/٦٠ ـ ٦٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾، برَّأ الله سبحانه وتعالى نبيه عليه

---

(١) الترمذي (٥/٢٧٨/ ح ٣٠٩٥) في التفسير، باب ومن سورة براءة وفي سنده غطيف بن أعين وهو ضعيف.
ورواه جرير (١٠/١١٤) من طرق كلها من طريق غطيف.
وقال السيوطي: رواه ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (الدر المنثور ٤/١٧٤).
ورواه الطبراني في الكبير (١٧/٩٢/ ح ٢١٨) من طريق غطيف.
ورواه ابن جرير (١٠/١١٤) من حديث أبي البختري عن حذيفة موقوفاً وهو منقطع فالحديث ضعيف. وقد حسن إسناده العلامة الألباني غاية المرام (٦)

السلام من الكفر، وهذا الكفر الذي برأه تعالى منه هو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئاً من الكفر كله معصوماً مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحر وأنه بريء منه، ولو فرض وجود عمله به لكفر لأنه شرك والشرك أقبح الذنوب وأعظم المحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رسله سليمان وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿**ذلك هدى الله يهدي بِهِ مَنْ يشاء، ولو أشركوا لَحَبِطَ عنهم ما كانوا يعملون**﴾ (الأنعام/٨٨)، وهذا معلوم من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم الله تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان عليه السلام، فبرأه الله تعالى من إفكهم بهذه الآية، كما قال مجاهد رحمه الله تعالى في هذه الآية: ﴿**واتّبعوا ما تتلو الشياطينُ على ملك سليمان**﴾ قال: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفي سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر[1]. وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: كان سليمان عليه السلام يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيِّهِ في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا نعم. قالوا فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به، فقال أهل الحجاز ـ يعني اليهود من أهل الحجاز ـ كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ براءة سليمان عليه السلام فقال تعالى: ﴿**واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا**﴾[2] وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه

---

(١) ابن جرير الطبري (جامع البيان ١/٤٤٧) وفي سنده أبو حذيفة (موسى بن مسعود النهدي) وهو سيء الحفظ.

(٢) ابن كثير (١/١٤٠). ورواه ابن جرير (١/٤٤٩) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف واتهمه بعضهم.

في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا والله ما كان ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس فتعلَّموه وعَلَّموه، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله سليمانَ بن داود وَعَدَّه فيمن عَدَّ من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعم أنَّ ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً. وأنزل الله تعالى في ذلك: واتبعوا ما تتلو الشياطينُ على ملك سليمان وما كَفَرَ سليمانُ ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ الآية[1] وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آصف كاتب سليمان،وكان يعلم الإسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه. فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمَلُ به. قال فأكْفَره جهال الناس وسبّوه ووقف علماءُ النَّاس، فلم يَزَلْ جهال الناس يسبونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلِّمون الناسَ السحر**﴾[2] وتفاسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جداً، وما كان منه إسرائيلياً فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبي الله سليمان وأكفروه به وسبوه، وخاصموا به محمداً رسول الله ﷺ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فبين الله تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرَّأ نبيه سليمان عليه السلام مما ائتفكوه وأقام الحجة عليهم في بطلان ما انتحلوه فلله الحمد والمنة.

ومنها قوله تعالى: ﴿**ولكِنَّ الشياطينَ كفروا يُعَلِّمونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾

---

(١) ابن كثير (١/١٤٠). ورواه ابن جرير (١/٤٤٦) من طريق محمد بن حميد الرازي وقد تقدم.

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ١/١٣٩) وسنده حسن إلى ابن عباس رضي الله عنهما.
وهذه الأقوال المتقدمة لا تقوم بها الحجّة إذ أنها من أمور الغيب وقول الجمهور هو الصواب في تفسير الصحابي في أن حكمه ليس حكم المرفوع خلافاً للحاكم رحمه الله.

(البقرة/١٠٢) أكذب الله تعالى اليهود فيما نسبوه إلى نبيه سليمان عليه السلام بقوله: ﴿**وما كَفَرَ سُلَيمانُ**﴾ وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر لأن السحر كفر، ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر فقال تعالى: ﴿**ولكنَّ الشياطينَ كفروا يعلِّمونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ وكذلك كل من تعلم السحر أو علمه أو عمل به يكفر ككفر **الشياطين** الذين علموه الناس، إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجه، عنه رَوَى وبه تخرج وإياه اتبع، ولهذا قال تعالى في الملكين: ﴿**وما يعلِّمانِ من أحدٍ حتى يقولا إنَّما نَحْنُ فتنةٌ فلا تكفر**﴾ فبين تعالى أنه بمجرد تعلمه يكفر سواء عمل به وعلَّمه أو لا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فإذا أتاهما الآتي مريد السحر نهياه أشد النهي وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر، قال فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا فإذا أتى عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعاً في السماء فيقول: يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع[1]. وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد الله تعالى أن يبتلي به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر[2]، وقال قتادة كان أخذ عليهما أن لا يعلما أحداً حتى يقولا: ﴿**إنما نحن فتنة**﴾ أي بلاء ابتلينا به ﴿**فلا تكفر**﴾[3]، وقال السدي إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه وقالا له: لا تكفر إنما نحن فتنة، فإذا أبى قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب الله، فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول الله تعالى: ﴿**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾

---

(١) ابن كثير (١/١٤٧) وفيه أبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.
(٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ١/١٤٧ ـ ١٤٨).
(٣) ابن كثير (١/١٤٨). ورواه ابن جرير الطبري (١/٤٦١).

الآية[1]. وعن ابن جريج في هذه الآية: لا يجترىء على السحر إلا كافر، والفتنة هي المحنة والاختبار[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿**ويَتعلَّمون ما يَضُرُّهُم ولا يَنفعُهُمْ، ولقد علموا لَمَنِ اشتراهُ ما لَهُ في الآخرةِ من خلاق**﴾ (البقرة/١٠٢) يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفى بدخول الجنة خلاقاً، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة. ثم قال تعالى: ﴿**وَلَبِئْسَ ما شرَوْا به أَنْفُسَهُم لو كانوا يعلمون**﴾ (البقرة/١٠٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿**ولو أنّهم آمنوا**﴾ يعني بمحمد ﷺ والقرآن ﴿**واتَّقَوْا**﴾ السحر وسائر الذنوب ﴿**لمثوبةٌ من عِنْدَ الله خيرٌ لو كانوا يعلمون**﴾ (البقرة/١٠٣) وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفي الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقى: ولو أنه آمن واتقى، وإنما قال تعالى ذلك لمن كفر وفجر وعمل بالسحر واتبعه وخاصم به رسوله ورمى به نبيه ونبذ الكتاب وراء ظهره، وهذا ظاهر لا غبار عليه والله أعلم. وقد صرح بذلك أئمة السلف من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القدر الذي يصير به كافراً[3]، والصحيح أن السحر المتعلم من الشياطين كله كفر قليله وكثيره كما هو ظاهر القرآن.

[المبحث الثالث وهو عقوبة الساحر شرعاً ووعيداً]

(**وحدّه**) أي حدّ الساحر (**القتل**) ضربه بالسيف (**بلا نكير**) بل هو ثابت بالكتاب من عموم النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم (**كما أتى**) ثابتاً (**في السنة المصرحة**) الثابتة عن النبي ﷺ (**مما رواه الترمذي**) محمد بن عيسى بن سورة بمهملتين ابن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي الحافظ الضرير أحد الأعلام وصاحب الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم

---

(١) ابن كثير (١/١٤٨). ورواه ابن جرير الطبري (١/٤٦١).

(٢) ابن كثير (١/١٤٨) ورواه ابن جرير الطبري (١/٤٦٢).

(٣) سيأتي تفصيل كلام الأئمة في هذا من الإفصاح لابن هبيرة رحمه الله.

من جامعه وغيره، وعنه محمد بن إسماعيل السمرقندي وحماد بن شكر وأبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي راوي الجامع والهيثم بن كليب وخلق من أهل سمرقند ونسف وتلك الديار، وقال ابن حبان كان ممن جمع وصنف، قال أبو العباس المستغفري مات سنة تسع وسبعين ومائتين، مرفوعاً **(وصححه)** موقوفاً **(عن جندب)** هو ابن عبدالله بن سفيان البجلي العلقمي أو العلقي له ثلاثة وأربعون حديثاً اتفقا على سبعة وانفرد مسلم بخمسة. روى عنه الحسن وابن سيرين وأبو مجلز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في حد الساحر حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ حد الساحر ضربه بالسيف» هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدي البصري قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن أيضاً والصحيح عن جندب موقوفاً والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر فإذا عمل عملاً دون الكفر فلم ير عليه قتلاً[1]. ويعني بقوله: ما يبلغ الكفر أي ما كان فيه اعتقاد التصرف لغير الله وصرف العبادة له كما يفعله عباد هياكل النجوم من أهل بابل وغيرهم والله أعلم. **(وهكذا في أثر. أمر بقتلهم)** يعني السحرة **(روي عن عمر)** ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى العدوي أبي حفص المدني أحد فقهاء الصحابة ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأول من سمي أمير المؤمنين، له خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً اتفقا على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وعنه أبناؤه عبدالله وعاصم وعبيدالله وعلقمة بن أبي وقاص وغيرهم، شهد بدراً والمشاهد والمواقف، وولي أمر الأمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما وفتح في أيامه عدة أمصار، أسلم بعد أربعين

---

(١) الترمذي (٤/٦٠/ ح ١٤٦٠) في الحدود، باب ما جاء في حد الساحر. والدارقطني (٣/١١٤) والطبراني في الكبير (٢/١٦١/ ح ١٦٦٥) والبيهقي (٨/١٣٦).
وسنده ضعيف فيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف. والصحيح أنه موقوف على جندب.

رجلاً، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[1] ولما دفن قال ابن مسعود رضي الله عنه: ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم[2]. استشهد في آخر سنة ثلاث وعشرين ودفن في أول سنة أربع وعشرين في الحجرة النبوية وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه صهيب، ومناقبه جمة قد أفردت في مجلدات. وهذا الأثر المشار إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل الشيباني ومحمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله تعالى قالا: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال فقتلنا ثلاث سواحر[3].

(**وصح**) نقلاً (**عن حفصة**) بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين رضي الله عنها (**عند مالك**) بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي أبي عبدالله المدني أحد الأعلام في الإسلام وإمام دار الهجرة، ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به ثلاث سنين، وتوفي سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى ورضي عنه (**ما**) أي الذي (**فيه أقوى**) دليل (**مرشد للسالك**) وهو ما رواه في موطإه في «باب ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت، قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره، هو مثل الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿**ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق**﴾ فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه»ا.هـ.[4] قال ابن كثير رحمه الله

---

(١) الترمذي (٥/٦١٧/ ح ٣٦٨٢) في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: حديث حسن صحيح غريب. وفي الباب عن الفضل بن عباس وأبي ذر وأبي هريرة.
وأحمد (٢/٥٣ و٩٥) وإسناده حسن.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/١٨٠/ ح ٨٨٠٨ و٨٨٠٩ و٨٨١٠) وإسناد الثاني صحيح قال الهيثمي: إسناد هذا إسناد الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(٣) مسند الشافعي (ترتيبه ٢/٨٩/ ح ٢٩٠) ومسند أحمد (١/١٩٠ ـ ١٩١) وسنده صحيح.

(٤) الموطأ (٢/٨٧١) في العقول، باب ما جاء في الغيلة والسحر. وسنده منقطع رجاله ثقات. =

تعالى: وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيردإليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله، يحيى الموتى! ورآه رجل من صالح المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال: إن كان صادقاً فليحي نفسه، وتلا قوله تعالى: ﴿**أفتأتون السِّحْرَ وأنْتُمْ تبصرون**﴾ (الأنبياء/٣) فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه والله أعلم[1]. وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملاً على سيفه فقتله، قال أراه كان ساحراً[2]. وحمل الشافعي رحمه الله تعالى قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركاً[3]. والله أعلم.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: فصل. وقد ذكر الوزير ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله تعالى فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال ابو حنيفة ومالك واحمد: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا تعلم

= فمحمد بن عبدالرحمن لم يدرك حفصة رضي الله عنها.

وله شاهد: رواه الطبراني في الكبير (٢٣/١٨٧/ ح ٣٠٣) ورجاله ثقات غير إسماعيل بن عياش فإن روايته عن الحجازيين ضعيفة وهو كذلك هنا. وقد تابعه أبو معاوية عند البيهقي (٨/١٣٦) فالحديث صحيح عندي إن شاء الله تعالى.

(١) ابن كثير (١/١٤٩). والقصة مع جندب رضي الله عنه. وقد رواها بطولها هذا البيهقي في السنن الكبرى (٨/١٣٦). وسنده حسن فيه ابن لهيعة ولكن من رواية ابن وهب عنه ومن كلام أبي الأسود.

وقد رواه الحاكم عن الحسن الحاكم (٤/٣٦١) بسند صحيح. ورواها الدارقطني (٣/١١٤) وعند البيهقي (٨/١٣٦) عن أبي عثمان النهدي بسند صحيح.

(٢) ابن كثير (١/١٤٩) وسنده صحيح فأبو إسحق هو السبيعي وحارثة هو ابن مضرب العبدي تابعي ثقة فهو شاهد صحيح لما تقدم.

(٣) السنن الكبرى (٨/١٣٦). وابن كثير (١/١٤٩).

السحر قلنا له صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر. قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم، وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا، فأما إن قُتل بسحره إنسان فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا فإنه يقتل حدّاً عندهم، إلا الشافعي فإنه قال يقتل والحالة هذه قصاصاً. قال وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه: لا تقبل. وقال الشافعي وأحمد في الرواية: تقبل، وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة إنه يقتل كما يقتل الساحر إذا كان مسلماً، وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يقتل يعفى لقصة لبيد بن الأعصم. واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة إنها لا تقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل والله أعلم[1]. وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال قرأ على أبي عبدالله يعني أحمد بن حنبل: عمر بن هارون أخبرنا يونس عن الزهري قال يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها[2]. وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله تعالى أنه قال في الذمي: يقتل إن قتل سحره[3]. وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر أحداً. الأولى أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل. والثانية أنه يقتل وإن أسلم. وأما الساحر المسلمم فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى: ﴿**وما يعلِّمانِ من أحدٍ حتَّى يقولا إنَّما نَحْنُ فتنةٌ فلا تَكْفُر، فَيتعلَّمونَ مِنْهما ما يفرِّقون بِهِ بَيْنَ المرءِ وَزَوْجِهِ**﴾ لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائباً قبلناه، فإن

---

(١) ابن كثير (١/١٥٢) نقلاً من كتاب: الإشراف على مذاهب الأشراف. وقد أثبت كلامه هذا مع اختلاف يسير في كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢) ابن كثير (١/١٥٢).

(٣) القرطبي (الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٩).

قَتل بسحره قُتل، قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطىء عليه الدية[1].

هذا ومن أنواعه وشعبه علم النجوم فادر هذا وانتبه

هذا هو البحث الرابع وهو (بيان أنواعه):

فمنها علم التنجيم وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتاً لأجلها وصوروا فيها تماثيل سمَّوها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباساً خاصاً وحليةً خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصة، لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه، وكل نجمٍ جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصةً كأوقات الصلوات عند المسلمين. واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها. وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحدياً له مبيِّناً سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال الله تعالى: ﴿**وكذلِكَ نُري إبراهيمَ ملكوتَ السَّمواتِ والأرضِ وَلِيَكونَ مِنْ الموقِنينَ. فلما جنَّ عليهِ اللَّيلُ رأى كوكباً قال هذا ربي، فلما أفل قالَ لا أُحِبُّ الآفلين فلما رأى القَمَرَ بازغاً قالَ هذا ربِّي. فلما أفلَ قال لَئنْ لم يَهْدني رَبِّي لأكونَنَّ من القومِ الضّالين، فلما رأى الشَّمْسَ بازغةً قال هذا ربي هذا أَكْبَرْ، فَلَما أَفَلَ قال يا قوم إنّي بريءٌ مِمَّا تُشْرِكون**﴾ (الأنعام/٧٥ ـ ٧٨) إلى آخر الآيات.

ومنها ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكل حرف منها قدراً من العدد معلوماً ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده. ويطرح منه طرحاً خاصاً، ويثبت إثباتاً خاصَّاً، وينسبه إلى الأبراج الأثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثيرٌ منهم يغير الإسم لأجل ذلك ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إنْ جَمَعَهُمْ بيت لا

---

(١) ابن كثير (١/١٥٢/١٥٣).

يعيش أحدهم. وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدَّعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى، وهذا يكون غنياً وهذا يكون فقيراً، وهذا يكون شريفاً وهذا وضيعاً، وهذا محبباً وهذا مبغضاً. كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله لا يدريه الملك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه أذكر أم أنثى شقي أم سعيد ما الرزق وما الأجل، فيقول له فيكتب. وهذا الكاذب المفتري يدّعي علم ما استأثر الله بعلمه، ويدَّعي أنه يدركه بصناعة اخترقها. وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية. ومن صدقه به واعتقده فيه كفر والعياذ بالله.

ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفرداً، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الكوائن والحوادث. وقد ينسبون ذلك إليها مطلقاً. ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء وسيأتي الحديث فيه عند ذكره في المتن إن شاء الله وبه الثقة.

ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته، وأن في تلك سعوداً أو نحوساً وتأليفاً وتفريقاً وغير ذلك، وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادَّة لله ورسوله. وتكذيب بشرعه وتنزيله، واتباع لزخارف الشيطان ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجم مخلوق من المخلوقات مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بالعدم المحض متعقب به ليس له تأثير في حركة في الكون ولا سكون لا في نفسه ولا في غيره، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ ثمَّ استوى على العرشِ يغشى اللَّيْلَ النَّهارَ يطلبُهُ حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخَّراتٌ بأَمْرِهِ، ألا لَهُ الخَلْقُ والأمر**﴾ (الأعراف/٥٤) وقال تعالى: ﴿**ومن آياتِهِ الليلُ والنَّهارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ، لا تسجدوا للشَّمْسِ ولا للقمر واسجدوا لله الذي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تعبدونَ**﴾ (فصلت/٣٧) وقال تعالى: ﴿**وآية لهمُ الليلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فإذا هم مظلمون، والشَّمْسُ تجري لمستَقَرٍّ لها ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليم. والقَمَرَ قدَّرناهُ منازِلَ حتى عاد كالعرجونِ القديم، لا**

الشَّمْسُ ينبغي لها أن تُدْرِك القمرَ ولا الليلُ سابِقُ النَّهارِ وكلٌّ في فَلَكٍ يسبحون﴾ (يس/ ٣٧ ـ ٤٠) وقال تبارك وتعالى: ﴿تباركَ الذي جَعَلَ في السَّماءِ بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً. وَهُوَ الذي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خلفةً لمن أرادَ أَنْ يذَّكَّرَ أو أرادَ شكوراً﴾ (الفرقان/٦١ ـ ٦٢) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الذي جَعَلَ لكمُ النُّجوم لتهتدوا بها في ظُلمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ، قَدْ فصَّلنا الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾ (الأنعام/٩٧) وقال تعالى: ﴿وعلاماتٍ وبالنَّجْمِ هُمْ يهتدون﴾ (النحل/٦٦) وقال سبحانه: ﴿إنَّا زينَّا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكبِ وحفظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ ما رد لا يسمعون إلى الملأِ الأَعْلى وَيُقْذَفونَ مِنْ كُلِّ جانب دُحوراً وَلَهُم عذابٌ واصب، إلا مَنْ خَطِفَ الخطفةَ فأتبعه شِهابٌ ثاقب﴾ (الصافات/٦ ـ ١٠) وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وَجَعلناها رُجُوماً للشّياطين﴾ (الملك/٥) وقال تعالى: ﴿هُوَ الذي جَعَلَ الشَّمْس ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّرهُ منازِلَ لتعلموا عدَدَ السِّنينَ والحساب، ما خَلَقَ الله ذلكَ إلا بِالحَق﴾ (يونس/٥) وغير ذلك من الآيات. وقال تعالى في ذهابها وفنائها وعودها إلى العدم كما أوجدت بعد العدم: ﴿إذا الشَّمْسُ كُوِّرَت وإذا النُّجومُ انْكَدَرت﴾ (التكوير/١ ـ ٢) وقال تعالى: ﴿وإذا الكواكِبُ انْتَثَرَت﴾ (الانفطار/٢) وقال سبحانه: ﴿وَخُسِفَ القمرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ والقمر﴾ (القيامة/٨ ـ ٩) وروى ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى عن قتادة الإمام في التفسير وغيره قال رحمه الله تعالى: إنما جعل الله سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال، جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به، وإنَّ ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما على هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه: ﴿لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّمواتِ

﴿والأَرْضَ الغَيْبَ إلاَّ الله وما يشعرون أَيَّانَ يُبعثون﴾ (النمل/٦٥)[١]. وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقاً[٢]. وقال أبو داود رحمه الله تعالى في كتاب الطب من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد، المعنى، قالا حدثنا يحيى عن عبيدالله بن الأخنس عن الوليد بن عبدالله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبةً من النُّجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٣] وذكر حديث النوء. وروي عبد بن حميد عن رجاء بن حَيْوة أن النبي ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة»[٤]. وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعاً: «أخاف على أمتي ثلاثاً: حيف الأئمة، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر»[٥]. وروى أبو يعلى وابن عدي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم»[٦] وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة»[٧] ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ: «رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق»[٨].

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٤/٤٢٣) وابن جرير في تفسيره (٢٩/٣).

(٢) في بدء الخلق، باب في النجوم (٦/٢٩٥).

(٣) أبو داود (٤/١٥ ـ ١٦/ ح ٣٩٠٥) وأحمد (١/٢٢٧ و٣١) وسنده صحيح.

(٤) عبد بن حميد (كما في الفيض للمناوي (١/٢٠٤) وقال حسن لغيره وهو مرسل).

(٥) ابن عساكر (كنز العمال ح ١٤٦٣٢) والسلسلة الصحيحة للألباني (ح ١١٢٧). وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/٣٩) وسنده ضعيف فيه أبو سعيد البقال وهو ضعيف وعلي بن يزيد الطائي قال عنه الحافظ: لين.

(٦) مسند أبي يعلى (٧/١٦٢ ـ ١٦٣) والكامل لابن عدي (٤/١٣٥٠) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف. وضعفه البوصيري كما ذكر حبيب الأعظمي في المطالب العالية. ورواية أبي يعلى (خمساً) بدل خصلتين ولم يذكر سوى خصلتين.

(٧) الطبراني في الكبير (١١/٤١/ ح ١٠٩٨٠) وهو حديث موضوع فيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب.

(٨) قال المناوي في فتح القدير: ورواه حميد بن زنجويه من طريق الطبري: فهو كالذي قبله وهو موضوع. وقد صح موقوفاً على ابن عباس. رواه عبد الرزاق (١١/٢٦) والبيهقي (٨/١٣٩).

ومن أنواع السحر زجر الطير والخط بالأرض، قال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عوف حدثنا حيان ـ قال غير مسدد: حيان بن العلاء ـ حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت» ورواه أحمد في مسنده[1]. والجبت هو السحر قاله عمر رضي الله عنه وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم[2]. وعن ابن عباس وغيره أيضاً الجبت الشيطان[3]، ولا ينافي الأول لأن السحر من عمل الشيطان، وعنه أيضاً الجبت الشرك[4]، وعنه الجبت الأصنام[5]، وعنه الجبت حيي بن أخطب[6]، وعن الشعبي الجبت كاهن[7]. وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف[8]، ولا منافاة أيضاً فإن السحر من الشرك الذي يشمله عبادة غير الله، وحي بن أخطب وكعب بن الأشرف ممن خاصم رسول الله ﷺ بالسحر، والكاهن عامل بالسحر، وقال في القاموس: الجبت بالكسر الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله عز وجل[9].

ومن أنواعه العقد والنفث فيه قال الله تعالى: ﴿**ومن شَرِّ النَّفاثاتِ في العقد**﴾ (الفلق/٤) وقد تقدم حديث عائشة في قصة لبيد بن الأعصم، وقد ثبت في حديث نزول المعوذتين ورقية جبريل النبي ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آية

---

(١) أبو داود (٤/١٦/ح ٣٩٠٧) في الطب، باب في الخط وزجر الطير. وأحمد (٣/٤٧٧). وابن حبان (الإحسان ٧/٦٤٦). وسنده حسن.

(٢) رواية عمر بن الخطاب رواها ابن جرير الطبري (٥/١٣٣) من طرق عن أبي إسحق السبيعي عن حسان بن فائد عن عمر. وحسان بن فائد قال عنه أبو حاتم: شيخ (يضعفه) ت ١٠٢٨ قلت وفيه جهالة. وانظر ابن كثير (١/٥٢٤ ـ ٥٢٥).

(٣) أنظر ابن كثير (١/٥٢٥).

(٤) ابن كثير (١/٥٢٥).

(٥) ابن كثير (١/٥٢٥). وانظر ابن جرير (٥/١٣١).

(٦) ابن جرير (٥/١٣٢) وابن كثير (١/٥٢٥).

(٧) ابن كثير (١/٥٢٥).

(٨) ابن جرير (٥/١٣٢)، وابن كثير (١/٥٢٥).

(٩) القاموس المحيط (باب التاء فصل الجيم).

انحلت عقدة[1]. وقال النسائي رحمه الله تعالى في كتاب تحريم الدم من سننه: «الحكم في السحرة» أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا أبو داود قال حدثنا عباد بن ميسرة المنقري عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»[2] وقد أطلق السحر على ما فيه التخييل في قلب الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي، كما في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله قال: «إن من البيان لسحراً»[3] يعني لتضمنه التخييل فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عني به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن حكمت له من حق أخيه بشيء فإنما هو قطعة من النار»[4] أو كما قال: وهو في الصحيح، وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وهو من الجهاد في سبيل الله عز وجل. وقد سمى ﷺ ما يعمل عمل السحر سحراً وإن لم يكن سحراً كقوله ﷺ: «ألا أنبئكم ما لعضة، هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه[5]. والعضة في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسمى النميمة سحراً لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرها من المتحابين بل هي أعظم في الوشاية لأنها

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) النسائي (١١٢/٧) في تحريم الدم، باب الحكم في السحرة. وسنده ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف وعنعنة الحسن.

(٣) البخاري (٢٠١/٩) في النكاح، باب الخطبة، وفي الطب، باب إن من البيان سحراً (٢٣٧/١٠).
ومسلم لم يخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وإنما من حديث عمار رضي الله عنه في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢، ٥٩٤/ ح ٨٦٩).

(٤) البخاري (١٥٧/١٣) في الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم - وغيره -. ومسلم (١٣٣٧/٣ - ١٣٣٨/ ح ١٧١٣) في الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

(٥) مسلم (٢٠١٢/٤/ح٢٦٠٦) في البر والصلة، باب تحريم النميمة.

تثير العداوة بين الأخوين. وتسعر الحرب بين المتسالمين كما هو معروف مشاهد لا ينكر. وقد جاء الوعيد للقتات في الآيات والأحاديث كثيراً جداً[1]. ومع هذا فالخداع للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهاد وأنفعه وأشده نكاية فيهم كما فعله نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب بإذن رسول الله ﷺ حتى فرّق بين قريش وبين يهود بني قريظة ونقض الله بذلك ما أبرموه ولله الحمد والمنة[2].

[حرمة حل السحر بالسحر]

وحله بالوحي نصاً يشرع أما بسحر مثله فيمنع

(وحله) يعني حل السحر عن المسحور (بـ)الرقى والتعاويذ والأدعية من **(الوحي)** الكتاب والسنة **(نصاً)** أي بالنص **(يشرع)** كما رقى جبريل النبي ﷺ بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديث الرقى المتقدمة في بابها التي أمر بها الشارع ﷺ وندب إليها، ومن أعظمها فاتحة الكتاب[3] وآية الكرسي[4] والمعوذتان[5] وآخر سورة الحشر[6]، فإن ضم إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ

---

(١) القتات هو الذي ينمُّ الكلام بين الناس وقال ﷺ: لا يدخل الجنة قتات.
رواه البخاري (١٠/٤٧٢) في الأدب، باب ما يكره من النميمة.
ومسلم (١/١٠١/ ح ١٠٥) في الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٢) أنظر سيرة ابن هشام (٣/١٨٣ ـ ١٨٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٤٤٥ ـ ٤٤٧).

(٣) تقدمت في الرقى.

(٤) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان عندما وكله رسول الله ﷺ على مال الصدقة. أخرجه البخاري تعليقاً (٤/٤٨٦) في الوكالة، باب إذا وكل رجلاً منزل الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز والحديث صحيح وعليه كلام طويل أنظره في الفتح.

(٥) تقدم ذكرها.

(٦) عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي...».
رواه الترمذي (٥/١٨٢/ ح ٢٩٢٢- في فضائل القرآن، باب ٢٢. وأحمد (٥/٢٦) وإسناده ضعيف.

من الشياطين مطلقاً والآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر كقوله تعالى: ﴿فوقَعَ الحقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يعملون ـ فَغُلِبوا هنالِكَ وانقلبوا صاغرين﴾ (الأعراف/١١٩) وقوله عز وجل: ﴿ما جئتم بِهِ السِّحْرُ إنَّ الله سيبطِلُهُ إنَّ الله لا يُصْلِحُ عَمَلَ المفسدين﴾ (يونس/٨١) وقوله تعالى: ﴿إنَّما صنعوا كيدُ ساحر ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حيثُ أتى﴾ (طه/٦٩) ونحوها كان ذلك حسناً، ومثل ذلك الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثير منها في باب الرقي، وكحديث: «ربنا الله الذي في السماء، تبارك أسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ» رواه أبو داود[1]، وكحديث عثمان بن أبي العاص أنه قال: أتاني رسول الله ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله ﷺ: «امسح بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته وسلطانه من شر ما أجد» قال ففعلت فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح[2]. وكتب السنة من الأمهات وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن الله عز وجل، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

(أما) حل السحر عن المسحور (**بسحر مثله فيحرم**) فإنه معاونة للساحر وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر[3]. ولما قيل للنبي ﷺ: لو تنشرت، فقال: «أما أنا فقد شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أثير على الناس

---

(١) أبو داودو (٤/١٢/ ح ٣٨٩٢) في الطب، باب كيف الرقى وفي سنده زيادة بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث.

(٢) الترمذي (٤/٤٠٨/ ح ٢٠٨٠) في الطب، باب رقم ٢٩.
ورواه مسلم (٤/١٧٢٨/ ح ٢٢٠٢) في السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم.

(٣) أي الحسن البصري وذكر هذا الأثر ابن الجوزي في جامع المسانيد. وانظر تفصيل النشرة في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، باب ما جاء في النشرة من ص (٣٠٧).

شراء»[1] وقال أبو داود في كتاب الطب من سننه: «باب في النشرة» حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا عقيل بن معقل قال: «سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «هو من عمل الشيطان»[2]. ولهذا ترى كثيراً من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه ليضطره بذلك إلى سؤاله حله ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينهم نسأل الله تعالى العافية.

[تصديق الكاهن كُفر]

ومن يصدق كاهناً فقد كفر بما أتى به الرسول المعتبر

(ومن يصدق كاهناً) يعتقد بقلبه صدقه في ما ادعاه من علم المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها **(فقد كفر)** أي بلغ دركة الكفر بتصديقه الكاهن **(بما أتى به الرسول)** محمد ﷺ عن الله عز وجل من الكتاب والسنة وبما أتى به غيره ﷺ من الرسل عليهم السلام. ولنسق الكلام أولاً في تعريف الكاهن من هو ثم في بيان كذبه وكفره ثم في كفر من صدقه بما قال والله المستعان، فنقول:

الكاهن في الأصل هو من يأتيه الرئى من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم كما قال الله تعالى: ﴿**هل أنبِّئكُمْ على من تَنَزَّلُ الشياطينُ، تَنَزَّلُ على كُلِّ أَفَاكٍّ أثيم، يُلْقونَ السَّمْعَ وأكثرُهُم كاذبون**﴾ (الشعراء/٢٢١) وهذه الآيات متعلقة بما قبلها وهي قوله عز وجل لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهن وقالوا في القرآن كهانة وأنه مما يلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿**وإنَّهُ لتنزيلُ رَبِّ العالمين، نَزَل به الروحُ الأمينُ،**

---

(١) تقدم وهي تفسير قول عائشة رضي الله عنها: أفلا استخرجته (البخاري في الطب) أقولها فهلا: تعني تنشرت (البخاري في الأدب).

(٢) أبو داود (٤/٦/ ح ٣٨٦٨) في الطب، باب النشرة وسنده صحيح. وسميت الرقية بالنشرة: لأنها ينشر بها عن المريض أي يحل عنه ما خامره من الداء (ابن الأثير في جامع الأصول).

على قَلْبِكَ لتكونَ من المنذرينَ، بلسانٍ عربيٍّ مبين﴾ (الشعراء/١٩٢ ـ ١٩٥) إلى أن قال تعالى: ﴿وما تنزَّلتْ بِهِ الشياطينُ وما ينبغي لهم وما يستطيعون. إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لمعزولون﴾ (الشعراء/٢١٠ ـ ٢١٢) فأثبت تعالى أن القرآن كلامه وتنزيله، وأن جبريل عليه السلام رسول منه مبلغ كلامه إلى الرسول البشري محمد ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون عليه فقال: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ وقرر انتفاء ذلك بثلاثة أمور: الأول بعد الشياطين وأعمالهم عن القرآن، وبعده وبعد مقاصده منهم، فقال تعالى: ﴿وما ينبغي لهم﴾ لأن الشياطين مقاصدها الفساد والكفر والمعاصي والبغي والعتوّ والتمرد وغير ذلك من القبائح، والقرآن آت بصلاح الدنيا والآخرة، آمر بأصول الإيمان وشرائعه مقرر لها مرغب فيها زاجر عن الكفر والمعاصي ذام لها متوعد عليها آمر بالمعروف ناه عن المنكر، ما من خير آجل ولا عاجل إلا وفيه الدلالة عليه والدعوة إليه والبيان له، وما من شر عاجل ولا آجل إلا وفيه النهي عنه والتحذير منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟ الثاني عجزهم عنه فقال تعالى: ﴿وما يستطيعون﴾، أي لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلام رب العالمين ليس يشبه كلام شيء من المخلوقين، وليس في وسعهم الإتيان به ولا بسورة من مثله: ﴿قل لَئِنِ اجتمعتِ الإنْسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثْلِ هذا القرآن لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كانَ بَعْضُهم لبعضٍ ظهيراً﴾ (الإسراء/٨٨). الثالث عزلهم عن السمع وطردهم عن مقاعده التي كانوا يقعدون من السماء قبل نزول القرآن فقال تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ فبين تعالى ـ مع كونه لا ينبغي لهم ـ أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسهم ولا نقلاً عن غيرهم من الملائكة، نفي عنهم الأول بعدم الاستطاعة، والثاني بعزلهم عن السمع وطردهم منه، قال الله عز وجل: ﴿إنَّا نَحْنُ نزَّلنا الذِّكرَ وإنَّا لَهُ لحافظون﴾ (الحجر/٩) إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جعلنا في السماءِ بروجاً وزَيّناها للنَّاظرين، وَحَفِظناها مِنْ كُلِّ شيطانٍ رجيم، إلا من استرَقَ السَّمْعَ فأتبعه شِهابٌ مبين﴾ (الحجر/١٦ ـ ١٨) وقال تعالى: ﴿إنا زينَّا السماءَ الدنيا بزينةٍ الكواكب وَحِفظاً مِنْ كُلِّ شيطانٍ مارد، لا يسمَّعونَ إلى الملأِ

الأعلى وَيُقْذَفون مِنْ كُلِّ جانِبْ دُحوراً وَلَهُمْ عذابٌ واصِبٌ، إلا مَنْ خَطَفَ الخطفةَ فأتبعهُ شِهابٌ ثاقب﴾ (الصافات/٦ ـ ١٠) وقال تعالى: ﴿ولقد زينَّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ وجعلناها رُجوماً للشياطين﴾ (الملك/٥) وقال تعالى عن مؤمني الجن رضي الله عنهم: ﴿وإنَّا لمسنا السماءَ فوجدناها مُلِئَتْ حرساً شديداً وشهباً. وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ منها مقاعِدَ للسَّمْعِ فمن يستَمِع الآنَ يَجِدْ لَهُ شهاباً رصداً. وأنَّا لا ندري أشرٌ أريدَ بمن في الأرضِ أم أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رشداً﴾ (الجن/٨ ـ ١٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو ﷺ بنخل عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿يا قومنا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرُّشْدِ فآمنا به وَلَنْ نُشْرِكَ بربِّنا أحداً﴾ (الجن/١ ـ ٢) فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿قل أوحيّ إليَّ أنّهُ استمعَ نَفَرٌ من الجن﴾ (الجن/١) وهذا الحديث بطوله وطرقه في الصحيحين وغيرهما[1]، ثم قال تعالى في جواب الكفار مبيناً لهم أولياء الشياطين الذين تنزل عليهم فقال تعالى: ﴿هل أنبؤكُم على من تَنَزَّلُ الشياطين﴾ (الشعراء/٢٢١) الآيات. وفي صحيح البخاري قالت عائشة رضي الله عنها: سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: «إنهم ليسوا بشيء» قالوا يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً، فقال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحق

---

(١) البخاري (٦٦٩/٨) في التفسير، في تفسير سورة الجن، وفي صفة الصلاة، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر.
ومسلم (٣٣١/١/ ح ٤٤٩) في الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح.

يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة»[1]. وله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أو ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» ولمسلم عن ابن عباس نحوه[2]، وللبخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تحدّث في العَنان ـ والعنان الغمام ـ بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها مائة كذبة»[3]. وقد بين الله تعالى كذب الكاهن بقوله: ﴿أَفَّاكٌ أثيم﴾ (الشعراء/٢٢٢) فسماه أفاكاً وذلك مبالغة في وصفه بالكذب. وسماه أثيماً وذلك مبالغة في وصفه بالفجور. وقوله: ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أي أكثر ما يقولونه الكذب فلا يفهم منه أن فيهم صادقاً، يفسره قول النبي ﷺ: «فيكذب معها مائة كذبة» فلا يكون صدقاً إلا الكلمة التي سمعت من السماء.

وأما كفر الكاهن فمن وجوه: منها كونه ولياً للشيطان فلم يوح إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وإنَّ الشياطينَ ليوحونَ إلى أوليائهم﴾ (الأنعام/١٢١) والشيطان لا يتولى إلا الكفار ويتولونه، قال الله تعالى: ﴿والذين

---

(١) البخاري (١٠/١٨٥) في الطب، باب الكهانة، وغيره.
ومسلم (٤/١٧٥٠/ ح ٢٢٢٨) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٢) البخاري (٨/٥٣٧) في تفسير سورة سبأ باب حتى إذا فزع عن قلوبهم، وفي تفسير سورة الحجر، باب: إلا من استرق السمع، وحديث ابن عباس عند مسلم (٤/١٧٥٠/ ح ٢٢٢٩) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٣) البخاري (٦/٣٣٨) في بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.

كفروا أولياؤُهُمُ الطاغوتُ يخرجونَهُمْ من النُّورِ إلى الظُّلمات﴾ (البقرة/٢٥٧) وهذا وجه ثان. والثالث قوله تعالى: ﴿يخرجونهم من النور﴾ أي نور الإيمان والهدى ﴿إلى الظلمات﴾ أي ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يتَّخِذِ الشيطانَ وليًّا من دونِ الله فَقَدْ خَسِرَ خسراناً مبيناً﴾ (النساء/١١٩) وهذا وجه رابع. والخامس تسميته طاغوتاً في قوله عز وجل: ﴿يريدونَ أَنْ يتحاكموا إلى الطَّاغوتِ وَقَدْ أُمِروا أن يَكْفُروا بِهِ ويريدُ الشيطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضلالاً بعيداً﴾ (النساء/٦٠) نزلت في المتحاكمين إلى كاهن جهينة. وقوله ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أي بالطاغوت. وهذا وجه سادس. والسابع أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب رضي الله عنه لم يأته رئيه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم يتنزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه، حتى إنه رضي الله عنه كان يغضب إذا سئل عنه حتى قال له عمر رضي الله عنه: ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم[1]. الثامن وهو أعظمها تشبهه بالله عز وجل في صفاته ومنازعته له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه فلا سميَّ له ولا مضاهي ولا مشارك ﴿وَعِنْدَهُ مفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلا هو ـ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السمواتِ والأرضَ الغَيْبَ إلا الله وما يشعرونَ أَيَّانَ يبعثون ـ عالِمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ عَلى غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسولٍ فإنَّهُ يَسْلُكُ من بين يَدَيْهِ ومن خَلْفِهِ رصداً ـ أم عندهم الغيبُ فَهُمْ يكتبون ـ أم عِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يرى﴾ ولسان حال الكاهن وقاله يقول نعم. التاسع أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله. العاشر النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول فكيف به هو نفسه فيما ادعاه، فقد روى الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة رضي الله عنه:

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٧/٩٢ ـ ٩٥/ ح ٦٤٧٥) والبيهقي في الدلائل (٢/٣١ ـ ٣٢) والحاكم في المستدرك (٢/٦٠٨ ـ ٦١٠) ونقله ابن كثير بتمامه من مسند أبي يعلى في السيرة النبوية (١/٣٤٤ ـ ٣٤٦) وقال منقطع وكذا حكم بانقطاعه الذهبي في تلخيص المستدرك، ورواه أبو نعيم في الدلائل (٢٨٠)، قال الهيثمي: وإسناده ضعيف (المجمع ٨/٢٥٠).

«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[1] وعن عمران بن حصين رضي الله عنه «ليس منّا من تطيَّر أو تُطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[2]. ولمسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[3] فهذا حكم من سأله مطلقاً، والأول حكم من سأله وصدقه بما قال.

ثم اعلم أن الكاهن وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرمّال الذي يخط بالأرض أو غيرها، والمنجم الذي قدمنا ذكره أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها أو المستقبلة كمجيء المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من طريق الوحي كما قال تعالى: ﴿**فلا يُظْهِرُ على غيبِهِ أحداً إلا مَنِ ارتضى من رَسولٍ فإنَّهُ يسلكُ مِنْ بين يديهِ وَمِنْ خَلْفِه رصداً**﴾ (الجن/٢٦) ملائكة يحفظونه من مسترقي السمع وغيرهم ﴿**ليعلمَ أَنْ قَدْ أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم وأحاطَ بما لديهم وأحصى كُلَّ شيءٍ عدداً**﴾ (الجن/٢٨) فمن ذا الذي يدَّعي علم ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿**ولا أقولُ لَكُم عندي خزائِنُ الله ولا أَعْلَمُ الغيب**﴾

---

(١) أبو داود (٤/٢١/ ح ٣٩٠٤) في الطب، باب في الكاهن. والترمذي (١/٢٤٢ ـ ٢٤٣/ ح ١٣٥) في الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض. والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ح ١٣٥٣٦).
وابن ماجه (١/٢٠٩/ ح ٦٣٩) في الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض. والحاكم (١/٨) وهو حديث صحيح. وانظر كلام أحمد شاكر عليه عند الترمذي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ١٦٢/ ح ٣٥٥) قال الهيثمي: وفيه إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم وضعفه عمرو بن علي وبقية رجاله ثقات (المجمع ٥/١٠٦) ورواه البزار (٣/٣٩٩ ـ ٤٠٠/ ح ٣٠٤٤ ـ كشف) ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة. قال الهيثمي (المجمع (٥/١٢٠) وهو حسن.

(٣) مسلم (٤/١٧٥١/ ح ٢٢٣٠) في السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(الأنعام/٥٠) الآية، وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿قل إنّما العِلْمُ عِنْدَ الله وأُبلغكم ما أُرْسِلْتُ به﴾ (الأحقاف/٢٣)، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائِنُ الله. ولا أعلم الغيب﴾ (الأحقاف/٢٣) الآية، وقال تعالى: ﴿قل لا أَمْلِكُ لنفسي نفعاً ولا ضَرّاً إلا ما شاء الله، ولو كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاستكثرتُ مِنَ الخير وما مسَّني السوء﴾ (الأعراف/١٨٨) وقال تعالى: ﴿قل ما كُنْتُ بدعاً مِنَ الرُّسُل وما أدري ما يفعَلُ بي ولا بِكُم إنْ أَتَّبِعُ إلا ما يوحى إليّ﴾ (الأحقاف/٩) الآية، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وعلَّمَ آدَم الأسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهم على الملائِكةِ فقالَ أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتمُ صادقين. قالوا سبحانَكَ لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنَّكَ أَنْتَ العليمُ الحكيمُ﴾ (البقرة/٣١-٣٢) الآيات ولم يعلم الرسول ﷺ مكان راحلته حتى أعلمه الله بذلك[1]، وقال في سؤال الحبر إياه فأجابه ﷺ وصدقه الحبر ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به» وهي في مسلم[2]. وفيه قول عائشة رضي الله عنها لمسروق رحمه الله تعالى: ومن زعم أن رسول الله يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قل لا يعلم مَنْ في السمواتِ والأَرْضَ الغيبَ إلا الله﴾[3]. ولم يكن ﷺ يعلم شيئاً من الرسالة حتى أتاه الله عز وجل به كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضالاً فهدى﴾ (الضحى/٦)، وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ﴾ (الشورى/٥٢) وقال تعالى:

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (ح ٤٤٣) والبيهقي في الدلائل (٤/٥٩ - ٦٠). من حديث عروة والبيهقي من حديثه وحديث موسى بن عقبة وفي سند الأول ابن لهيعة والثاني فيه من لم أجده. وقد اضطرب الرواة في موضع القصة فبعضهم ذكرها في غزوة تبوك كابن اسحق (٤/١٦٦) وذكرها الحلبي في المريسيع وتبوك.

(٢) مسلم (١/٢٥٢/ ح ٣١٥) في الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما.

(٣) مسلم (١/١٥٩/ ح ١٧٧) في الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾.

﴿تِلكَ مَنْ أنباءِ الغيبِ نوحيها إليكَ ما كُنْتَ تعلمها أَنْتَ ولا قومُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾ (هود/٤٩)، وقال تعالى: ﴿قل لو شاءَ الله ما تلوتُهُ عليكم ولا أدراكُم بِهِ فَقَدْ لبثتُ فيكُم عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أفلا تعقلون﴾ (يونس/٢٦) وقال تعالى: ﴿وأَنْزَلَ الله عليكَ الكتابَ والحكمة وَعَلَّمكَ ما لم تكُنْ تعلم وكانَ فَضْلُ الله عليك عظيماً﴾ (النساء/١١٣). نسأل الله العظيم من فضله العظيم.

الاسلام والايمان والاحسان

هذا فصل يجمع معنى حديث جبريل في تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان. وبيان كل منها.

اعلم أنَّ هذا الفصل مهمٌّ جداً جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية، وهو معنى حديث جبريل في سؤاله النبي ﷺ وجوابه إياه، وهو حديث عظيم الشأن جليل كبير جامع نافع، سمى النبي ﷺ ما احتوى عليه «الدين» فقال «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1]. وهو حديث مشهور في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وأبو هريرة وأبو ذر وعبدالله بن عباس وأبو عامر الأشعري وغيرهم رضي الله عنهم.

وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التي فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

حديث جبريل ـ الحديث به عن عمر

فأمّا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخرجه مسلم في أَوَّلِ جامعه:

---

(١) طرف الحديث المراد شرحه وستأتي بعد قليل رواياته وتمامه.

حدثني أبو خيثمة زهيرُ بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبدالله بن بريدة عن يحيى بن يعمر. ح. وحدثنا عبيدالله بن معاذ العنبري وهذا حديثه: حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجّين ـ أو معتمرين ـ فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ فسألناهُ عمَّا يقول هؤلاءِ في القدر، فوفِّق لنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما داخلاً المسجدَ، فاكتنفتهُ أنا وصاحِبي أحدُنا عن يمينه والآخَرُ عن شماله، فظننت صاحبي سيكلُ الكلامَ إليَّ، فقلت: أبا عبدالرحمن إنَّه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرأونَ القرآنَ ويتقفَّرُون العلم. وذكر من شأنهم وأنَّهم يزعمون أَنْ لا قدر وأَنَّ الأمرَ أُنُفٌ. قال: فإذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أنِّي بريءٌ منهم وأنَّهم برآءُ مِنِّي، والذي يحلِفُ به عبدالله بن عمر لو أَنَّ لأَحدهم مثل أُحدٍ ذهباً فأنفقهُ في سبيل الله ما قبله اللهُ مِنهُ حتَّى يؤمِنَ بالقَدَر. ثم قال: حدثني أبي عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قال بينما نحنُ عنْد رسولِ اللهِ ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّياب شديدُ سوادِ الشَّعْرِ لا يرى عليه أَثَرُ السَّفَرِ ولا يعرفه منَّا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يامحمد أخبرني عن الإسلام، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: الإسلامُ أنْ تشهد أَنْ لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ وتقيمَ الصَّلاةَ وتؤتى الزكاةَ، وتصُوم رمضانَ وتحج البيت إنِ استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أَنْ تؤمنَ باللهِ وملائكته وكتبِهِ وَرُسُلِهِ واليومِ الآخرِ، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان. قال: أَنْ تعبدَ اللهَ كأَنَّكَ تراهُ فإنْ لم تكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراك. قال: فأخبرني عن السَّاعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أَنْ تلدَ الأَمةُ ربَّتها، وأَنْ ترى الحفاة العراةَ العالة رِعاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان. قال ثمَّ انطلق فلبثت مليّاً ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ. قال: فإنَّهُ جبريلُ أَتاكمْ يعلِّمَكُمْ دينكم[1].

---

(١) مسلم (١/٣٦ ـ ٣٨/ح٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان =

حدثني محمد بن عبيد الغُبريُّ وأبو كامل الجحدريُّ وأحمد بن عبدة قالوا: حدثنا حماد بن زيد عن مطر الورَّاق عن عبدالله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: لما تكلم معبد بما تكلم به في شأن القدر أنكرنا ذلك. قال: فحججت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حجة. وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس وإسناده. وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف[1].

وحدثني محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد القطَّان حدثنا عثمان بن غياث حدثنا عبدالله بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن قالا: لقينا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه، فاقتص الحديث كنحو حديثهم عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه شيء من زيادة وقد نقص منه شيئاً[2].

وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا يونس بن محمد حدثنا المعتمر عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ بنحو حديثهم[3].

هذه طرقه في مسلم بكمالها، ولم يخرجه البخاري رحمه الله تعالى.

ورواه أبو داود من حديث كهمس فقال في كتاب السنة من سننه: حدثنا عبيدالله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة فذكره. وفيه: لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه. وفيه: فلبثت ثلاثا[4].

ومن حديث عثمان بن غياث فقال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثني عبدالله بن بريدة. وفيه: فذكر نحوه، وزاد: قال وسأله رجل

= بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. (رقم ١) في كتاب الإيمان.

(١) مسلم (١/٣٨/ح٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. رقم (٢) في كتاب الإيمان.

(٢) مسلم (١/٣٨/ح٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. رقم (٣) في كتاب الإيمان.

(٣) مسلم (١/٣٨/ح٨) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. رقم (٤) في كتاب الإيمان.

(٤) أبو داود (٤/٢٢٣ - ٢٢٤/ح ٤٦٩٥) في السُّنَّة، باب في القدر.

من مزينة أو جهينة فقال: يا رسول الله فيم نعمل، أفي شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن؟ قال في شيء قد خلا ومضى. فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال: إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار[1].

ومن حديث سليمان بن بريدة عن ابن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص: قال فما الإسلام؟ قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحَجُّ البيتِ وصَوْم رمضانَ والاغتسال مِنَ الجنابَةِ[2].

ورواه النسائي في كتاب الايمان وشرائعه من مجتبى سننه فقال: باب نعت الإيمان، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال أنبأنا كهمس ابن الحسن ـ فذكر حديث عمر بن الخطاب كلفظ مسلم ـ ولم يذكر حميدا ولم يذكر كلام يحيى بن يعمر ولا كلام ابن عمر قبله[3].

وراه الترمذي في أبواب الإيمان فقال: باب ما وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام: حدثنا أبو عمار الحسين بن حُرَيْث الخزاعي أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن، فذكر بمعنى لفظ مسلم غير أنه قال: فألزق ركبتيه بركبتيه ثم قال: يامحمد ما الإيمانُ؟ ثمَّ قال: فما الإسلام؟ ثم قال: فما الإحسان؟ وفيه كل ذلك يقول له: صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال فمتى الساعة؟ وقال فما أماراتها. وفي آخره فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال: يا عمر هل تدري من السائل؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم. وفي نسخة: معالم دينكم.

حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا ابن المبارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الاسناد نحوه بمعناه.

---

(١) أبو داود (٤/٢٢٤/ح ٤٦٩٦) في السُّنَّة، باب في القدر.
(٢) أبو داود (٤/٢٢٤/ ح٤٦٩٧) في السُّنَّة، باب في القدر.
(٣) النسائي (٨/٩٧) في الإيمان، باب نعت الإسلام.

حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا معاذ بن هشام عن كهمس بهذا الاسناد نحوه بمعناه.

وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه نحو هذا. وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو عن ابن عمر عن النبي ﷺ[1].

ورواه ابن ماجه في باب الإيمان: حدثنا علي بن محمد حدثنا وكيع عن كهمس بن الحسن فذكره كلفظ الترمذي، غير أنه لم يذكر حميداً، ولا نفس القصة ولا كلام ابن عمر قبل الحديث. وفيه: قال وكيع في قوله «أن تلد الأمة ربتها» يعني تلد العجم العرب[2].

ورواه عبدالله بن الإمام أحمد: حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة. ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال: حدثني عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن. الحديث[3].

والحاصل أنَّ راويه عن عمر ابنه عبدالله وعنه يحيى بن يعمر وحميد الحميري، وعن يحيى بن يعمر عبدالله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان بن طرخان. وعن عبدالله بن بريدة كهمس ومطر الوراق وعثمان بن غياث، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبري والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون ثم اشتهر عن كل من هؤلاء والله أعلم.

الحديث به عن ابن عمر

وأما حديث عبدالله بن عمررضي الله عنهما فهو الذي أشار إليه الترمذي وقد

---

(١) الترمذي (٥/٦ ـ ٧/ح ٢٦١٠) في الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبيّ ﷺ الإيمان والإسلام.

(٢) ابن ماجه (١/٢٤ ـ ٢٥/ح ٦٣) في المقدمة، باب في الإيمان.

(٣) أحمد في مسنده (١/٥١ ـ ٥٢).

رواه الإمام أحمد من طرق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضي الله عنهما إنا نسافر في الآفاق فنلقى قوماً يقولون لا قدر، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبدالله بن عمر منهم بريء وأنهم منه برآء (ثلاثا) ثم إنه أنشأ يحدث: بينما نحن عند رسولِ اللهِ ﷺ فجاء رجل فذكر من هيئته، فقال رسولُ اللهِ ﷺ ادنه فدنا، فقال ادنه فدنا، فقال أدنه فدنا حتى كادت ركبتاه تمسان ركبتيه، فقال: يا رسول الله أخبرني ما الإيمان أو عن الإيمان، قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر. قال سفيان: أراه قال: خيره وشره. قال: فما الإسلام؟ قال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وغسل من الجنابة، كل ذلك قال: صدقت صدقت. قال القوم: ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا كأنه يعلّم رسول الله ﷺ. ثم قال: يا رسول الله أخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله أو تعبده كأنك تراه، فإلاّ تراه فإنه يراك. كل ذلك نقول ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: صدقت صدقت. قال: أخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل. قال فقال: صدقت قال ذلك مراراً، ما رأينا رجلاً أشد توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا. ثم ولّى. قال سفيان فبلغني أن رسول الله ﷺ قال: ألتمسوه، فلم يجدوه. قال: هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم. ما أتانا في صورة إلاّ عرفته غير هذه الصورة. وإسناده: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر... الخ[1].

وفي رواية قال: قلت لابن عمر إن عندنا رجالاً يزعمون أن الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أنّي منهم بريء وأنّهم منّا برآء. ثم قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: يامحمد ما الإسلام؟ فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال نعم. قال صدقت. قال فما الإحسان قال:

---

(١) أحمد (١/٥٢ ـ ٥٣) وقد خالفهم فيه سليمان بن بريده بروايته عن ابن عمر في مسنده.

تخشى الله كأنك تراه فإن لا تك تراه فإنه يراك. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال نعم. قال صدقت. قال: فما الإيمان؟ قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث من بعد الموت والجنة والنار والقدر كله. قال فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال نعم. قال صدقت[1].

زاد في رواية: وكان جبريل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية. وسند هذه الرواية: حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي ابن زيد عن يحيى بن يعمر قلت لابن عمر... الخ[2].

وفي أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن جبريل قال للنبي ﷺ: ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال له جبريل عليه السلام صدقت. قال فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال فقال النبي ﷺ: ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم. وسند هذه الرواية حدثنا عبدالله حدثني أبي حدثنا وكيع حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر... الخ[3].

ورواية عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبدالرحمن الحميري قال: لقينا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إنَّ ابن عمر منكم بريء وأنتم منه برآء (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أنَّهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي ﷺ جاءه رجل يمشي حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر. ثم قال: يارسول الله آتيك؟ قال نعم. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه وساق

---

(١) أحمد (٢/١٠٧) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وفيه ما فيه (ضعيف الحديث) وهو مخالف في سنده لما مرّ بوصفه في مسند ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أحمد (٢/١٠٧) وليس سندها هذه المذكور بل هي من طريق اسحق بن سويد عن يحيى. والسند هذا لما قبلها.

(٣) أحمد (١/٢٨).

الحديث بنحو ما تقدم في الصحيح والسنن، وزاد في آخره سؤال الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم في رواية أبي داود[1].

الحديث به عن أبي هريرة

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل بن ابراهيم قال أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أنْ تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربّتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلّا الله تعالى. ثم تلا النبي ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم[2]. قال أبو عبدالله: جعل ذلك كله من الإيمان، وترجم عليه: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له. ثم قال: جاء جبريل يعلمكم دينكم، فجعل ذلك كله ديناً[3].

وأخرجه في تفسير سورة لقمان فقال: باب قوله الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ حدثني اسحاق عن جرير عن أبي حيان الحديث. وفيه: إذ أتاه رجل يمشي فقال: يارسول الله ما الإيمان؟ وفيه: قال يارسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.. ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس النَّاس فذاك من

---

(١) أحمد (١/٢٧).

(٢) (٣) البخاري (١/١١٤) في الإيمان، باب سؤال جبريل....

أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلاّ الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ثم انصرف الرجل فقال ردوا عليّ، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم[1].

ورواه مسلم فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعاً عن ابن علية قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان الحديث وزاد: وإذا تطاول رعاة البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما في الأَرحامِ وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً وما تدري نفسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تموت إِنَّ اللَّهَ عليمٌ خبير﴾ قال ثم أدبر... الخ[2].

وقال حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمي بهذا الاسناد مثله، غير أن في روايته «إذا ولدت الأمة بعلها» يعنى السراري[3].

وقال حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: سلوني. فهابوه أن يسألوه. فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان. قال صدقت. قال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال أَنْ تؤمِنَ باللهِ وملائِكتِهِ وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله. قال صدقت. قال: يا رسول الله ما الاحسان؟ قال أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك. قال صدقت. قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوكَ الأرض فذاك من أشراطها. وإذا رأيت رعاء البهم

---

(١) البخاري (٨/٥١٣) في التفسير، باب (إنَّ الله عندهُ علمُ السَّاعةِ).

(٢) مسلم (١/٣٩/ح٩) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان /رقمه (٥) في الكتاب.

(٣) مسلم (١/٣٩/ح ٩) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان/ رقمه (٦) في الكتاب.

يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلّا الله ثم قرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مافي الأرحامِ وما تدري نفسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً وما تدري نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تموت إِنَّ اللَّهَ عليمٌ خبير﴾ قال ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ ردوه عليّ، فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا[1].

وأشار إليه الترمذي في باب حديث ابن عمر عن عمر[2]. ورواه ابن ماجه بإسناد مسلم ولفظه إلى آخر الآية[3]. ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه، الخ وفيه «وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة»[4].

الحديث به عنه وعن أبي ذر

وأما حديثه مع أبي ذر رضي الله عنهما فقال النسائي في كتاب الإيمان من مجتبى سننه: صفة الإيمان والإسلام. أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبي فروة عن أبي زرعة عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قالا كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيءُ الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتَّى يَسْأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أَنْ نجعل له مجلساً يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكَّاناً مِنْ طين كان يجلس عليه، وإنَّا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه إذْ أقبلَ رجلٌ أحسنَ النَّاسِ وَجْهاً وأطيبَ النَّاسِ ريحاً كأَنَّ ثيابه لم يمسَّها دَنَس حتى سلم في طرف البساط فقال: السَّلامُ عليكَ يا محمَّد، فردَّ عليه السلام قال: أَدْنو يا محمد؟ قال أُدنه. فما زال يقول أَدنو مراراً ويقول له أُدنُ حتى وضع يدَه على ركبتي رسولِ اللهِ ﷺ قال: يا محمَّدُ أخبرني ما الإسلامُ. قال الإسلامُ أَنْ تعبدَ الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان.

---

(١) مسلم (١/٤٠/ح٩) في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان/ رقمه (٧) في الكتاب.
(٢) الترمذي (٥/٧).
(٣) ابن ماجة (١/٢٥/ح ٦٤) في المقدمة، باب في الإيمان.
(٤) أحمد (٢/٤٢٦) وإسناده إسناد البخاري ومسلم.

قال إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال نَعَم. قال صدقت. فلما سمعنا قول الرجل «صدقت» أنكرنا. قال: يا محمد أخبرني ما الإيمان. قال الإيمان بالله وملائكته والكتاب والنَّبيين وتؤمن بالقدر. قال: فإذا فعلتَ ذلك فقدْ آمنتُ؟ قال رسول الله ﷺ نعم. قال صدقت. قال: يا محمَّدُ أخبرني ما الإحسانُ. فقال أَنْ تعبدَ الله كأَنَّكَ تراه فإنْ لم تكنْ تراه فإنَّه يراك. قال صدقت. قال يا محمد أخبرني متى السَّاعة. قال فنكس فلم يجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يجبه شيئاً، ورفع رأْسَهُ فقال: ما المسؤول عنها بأعلمَ مِنَ السَّائل، ولكنْ لها علامات تُعْرَفُ بها: إذا رأيتَ الرِّعاءَ البُهْم يتطاولون في البنيان، ورأيتَ الحفاة العراةَ ملوك الأَرْضِ، ورأيتَ الأَمَةَ تلدُ ربَّها في خمس لا يعلمها إلا الله ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ـ إلى قوله ـ **إِنَّ اللهَ عليمٌ خبير**﴾ ثم قال: لا والذي بعث محمّداً بالحَقِّ هادياً وبشيراً ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه[1].

وقال أبو داوود في باب القدر من كتاب السنة من سننه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن فروة عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي ذر وأبي هريرة قالا كان رسول الله ﷺ الحديث. وفيه: فَبَيْنَا له دكاناً من طين فجلس عليه. وكنا نجلس بجنبتيه. وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السِّماط فقال: السَّلامُ عليك يا محمد، قال فَرَدَّ عليه النبي ﷺ[2].

فحاصل طرق حديث أبي هريرة وحده ومع أبي ذر رضي الله عنهما أبو زرعة عن أبي هريرة وعنه أبو حيان وأبو فروة وعمارة بن القعقاع، وعن أبي حيان اسماعيل بن ابراهيم بن علية وجرير ومحمد بن بشر، وعن إسماعيل مسدد وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وأحمد بن حنبل، وعن جرير اسحاق وزهير بن حرب ومحمد بن قدامة وعثمان بن أبي شيبة، وعن محمد بن بشر محمد بن

---

(١) النسائي (٨/١٠١) في الإيمان، باب صفة الإيمان والإسلام.
(٢) أبو داود (٤/٢٢٥/ح ٤٦٩٨) في السُّنَّة، باب في القدر.

نمير، وعن كل من عمارة وأبي فروة جرير. والله أعلم.

الحديث به عن ابن عباس

وأما حديث ابن عباس: فقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبدالحميد حدثنا شهر حدثني عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: جلس رسولُ اللهِ ﷺ مجلساً فجاءَ جبريلُ عليه السلام فَجَلَسَ بين يديْ رسولِ اللهِ ﷺ واضعاً كَفَّيْهِ على ركبتي النَّبيِ ﷺ فقال: يارسولَ اللهِ حدِّثني ما الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ: الإسلام أَنْ تُسْلِمَ وَجْهَكَ للهِ وتَشْهَدَ أَنْ لا إلاّ الله وحده لا شريك له وأَنَّ محمداً عبده ورسوله. قال: إذا فعلتُ ذلك فأنا مسلم؟ قال: إذا فعلتَ ذلك فقد أَسْلَمْتَ. قال: يارسول الله فحدثني ما الإيمان؟ قال: الإيمان أَنْ تُؤمنَ باللهِ واليومِ الآخر والملائكة والكتب والنَّبيين وتؤمنَ بالموتِ وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره. قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنتُ؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد آمنتَ. قال: يارسول الله حدثني مع الإحسان؟ قال رسول الله ﷺ: الإحسان أنْ تعمل لله كأَنَّكَ تراه، فإِنَّكَ إنْ لم تره فإنه يراك. قال: يارسول الله فحدثني متى الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهن إلاّ الله ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحَامِ وما تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تموت إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خبير**﴾ ولكنْ إنْ شئتَ حدثتك بمغالم لها دون ذلك، قال أجل يارسول الله فحدثني. قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتَ الأمَةَ ولدتْ رَبَّتها أو رَبَّها، ورأيتَ أصحابَ الشَّاءِ تطاولوا بالبنيان، ورأيت الحفاةَ الجياعَ العالةَ كانوا رؤوسَ النَّاسِ فذلك من معالم الساعة وأشراطها. قال: يارسول الله ومن أصحابُ الشَّاءِ والحفاة الجياع العالة؟ قال العرب[1]. وحسنه الحافظ العسقلاني.

---

(١) أحمد (١/٣١٨ ـ ٣١٩) وفيه شهر بن حوشب وهو كثير الأوهام كما قال الحافظ في التقريب. وحَسَّنه في الفتح (١/١١٦).

الحديث به عنْ أبي عامر

وأما حديث أبي عامر فقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال: حدثنا عبدالله بن أبي حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبي عامر أو أبى مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بينما هو جالس في مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل عليه السلام في غير صورته يحسبه رجلاً من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم وضع جبريل يده على ركبتي النبي ﷺ فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب. وفيه: فلما ولّى أي السائل فلما لم نرَ طريقه بعد قال، أي النبي ﷺ: سبحان الله ثلاثا. هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم[1]. وحسنه الحافظ أيضاً وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالى. وأما الأحاديث التي قبله فقد خرجها غير من ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأمهات لشهرتها وفي الباب عن جماعة من الصحابة غير من ذكر، منهم طلحة بن عبيدالله [2] وأنس بن مالك[3] وجرير بن عبدالله البجلي[4] رضي الله عنهم، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر من النصوص في كل مسألة من مسائله عند ذكرها في المتن، فنقول وبالله التوفيق.

الإيمان قول وعمل

اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ما عليه ذا اشتمل

(**اعلم**) يا أخي وفقني الله وإياك والمسلمين (**بأن الدين**) الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لأهل سمٰواته وأرضه، وأمر أن لا يعبد إلّا به، ولا يقبل من أحد سواه، ولا يرغب عنه إلّا من سفه نفسه، ولا أحسن دينا ممن

---

(١) أحمد (٤/١٢٩) وفيه شهر كالمتقدم وحَسَّنه الحافظ في الفتح (١/١١٦).

(٢) ذكره الترمذي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٥/٨/ح ٢٦١٠) في الإيمان باب ما جاء في وصف جبريل للنبيّ ﷺ الإيمان والإسلام.

(٣) رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٩١) والبزار (كشف الأستار ١/٢٠ ـ ٢١) وفيه الضحاك بن نبراس وهو لين الحديث ومع ذلك قال الحافظ في الفتح: إسناده حسن.

(٤) أخرجه أبو عوانة في صحيحه وفيه خالد بن يزيد العمري ولا يصلح للصحيح (الفتح ١/١١٦).

التزمه واتبعه هو (قول) أي بالقلب واللسان (وعمل) أي بالقلب واللسان والجوارح. **فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام:**

الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ. لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الزمر/٣٣ - ٣٤). وقال تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الموقِنِينَ**﴾ (الأنعام/٧٥). وقال تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ (الحجرات/١٥). صدّقوا ثم لم يشكوا. وفي حديث الدرجات العلى «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[1]. وقال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ**﴾ (البقرة/٣). وقال تعالى ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وما أُنْزِلَ إلى إبراهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ والأَسْبَاطَ وما أُوتِيَ موسى وعيسى وما أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ (البقرة/١٣٦) الآيات. وقال تعالى ﴿**وقُلْ آمنتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتاب**﴾ (الشورى/١٥). وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعة «يخرجُ من النَّارِ من قال لا إله إلّا الله وفي قلبه من الخير ما يزِنُ شعيرة»[2] الحديث.

وفي الحديث الآخر «فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان»[3].

---

(١) البخاري (٦/٣٢٠) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ومسلم (٤/٢١٧٧/ح ٢٨٣١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء.

(٢) البخاري (١٣/٣٩٢) في التوحيد، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيديَّ) ومسلم (١/١٧٧ - ١٧٨/ح ١٩١) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) البخاري (١٣/٤٧٣ - ٤٧٤) في التوحيد، باب كلام الرب عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء. ومسلم (١/١٨٢ - ١٨٤/ح ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

وقال تعالى في المكذبين ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (يس/١٠). وقال تعالى في المرتابين الشاكّين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ (آل عمران/١٦٧). وقال فيهم ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة/٤١). وقال تعالى فيهم ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون/١). أي في قولهم نشهد، أي كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بألسنتهم تقية ونفاقاً ومخادعة.

الثاني: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، والإقرار بلوازمها. قال الله ﴿وَقُولُوا آمَنَّا﴾ (البقرة/١٣٦)، ﴿وإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ﴾ (القصص/٥٣)، ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ (الشورى/١٥)، وقال تعالى ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ﴾ (الزخرف/٨٦)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ استَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف/١٣)، وقال ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»[1] وما في معناه مما سنذكر وما لا نذكر.

الثالث: عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عزّ وجلّ والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى ﴿ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام/٥٢)، ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاّ ابتغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾ (الليل/٢٠)، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ (الإنسان/٩)، ﴿الَّذِينَ إِذَ ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾ (الحج/٣٥)، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَة أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (المؤمنون/٦٠)، ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

---

(١) البخاري (١/٧٥) في الإيمان، باب (فإنْ تابوا وأقاموا الصلاة). ومسلم (١/٥٣/ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.

مِنْـهُ جُلُودُ الَّـذِينَ يَخْشُـونَ رَبَّهُمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُـمْ إِلَى ذِكْـرِ اللهِ﴾ (الزمر/٢٣)، ﴿وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَتَـطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ بِـذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِـذِكْـرِ اللهِ تَـطْمَئِنُّ القُلُوب﴾ (الرعد/٢٨)، وقال تعالى ﴿أَلاَ لِلهِ الـدِينُ الخـالِصِ ـ ومـا أُمِـرُوا إِلاَّ لِيَعْبُـدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ الـدِّينَ ـ قُـلِ اللهَ أَعْبـدُ مُخْلِصـاً لَـهُ دِينِي﴾، وقـال تعـالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُـوا أَشَدُّ حُبّـاً لِلهِ ـ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ ـ قُـلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّـونَ اللهَ فَـاتَّبَعُونِي يُحَبِبكُمْ اللهُ ـ وَلِكَنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَـانَ وَزَيَّنَـهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَـرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْـرَ والفُسُـوقَ والعِصْيَـانَ أُولَئِـكَ هُمُ الـرَّاشِـدُونَ﴾، وقـال تعـالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينـاً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَـهُ لِلهِ وَهُـوَ مُحْسِن﴾ (النسـاء/١٢٥)، ﴿وَمَنْ يُسَلِمْ وَجْهَـهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَـدْ اسْتَمْسَكَ بِـالعُرْوَةِ الـوُثْقَى﴾ (لقمان/٢٢)، ﴿فَـإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِـدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّـرِ المُخْبِتِينَ﴾ (الحج/٣٤)، ﴿فَـلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُـونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَـا شَجَـرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِـدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَـرَجـاً مِمَّـا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُـوا تَسْلِيما﴾ (النسـاء/٦٥)، وقال النبي ﷺ «إِنَّمـا الأعمال بـالنيـات وإِنَّما لِكُلِّ امرىءٍ ما نـوى، فمن كانت هجـرته إلى الله ورسـوله فهجـرته إلى الله ورسـوله ومن كـانت هجرتـه لدنيـا يصيبها أو امـرأة ينكها فهجـرته إلى مـا هاجـر إليه»[1].

وقال ﷺ «قال الله تعالى: أَنَا أغنى الشركاءِ عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»[2].

وقد تقدم جمله من نصوص الاخلاص في الكلام على لا إله إلا الله، وتقـدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشـرك الأصغر، وقـال ﷺ: «أحبوا الله من كل قلوبكم»[3].

---

(١) رواه البخاري (١/٩) في بدء الوحي، باب كيف كـان بدء الـوحي إلى رسول الله ﷺ، وغـيرها، ومسلم (٣/١٥١٥/ح ١٩٠٧) في الامارة، باب قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنية».

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٨٩/ح ٢٩٨٥) في الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله.

(٣) تقدم في المجلد الأول تخريجه وأنَّ إسناده منقطع مرسل ضعيف.

وقال ﷺ «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أَنْ يكونَ الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[1] الحديث، وقال ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[2].

وكان ﷺ يقول «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك»[3].

وقال ﷺ «اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين»[4].

وقال ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[5] وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن له هوى غير ما جاء به الرسول ﷺ. وقد تقدمت النصوص في التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب.

الرابع: عمل اللسان والجوارح، فعمل اللسان ما لا يؤدَّى إلّا به كتلاوة القرآن وسائر الاذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح ما لا يؤدَّى إلّا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث

---

(١) رواه البخاري (١/٦٠) في الإيمان، باب حلاوة الإيمان. ومسلم (١/٦٦/ح ٤٣) في الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهنّ وجد حلاوة الإيمان.

(٢) رواه البخاري (١/٥٨) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان. ومسلم (١/٦٧/ح ٤٤) في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ.

(٣) رواه الترمذي (٥/٥٢٢/ح ٣٤٩٠) في الدعوات، باب ٧٣. وقال هذا حديث حسن غريب وأبو نعيم في الحلية (١/٢٢٦) من حديث أبي الدرداء. قلت وفي سنده عبدالله بن ربيعة بن يزيد الدمشقي وقيل ابن يزيد بن ربيعة، وهو مجهول، كما قال الحافظ في التقريب. وأخرجه الحاكم (١/٥٢٧) من حديث ثوبان بزيادة فيه وقال: صحيح على شرط البخاري وسكت الذهبي. وفي تصحيحه نظر.

(٤) رواه أحمد (٣/٤٢٤) والبزار (كشف الأستار ٢/٣٢٩) قال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/١٢٤ - ١٢٥) قلت: فيه عبيد بن رفاعه الزرقي أخرج له البخاري في أدب المفرد والأربعة فقط وهو ثقة.

(٥) تقدم تخريجه في المجلد الأول وأن إسناده ضعيف إذ مداره على نعيم بن حماد.

شعب الإيمان. قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورُ﴾ (الرعد/٢٢) الآيات، وقال تعالى ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (الكهف/٢٧)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الأحزاب/٤١)، وقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾ (الأعراف/٢٠٥) الآيات وقال تعالى ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ (الإسراء/١١١)، وقال تعالى ﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (الكهف/٤٦) وهي «سُبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم»[1]، وقال تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف/٥٥) الآيات، وقال تعالى ﴿واسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠)، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران/١٩١) الآيات وقال تعالى ﴿وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/٢٣٨)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعبدُوا رَبَّكُمْ وافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج/٧٧ ـ ٧٨) الآيات. وقال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً. وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ (الفرقان/٦٣ ـ ٦٤) الآيات. وقال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر/٩)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اشترى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سبيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وعداً عليهِ حَقّاً في التوارةِ والإنجيلِ والقرآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/٢١٠) مرسلاً من طريق ابن المسيب وأخرجه أحمد في المسند (٥١٣/نسخة أبي الأشبال) وإسناده صحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

اللهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايعتُمْ بِهِ، وذلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمِ. التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بالمعروفِ والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ والحافِظُونَ لِحُدودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/١١١ - ١١٢)..

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين، فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقاً بالغاً وعرفت ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهماً واضحاً ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أَنَّ **أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة:**

كفر جهل وتكذيب.
وكفر جحود،
وكفر عناد واستكبار،
وكفر نفاق.

فأحدها يخرج من الملّة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنَّها إمَّا أن تنتفي هذه الأمور كلها - قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح - أو ينتفي بعضها، فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وعَلَى سَمْعِهِمْ وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ولَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (البقرة/٦ - ٧).

وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ (يونس/٣٩)، وقال تعالى ﴿**أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمْ مَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (النمل/٨٤). وإنْ كَتَم الحَقَّ مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ**﴾ (النمل/١٤)، وقال تعالى ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ علَى**

الكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٨٩)، وقال تعالى **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾** (البقرة/١٤٦ ـ ١٤٧).

وإنِ انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالى **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ** ـ إلى قوله ـ **ولو شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾** (البقرة/٨ ـ ٢٠).

وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حقّ ولم يتبعوه أمثال حُيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ «إنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1].

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق، فإنَّ إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنَّما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد بل جحد بآيات الله ظلماً وعلواً، فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه **﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾** (الزمر/٣٣) الآيات. وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم **﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ـ وَقَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ**

---

(١) رواه البخاري (١/١٢٦) في الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم (٣/١٢١٩ ـ ١٢٢١/ح ١٠٧) في المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ (البقرة/٧٦)، من تصديق من قالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ (البقرة/٢٨٥) والله الموفق.

كفاكَ ما قدْ قالَهُ الرسولُ ... إذ جاءَهُ يسألُهُ جبريلُ
على مراتِبِ ثلاث فَصَّله ... جاءَتْ على جميعِهِ مشتمله
الإسلام والإيمان والأحسانِ ... والكل مبنى على أركان

(**كفاك**) أيها الطالب الحق (**ما قد قال الرسول**) محمد ﷺ (**إذ**) حين (**جاءه يسأله**) عن مراتب الدين وشرائعه (**جبريل**) عليه السلام كما في الأحاديث السابقة عن جماعة من الصحابة (**على مراتب ثلاث فصله**) في تلك الأجوبة الصريحة (**جاءت**) أي الثلاث المراتب (**على جميعه**) أي على جميع الدين (**مشتمله**) ولهذا سمّى النبي ﷺ تلك الأمور «الدين» فقال «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1].

[مرتبة الإسلام]

(**الإسلام**) بالخفض بدل مفصل من مجمل مراتب، ويقال له بدل بعض من كل، وما بعده معطوفان عليه. **هذه هي المرتبة الأولى** في حديث عمر وما وافق لفظه.

والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، **وأما في الشريعة** فلإطلاقه حالتان:

(**الحالة الأولى**) أَنْ يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان. فهو حينئذٍ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله، كقوله تعالى ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام**﴾ (آل عمران/١٩)، وقوله تعالى ﴿**وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً**﴾ (المائدة/٣)، وقوله ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ (آل عمران/٨٥)، وقال تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾

---

(١) طرف من حديث تقدم تخريجه وطرقه والباب معقود عليه.

(البقرة/٢٠٨) أي في كافة شرائعه، ونحو ذلك من الآيات. وكقوله ﷺ لما سأله معاوية بن حيدة: ما الإسلام؟ قال «أن تقول أسلمتُ وجهي لله وتخليت»[١] الحديث، وفي حديث عمرو بن عَبَسة رضي الله عنه قال: قال رجل يارسول الله ما الإسلام؟ قال «أَنْ يسلم قلبُكَ للهِ عزّ وجلّ، وأَنْ يسلَمَ المسلمونَ مِنْ لسانِكَ ويدك» قال: فأَيُّ الإسلام أفضل؟ قال «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال «تؤمن باللهِ وملائكَتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ والبعث بَعْدَ الموت»[٢] فجعل ﷺ الإيمان من الإسلام وهو أفضله، وقوله ﷺ «إذا أسلم العبدُ فحسن إسلامُهُ كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها»[٣] الحديث. فإن الانقياد ظاهراً بدون إيمان لا يكون حسن إسلام بل هو النفاق، فكيف تكتب له حسنات أو تمحى عنه سيئات؟ ونحو ذلك من الأحاديث.

(**الحالة الثانية**) أن يطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذٍ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ**﴾ (الحجرات/١٤) الآية، وقوله ﷺ لما قال له سعيد رضي الله عنه: مالك عن فلان، فوالله إنّي لأراه مؤمناً. فقال ﷺ «أو مسلم»[٤] يعني أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على اسلامه من الأعمال الظاهرة. وفي رواية النسائي «لا تقل مؤمن وقل مسلم»[٥]، وكحديث عمر هذا، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

---

(١) راه أحمد (٤/٥ وه) والنسائي (٤/٥ ـ ٥) في الزكاة، باب وجوب الزكاة و(٨٢/٥ ـ ٨٣) فيه، باب من سأل يوجه الله عزّ وجلّ. وابن ماجه (٨٤٨/٢/ح ٢٥٣٧) في الحدود باب المرتد عن دينه. مختصراً. وسنده صحيح.

(٢) رواه أحمد (١١٤/٤) والطبراني في الكبير (المجمع ٦٤/١) قال الهيثمي ورجاله ثقات.

(٣) رواه النسائي (١٠٥/٨ ـ ١٠٦) في الإيمان، باب حسن اسلام المرء. قال الخطيب حديث ثابت. وقد ذكره البخاري تعليقاً (٩٨/١). من حديث أبي سعيد وانظر تغليق التعليق (٤٤/٢).

(٤) رواه البخاري (٧٩/١) في الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل. ومسلم (١٣٢/١/ح ١٥٠) في الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه.

(٥) رواه النسائي (١٠٣/٨ ـ ١٠٤) في الإيمان، باب تأويل قوله عزّ وجلّ (قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا).

[مرتبة الإيمان]

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية في الحديث المذكور، **والإيمان لغة: التصديق**، قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (يوسف/١٧)، يقول بمصدق، **وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:**

(الحالة الأولى) أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذٍ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل ﴿**اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ**﴾ (البقرة/٢٥٧) وقوله ﴿**واللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران/٦٨)، وقوله تعالى ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ**﴾ (الحديد/١٦)، وقوله ﴿**وعلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ**﴾ (ابراهيم/١١)، ﴿**وعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (المائدة/٢٣)، وقوله ﷺ «لا يدخل الجنة إلّا نفس مؤمنة»[1]. ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطناً وظاهراً في قوله عز وجل ﴿**إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ، وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ (الأنفال/٢ ـ ٤)، وقوله عزَّ وجلَّ ﴿**إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ (النور/٦٢)، وقوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بها خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بحمدِ رَبِّهِمْ وهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (السجدة/١٥ ـ ١٧)، وفسرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله عز وجل ﴿**ألم**.

---

(١) رواه النسائي (٥/٢٣٣ ـ ٢٣٤) في الحج، باب قوله عزّ وجلّ (خذوا زينتكم عند كل مسجد) بهذا اللفظ وهو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (١/٤٧٧) في الصلاة، باب ما يستر من العورة. و(٣/٤٨٣) في الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان، وغيرها. ومسلم (٢/٩٨٢/ح ١٣٤٧) في الحج، باب لا يحج البيت مشرك.

ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهُ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/١ ـ ٥)، وفي قوله عز وجل ﴿سَارِعُوا إلى مَغفرةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السمواتُ والأرضُ أُعِدَّت لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، ومَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاّ اللهُ، ولَمْ يُصِرُّوا على مَا فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ (آل عمران/١٣٣ ـ ١٣٦)، وفي قوله عز وجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ والَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً في التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ ويُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ويُحَرِّمُ عَلَيْهِمِ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ والأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف/١٥٦ ـ ١٥٧)، وفي قوله عز وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابتغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون/١ ـ ١١)، وفي قوله عز وجل ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ. هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (النمل/١ ـ ٣) وغيرها من الآيات. وقد فسر الله تعالى

«الإيمان» بذلك كله في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٧٧).

وروى ابن أبي حاتم أن أبا ذر سأل النبي ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه رسول الله ﷺ ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ (البقرة/١٧٧) إلى آخر الآية. ثم سأله أيضاً، فتلاها عليه، ثم سأله فقال «إذا عملتَ حسنةً أحبَّها قلبُكَ، وإذا عَمِلْتَ سَيِّئَةً أبغضَها قلبُك»[1] رواه المسعودي بنحوه، وفسَّره النبيُّ ﷺ بذلك كله في حديث وفد عبدالقيس في الصحيحين وغيرهما فقال «آمركم بالإيمانِ باللهِ وَحْدَهُ» قال «أتدرونَ ما الإيمان باللهِ وحدَهُ؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم. قال: شهادة أَنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأَنْ تؤَدُّوا مِنَ المغنمِ الخمس»[2]. وقد جعل ﷺ صيام رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وكذا أداء الأمانة، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز. وغير ذلك. وفي الصحيحين «الإيمانُ بضعٌ وسبعونَ شعبةً، فأعلاها قولُ لا إله إلاّ اللهُ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق»[3]، وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع

---

(١) رواه ابن أبي حاتم وصححه (الدر المنثور ١/٤١٠) قلت: إسناده منقطع فهو من رواية مجاهد عن أبي ذر ولم يدركه (ابن كثير ١/٢١٣) وأخرجه اسحق ابن راهويه في مسنده وعبد بن حميد وابن مردويه عن القاسم بن عبد الرحمن قال «جاء رجل إلى أبي ذر فقال: ما الإيمان؟ فتلا عليه هذه الآية... (الدر المنثور ١/٤١١) وهو منقطع كذلك ومن طريقه (القاسم) أخرجها المسعودي (ابن كثير ١/٢١٣).

(٢) رواه البخاري (٨/٨٤ ـ ٨٥) في المغازي، باب وفد عبد القيس، وغيرها. ومسلم (١/٤٦/ح ١٧) في الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين.

(٣) رواه البخاري (١/٥١) في الإيمان، باب أمور الإيمان. ومسلم (١/٦٣/ح ٣٥) في الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان.

متفرقة، منها ما هو من قول القلب وعمله، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنها ما هو من عمل الجوارح.

ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيماناً في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة/١٤٣) يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية، وروى سعيد بن منصور عن عبدالرحمن بن يزيد: كنّا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدالله: إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ ﴿الٓمٓ. ذَلِكَ الْكِتَابُ ـ إلى قوله ـ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة/١ ـ ٥)[1] والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم الله تعالى: إنَّ الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وإنَّ الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً ممن سمى لنا سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنَّخعي والزهري، وابراهيم، ويحيى بن أبي كثير، والثوري، والأوزاعي، وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم[2]. قال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره. وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى الامصار: أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم

---

(١) رواه سفيان بن عيينه وسعيد بن منصور وأحمد بن منيع في مسنده وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه عن الحرث بن قيس أنه قال لابن مسعود... الحديث (الدر المنثور ١/٦٥). وأخرجه الحاكم (٢/٢٦٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وسنده عند سعيد بن منصور سنده. (ابن كثير ١/٤٣).

(٢) انظر الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله.

يستكملها لم يستكمل الإيمان[1]. وهذا المعنى هو الذي أراد البخاري إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوَّب أبوابه كلها فقال: «باب أمور الإيمان» و«باب الصلاة من الإيمان» و«باب الزكاة من الإيمان» و«باب الجهاد من الإيمان» و«باب حب الرسول ﷺ من الإيمان» و«باب الحياء من الإيمان» و«باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان» و«باب اتباع الجنائز من الإيمان» و«باب أداء الخمس من الإيمان» وسائر أبوابه. وكذلك صنع النسائي في المجتبى، وبوَّب الترمذي على حديث وفد عبدالقيس «باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان» وكلام أئمة الحديث وتراجمهم في كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الراوندي ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود الذين أقروا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم.

وقال جهم بن صفوان وأتباعه: هو المعرفة بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية، إذ لا يجعل الخالقَ سبحانه أحد. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته الكافية الشافية:

قالوا وإقرارُ العبادِ بأنَّهُ ... خلّاقهم هو منتهى الإيمان
والنَّاسُ من الإيمان شيءٌ واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهمو مِنْ عابدي الأوثانِ
وَسَلِ اليهودَ وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبّل الصلبان،
واسأل ثمودَ وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمَّةَ الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الـ ... ـخلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرارَ الخَلْقِ أقبَحَ أمّة ... لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمامَ كل معطل ... فرعون مع قارونَ مع هامان

---

(١) رواه البخاري (١/٤٥) في الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس» تعليقاً ووصله أحمد في الإيمان (الفتح ١/٤٧) وابن أبي شيبه في الإيمان (ص ٤٥/ح ١٣٥) وسنده صحيح.

هل كان فيهم منكر للخالق الـ ـربّ العظيم مكوّنُ الأكوان
فليبشروا ما فيهموا من كافر هم عند جهم كاملو الإيمان[1]

وقالت المرجئة والكرّامية: الإيمان هو الاقرار باللسان دون عقد القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم ﴿**ولا تُصَلِّ على أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَاتَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ** ـ إلى قوله ـ **وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذّبهم الله عز وجل في دعواهم في غير موضع من القرآن.

وقال آخرون: التصديق بالجنان والاقرار باللسان. وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل، وهو ظاهر البطلان.

وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضاً كانت أو نفلاً، وهذا القول مصادم لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان. وكل ما يقول له السائل في فريضة: هل على غيرها؟ قال «لا، إلّا أن تطَّوَّع شيئاً»[2].

وذهب الجبَّائي وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنَّه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل. وهذا أيضاً يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وقال الباقون منهم: العمل والنطق والاعتقاد. والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطاً في الصحة، بل جعلوا كثيراً منها شرطاً في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[3]. والمعتزلة جعلوها كلها شرطاً في الصحة. والله أعلم.

---

(١) هي النونيّة وهي الشوكة في عيون أهل البدع وحلوقهم وقد شرحت عدّة مرات مطبوعة.
(٢) رواه البخاري (١/١٠٦) في الإيمان، باب الزكاة من الإسلام. وغيرها. ومسلم (١/٤٠ ـ ٤١/ح ١١) في الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.
(٣) تقدم ذكره.

و(**الحالة الثانية**) أن يطلق الإيمان مقروناً بالإسلام، وحينئذٍ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول الله عز وجل ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ (النساء/٥٧) في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبي ﷺ في دعاء الجنازة «اللهم من أَحْيَيتَهُ منَّا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منّا فتوفه على الإيمان»[1]، وذلك أن الأعمال بالجوارح، وإنما يتمكن مها في الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله. وكحديث أنس عند أحمد عن النبي ﷺ قال «الإسلامُ علانية، والإيمان في القلب»[2].

والحاصل أنّه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذٍ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما في هذا الحديث الجليل. والمجموع مع الاحسان هو الدين كما سمى النبي ﷺ ذلك كله دينا، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التي فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم.

قال ابن رجب رحمه الله: وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبي ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال في مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك

---

(١) رواه أبو داود (٣/٢١١/ح ٣٢٠١) في الجنائز، باب الدعاء للميت. والترمذي (٣/٣٤٣/ح ١٠٢٤) في الجنائز، باب ما يقول في الصلاة على الميت وابن ماجه (١/٤٨٠/ح ١٤٩٨) في الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنازة. أحمد (٢/٣٦٨) و(٤/١٧٠ و٣٠٨). وابن حبان (الإحسان ٥/٢٩) والحاكم (١/٣٥٨) وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) رواه أحمد (٣/١٣٥ ـ ١٣٥) وأبو يعلى بتمامه (المجمع ١/٥٧) والبزارمختصراً(كشف الأستار ١/١٩) وابن أبي شيبة في الإيمان (ص ٥/ح ٦) قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعده وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون (المجمع ١/٥٧) وعلي هذا قال الحافظ في التقريب صدوق له أوهام.

الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالاً على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودلَّ بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقي. قال: وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلي في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنّة والجماعة إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل ما فرض الله تعالى على الانسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموماً إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم.

وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابي في كتابه معالم السنن وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده[1].

قلت: كلام الخطابي الذي أشار إليه ابن رجب ذكره النووي في شرح مسلم قال: قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي الفقيه الأديب الشافعي المحقق رحمه الله تعالى في كتابه معالم السنن: ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة، فأما الزهري فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل. واحتج بالآية يعني قوله عز وجل ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ**﴾ (الحجرات/١٤). وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيها مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ**﴾ (الذاريات/٣٥ ـ ٣٦) قال الخطابي: وقد تكلم في هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف كتاباً يبلغ عدد أوراقه المئين. قال الخطابي: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام في هذا

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٤).

ولا يطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليست كل مسلم مؤمناً. وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها.

وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلماً في الظاهر غير منقاد في الباطن، وقد يكون مصدقاً في الباطن غير منقاد في الظاهر[1].

قلت ما رواه الخطابي عن الزهري أنه قال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، هذا عندي فيه نظر، فإنَّه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى، والزهري إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف، فإن صح النقل عنه ففي الكلام تصحيف واسقاط لعل الصواب فيه هكذا: الإسلام الكلمة والإيمان والعمل، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان، وهذا متعين لموافقته قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل. والزهري من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعي عنهم رحمهم الله تعالى، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين كله، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فإنه لا يستقيم إلا على هذا ولا يستقيم على معنى الأول لاهمال الاعتقاد فيه الموجود في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات/١٤) الآية.

وأما قوله: وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئاً واحداً إلا عند الانفراد وعدم الاقتران لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسول ﷺ في حديث جبريل عليه السلام. وإن أراد من أهل البدع فاطلاق التسوية بينهما والاتحاد في كل حال من الأحوال هو رأي المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآيتي الذاريات وهو احتجاج ضعيف جداً،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٤٤ - ١٤٥).

لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال والله أعلم.

وقال الخطابي رحمه الله أيضاً في قول النبي ﷺ «الإيمان بضع وسبعون شعبة»[1]: في هذا الحديث بيان أنَّ الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبه وتستوفى جملة أجزائه، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها، ويدل عليه قوله ﷺ «الحياء شعبة من الإيمان»[2] وفيه إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته[3]. انتهى. وما أحسن ما قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي رحمه الله تعالى في تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا الحديث عند قوله عز وجل ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ﴾ (البقرة/٣) الآيات، قال: فالنبي ﷺ جعل الإسلام في هذا الحديث اسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسماً لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هي كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» انتهى[4].

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: قوله ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن. وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنَّما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم

---

(١) رواه البخاري (١/٥١) في الإيمان، باب أمور الإيمان ومسلم (١/٦٣/ح ٣٥) فيه، باب بيان عدد شعب الإيمان.

(٢) قطعه من الحديث الذي قبله.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٤٥).

(٤) معالم التنزيل (١/٣٧) وفي المطبوع هذا من قول الفراء نقله البغوي.

والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامها به يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله. ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات، ولهذا فسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء مطلقاً يقع على الكل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلّا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[1]، واسم الإسلام يتناول أيضاً ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أنَّ الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً. قال: وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طالما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء أهل الحديث وغيرهم[2]. انتهى.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في الكلام على هذا الحديث: قد تقدم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضاً، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسماها أيضاً أعمال الجوارح الباطنة فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله عز وجل، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله عز وجل، وخوف الله سراً وعلانية، والرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من

---

(١) رواه البخاري (٥/١١٩) في المظالم، باب النُّهبى بغير إذن صاحبه. ومسلم (١/٧٦/ح ٥٧) في الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٢) من مسلم بشرح النووي (١/١٤٧ - ١٤٨).

العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، والحب في الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وايثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لاخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصاً الجيران ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم. ثم ساق من النصوص في ذلك جملة وافية. قال: والرضا بربوبية الله تعالى تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له، والرضا بالإسلام ديناً يتضمن اختياره على سائر الأديان، والراض بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم والانشراح، كما قال تعالى ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ (النساء/٦٥) انتهى[1]. ونصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين ـ سلفاً وخلفاً ـ في هذا الباب يطول ذكرها.

ثم أعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن التزام الدين الذي يكون به النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبد بالجنة ويزحزح عن النار إنَّما هو ما كان على الحقيقة في كل ما ذكر في حديث جبريل وما في معناه من الآيات والأحاديث. وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أجريت عليه أحكام المسلمين في الدنيا ووكلت سريرته إلى الله تعالى. قال الله عز وجل ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلهم**﴾ (التوبة/١١) وفي الآية الأخرى ﴿**فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾ وغيرها من الآيات. وقال رسول الله ﷺ لأسامة في قتله الجهني بعد أن قال لا إله إلاّ الله، فقال رسول الله ﷺ «أقال لا إله إلاّ الله وقتلته» قال قلت: يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال «أفلا شققت

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٨).

عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا»[1]، الحديث بطوله في الصحيحين من طرق بألفاظ، وفي بعضها: فقال يارسول الله استغفر لي، قال «وكيف تصنع بلا إله إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة»[2]. ولما أن استأذنه عمر رضي الله عنه في قتل الرجل الذي انتقد عليه حكمه ﷺ في قسمه الذهيبة قال «معاذ الله أَنْ يتحدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أقتلُ أصحابي»[3]، وقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه فيه: يارسول الله ألا أَضْرب عنقه؟ فقال «لعلّه أَنْ يكونَ يُصَلِّي» قال خالد: وكمْ منْ مُصَلّ يقولُ بلسانِهِ ما لَيْسَ في قلبه. فقال رسول الله ﷺ «إِنِّي لم أُومرْ أَنْ أنقِّبَ عَنْ قلوبِ النَّاسِ ولا أشق بطونَهم»[4] الحديث في الصحيحين أيضاً من طرق بألفاظ.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أمرتُ أَنْ أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها وصلُّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله عز وجل»[5]. وفي رواية عن أنس نفسه وله حكم المرفوع ـ بل قد رفعه النسائي كما سيأتي ـ «مَنْ شهد أنْ لا إله إلاّ الله واستقبل قبلتنا وصلَّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم»[6]، ورواه أبو داود في الجهاد بلفظ «أمرتُ أَنْ أقاتل الناس حتى يشهدوا أَنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وأَنْ يستقبلوا قبلتنا وأَنْ يأكلوا ذبيحتنا

---

(١) رواه البخاري (٧/٥١٧) في المغازي، باب بعث النبي ﷺ أُسامة بن زيد إلى الحُرَمَات من جُهَيْنة. ومسلم (١/٩٦ ـ ٩٧/ح ٩٦) في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلاّ الله.

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ (١/٩٧ ـ ٩٨/ح ٩٧) في الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلاّ الله.

(٣) أخرجه البخاري (٨/٦٤٨) في تفسير سورة المنافقين، باب قوله (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) ومسلم (٤/١٩٩٨ ـ ١٩٩٩/ح ٢٥٨٤) في البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٤) رواه مسلم بهذا اللفظ (٢/٧٤١ ـ ٧٤٢/ح ١٠٦٤) في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٥) البخاري (١/٤٩٦ ـ ٤٩٧) في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة.

(٦) رواه البخاري موقوفاً عن أنس (١/٤٩٧) ومرفوعاً (١/٤٩٦ و٤٩٧) قريباً من لفظه والنسائي (٨/١٠٩) في الإيمان، باب على ما يقاتل الناس و(٧/٧٥ و٧٦).

وأَنْ يصَلُّوا صلاتَنا، فإذا فعلوا ذلك حُرِّمَتْ علينا دماؤهم وأموالهُم إلا بحقِّها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»[1]. وفي رواية «أمرتُ أَنْ أقاتِلَ المشركين»[2] بمعناه.

ورواه النسائي في تحريم الدم ولفظه قال «أمرتُ أَنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتى يشهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلُّوا صلاتَنا فقد حُرِّمَتْ علينا دماؤهم وأموالُهم إلاّ بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم»[3]. وفيه قول ميمون بن سياه لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ما يحرم دم المسلم وماله؟ فقال: مَنْ شَهِد أنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا وَصَلَّى صلاتنا وأَكَلَ ذبيحتنا فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين[4]. ورفعه في كتاب الإيمان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ صلَّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأَكَلَ ذبيحتنا فذلكُم المسلم»[5] ورواه الترمذي أيضاً.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتى يشهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً رسول الله ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلاّ بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل»[6].

---

(١) أبو داود (٣/٤٤/ح ٢٦٤١) في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون.

(٢) أبو داود (٣/٤٤/ح ٢٦٤٢) في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون.

(٣) رواه النسائي (٧/٧٥ ـ ٧٦) في تحريم الدم. وهو حديث الصحيح المتقدِّم قبل قليل.

(٤) رواه النسائي (٧/٧٦) في تحريم الدم. وهو حديث الصحيح الموقوف المتقدم قبل قليل.

(٥) رواه النسائي (٨/١٠٩) في الإيمان، باب على ما يقاتل المشركون. والترمذي (٥/٤/ح ٢٦٠٨) في الإيمان، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: أمرت بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلاّ الله ويقيموا الصلاة. ورفعه البخاري كذلك في الصلاة، باب فضل استقبال القبلة (١/٤٩٦/ح ٣٩١).

(٦) حديث ابن عمر رواه البخاري (١/٧٥) في الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة). ومسلم (١/٥٣/ح ٢٢) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله.
وحديث أبي هريرة رواه البخاري (٣/٢٦٢) في أول الزكاة وغيره. ورواه مسلم (١/٥٢/ح ٢١) في الإيمان.

وفي موطأ مالك ومسند أحمد بسند جيد: عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار «أَنَّ رجلاً من الأنصار حدثه أَنَّه أتى رسولَ الله ﷺ وهو في مجلس فسارَّه يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: أَلَيْسَ يشْهدُ أنْ لا إله إلاّ الله؟ فقال الأنصاري: بلى يارسول الله، ولا شهادة له. قال رسول الله ﷺ: أَلَيْسَ يشهد أَنَّ محمداً رسولُ اللهِ؟ قال: بلى يارسول الله. قال: أليس يصلّي؟ قال: بلى يارسول الله ولا صلاة له. فقال رسول الله ﷺ: أُولَئِكَ الذين نهاني الله عن قتلهم»[1].

وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية. وأمرنا الله رسوله ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسيماهم وعلاماتهم، ولم يقتل النبي ﷺ أحداً منهم، وأجرى عليهم في الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك ويقيم الحدود عليهم، غير أنه نهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم. والله أعلم.

[مرتبة الاحسان]

(**والاحسان**) **هذه المرتبة الثالثة** من مراتب الدين في هذا الحديث. **والاحسان لغة**، إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه. **وفي الشريعة** هو ما فسره النبي ﷺ بقوله «أَنْ تعبد اللهَ كأَنَّكَ تراهُ فإِنْ لم تكن تراه فإِنَّهُ يراك» وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه والنصوص فيه عند ذكره في آخر هذا الفصل.

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/١٧١/ح ٨٤) في قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة. قال ابن عبد البر: هكذا رواه سائر رواة الموطأ مرسلاً وعبيد الله لم يدرك النبي ﷺ. ورواه أحمد (٥/٤٣٢ - ٤٣٣). وعبيد الله قتل أبوه ببدر، وكان هو في الفتح مميِّزاً فعدَّ في الصحابة لذلك وهو غلط كما قال الحافظ في الإصابة (٣/٧٤). وعَدَّه العِجلي وغيره في ثقات كبار التابعين، مات في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك وأخرج له البخاري. مسلم وأبو داود والنسائي كما في التقريب. فهو تابعي ثقة.

والمقصود أنه ﷺ فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأقوال والأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، ومجموع ذلك هو الدين، والكل من هذه المراتب (**مبني على أركان**) لا قوام له إلّا بقيامها، وسنتكلم على كل منها إجمالاً وتفصيلاً، ونحيل ما قدم بيانه منها على موضعه إن شاء الله.

[أركان الإسلام الخمسة]

فَقَد أتى الإسلامُ مبنيّاً على ... خمس فحقّقْ وادرِ ما قد نُقِلا
أولها الركن الأساس الأعظم ... وهو الصراط المستقيم الأقوم
ركنُ الشهادتين فاثبت واعتصم ... بالعروةِ الوثقى التي لا تنفصم
وثانياً إقامة الصلاةِ ... وثالثاً تأدية الزكاة
والرابع الصيام فاسمع واتبع ... والخامس الحج على مَنْ يستطع

وهذه أركان المرتبة الأولى مرتبة الإسلام، وهي على **قسمين: قولية، وعملية**.

فالقولية: الشهادتان، والعملية: الباقي. وهي ثلاثة أقسام:

بدنية وهي الصلاة والصوم، ومالية وهي الزكاة، وبدنية مالية وهو الحج. وقول القلب وعمله شرط في ذلك كله كما تقدم.

والنصوص في هذه الأمور الخمسة كثيرة جداً، وهي على نوعين: قسم شامل لجميعها، وقسم يخص كل خصلة منها.

فلنبدأ بالقسم الأول ما تيسر منه على حدته، والقسم الثاني مع حل ألفاظ المتن إن شاء الله تعالى. فمن ذلك حديث جبريل السابق ذكره عن الجم الغفير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ومنها حديث وفد عبد القيس وقد تقدم أيضاً، ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «بني الإسلام على خمس: شهادةُ أنْ لا إله إلّا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاةِ، وإيتاء الزكاةِ، وحَجِّ البيت، وصوم

رمضان» فقال له رجل: والجهاد في سبيل الله؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن. هكذا حدثنا رسول الله ﷺ[1].

ومنها حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه عند أحمد وغيره قال: قال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس: شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنَّ محمداً رسول الله ﷺ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»[2] وإسناده صحيح.

ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال «كُنَّا نهينا أَنْ نسأَلَ رسولَ اللهِ ﷺ عَنْ شيءٍ، فكان يعجبنا أَنْ يجيءَ الرَّجل مِنْ أَهْلِ البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمَّد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله تعالى أرسلك. قال ﷺ: صدق. قال فمن خلق السماء؟ قال: الله. قال فمن خلق الأَرْضَ؟ قال: الله. قال فَمَنْ نَصَبَ هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال ﷺ: نعم. قال: فزعم رسولك أَنَّ علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا. قال ﷺ: صدق. قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قال وزعم رسولك أَنَّ علينا صوم شهر رمضان في سنتنا. قال ﷺ: نعم صدق. قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال ﷺ نعم. قال وزعم رسولك أَنَّ علينا حَجَّ البيت من استطاع إليه سبيلا. قال ﷺ صدق. قال ثم ولّى فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لا أزيدُ عليهِنَّ شيئاً ولا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ شيئاً. فقال النَّبي ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة» رواه الجماعة وهذا لفظ أحمد[3]. وفي رواية قال «آمنتُ بما جئتَ به وأَنا رسولُ مَن ورائي مِن قومي» قال «وَأَنا ضِمام ابن ثعلبة أخو بني سعيد بن بكر»[4].

---

(١) رواه البخاري (١/٤٩) في الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم. ومسلم (١/٤٥/ح ١٦) في الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام.

(٢) رواه أحمد (٤/٣٦٣ و٣٦٤). ورواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (١/١٤٨ ـ ١٤٩) في العلم، باب ما جاء في العلم. ومسلم واللفظ له (١/٤١ ـ ٤٢/ح ١٢) في الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام وأحمد (٣/١٤٣ و١٩٣).

(٤) عند البخاري (١/١٤٨) في العلم، باب (وقل ربِّ زدني علماً).

وفي الصحيحين وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله «أَنَّ أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يارسول الله أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس، إلَّا أَنْ تطَّوَّع شيئاً. فقال أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام. فقال: شهر رمضان، إلا أَنْ تطوَّعَ شيئاً. فقال أخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة. قال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص ممَّا فرضَ اللهُ عليَّ شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: أفلحَ إنْ صدق. أو دَخَلَ الجنَّةَ إنْ صدق» هذا لفظ البخاري في كتاب الصوم[1]. وله عن أبي أيوب رضي الله عنه «إنَّ رجلاً قال للنبيّ ﷺ أخبرني بعملٍ يدخلني الجنة. قال ماله ماله».

وقال النبي ﷺ «أرب ماله، تعبدُ اللهَ ولا تشرك به شيئاً وتقيمُ الصَّلاةَ وتؤتي الزكاة وتَصِلِ الرَّحْمَ» ورواه مسلم وغيره[2].

ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ أعرابياً أَتَى النبي ﷺ فقال دلني على عملٍ إذا عملته دخلتُ الجنَّة، قال: تعبدُ اللهَ لا تشركْ بهِ شيئاً وتقيم الصَّلاةَ المكتوبةَ وتؤدِّي الزكاةَ المفروضة وتصومَ رمضانَ. قال والذي نفسي بيده لا أزيدُ على هذا. فلما ولى قال النَّبيُّ ﷺ: من سَرَّهُ أَنْ ينظُرَ إلى رجلٍ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ فلينظر إلى هذا»[3].

وفي حديث ابن المنتفق رضي الله عنه في وفادته على رسول الله ﷺ قال «قلت ثنتانِ أسألُكَ عنهما: ما ينجيني من النَّار وما يدخلني الجنة؟ قال فنظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى السَّماءِ ثم نكس رأسَهُ ثم أقبلَ عليَّ بوجهه قال: لئن كنتَ أوجَزْتَ في المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عنِّي إذا، اعبدُ اللهَ لا تشركْ به

---

(١) رواه البخاري (١٠٢/٤) في الصوم، باب وجوب الصوم. وغيرها. ومسلم (٤٠/١ - ٤١/ح ١١) في الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام.

(٢) رواه البخاري (٢٦١/٣) في الزكاة، باب وجوب الزكاة. مسلم (٤٢/١ - ٤٣/ح ١٣) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

(٣) رواه البخاري (٢٦١/٣)، في الزكاة، باب وجوب الزكاة. ومسلم (٤٤/١/ح ١٤) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

شيئاً وأقِمِ الصَّلاةَ وأَدِّ الزكاة المفروضة وَصُمْ رمضان، وما تحب أن يفعله بك النَّاسُ فافعل بهم وما تكره أَنْ يأتي إليكَ النَّاسُ فذر الناس منه» رواه أحمد[1]. وفي رواية «لئن كنت قصرت في الخطبة لقد أبلغت في المسألة، اتّقِ الله لا تشرك بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان»[2].

ولعلّ ابن المنتفق هذا هو الرجل المبهم في رواية أبي أيوب المتقدمة في الصحيح فإن في مسلم أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ أو بزمامها، وفي آخرها قول النبي ﷺ دع الناقة بعد أن علمه. وابن المنتفق قال فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ «خلِّ سبيل الراحلة». وفي الرواية الأخرى «خل طريق الركاب» فيشبه أن يكون هو صاحب القصة وقد حفظ الصوم والحج زيادة على ما في حديث أبي أيوب ورجاله رجال الصحيح[3]، وهو السائل، أعلم بجواب النبي ﷺ وأوعى له وأحفظ له وأضبط من غيره. والله أعلم.

وعن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر رضي الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه «اخرجي إليه فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له فليقل السلام عليكم، أأدخل» قال فسمعته يقول ذلك فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ قال فاذن لي، أو قال فدخلت فقلت: بم أتيتنا به، قال لم آتكم إلاّ بخير، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له. قال شعبة: وأحسبه قال وحده لا شريك له، وأن تدَعوا اللات والعزى، وأن تصلّوا بالليل والنهار خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم. قال فقال: فهل بقي من العلم شيء لا تعلمته؟ قال قد علمني الله عز وجل خيراً وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي**

---

(١) رواه أحمد (٦/٣٨٣) وفي سنده عبد الله بن أبي عقيل: ليس بالمشهور. والحديث يشهد له الذي قبله.

(٢) رواه أحمد (٦/٣٨٣ ـ ٣٨٤) وهو كالذي قبله.

(٣) انظر الفتح (٣/٢٦٣ ـ ٢٦٤) في المسألة وكلام ابن حجر في الرجل المبهم.

الأرحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ومَا تَدرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَموتُ إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِير﴾ (لقمان/٣٤) رواه أحمد ورجاله ثقات أئمة. وروى أبو داود طرفاً منه[١].

وعن السدوسي بن الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فاشترط عليَّ شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً عبده ورسوله، وأَنْ أقيم الصلاة، وأَنْ أؤدي الزكاة، وأَنْ أحج حجة الإسلام، وأَنْ أصومَ شهرَ رمضان، وأَنْ أجاهد في سبيل الله. فقلت: يارسولَ اللهِ أَمَّا اثنتان فوالله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فإنَّهم زعموا أَنَّ من ولَّى الدُّبرَ فقد باءَ بغضب من الله، فأخاف إنْ حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت، والصدقة فوالله مالي إلّا غنيمة وعشر ذَوْد هن رِسْلُ أهلي وحمولتهم. قال فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال: فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذاً؟ قال قلت: يارسول الله أنا أبيعك، قال فبايعت عليهن كلهن»[٢].

وعن زياد بن نعيم الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ «أَرْبَعٌ فَرَضَهُنَّ اللهُ في الإسلام، فمن جاءَ بثلاثٍ لم يغنين عنْهُ شيئاً حتى يأتي بهنَّ جميعاً: الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت»[٣]. رواه أحمد مرسلاً في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لا يخفى.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ «كأَنَّ هذا الراكب إيَّاكم يريد» قال فانتهى الرجل الينا فسلم فرددنا عليه، فقال له النبي ﷺ «مِنْ أَيْنَ أقبلتَ؟» قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال «فأينَ تريدُ؟» قال: أريدُ

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٦٨ ـ ٣٦٩). وأبو داود (٤/٢٤٥/ح ٥١٧٧ و٥١٧٨ و٥١٧٩) في الأدب، باب كيف الإستئذان. والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص ٢٨٠/ح ٣١٦)، باب كيف يستأذن.

(٢) رواه أحمد (٥/٢٢٤) والطبراني في الكبير (٢/٤٤/ح ١٢٣٣) والأوسط (المجمع ١/٤٧) وقال الهيثمي: رجال أحمد موثوقون. ورواه الحاكم (٢/٧٩ ـ ٨٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (٤/٢٠٠ ـ ٢٠١) وفي إسناده ابن لهيعة وزياد بن نعيم هذا عدّه بعضهم في الصحابة وهو مختلف فيه والأقرب أنّه تابعي فالحديث سنده ضعيف لعلتيه.

رسولَ اللهِ ﷺ. قال «فقدْ أصبتهُ» قال: يارسول الله علمني ما الإيمان؟ قال «تشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» قال: قد أقررت. قال ثم إنَّ بعيره دخلت يده في شبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجلُ فوقع على هامته فماتَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «عليَّ بالرجلِ» فوثب إليه عمارُ بنُ ياسرٍ وحذيفةُ فأقعداه فقالا: يارسول الله قبض الرجل. قال فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ «أما رأيتما إعراضي عن الرجل، فإنِّي رأيتُ ملكين يدُسَّانِ في فيهِ من ثمار الجنَّةِ، فعلمت أنَّهُ ماتَ جائعاً» ثم قال رسول الله ﷺ «هذا واللهِ من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام/٨٢) ثم قال ﷺ: «دونكم أخاكم» قال فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول الله ﷺ، الحديث. رواه أحمد، وفي إسناده أبو جناب مختلف فيه، والمتن صحيح[1]. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية.

---

(١) رواه أحمد (٤/٣٥٩). وفي إسناده أبو جناب قال ابن حجر ضعفوه لكثرة تدليسه (التقريب ٢/٣٤٦) وقد عنعن هنا ورواه الطبراني في الكبير (ح ٢٣٢٩) (٢/٣١٩) وفيه أبو اليقظان وحمزة الثمالي وكلاهما ضعيف.

[الشهادتان]

(**أولها**) أو أَوَّل هذه الأركان (**الركن الأساس الأعظم**).

الركن في اللغة الجانب الأقوى وهو بحسب ما يطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك، فمن الأركان ما لا يتم البناء إلّا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلّا به. وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله ﷺ «بني الإسلام على خمس» فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهذا قلنا (**الأساس**) الذي لا يقوم البناء إلا عليه ولا يمكن إلّا به ولا يحصل بدونه (**الأعظم**) هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمها، فإنها كلها تابعة له، ولا يدخل العبد في شيء من الشريعة إلّا به.

(**وهو الصراط**) الطريق الواضح (**المستقيم**) الذي لا اعوجاج فيه ولا غبار عليه بل هو معتدل جلي نيِّر. (**الأقوم**) أي الأعدل، من سلكه أوصله إلى جنات النعيم، ومن انحرف عنه هوى في قعر الجحيم. فإن من لم يثبت عليه في الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة، وذلك الركن المشار إليه هو (**ركن الشهادتين**) هذا من إضافة الشيء إلى نفسه أي الركن الذي هو الشهادتان، وهما شهادة أَنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله، فلا يدخل العبد في الإسلام إلا بهما، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه. ولهذا لم يدعُ الرسول ﷺ إلى شيءٍ قبلهما، ولم يقبل الله تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئاً دونهما، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود وما يجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبده وبأي طريق يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يعبد؟

ففي الشهادة الأولى توحيد المعبود الذي ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له، وفي الشهادة الثانية توحيد الطريق الذي لا يوصل إلى الله تعالى إلا

منه، ولا يقبل ديناً ممن ابتغى غيره ورغب عنه، فإن عبادة الله تعالى التي خلق الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هي أمر جامع لكل ما يحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولاً وعملاً، ومعرفة محابِّه تعالى ومرضاته لا تحصل إلّا من طريق الشرع الذي أرسل به رسوله وأنزل به كتابه ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (آل عمران/٣١). وقد قدمنا في النوع الثاني من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضهما، وبسطنا الكلام هناك وحررنا من الأدلة ما يغنى عن الإعادة هنا.

(**فاثبت**) أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلي، ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين؛ فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة: ياآدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج بعث النار. فيقول: من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فالناجي حينئذٍ واحد من ألف[1] فاغتنم أن تكون من تلك الآحاد، واحذر أن تغتر بجموع الضلالة فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد.

(**واعتصم**) أي استمسك (**بالعروة**) أي بالعقد الأوثق في الدين، والسبب الموصل إلى رب العالمين (**الوثقى**) تأنيث الأوثق (**التي لا تنفصم**) أي لا تنقطع، وقد تقدم في الكلام على لا إله إلا الله أنها هي العروة الوثقى، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة/٢٥٦) وتقدم أن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ والإيمان به هو شرط في الإيمان بالله، وما كان من شرط في الشهادة الأولى فهو شرط في الثانية.

---

(١) يومىء إلى حديث رواه البخاري (١١/٣٨٨) في الرقاق، باب قوله عزّ وجلّ (إنَّ زلزلة السَّاعة شيءٌ عظيم) وفي الحج والتوحيد والأنبياء. ومسلم (١/٢٠١/ح ٢٢٢) في الإيمان، باب قوله «يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين».

[الصلاة]

(وثانياً) من الأركان الخمسة (**اقامة الصلاة**) بجميع حقوقها ولوازمها. (**وثالثاً تأدية الزكاة**) إعطاؤها على الوجه المشروع، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد وتقديمهما بعده على غيرهما في غير موضع من القرآن أمراً وخبراً قال الله تعالى: ﴿**هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ (البقرة/٢ ـ ٣) وقال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (البقرة/٢٧٧) وقال تعالى ﴿**وأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (النور/٥٦) وقال تعالى ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ**﴾ (البيِّنة/٥) وقال تعالى ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (التوبة/٥)، وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له «إِنَّكَ تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أَنْ لا إله إلّا الله وأَنِّي رسول الله. فَإِنْ هم أطاعوا لذلك فأَعْلمهم أَنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإِنْ هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أَنَّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم. فإِنْ هم أطاعوا لذلك فإِيَّاكَ وكرائم أموالهم. واتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإِنَّه لَيْس بينها وبين الله حجاب»[1]، وفي رواية «فليكن ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل. فإذا عرفوا الله تعالى فأخبرهم»[2] الحديث.

---

(١) (٢) رواه البخاري (٣٥٧/٣) في الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا. وفي المغازي والمظالم والتوحيد. ومسلم (١/ ٥٠ ـ ٥١/ح ١٩) في الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

ولنذكر طرفاً من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسر من نصوص الزكاة والله المستعان.

[فضل الصلاة]

اعلم هدانا الله وإياك أن الصلاة قد اشتملت على جل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب والانقياد والاخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه له والصمود اليه والاطراح بين يديه. وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الذكر. وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل ـ منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس ـ وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات. ولهذا قال النبي ﷺ «وجعلتْ قرَّةُ عيني في الصلاة»[1] ولاشتمالها على معاني الإيمان سماها الله إيماناً في قوله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (البقرة/١٤٣).

وهي ثانية أركان الإسلام في الفرضية، فإنها فرضت في ليلة المعراج بعد عشر من البعثة لم يدعُ الرسول ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيد الذي هو الركن الأول، ففرضت خمسين، ثم خففها الله عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك في الصحيحين وغيرهما. وهي ثانية في الذكر، فما ذكرت

---

(١) رواه أحمد (٣/١٢٨ و١٩٩ و٢٨٥) والنسائي (٧/٦١) في عشرة النساء، باب حب النساء، والحاكم (٢/١٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي من حديث أنس.

شرائع الإسلام في آية من الآيات أو حديث من السنة الا وبدىء بها بعد التوحيد قبل غيرها كما في الآيات السابقة وكما في حديث جبريل وحديث «بني الإسلام» وحديث وفد عبدالقيس وحديث معاذ بن جبل وحديث «أمرت أن أقاتل الناس»[1] وغيرها مما لا يحصى.

وهي ثانية في آيات الأمر بالجهاد وفي آيات وعيد الكفار كما في قوله تعالى ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾ (التوبة/٥) الآية، وقوله ﴿**كُلُوا وَتَمَتَّعُوا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾ (المرسلات/٤٦ ـ ٤٩).

وهي ثانية في مدح المؤمنين كما في قوله تعالى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ (المؤمنون/١ ـ ٢) وفي ذم الكفار بتركها كما في قوله عز وجل ﴿**فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ، وَإِذا قُرِىء عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ**﴾ (الانشقاق/٢٠ ـ ٢١)، وقوله ﴿**فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى، وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾ (القيامة/٣١ ـ ٣٢) وكذا في ذم المنافقين بعدم اهتمامهم لها كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلا**﴾ (النساء/١٤٢).

وهي ثانية في حساب العبد يوم القيامة كما في قوله ﷺ «أَوَّل ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته، فإن تقبلت منه تقبل منه سائر عمله، وإن ردت عليه رد عليه سائر عمله»[2]. ومعنى قوله «أول ما يسأل عنه العبد» أي بعد التوحيد.

---

(١) تقدم تخريجها جميعاً.

(٢) رواه الترمذي (٢/٣٦٩/خ ٤١٣) في الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة. والنسائي (١/٢٣٢) في الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة. وأحمد (٥/٧٢ و٣٧٧) والحاكم (١/٢٦٣) من حديث أبي هريرة وهو حديث صحيح وله شاهد من حديث تميم الدّاري.

وهي ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما في قوله تعالى ﴿**فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ (المدثر/٤٠ ـ ٤٣) الآيات. والنصوص في شأنها كثيرة لا تحصى وهي متنوعة، فمنها ما فيه الأمر بها كقوله ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ (البقرة/٢٣٨)، وقوله ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾ (العنكبوت/٤٥) وقوله ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ (الاسراء/٧٨) وما في معناها.

ومنها ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله ﷺ لمعاذ «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[1].

ومنها في ثواب أهلها كقوله عز وجل ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (المؤمنون/٩ ـ ١١)ـ

ومنها ما فيه ذكر نجاتهم من النار كقوله ﷺ في عصاة الموحدين «فيعرفونهم بآثار السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النَّار أن تأكل أثر السجود»[2].

ومنها ما في عقاب تاركها كقوله عز وجل: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ (الماعون/٤ ـ ٥) وقوله تعالى ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً إِلَّا مَنْ تَابَ**﴾ (مريم/٥٩ ـ

---

(١) رواه أحمد (٥/٢٣١ و٢٣٧) والترمذي (٥/١١ ـ ١٢/ح ٢٦١٦) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٢/١٣١٤/ح ٣٩٧٣) في الفتن، باب كف اللسان عن الفتنة من حديث معاذ.

(٢) رواه البخاري (١٣/٤١٩) في التوحيد، باب قول الله تعالى (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة). ومسلم (١/١٦٣/ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

٦٠) الآية، وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ (القلم/٤٢ ـ ٤٣).

ومنها ما فيه تكفير تاركها ونفي الإيمان عنه وإلحاقه بأبليس كقوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ (مريم/٥٩ ـ ٦٠) فإنه لو كان مضيع الصلاة مؤمناً لم يشترط في توبته الإيمان. وقوله ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة/١١) فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين. وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (السجدة/١٥) وقوله تعالى ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٣٤).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قرأ ابنُ آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله ـ وفي رواية: ياويلي ـ أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[1].

وفيه عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنَّ بَيْنَ الرَّجلِ وبينَ الشِّرْكِ والكفرِ تركُ الصَّلَاةِ»[2]، ورواه الترمذي وقال حسن صحيح، وله عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[3]، قال وفي الباب عن أنس رضي الله عنه

---

(١) رواه مسلم (١/٨٧/ح ٨١) في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.

(٢) رواه مسلم (١/٨٨/ح ٨٢) في الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة. والترمذي (٥/١٣/ح ٢٦١٨ و٢٦١٩ و٢٦٢٠) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة. وأبو داود (٤/٢١٩/ح ٤٦٧٨) في السنة، باب في رد الإرجاء. وابن ماجه (١/٣٤٢/ح ١٠٧٨) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ترك الصلاة.

(٣) رواه الترمذي (٥/١٣ ـ ١٤/ح ٢٦٢١) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة. والنسائي =

وابن عباس هذا حديث حسن صحيح غريب.

وروى الإمام أحمد والنسائي عن محجن بن الأدرع الأسلمي «أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأذّن بالصلاة فقام النبي ﷺ ثم رجع ومحجن في مجلسه، فقال له: ما منعك أن تصلي، ألست برجل مسلم؟ قال: بلى، ولكني صليت في أهلي. فقال له: إذا جئت فصلِّ مع الناس وإن كنت قد صليت»[1] فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. ولفظ الحديث يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصليت.

وفي المسند والأربع السنن عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال له «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف»[2]، ورجال أحمد ثقات.

وتقدم الحديث الذي في البخاري في صفة المسلم «من شهد أَنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا»[3] الحديث.

[حكم تارك الصلاة]

وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريري

= (١/٢٣١ و٢٣٢) في الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة. وابن ماجه (١/٣٤٢/ح ١٠٧٩) في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في ترك الصلاة. وأحمد (٥/٣٤٦) وابن حبان (٣/٨) والحاكم (١/٦ - ٧).

(١) رواه أحمد (٤/٣٣٨) و(٥/٣١) والنسائي (٢/١١٢) في الإمامة، باب إعادة الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه.

(٢) رواه أحمد (٢/١٦٩) والدارمي (٢/٣٠١ - ٣٠٢) في الرقاق، باب المحافظة على الصلاة. والطبراني في الكبير (المجمع ١/٢٩٧) والأوسط (٢/٤٥٦). قلت وقول المصنف وفي «المسند والأربع سنن» وهم منه، فما رواه أحد من الأربعة بل هو من الزوائد. ورواه ابن حبان (٣/١٤) في (الإحسان) وسنده صحيح.

(٣) طرف حديث تقدم تخريجه.

عن عبدالله بن شقيق العقيلي قال: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[1].

ومنها ما فيه التصريح بوجوب قتله، كقوله عز وجل ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**﴾ (التوبة/٥) الآية، وقوله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أقاتل النَّاسَ حتى يشهدوا أَنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله ويقيموا الصَّلَاةَ ويؤتوا الزَّكَاةَ»[2] الحديث وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

وأما الآثار في شأنها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تحصر، وقد أجمعوا على قتله كفراً إذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها وإن قال لا إله إلا الله، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة، ولدخوله في التارك لدينه المفارق للجماعة وفي قوله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه»[3] فإنه بذلك يكون مرتداً مبدلاً لدينه. وأما إن كان تركه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون كما هو حال كثير من الناس فقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم: قد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهي إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي. قال رحمه الله: واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر «إن بين الرجل وبين الشرك

---

(١) رواه الترمذي (٥/١٤/ح ٢٦٢٢) في الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة والنسائي (١/٢٣١ - ٢٣٢) في الصلاة، باب حكم تارك الصلاة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو صحيح.

(٢) تقدم تخريجه وذكره.

(٣) رواه البخاري (١٢/٢٦٧) في استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم. وفي الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله.

والكفر ترك الصلاة»[1] وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال لا يقتل بحديث «لا يحل دم امرىء مسلم إلّا بإحدى ثلاث»[2] وليس فيه الصلاة. واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءَ**﴾ (النساء/٤٨)، وبقوله ﷺ «من قال لاإله إلا الله دخل الجنة، ومن مات وهو يعلم أَنْ لا إله إلّا الله دخل الجنة، ولا يلقى الله عبد بهما غير شاكّ فيحجب عن الجنة، وحرم الله على النار من قال لا إله إلّا الله»[3] وغير ذلك، واحتجوا على قتله بقوله تعالى ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾ (التوبة/٥)، وقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم»[4] وتأوَّلوا قوله ﷺ «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[5] على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل، أو أنه محمول على المستحلّ، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر، أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم، انتهى كلامه.

وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتب الدين وفي بيان أنواع الكفر ما فيه غنية، وذكرنا هنا ما تيسر من النصوص في شأنها. وقد بسط الحافظ ابن القيم في كتاب الصلاة الكلام على هذه المسألة بسطاً حسناً فليراجع.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١٢/٢٠١) في الديات، باب قول الله تعالى (النفس بالنفس والعين بالعين)، ومسلم (٣/١٣٠٢/ح ١٦٧٦) في القسامة، باب ما يباح به دم المسلم.

(٣) تقدم ذكرها جميعاً.

(٤) تقدم تخريجه وذكره.

(٥) تقدم تخريجه وذكره.

[الزكاة]

وأما الزكاة فقد تقدم ذكرها في نصوص الصلاة وغيرها، ومما يتعلق بها على انفرادها قوله عز وجل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة/١٠٣) وقوله في صفات عباده المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون/٤) وقوله تعالى في ذم الكفار ووعيدهم ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ (فصلت/٦ ـ ٧) وإن كانت هذه الآية في زكاة النفوس فهي عامة لزكاة الأموال أيضاً وقد فسرت بها، وقوله تعالى في وعيد مانعيها مطلقاً ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة/٣٤ ـ ٣٥) يوضح ذلك الحديث الذي فيه «ما أديت زكاتُهُ فَلَيْسَ بكنز»[1] وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من صاحب ذهب ولا فضّة لا يؤدي منها حقّها إلّا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يارسول الله فالابل؟ قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها. إلّا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطأه بأخفافها

---

(١) رواه أبو داود (٢/٩٥/ح ١٥٦٤) في الزكاة، باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي وفي سنده مقال وله شواهد يرتقي بها إلى الاحتجاج (انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني ح ٥٥٩): ولفظ الحديث مقارب وليس هو هو.

وتعضه بأفواهها، كلَّما مرَّ عليه أُولاها أُعيد عليه أُخراها في يوم كانَ مقدارُه خمسينَ ألفَ سنة، حتى يَقْضِيَ بينَ العبادِ فيرى سبيلَه إمَّا إلى الجَنَّةِ وإمَّا إلى النَّارِ. قيل: يارسول الله فالبقرُ والغنم؟ قال: ولا صاحبُ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدِّي منها حقَّها، إلا إذا كانَ يوم القيامة بطح لها بقاعٍ قرقرٍ لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عفصاءَ ولا جلحاءَ ولا عضباء تنطَحُهُ بقرونها وتطَأه بأظلافها كلَّما مَرَّ عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيلَه إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النَّار»[1] الحديث بطوله.

وفيه عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ما من صاحب إبلٍ ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلّا أُقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطأه ذاتُ الظلف بظلفها وتنطحه ذاتُ القَرْنِ بقرنها، ليس فيها يومئذٍ جمَّاء، ولا مكسورة القرن» الحديث. وفيه «ولا من صاحب مالٍ لا يؤدي زكاته إلّا تحول يوم القيامة شجاعاً أقْرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذي كنت تبخل به. فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل»[2].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «ولا يأتي أَحَدُكُمْ يَوْمَ القيامةِ بشاةٍ يحملها على رقبتهِ لها يعار، فيقول: يامحمد، فأقول: لا أملك لكَ شيئاً، قَدْ بلّغت. ولا يأتي أحدُكُمْ ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول: يامحمد، فأقولُ: لا أملكُ لكَ شيئاً قد بَلَّغت»[3]. وفيه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالُكَ، أنا كنزك. ثم تلا ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ (النساء/٣)[4] الآية.

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٦٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة. ومسلم (٢/٦٨٠/ح ٩٨٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٢) رواه مسلم (٢/٦٨٤/ح ٩٨٨) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٣) رواه البخاري (٣/٢٦٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة. قال مؤلفه: وهذا وإن كان وارداً في الغلول وعقوبته فهو في الزكاة كذلك إذ الجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم.

(٤) رواه البخاري (٨/٢٣٠) في تفسير آل عمران، باب (ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهُمُ الله من فضله).

وفيه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مَعَ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ (التوبة/٣٤) قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنَّما كان هذا قبل أَنْ تنزل الزكاة، فلما أُنزلت جعلها الله تعالى طهرة للأموال[1].

وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخاري رحمه الله تعالى «باب البيعة على إيتاء الزكاة ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (التوبة/١١) حدثنا ابن نمير قال حدثني أبي قال حدثنا اسماعيلُ عن قيس قال: قال جرير بن عبدالله رضي الله عنه: بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على إقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة والنُّصح لكلِّ مسلمٍ»[2]. والنصوص فيها كثيرة وفي ما تقدم كفاية.

[حكم مانع الزكاة]

وأما حكم تاركها فإن كان منعه إنكاراً لوجوبها فكافر بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة، وإن كان مقراً بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «أمرتُ أَنْ أقاتِلَ النَّاس حتى يقولوا لا إله إلّا الله، فمن قالَها فقد عَصَمَ مِنِّي ماله ونفسه إلّا بحقِّه وحسابُهُ على الله عز وجل» فقال: والله لاقاتلنّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ، فإنَّ الزكاة حق المال، ولو منعوني عناقاً كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أَنْ قَدْ شرح اللهُ صَدْرَ أبي بكرٍ رضي الله عنه فعرفْتُ أَنَّهُ

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٧١) في الزكاة، باب ما أدى زكاته فليس بكنز.

(٢) رواه البخاري (٣/٢٦٧) في الزكاة، باب البيعة على إيتاء الزكاة. ومسلم (١/٧٥/ح ٥٦) في الإيمان، باب بيان أَنَّ الدِّين النَّصيحة.

الحق - وفي رواية - فوالله ما هو إلّا أَنْ رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أَنَّهُ الحق[1].

وهذا الذي استنبطه أبو بكر رضي الله عنه مصرح به في منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أقاتِلَ النَّاسَ حتى يشهدوا أَنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ ويقيموا الصَّلاَةَ ويؤتوا الزَّكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالَهم إلّا بحقِّها وحسابُهُمْ على اللهِ عز وجل»[2]، وغيره من الأحاديث.

وقد جهز النبي ﷺ خالد بن الوليد لغزو بني المصطلق حين بلغه أنهم منعوا الزكاة ولم يكن ما بلغه عنهم حقاً، فروى الإمام أحمد قال: حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أَنَّهُ سمع الحارثَ بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه يقول: قدمتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلتُ فيه وأقررتُ به، ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها وقلتُ: يارسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلامِ وأداءِ الزكاةِ، فمن استجاب لي جمعتُ زكاته. وترسل إلى يارسول الله رسولاً إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارثُ الزكاة ممن استجابَ له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أنْ يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأتِهِ وظنَّ الحارثُ أَنَّهُ قَدْ حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسول الله ﷺ، فدعا بسراواتِ قومه فقال لهم: إنَّ رسول الله ﷺ كان وَقَّتَ لي وقتاً يرسل إِلَيَّ رسولَهُ ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حَبْس رسوله إلّا من سخطة، فانطلقوا نأتي رسولَ الله ﷺ. وبعث رسولُ اللهِ ﷺ الوليدَ بنَ عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده ممَّا جمعَ مِنَ الزكاةِ فلمَّا أَنْ سارَ الوليدُ حتى بلغ بعض الطريق فَرَقَ - أي خاف - فرجع حتى أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يارسولَ الله إنَّ الحارث قد منعني

---

(١) رواه البخاري (١٣/٢٥٠) في الإعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ. ومسلم (١/٥١/ح ٢٠) في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

(٢) رواه البخاري (١/٧٥) في الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصَّلاة) ومسلم (١/٥٣/ح ٢٢) فيه، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلَّا الله محمَّد رسول الله.

الـزكاةَ وأرادَ قتلي، فغضِبَ رسـولُ اللهِ ﷺ وبعث البعثَ إلى الحـارث رضي الله عنه وأَقْبَلَ الحـارثُ بأصحـابه حتى إذا استقبـل البعث وفصل عن المـدينة لقيهم الحارثُ فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالـوا إليك. قال ولم؟ قالوا إنَّ رسول الله ﷺ بعثَ إليك الوليد بن عقبة فزعم أَنَّكَ منعته الزكاة وأَرَدْتَ قتله. قال رضي الله عنه: لا والـذي بعثَ محمداً ﷺ بـالحقِّ ما رأيتُـهُ بتةً ولا أتاني. فلما دخل الحارثُ على رسول الله ﷺ قال: منعتَ الزكاةَ وأردتَ قتـل رسولي، قال رضي الله عنه: لا والذي بعثكَ بالحقِّ ما رأيتُهُ ولا أتـاني ولا أقبلتُ إلاّ حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ اللهِ ﷺ، خشيتُ أَنْ يكـونَ كانت سَخْـطَةً مِنَ اللهِ تعـالى ورسولـه ﷺ. قال فنـزلت الحجرات ﴿**يَـاأَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا إِنْ جَـاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُـوا** ـ إلى قولـه ـ **نَادِمِينَ**﴾ (الحجـرات/٦)، ورواه ابن أبي حاتم عن المنـذر بن شاذان التمـار عن محمد بن سـابق بـه. ورواه الـطبـراني من حـديث محمد بن سابق به[1].

وقال ابن جرير رحمه الله تعـالى حدثنـا أبو كـريب حدثنـا جعفرُ بن عـون عن مـوسى بن عبيـدة عن ثـابت مـولى أم سلمة عن أم سلمـة رضي الله عنهـا قـالت بعث رسولُ اللهِ ﷺ رجلاً في صدقاتِ بني المصطلق بعد الوقيعةِ فسمِـعَ بذلـكَ القوم فتلقُّوه يعظّمون أَمْرَ رسولِ اللهِ ﷺ قالت فحدثه الشيـطانُ أَنَّهُمْ يريـدونَ قتلهُ قالتْ فرجَعَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال إنَّ بني المصطلق قَدْ منعـوني صدقـاتِهم، فَغَضِبَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القومُ رجوعَهُ فَأَتَوْا رسـولَ اللهِ ﷺ فصُفُّوا له حينَ صلَّى الظهرَ فقالوا: نعوذُ بـاللهِ مِنْ سَخَطِ اللهِ وسخط رسولِـهِ، بعثتَ إلينا رجـلاً مصدقـاً فسررنـا بذلـك وقررت بـه أعيننا، ثم إِنَّـهُ رجعَ من بعض الـطريق فخشينا أَنْ يكون ذلك غضباً مِنَ اللهِ تعالى وَمِنْ رسولـه ﷺ. فلم يزالـوا يكلِّمونـه حتى جاءَ بلال فأَذَّنَ لصلاةِ العصر، قالت ونزلت ﴿**يَاأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا إِنْ جَاءَكُمْ**

---

(١) رواه أحمد (٤/٢٧٩) وسنده صحيح والطبراني (٢/٢٧٤/ ٣٣٩٥) ورواه ابن أبي حـاتم (ابن كثير ٤/٢٢٥) وابن منده وابن مردويه (الدر المنثور ٧/٥٥٥). وسماه الطبراني الحارث بن سرار وسماه الحافظ في الإصابة الحارث بن أبي ضرار.

فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات/٦)[1].

وروى ابن جرير عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في هذه الآية قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ بعث الوليدَ بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخُذَ منهم الصَّدقات، وأنَّهم لما أتاهم الخَبرُ فرحوا وخرجوا يتلقَّوْنه رجعَ الوليدُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال رسول الله ﷺ إنّ بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غَضَباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أَنْ يغزوهم إذ أتاهُ الوفدُ فقالوا: يا رسول الله إنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ رسولَكَ رَجَعَ مِنْ نصف الطريق وإنَّا خشينا أَنَّما رده كتابٌ جاءَ منك لغضبٍ غضبته علينا وإنَّا نعوذُ بالله من غضبه وغضب رسولِهِ، وأَنَّ النبي ﷺ استغشهم وعَمَّ بهم، فأنْزل اللهُ تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[2] (الحجرات/٦) إلى آخر الآية.

وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال: إنَّ بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة: وأنهم قد ارتدوا عن الاسلام - فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3] أهـ. من تفسير الحجرات لابن كثير رحمه الله تعالى.

---

(١) رواه ابن جرير (١٣/١٢٣) والطبراني (٢٣/٤٠١/ح ٩٦٠) وأخرجه ابن راهويه وابن مردويه (الدر المنثور ٧/٥٥٦) وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف ويشهد له الذي قبله.

(٢) رواه ابن جرير (١٣/١٢٣ - ١٢٤) والبيهقي (٩/٥٤ - ٥٥). وأخرجه ابن مردويه وابن عساكر (الدر المنثور ٧/٥٥٦) وسنده ضعيف جداً مسلسل بالضعفاء من محمد بن سعد العوفي إلى جده عطيّة. ويشهد له الذي مرّ.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٢٢٤).

وذكر البغوي رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه: فغضب رسول الله ﷺ وهمَّ أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأتاهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه، وقال له انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وأن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار. ففعل ذلك خالد. ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم يرَ منهم إلّا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ (الحجرات/٦)[1] الآية.

وأما إن كان الممتنع عن أداء الكاة فرداً من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً، واختلفوا من ذلك في مسائل:

إحداها هل يكفر أم لا؟

فقال عبدالله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئاً تركه كفر إلى الصلاة. وقال أيوب السختياني: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه. وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وهو قول ابن المبارك وأحمد واسحاق وحكى اسحاق عليها إجماع أهل العلم، وقال محمد بن نصر المروزي: هو قول جمهور أهل الحديث، وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمس عمداً أنه كافر. وروى ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه وهو قول ابن حبيب من المالكية، وخرج الدارقطني وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «قيل: يارسول الله الحج في كل عام؟ قال: لو قلت نعم لوجب عليكم

---

(١) معالم التنزل للبغوي (٥/١٩٩ ـ ٢٠٠).

ولو وجب عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم»[1]، وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم، وعن أحمد رواية أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج. وقال ابن عيينة: المرجئة سمّوا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس سواء، لأنَّ ركوب المحارم متعمداً من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر. وبيان ذلك في أمر إبليس، وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

المسألة الثانية هي يقتل أم لا؟

الأول هو المشهور عن أحمد رحمه الله تعالى، ويستدل له بحديث ابن عمر رضي الله عنهما «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»[2] الحديث.

والثاني لا يقتل، وهو قول مالك والشافعي ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى. وروى اللالكائي من طريق مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ولا أحسبه إلاّ رفعه قال: عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان. من ترك منهن واحدة فهو بها كافر ويحل دمه، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل بذلك دمه، وتجده كثير المال ولا يزكي فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل دمه. ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد مرفوعاً مختصراً، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمرو بن مالك بهذا الاسناد مرفوعاً، وقال: من ترك منهن واحدة ـ يعني الثلاث الأول ـ فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله. ولم يذكر ما بعده[3].

---

(١) الدارقطني في سننه (٢/٢٨٢) وابن جرير (٥/٨٢) وسنده ضعيف فيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف وروي من حديث ابن عباس بسند ضعيف جداً ومن حديث أبي أمامة بسند ضعيف. وفي الصحيح غنية عن هذا اللفظ (لكفرتم).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه أبو يعلى (المجمع ١/٥٣ والمطالب العالية ح ٢٨٦٣) والطبراني في الكبير (١٢/١٧٤/ح ١٢٨٠٠) واللالكائي (ح ١٥٧٦). =

المسألة الثالثة لمن لم ير قتله هل ينكل بأخذ شيء من ماله مع الزكاة؟

وقد روى في خصوص المسألة حيث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون، لا تفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجراً بها فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم[1]، وعلق الشافعي القول به على ثبوته فإنه قال: لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به[2].

والرابع الصيام فاسمع واتَّبع والخامس الحج على من يستطع

= قال الهيثمي: واسناده حسن (المجمع ١/٥٣). وقوله: وتجده كثير المال... هو من كلام ابن عباس.

(١) رواه أحمد (٥/٢ و٤) وأبو داود (٢/١٠١/ح ١٥٧٥) في الزكاة، باب في زكاة السائمة. والنسائي (٥/٢٥) فيه، باب سقوط الزكاة عن الابل إذا كانت رسلاً لأهلها ولحمولتهم. والحاكم (١/٣٩٨) وصححه وقال الذهبي صحيح وهو كذلك.

(٢) ذكره البيهقي في السنن (٤/١٠٥) وقد تقدم صحة الحديث وقد قال به الشافعي قديماً وقال به أحمد رحمه الله (المجموع ٥/٣٣٧).

[الصيام]

الركن الرابع من أركان الإسلام الصيام، وهو في اللغة: الإمساك، وفي **الشرع**: إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة.

وكان فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال الله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر، وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِين، فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ، فَمَنْ شَهِدَ مُنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة/١٨٣ ـ ١٨٥) إلى آخر الآيات، وقد تقدمت الأحاديث فيه.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فرضيته، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه، وقوله (فاسمع واتّبع) مأخوذ من قول الله عز وجل ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (الزمر/١٨).

[الحج]

الركن الخامس الحج، وهو (**على من يستطع**) أي من استطاع إليه سبيلا، قال الله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران/٩٧) قد ذكر الله تعالى تفصيله في سورة البقرة من قوله تعالى ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ـ إلى قوله ـ **إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ (البقرة/١٩٦).

واشتراط الاستطاعة فيه مصرح به في الآية وفي حديث جبريل وفي حديث معاذ وغيرها، وفسره النبي ﷺ بالزاد والراحلة[1].

ولا خلاف في كفر من جحد فرضيته، وتقدم الخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تعجلوا الحج ـ يعني الفريضة ـ فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له»[2]. ورواه أبو داود بلفظ «من أراد الحج فليتعجل»[3].

وروى الإسماعيلي بإسناد صحيح عن عبدالرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن

---

(١) قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث الذي فيه الزاد والراحلة والآية الكريمة عامة ليست مجملة فلا تفتقر إلى بيان وكأنه كلف كل مستطيع قدره بمال أو بدن (الفتح ٣/٣٠٠) انظر تفصيل ذلك في ارواء الغليل للعلامة الألباني (ح ٩٨٨).

(٢) رواه أحمد (١/٣١٤) وأخرجه أيضاً (١/٢١٤ و٣٢٣ و٣٥٥) وابن ماجه ٢/٩٦٢/ح ٢٨٨٣) في المناسك، باب الخروج إلى الحج بلفظ «من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة». وهو حسن بالذي بعده.

(٣) رواه أبو داود (٢/١٤١/ح ١٧٣٢) في المناسك، باب التجارة في الحج والدارمي (٢/١٢) والحاكم (١/٤٤٨) وأحمد (١/٢٢٥) وهو حسن بالذي قبله.

الخطاب رضي الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً[1].

وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين[2].

وروى البغوي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»[3].

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال «أيُّها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسولَ اللهِ؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم» ثم قال «ذروني ما تركتكم، فإنَّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتم بشيء فأْتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[4]. ورواه مسلم بنحو هذا والله أعلم.

وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال «يا أيها النَّاسُ، إنَّ الله تعالى كتب عليكم الحج. فقام الأقرع بن حابس فقال: يارسول الله أفي كل عام؟ فقال: لو قلتها

---

(١) أبو بكر الإسماعيلي (ابن كثير ١/٣٩٤) وإسناده صحيح إلى عمر رضي الله عنه وقد تصحف إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر إلى عبد الله فلينظر.

(٢) سعيد بن منصور (ابن كثير ١/٣٩٤ ـ ٣٩٥) وإسناده ضعيف فهو من رواية الحسن البصري عن عمر ولم يدركه وهو مدلس. وجدة: أي مال قادر على الحج.

(٣) رواه البغوي (١/٥١٤) وسنده فيه ضعف فيه ليث بن أبي سليم وشريك القاضي وكلاهما مُضَعَّف.

(٤) رواه مسلم (٢/٩٧٥/ح ١٣٣٧) في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر والنسائي (٥/١١٠ ـ ١١١) فيه، باب وجوب الحج. وأحمد (٢/٥٠٨).

لوجبت، ولو وجبت لم يعملوا بها، وَلَنْ تستطيعوا أَنْ تعملوا بها. الحج مرة فمن زاد فَهُوَ تطوع»[1].

(١) رواه أحمد (١/٢٥٥ و٢٩٠ و٣٠٣ و٣٥٢ و٣٧٠ و٣٧١) وأبو داود (٢/١٣٩/ح ١٧٢١) في المناسك، باب فرض الحج، والنسائي (٥/١١١) فيه، باب وجوب الحج. وابن ماجه (٢/٩٦٣/ح ٢٨٨٦) فيه، باب فرض الحج. والحاكم (١/٤٤٠ و٤٧٠) والدارمي (٢/٢٩).

ذكر أمور تدخل في مسمى الإيمان والإسلام
من الأوامر والمناهي والأخبار

قال الله عز وجل ﴿سَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ والكَاظِمِينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَافَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فيها﴾ (آل عمران/١٣٣ ـ ١٣٦) الآيات.

وقال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الجَاهِلِينَ﴾ (القصص/٥٢ ـ ٥٥) وقال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيما. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ

مَتَاباً. وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامَا. أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَماً. خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ (الفرقان/٦٣ - ٧٦).

وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العظيمُ، التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة/١١١ - ١١٢).

وقال تعالى ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً. وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً. إِلاَّ المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ. وَالَّذِينَ في أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ. وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ. وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ. أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ (المعارج/١٩ - ٣٥). وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ - إلى قوله - الوَارِثُونَ﴾ (المؤمنون/١ - ١٠) الآيات.

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

يُؤْمِنُونَ. والَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَة أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ، وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وَسْعَهَا﴾ (المؤمنون/٥٧ ـ ٦٢). وقال تعالى ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِك مُحْسِنِينَ، كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَ بِالإِسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾ (الذاريات/١٥ ـ ١٩).

وقال تعالى ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وابْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٧٧). وقال تعالى ﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ (الأحزاب/٣٥).

وقال تعالى ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ـ إلى قوله ـ وللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (التوبة/٣). وقال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدارَ وَالإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةً، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

سَبَقُونَا بِالإيمانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيم﴾ (الحشر/٩ ـ ١٠).

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر/١٨) الآيات، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة/١) إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات/١) إلى آخر السورة، وقال تعالى ﴿واعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى والجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وابنِ السَّبِيلِ ومَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ (النساء/٣٦). وقال تعالى ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنِهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام/١٢٠).

وقال تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ: أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى، وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام/١٥١ ـ ١٥٣).

وقال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً. واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيراً. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ، فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً. وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً. إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً. وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً. إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرْ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطئاً كَبِيراً، وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنَ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً. وَأَوْفُوا الكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالقُسْطَاسِ المُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً. وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً، وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً. ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكْمَةِ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾ (الإسراء/٢٣ ـ ٣٩).

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/٣٣). وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَوفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل/٩٠ ـ ٩١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر/٧). وقال تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا

﴿أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ (الأعراف/٣) وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران/٣١) الآيتين.

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (فصلت/٣٠) الآيات، وقال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف/١١).

وآيات القرآن في هذا الباب كثيرة وشهيرة لا تخفى، بل القرآن كله في تقرير الدّين من فاتحته الى خاتمته: دعوة وبشارة ونذارة، وأمراً ونهياً وخبراً، كله لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوة اليه، أو بشارة لمن اتبعه برضاء الله والجنة، أو نذارة لمن أبى عنه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، أو أمراً بشرائعه أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها، أو نهياً عن نواقضه جميعه أو نواقض شيء منها أو ما يوجب أدنى خلل فيه أو في شيء من شرائعه، أو خبراً عن نصر من جاء به وصدَّق به وحفظه وتأييده في الدنيا، أو خبراً عمَّا أعدَّ الله لهم في الآخرة من الفوز والنعيم، والنجاة من عذاب الجحيم، أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه في الدنيا وما أحله الله بهم من غضبه عاجلاً من الخسف والمسخ والقذف وغير ذلك، وما أعده لهم في الآخرة من العذاب والعقاب، وما فاتهم وحرموه من الثواب وغير ذلك.

وأما الأحاديث فمنها قوله ﷺ «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلّا الله، وأدناها إماطَةُ الأذى عَنِ الطَّرِيق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[1].

وقوله ﷺ «بايعوني على أَنْ لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادَكُمْ مِنْ إملاقٍ ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجرُه على الله، ومن أَصابَ من ذلك شيئاً فعوقب في

---

(١) رواه البخاري (١/٥١) في الإيمان، باب أمور الإيمان، ومسلم (١/٦٣/ح ٣٥) فيه، باب بيان عدد شعب الإيمان.

الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصابَ من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إنْ شاءَ عفا عَنْهُ وَإنْ شاء عاقبه» قال عبادة بن الصامت: فبايعناه على ذلك[1].

وقوله ﷺ «من يبايعني على هذه الثلاثة الآيات ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ (الأنعام/١٥١) الآيات»[2].

وقوله ﷺ لمعاوية بن حيْدة لما قال له «ما الذي بعثك الله به؟ قال: الإسلام. قلت: وما الإسلام؟ قال: أَنْ تسلم قلبك لله تعالى، وأَنْ توجِّه وجهك لله، وأَنْ تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة»[3]. وفي رواية قال «وما آية الإسلام؟ قال: أَنْ تقول أسلمتُ وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكلُّ المسلم على المسلم حرام»[4].

وقوله ﷺ «ثلاث لا يغل عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور؛ ولزوم جماعة المسلمين فإنّ دعوتهم تحيط من ورائهم»[5] وقوله ﷺ في جواب أيِّ المسلمين أفضل؟ قال «من سلم المسلمون من لسانه ويده»[6].

---

(١) رواه البخاري (١/٦٤) في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار. ومسلم (٣/١٣٣٣/ح ١٧٠٩) في الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها.

(٢) رواه الحاكم (٢/٣١٨) وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (الدر المنثور ٣/٣٨١).

(٣) رواه أحمد (٥/٤ ـ ٥) والنسائي (٥/٤ ـ ٥) في الزكاة، باب وجوب الزكاة و(٥/٨٢ ـ ٨٣) فيه، باب من سأل يوجه الله عز وجل، وابن ماجه (٢/٨٤٨/ح ٢٥٣٧) في الحدود، باب المرتد عن دينه وسنده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٥/٤ ـ ٥) والنسائي (٥/٨٢ ـ ٨٣) في الزكاة، باب من سأل بوجه الله عز وجل وهو كالذي قبله.

(٥) رواه أحمد (٥/١٨٣) والدارمي (١/٧٥) وابن حبان (الإحسان ٢/٣٥) من حديث زيد بن ثابت وإسناده صحيح.
وله شواهد من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وأبي الدرداء والنعمان بن بشير وغيرهم.

(٦) رواه مسلم (١/٦٥/ح ٤٠) في الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل. من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقوله ﷺ «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. التَّقوى ههنا ـ وأشار إلى صَدْرِهِ ثلاثاً ـ بحسبَ امرىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يحقر أخاه المسلم»(١).

وقوله ﷺ «المسلمُ مَنْ سلم المسلمونَ مِنْ لسانِهِ ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»(٢).

وقوله ﷺ في جواب من قال أي الإسلام خير؟ قال «أَنْ تطعمَ الطَّعامَ، وتقرأَ السَّلامَ على من عَرَفْتَ وَمَنْ لم تعرف»(٣).

وقوله ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(٤).

وقوله ﷺ في جواب من سأله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرها، قال «قل آمنت بالله ثم استقم»(٥).

وقوله ﷺ «ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً رسولاً»(٦).

---

(١) رواه مسلم (٤/١٩٨٦/ح ٢٥٦٤) في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١/٥٣) في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه البخاري (١/٥٥) في الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام. ومسلم (١/٦٥/ح ٣٩) فيه، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل. من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) رواه الترمذي (٤/٥٥٨/ح ٢٣١٧) في الزهد، باب «١١» وابن ماجه (٢/١٣١٥/ج ٣٩٧٦) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، وفي سنده قرّه بن عبد الرحمن بن صوئيل وفيه مقال وروي عند مالك في الموطأ (٢/٩٠٣) والترمذي (ح ٢٣١٨) مرسلاً من حديث علي بن الحسين والحديث حسن بطرقه إن شاء الله تعالى.

(٥) رواه مسلم (١/٦٥/ح ٣٨) في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي.

(٦) رواه مسلم (١/٦٢/ح ٣٤) في الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربّاً وبالإسلام ديناً =

وقوله ﷺ «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أَنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلّا لله، وأن يكره أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أَنْ يُقْذف في النار»[1].

وقوله ﷺ «لا يؤمِنُ أحدكم حتى أكونَ أَحبَّ إليه مِنْ ولده ووالده والناس أجمعين»[2]، وفي رواية «مِنْ أَهْلِهِ وماله»[3].

وفي حديث أبي رزين قال: قلت يا رسول الله ما الإيمان؟ قال «أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكونَ الله ورسوله أحبَّ إليك مما سواهما، وأَنْ تحترقَ في النَّارِ أحبُّ إليك مِنْ أَنْ تشرك بالله شيئاً. وأَنْ تحبَّ غير ذي نسب لا تحبّه إلا لله. فإذا كنت كذلك فقد دخل حُبُّ الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ» قلت: يا رسول الله كيف لي بأن أعلم أني مؤمن؟ قال «ما من أمتي - أو قال هذه الأمة - عبد يعمل حسنة فيعلم أَنَّها حسنة وأَنَّ الله مجازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة فيعلم أَنَّها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أَنَّه لا يغفرها إلّا اللهُ إلَّا وهو مؤمن»[4].

وقوله ﷺ «من سَرَّتْهُ حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن»[5].

وقوله ﷺ «صريح الإيمان إذا أسأت أو ظلمت عبدك أو أمتك أو أحداً من الناس صمت أو تصدقت، وإذا أحسنت استبشرت»[6].

= وبمحمد ﷺ رسولاً، فهو مؤمن. من حديث العباس رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (١/٦٠) في الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم (١/٦٦/ح ٤٣) فيه، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١/٥٨) في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ومسلم (١/٦٧/ح ٤٤) فيه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ. من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه النسائي (٨/١١٤ و١١٥) في الإيمان، باب علامة الإيمان.

(٤) رواه أحمد (٤/١١) وفي سنده سليمان بن موسى وحديثه مقارب للحسن وألفاظ الحديث لها شواهد في الصحيح.

(٥) رواه أحمد في المسند رقم (١١٤ و١٧٧ نسخة أحمد شاكر) والترمذي (٤/٤٦٥/ح ٢١٦٥) في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة وسنده صحيح من حديث عمر رضي الله عنه. وله شاهد من حديث أبي موسى وأبي أمامة عند الحاكم (١/١٣ و١٤) بأسانيد صحيحة.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ.

وقوله ﷺ «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل»[1].

وفي حديث عمرو بن عبسة «قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: طيب الكلام، وإطعام الطعام. فقلت: ما الإيمان؟ قال الصَّبر والسَّماحة. قلت: أَيُّ الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. قلت: أَيُّ الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن»[2].

وقوله ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً»[3]. وقوله ﷺ «ثلاثٌ مَنْ فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: مَنْ عَبَدَ اللهَ وَحْدَهُ بأَنَّهُ لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام»[4] الحديث. وفي آخره «فقال رجل: فما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: أنْ يعلم أَنَّ الله معه حيثما كان»[5].

وقوله ﷺ «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[6]. وفي رواية «المؤمنون كرجل واحد ـ إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»[7].

---

(١) رواه أحمد (٣/٨) وفيه دراج (أبو السمح) وهو مضعف في حديثه عن أبي الهيثم وهو كذلك هنا.

(٢) رواه أحمد (٤/٣٨٥) وفي سنده شهر ومحمد بن ذكوان الجهضمي وكلاهما مُضعف.

(٣) رواه الترمذي (٣/٤٦٦/ح ١١٦٢) في الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها. وقال حسن صحيح وأبو داود (٤/٢٢٠/ح ٤٦٨٢) في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه. وأحمد (٢/٥٠ و٤٧٢ و٥٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده صحيح.

(٤) (٥) رواه البيهقي (٤/٩٦) ورواه الطبراني قال ابن حجر: إسناده جيِّد. ورواه أبو داود دون اللفظ الأخير بإسناد منقطع. (انظر تلخيص الجبير ٢/١٥٥). وهو من حديث عبد الله بن معاوية رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري (١٠/٤٣٨) في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ومسلم (٤/١٩٩٩/ح ٢٥٨٦) في البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤلفين وتعاطفهم وتعاضدهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٧) رواه مسلم (٤/٢٠٠٠/ح ٢٥٨٦) في البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. من حديثه رضي الله عنه.

وقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ـ وشبك بين أصابعه»[1].
وقوله ﷺ «المؤمن في أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس»[2]، وقوله ﷺ «المؤمن مرآة المؤمن، أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه»[3]، وقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[4]، وقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[5]. وقوله ﷺ «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قالوا: مَن ذلك يا رسول الله؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[6]، وقوله ﷺ «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»[7].

---

(١) رواه البخاري (٥/٩٩) في المظالم، باب نصر المظلوم، ومسلم (٤/١٩٩٩/ح ٢٥٨٥) في البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٥/٣٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٩٠) والطبراني في الكبير (ح ٥٧٤٣) والقضاعي في الشهاب (ح ١٣٦) من حديث سهيل قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. قلت: بل فيه مصعب بن ثابت لم يرويا له بل هو لين الحديث كما قال ابن حجر. والحديث له شاهد ضعيف من حديث أبي هريرة رواه عبد الله في زوائد الزهد (٣٦٧) فيه زهير بن محمد وعنه الوليد بن مسلم. والحديث يشهد له الذي قبله فصح به.

(٣) زواه أبو داود (٤/٢٨٠/ح ٤٩١٨) في الأدب، باب في النصيحة والحياطة وابن وهب في الجامع (ص ٣٧) والبخاري في الأدب المفرد (١/٣٢٧/ح ٢٣٩ ـ فضل الله الصمد) من حديث أبي هريرة وإسناده حسن والطبراني في الأوسط (٣/٧١/ح ٢١٣٥) والبزار (ح ٣٢٩٧) والقضاعي في مسند الشهاب (ح ١٢٤ و١٢٥) بإسناد حسن من حديث أنس فالحديث صحيح إن شاء الله تعالى.

(٤) رواه البخاري (١/٥٦) في الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم (١/٦٧/ح ٤٥) فيه، باب الدليل على أنَّ من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٥) رواه البخاري (١٠/٤٤٥) في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومسلم (١/٦٨/ح ٤٧) في الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير.

(٦) رواه البخاري (١٠/٤٤٣) في الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١٩٤/ح ١١٢ (فضل الله الصمد)) والطبراني في الكبير (ح ١٢٧٤١) والحاكم (٤/١٦٧) من حديث ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي. قلت: في سنده =

وقوله ﷺ «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، فقد استكمل ايمانه»[1]، وسئل ﷺ عن أفضل الايمان فقال «أن تحبَّ لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله فقال: وماذا يا رسول الله؟ قال «أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»[2]، وفي رواية «وأن تقول خيراً أو تصمت»[3]، وقوله ﷺ «لا يستحق العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحبّ لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله تعالى»[4]، وقوله ﷺ «أوثق عرى الإيمان أَنْ تحِبَّ في الله وتبغض في الله»[5].

وقوله ﷺ لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال «ألا أَدلُّكَ على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (السجدة/١٦) ثم قال «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد

= عبيد الله بن المساور وهو مجهول. وله شاهد من حديث أنس. رواه الطبراني (ح ٧٥١) والبزار (المجمع ٨/ ١٧٠) قال الهيثمي: إسناد البزار حسن وكذلك قال المنذري (٣/٣٥٨). فالحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(١) رواه أحمد(٣/ ٤٤٠) والترمذي (٤/ ٦٧٠/ح ٢٥٢١) في صفة القيامة، باب «٦٠» وقال هذا حديث حسن. من حديث معاذ بن أنس ورواه الحاكم (٢/ ١٦٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. قلت فيه عبد الرحيم بن ميمون (أبو مرحوم): لم يخرجا له وسهل بن معاذ لم يرو له مسلم وروى له البخاري في الأدب فقط فالحديث حسن فقط.

(٢) (٣) رواه أحمد (٥/ ٢٤٧) من حديث معاذ بن جبل وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وفي الثاني ابن لهيعة وهو كذلك والحديث له شواهد كالذي تقدم والآتي بعده والذي بعده.
تنبيه: وقع في المطبوع من مجمع الزوائد عزو الحديث لمعاذ بن أنس وهو خطأ فليس هو في مسنده بل في مسند ابن جبل.

(٤) رواه أحمد (٤/ ٤٣٠) قال الهيثمي: وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف (المجمع ١/ ٩٤) وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن الحمق (المجمع ١/ ٩٤) وفيه رشدين أيضاً.

(٥) رواه أحمد (٤/ ٢٨٦) وابن أبي شيبة في الإيمان (ح ١١٠) من حديث البراء وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. وله شواهد من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وأبي ذر يرتقي بها لدرجة الحسن إن شاء الله تعالى مع ما تقدم من شواهد.

في سبيل الله»، ثم قال له «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» فأخذ بلسان نفسه وقال «كف عليك هذا»[1].

(١) رواه أحمد (٥/٢٣١ و٢٣٧) والترمذي (٥/١١/ح ٢٦١٦) في الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه (٢/١٣١٥/ح ٣٩٧٣) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة. من حديث معاذ وإسناده حسن.

[شرح حديث شعب الإيمان]

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء في إحصائها من فتح الباري.

فتلك خمسةٌ وللإيمان ستةُ أركانٍ بلا نكران
إيماننا بالله ذي الجلال وما له من صفة الكمال
وبالملائكة الكرام البرره وكتبه المنزلة المطهرة
ورسله الهداة للأنام من غير تفريق ولا إيهام

(**فتلك**) الأركان المتقدمة التي هي شهادة أَنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا (**خمسة**) فسر النبي ﷺ بها الإسلام فاعلمها واحتفظ بها واعملها وعلمها، فسوف تسأل عنها وتحاسب عليها، فأعدد للسؤال جواباً، وإياك أن تخل بشيء منها فتكون من الظالمين.

[أركان الإيمان]

(**وللإيمان ستة أركان**) فسره بها النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره (**بلا نكران**) للنقل ولا تكذيب للخبر ولا شك في الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد.

[الإيمان بالله]

الأول منها (ايماننا بالله): بإلهيته وربوبيته لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه، واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا

يشرك في حكمه أحداً، ولا ضد لـه ولا ند ولم يكن لـه كفواً أحـد (**ذي الجلال**) ذي العظمة والكبرياء الذي هو أهل أن يجل فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكـر فلا يكفر ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يوالى إلا هو ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُـلِّ شَيْءٍ**﴾ (الأنعام/١٦٤) ﴿**قُـلْ أَغَيْـرَ اللهِ أَتخـذُوا وليـاً فَـاطِـرِ السَّمٰـوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ (الأنعـام/١٤) ﴿**أَفَغَيْـرُ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمـاً**﴾ (الأنعـام/١١٤) ﴿**أَفَغَيْـرَ اللهِ تَـأْمُرُونِّي أَعْبُـدُ أَيُّهَا الجَـاهِلُونَ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَ هُـوَ خَـالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل. لا تُدْرِكُـهُ الأَبْصَارُ وَهُـوَ يُدْرِكُ الأَبْصَـارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ (الزمر/٦٤).

(و) الإيمان بـ (**ماله**) تعالى (**من صفة الكمال**) مما وصف به نفسه ووصفه بـه رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بـلا تكييف ولا تشميل ولا تحريف ولا تعـطيل وأن كـل ما سمى الله تعـالى ووصف به نفسـه ووصفه به رسوله ﷺ الكل حق على حقيقته على مـا أراد الله وأراد رسولـه وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته ﴿**آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ (آل عمران/٧).

وقـد تقدم مـا يسره الله تعـالى من تقريـر الكلام في تـوحيد الإلٰهيـة والربوبية والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة له فليراجع وبالله التوفيق.

[الإيمان بالملائكة]

(و) **الثاني الإيمان** (**بالملائكـة**): الذين هم عبـاد الله المكرمـون والسفرة بينـه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (الكرام) خَلقـاً وخُلقاً والكـرام على الله تعالى (البررة) الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعـالاً المطيعين لله عـز وجل وهم عبـاد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا **بناتاً** لله، عز وجل ولا أولاداً، ولا شـركاء معـه ولا أنداداً تعـالى الله عمّا يقـول الظالمـون والجاحـدون والملحدون، علوّاً كبيراً، قال الله تعالى ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَـداً سُبْحَانَـهُ بَل عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْـرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَا**

خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ، وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء/٢٦ ـ ٢٩) وقال تعالى ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ، مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ـ إلى قوله ـ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ. وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (الصافات/١٥١ ـ ١٦٦) وقال تعالى ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ. أَم اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينِ ـ إلى قوله ـ وَجَعَلُوا الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف/١٥ ـ ١٩) الآيات.

وقال تعالى ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلهِ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ. وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾ (الأنبياء/١٧٢). وقال تعالى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء/١٩ ـ ٢٠)، وقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر/١)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنْزِيلاً، الملكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلاَئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ. وَيَقُولُونَ حِجراً مَحْجُوراً﴾ (الفرقان/٢٢)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (الأعراف/٢٠٦).

وقال تعالى ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ (مريم/٦٤)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ

كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (سبأ/٤٠)، وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٩٨): والآيات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرة.

[أقسام الملائكة وخصائصهم]

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم **الموكلُ بالوحي** من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال الله تعالى ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ (البقرة/٩٧)، وقال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينِ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء/١٩٣)، وقال تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ﴾ (النحل/١٠٢)، وقال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (النجم/٤ ـ ٩) وهذا في رؤية النبي ﷺ له في الأبطح حين تجلى له على صورته التي خلق عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، ثم رآه ليلة المعراج أيضاً في السماء[1] كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾ (النجم/١٣ ـ ١٥).

ولم يره ﷺ في صورته إلّا هاتين المرتين، وبقية الأوقات في صورة رجل، وغالباً في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه[1].

وقال تعالى فيه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ، مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾ (التكوير/١٩ ـ٢٣) الآيات. وقال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا

---

(١) قال ابن عمر رضي الله عنهما: كان جبريل يأتي النبيّ ﷺ في صورة دحية الكلبي رواه أحمد (٢/١٠٧) بإسناد صحيح.

مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِير﴾ (سبأ/٢٣) تقدم الحديث في معنى الآية. وفيه: قال النبي ﷺ «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل بأهل السموات، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل عليه السلام: قال الحق وهو العلي الكبير» فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل وهو في الصحيحين[1].

وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر بعض الأحاديث في بدء الوحي من الفصل الآتي.

ومنهم الموكل بالقَطْر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل، وهو ميكائيل عليه السلام، وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرِّفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل.

وقد جاء في بعض الآثار: ما من قطرة تنزل من السماء إلّا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض. وفي حديث ابن عباس عند الطبراني أنه ﷺ قال لجبريل «على أي شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر»[2] ولأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال لجبريل عليه السلام «ما لي لم أرَ ميكائيل ضاحكاً قط؟ فقال عليه السلام: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار»[3] عياذاً بالله منها.

ومنهم الموكل بالصُّور، وهو اسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه ثلاث نفخات

---

(١) تقدم وهو في البخاري (٨/٥٣٧) في تفسير سورة سبأ، باب حتى إذا فزع عن قلوبهم. وفي تفسير سورة الحجر من حديث أبي هريرة. وبغير هذا اللفظ رواه مسلم من حديث عبد الله بن عباس عن رجل من الأنصار (٤/١٧٥٠/ح ٢٢٢٩) في السلام، باب تحريم الكهانة.

(٢) رواه الطبراني (١١/٣٧٩/ح ١٢٠٦١) قال الهيثمي. وفيه محمد بن أبي ليلى وقد وثقه جماعة ولكنه سيء الحفظ وبقيه رجاله ثقات (المجمع ٩/٢٢) قلت: بل فيه كذلك محمد بن عمران الراوي عنه مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان.

(٣) رواه أحمد (٣/٢٢٤) وسنده ضعيف فيه إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزيّة. وإسماعيل روايته =

بأمر ربه عز وجل: **الأولى**، نفخة الفزع، **والثانية**: نفخة الصعق. **والثالثة**: نفخة القيام لرب العالمين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه في موضعه.

ولأحمد والترمذي من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له. قالوا كيف نقول يا رسول الله؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»[1].

وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[2].

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيل[3]، قال الله تعالى ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ (السجدة/١١)، وقال تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾ (الأنعام/٦١)، وقال تعالى ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ (الأنفال/٥٠)، وقال تعالى ﴿**الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** ـ إلى قوله تعالى ـ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا**

= عن غير الشاميين ضعيف وعمارة مدني قال عنه الحافظ: لا بأس به. وفيه حميد بن عبيد: لا يدري من هو.

(١) رواه أحمد (٣/٧) والترمذي (٤/٦٢٠/ح ٢٤٣١) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور؛ وقال: هذا حديث حسن قلت فيه عطيّة وهو ضعيف وللحديث شواهد عدّة انظرها في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩) والفتح (١١/٣٦٨).

(٢) رواه مسلم (١/٥٣٤/ح ٧٧٠) في صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه. وقد تقدم.

(٣) ليس في المرفوع ما يثبت هذا الاسم، بل ذكره من كلام التابعين.

﴿الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل/٢٨ ـ ٣٢) وغيرها من الآيات.

وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسناً ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئاً ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ. فَلَوْلاَ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ. فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ (الواقعة/٨٣ ـ ٩٦) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم نستغفر الله.

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حِلّه وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ، إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/١٠ ـ ١١)، وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء/٤٢)، وقال تعالى ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام/١٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأولى ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ (الرعد/١١): والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه[1].

---

(١) انظر ابن كثير (٢/٥٢٢) من رواية عكرمة وعلي عنه.

وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلّا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه[1]. وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ (الأنبياء/٤٢) قال ابنُ كثير: أي بدل الرحمن، يمتنُّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام[2]. أهـ.

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله عز وجل ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (الأنعام/٦١) وقال تعالى فيهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (الزخرف/٨٠) وقال تعالى ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق/١٧ ـ ١٨) فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. وقال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار/١٠).

عن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ مِنْ رضوانِ اللهِ تعالى ما يظنُّ أَنْ تبلغَ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانَهُ إلى يومِ يلقاه. وإنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظُنَّ أَنْ تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يومِ يلقاه». فكان علقمة يقول: كم من كلامٍ قد منعنيه حديث بلال بن الحارث، ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح[3].

---

(١) ابن كثير (٢/٥٢٢).

(٢) ابن كثير (٣/١٨٨).

(٣) رواه أحمد (٣/٤٦٩) ومالك في الموطأ (٢/٩٨٥) في الكلام، باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام، والترمذي (٤/٥٥٩/ح ٢٣١٩) في الزهد، باب في قلة الكلام، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٣١٣/ح ٣٩٦٩) في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة. والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٢/٥٥٥) وهو صحيح. وهو في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى البغوى عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كاتبُ الحسناتِ على يمين الرجل، وكاتبُ السيئاتِ على يسار الرجل، وكاتب الحسناتِ أميرٌ على كاتب السَّيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشْراً، وإنْ عمل سيئة قالَ صاحِبُ اليمين لصاحِب الشِّمال: دَعْهُ سبع ساعات لعله يسبّح أو يستغفر»[1].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله تعالى تجاوز لي عَنْ أمَّتي ما حدَّثتْ به أَنْفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» وفي رواية «ما لم تعمل أو تكلم به»[2] وفيه عنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة. وإذَا هَمَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حَسنة، فإنْ عملها فاكتبوها عشراً»[3] وفي رواية «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بحسنةٍ فلم يعملها كتبتها له حسنة، فإنْ عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف. وإذا هَمَّ بسيئةٍ ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإنْ عملها كتبتها سيئة واحدة»[4]. وفي أخرى «قال الله عز وجل: إذَا تحدَّث عبدي بأَنْ يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنةً ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشرِ أمثالها. وإذا تحدث بأنْ يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها»[5]. وقال رسول الله ﷺ «قالت الملائكةُ رَبِّ ذاك

---

(١) معالم التنزيل (٥/٢١٤) وسنده ضعيف جداً فيه جعفر بن الزبير الحنفي وهو متروك والقاسم أبو عبد الرحمن صدوق يغرب كثيراً. وفي سنده من لم أجد لهم ترجمة.

(٢) رواه البخاري (١١/٥٤٨) في الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان. ومسلم (١/١١٦/ح ١٢٧) في الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.

(٣) رواه البخاري (١٣/٤٦٥) في التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) رواه مسلم (١/١١٧/ح ١٢٨) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب. واللفظ لمسلم.

(٤) رواه البخاري (١٣/٤٦٥) في التوحيد، باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدّلوا كلام الله)، ومسلم (١/١١٧/ح ١٢٨) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب.

(٥) رواه مسلم (١/١١٧/ح ١٢٩) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا هَمَّ بسيئةٍ لم تكتب.

عبدُكَ يريدُ أنْ يعمل سيئة ـ وهو تعالى أَبْصرُ به ـ فقال ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإنْ تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرّاي»[1].

وقال رسول الله ﷺ «إذا أحسنَ أَحدُكُمْ إسلامَهُ فكُلُّ حسنةٍ يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل»[2]، وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال «إنَّ الله تبارك وتعالى كتبَ الحسناتِ والسيئات ثم بَيَّنَ ذلك، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإنْ همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة. وإنْ هَمَّ بسيئةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإنْ همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ـ زاد في رواية ـ أو محاها الله. ولا يهلك على الله إلا هالك»[3].

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾ (ق/١٧): يا ابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأَمَّا الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ (الإسراء/١٤)، ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك[4] اهـ.

ويناسب ذكر المعقبات والحفظة ما روى البخاري رحمه الله تعالى في «باب

---

(١) (٢) تقدم ذكره.

(٣) رواه البخاري (١١/٣٢٣) في الرقاق، باب من همَّ بحسنة أو بسيئة، ومسلم (١/١١٨/ح ١٣١) في الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسيئة لم تكتب.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٩ ـ ٢٤٠).

قول الله عز وجل تعرجُ الملائِكَةُ والروحُ إليه» قال: حدَّثنا إسماعيلُ حدثني مالكٌ عن أبي الـزناد عن الأعـرج عن أبي هريـرة رضي الله عنه أَنَّ رسـولَ الله ﷺ قال «يتعاقبُونَ فيكم مـلائكةٌ بـاللَّيْلِ ومـلائكةٌ بـالنَّهار، ويجتمعـونَ في صلاةِ العَصْـرِ وصلاة الفَجْرِ، ثم يعرُجُ الذين بـاتوا فيكُم فيسـألُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بهم فيقـول: كيفَ تركتم عبادي؟ فيقـولون: تـركناهُم وَهُمْ يُصَلُّونَ وأتينـاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[1]. ورواه مسلم أيضـاً. وفيهما عن أبي مـوسى رضي الله عنه قـال «قامَ فينـا رسولُ اللهِ ﷺ بأرْبَعِ كلماتٍ فقال: إنَّ الله لا ينامُ ولا ينبغي لَهُ أنْ ينامَ، يخفِضُ القسط ويرفعـه، يُرْفَعُ إليه عَمَلِ الليلِ قبل عَمَلَ النَّهار وعمل النَّهار قبـل عمل الليـل»[2] الحديث تقدم في العلوّ. والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير، وسيأتي إن شـاء الله تعالى ذكـر النصوص في ذلك قريباً، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق.

ومنهم خزنة الجنـة ومقدمهم رضـوان عليهم السلام، قـال الله تعالى ﴿**وَسِيقَ الَّـذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الجَنَّـةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَـاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْـوَابُهَـا وَقَـالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَـا خَالِـدِينَ**﴾ (الزمـر/٧٣) وقال تعـالى ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلُحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقبَى الدَّارِ**﴾ (الرعد/٢٣).

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفيـاتهم، وفي يوم القيـامة. كمـا قال تعـالى ﴿**إِنَّ الَّـذِينَ قَالُـوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَـامُوا تَتَنَـزَّلُ عَلَيْهِمُ المَـلَائِكَـةُ أَلَّا تَخَـافُـوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَـا وَفِي الآخِـرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَـا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَـا مَـا تَـدَّعُـونَ. نُـزُلًا مِنْ غَفُـورٍ**

---

(١) رواه البخاري (٢/٣٣) في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ورواه مسلم (١/٤٣٩/ح ٦٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما.

(٢) رواه مسلم (١/١٦١/ح ١٧٩) في الإيمان، باب في قوله عليه السلام: ان الله لا ينـام. ولم يروه البخاري وقد تقدم ذكر ذلك. فإنه من مفاريد مسلم.

رَحِيمٍ﴾ (فصلت/٣٠ ـ ٣١)، وقال تعالى فيهم ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمَكُمُ الَّذي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء/١٠٣).

ومنهم خزنة جهنم عياذاً بالله منها، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام. قال الله تعالى ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمراً. حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذا﴾ (الزمر/٧١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ العَذَابِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالبَيِّنَاتِ. قَالُوا: بَلَى. قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (غافر/٤٩) وقال تعالى ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ (العلق/١٧ ـ ١٨) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم/٦) وقال تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَر، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَر، لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَر، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَر. وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً﴾ (المدثر/٢٧ ـ ٣١)، وقال تعالى ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ (الزخرف/٧٧)، وفي صحيح مسلم «يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يومَ القِيامةِ لَهَا سَبعونَ أَلف زِمام، كُلُّ زِمام في يدِ سَبْعِينَ ألفَ مَلكٍ يَجُرونَهَا»[1].

ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال «حدثنا رسولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المصدوق أَنَّ أحدكُم يجمَعُ خلقُهُ في بطن أُمِّهِ أربعين يوماً نطفة، ثم يكونُ علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلماتٍ يكتب رزقه

(١) رواه مسلم (٤/٢١٨٤/ح ٢٨٤٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنَّم وبُعد قعرها.

وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[1] الحديث. وفي بابه من الأحاديث كثير، وفيها «أن الملك يقول يا رب مخلَّقة أو غير مخلّقة؟ أو توأم؟ ذكر أم أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما الرزق وما الأجل؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء. فيكتب الملك كما أمره الله عز وجل فلا يغير ولا يبدل»[2].

ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الَّذِينَ قال الله تعالى فيهم ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ (غافر/٧) الآيات، وقال تعالى ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ (الحاقة/١٧) ومفهوم هذه الآية من قوله تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ أَنَّ حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية، ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «صدق أمية بن الصلت في شيء من شعره. فقال:

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحت رِجْل يمينه ... والنَّسْر للأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ

فقال رسول الله ﷺ صدق فقال:

والشمسُ تطلعُ كل آخِر ليلةٍ ... حمراءَ يصبح لونُها يتوردُ

تَأبَىٰ فما تَطْلُعْ لنا في رِسْلِها ... إلَّا معذبةً وإلَّا تُجْلَدُ

فقال رسول الله ﷺ صدق»[3] وهذا إسناده جيد. لكن قد ورد ما يدل على أنهم في الدنيا أيضاً ثمانية، وهو حديث العنان الذي رواه أبو داود وغيره وقد

---

(١) رواه البخاري (١١/٤٧٧) في القدر، باب في القدر، ومسلم (٤/٢٠٣٦/ح ٢٦٤٣) فيه، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه.

(٢) البخاري (١١/٤٧٧) في القدر، باب في القدر، ومسلم (٤/٢٠٣٨/ح ٢٦٤٦) فيه، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه أحمد (١/٢٥٦) وأبو يعلى (المجمع ٨/١٣٠) والطبراني (١١/٢٣٣/ح ١١٥٩١) قلت وقول المصنف اسناده جيد ليس بجيد ففيه محمد بن اسحاق وهو مدلس وقد عنعن وبقية رجاله ثقات. وقوله إسناده جيد هو من كلام ابن كثير في تفسيره (٤/٧٨).

تقدم في العلوّ وفيه «ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»[1]. وله عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما «أَنَّ رسول الله ﷺ أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[2]، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج: ثمانية صفوف من الملائكة[3]. وقال الضحاك عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة[4].

وفي حديث الصور الطويل قال رسول الله ﷺ «فأرجعْ فأقف مَعَ النَّاسِ، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسًّا شديداً فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلَيْ من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مَصافَّهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مَصافَّهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وهو آتٍ. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى يَنْزِلَ الجبّارُ عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذٍ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل في تسبيحهم، يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحيّ الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت. سُبُّوح قدوس قدوس قدوس. سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح.

---

(١) تقدم تخريجه في العلو وأن اسناده ضعيف.

(٢) أبو داود (٤/٢٣٢/ح ٤٧٢٧) في الرد على الجهميّة وإسناده صحيح.

(٣) (٤) ابن كثير (٤/٤٤٢).

سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت»[1] الحديث رواه ابن جرير والطبراني وغيرهما.

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يسبِّحونَكَ ويكبِّرونَكَ ويحمدونك ويمجدونك»[2] الحديث تقدم في العلوّ وقال ﷺ «وما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسونَهُ بينهم إلّا نَزَلَتْ عليهم السَّكينة وغشيتهم الرَّحمة وحفَّتهم الملائكةُ وذكرهم الله في من عنده»[3] الحديث بطوله في الصحيح عن أبي هريرة.

ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبي ﷺ إلى بني عبد يا ليل وعوده منهم، وفيه قول جبريل له ﷺ «إنَّ اللهَ قَدْ سمع قولَ قومِكَ لكَ وما ردُّوه عليكَ». وفيه قول ملك الجبال «إنْ شئتَ أَنْ أُطبق عليهم الأخشبين» فقال ﷺ «بل استأنِ بهم لعلَّ اللهَ أَنْ يخرج مِنْ أصلابِهِمْ مَنْ يعبد الله لا يشرك به شيئاً»[4].

ومنهم زوار البيت المعمور الذي أقسم الله تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراج، وهو بيت في السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[5]، يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم. والحديث بألفاظه في الصحيحين.

---

(١) سيأتي بتمامة وكلام الأئمة عليه وأنّ ألفاظه محفوظة بأحاديث صحيحة.

(٢) رواه البخاري (١١/٢٠٨) في الدعوات: باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم (٤/٢٠٦٩/ح ٢٦٨٩) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذكر من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٠٧٤/ح ٢٦٩٩) في الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٤) رواه البخاري (٦/٣١٣) في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين. ومسلم (٣/١٤٢٠/ح ١٧٩٥) في الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ.

(٥) رواه البخاري (٦/٣٠٢ - ٣٠٣) في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (١/١٤٥ - ١٤٧/ح =

ومنهم ملائكة صفوف لا يفتون، وقيام لا يركعون، وركّع وسجّد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَا هُوَ، وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ (المدثر/٣١).

روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنِّي أرى ما لاترون، وأسمع ما لاتسمعون. أطَّتِ السَّماءُ وحق لها أنْ تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتُم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنِّساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لوددت أني شجرة تعضد. وقال الترمذي غريب. ويروى عن أبي ذر موقوفاً. قلت: وله حكم الرفع، ومن أين لأبي ذر رضي الله عنه مثل هذا إلاّ عن توقيف والله أعلم[1].

وعن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: أسمع أطيطَ السَّماءِ وما تلام أنْ تَئِطّ، ما فيها موضع شبرٍ إلاَّ وعليه ملكٌ راكعٌ أو ساجد»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «ما في السماء الدنيا موضِعٌ إلاَّ عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة: وما منّا إلا لَهُ مقامٌ معلوم، وإنَّا لنحنُ الصَّافُّون، وإنَّا لنحنُ المسبِّحون»[3].

وعن العلاء ابن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أنَّ النبي ﷺ قال يوماً لجلسائه

= ١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

(١) رواه أحمد (٥/١٧٣) والترمذي (٤/٥٥٦/ح ٢٣١٢) في الزهد، باب قول النبي ﷺ «لو تعلمون ما أعلم» وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٠٢/ح ٤١٩٠) في الزهد، باب الحزن والبكاء. والحاكم في المستدرك (٢/٥١٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وسكت عليه الذهبي. وقلت والحديث حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) أخرجه ابن نصر في الصلاة (ابن كثير ٤/٤٧٤) والسلسلة الصحيحة (ح ١٠٦٠) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة (ابن كثير ٤/٤٧٤ والسلسلة الصحيحة ح ١٠٥٩). وابن جرير (٢٢/١١٢) وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه (الدر المنثور ٧/١٣٥) وإسناده صالح للمتابعات ويشهد له الذي قبله.

«هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: وما تسمع يا رسول الله؟ قال: أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئط، إنَّه ليس فيها موضِعُ قدم إلاّ وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد. وقالت الملائكة: وإنَّا لنحنُ الصَّافُّون وإنَّا لنحنُ المسبِّحون»[1].

وعن رجل صحب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال «إنَّ لله تعالى ملائكة ترعد فرائِصَهُمْ مِنْ خيفَتِهِ، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلاَّ وقعت على ملك يصلي، وإنَّ منهم ملائكة سجوداً منذ خلقَ اللهُ السَّمواتِ والأَرْضَ لم يرفعوا رؤوسهمْ ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإنَّ مِنْهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم منذُ خلقَ الله السَّمواتِ والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل فقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[2] وإسناده لا بأس به، وهو والذي قبله أخرجهما محمد بن نصر المروزي. وفي الصحيح عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ «ألا تَصفُّونَ كما تصفُّ الملائكة عِنْدَ رَبِّها؟ فقلنا: يارسولَ اللهِ وكيفَ تَصُفُّ الملائكة عِنْدَ ربِّها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصُّونَ في الصف»[3]. وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «خُلقَت الملائكةُ مِنْ نورِ العَرْش، وَخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ مِنْ نار، وخلق آدمُ ممَّا وُصِفَ لكم»[4].

[الإيمان بالكتب المُنَزَّلَةِ]

(و) الثالث الإيمان (بكتبه المنزلة) على رسله (**المطهرة**) من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ**

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في الصلاة (ابن كثير ٤/٤٧٥) وابن الأثير (أسد الغابة ٣/٥٧٣) وابن عساكر (الدر المنثور/٧/١٣٥) وابن منده وأبو نعيم قال ابن كثير: إسناده غريب جداً. قلت: متنه يشهد له ما قبله.

(٢) أخرجه ابن نصر المروزي (ابن كثير ٤/٤٧٥) وفيه عدي بن أرطأة قال ابن حجر: مقبول (إذا توبع وإلاَّ فليّن). قلت وثقه ابن حبان والدارقطني وروى عن عدَّة فإسناده حسن. وقوله: إسناده لا بأس به هو قول ابن كثير في تفسيره (٤/٤٧٥).

(٣) رواه مسلم (١/٣٢٢/ح ٤٣٠) في الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة.

(٤) رواه مسلم (٤/٢٢٩٤/ح ٢٩٩٦) في الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة.

إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِي مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِي النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة/١٣٦)، وقال تعالى ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ (آل عمران/٨٤) إلى آخر الآية. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ (النساء/١٣٦) وقال تعالى ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ (الشورى/١٥) وقال تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ (التغابن/٨) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (غافر/٧٠) الآيات، وقال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ﴾ (الحديد/٢٥). **ومعنى الإيمان بالكتب** التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يُسمعه الرسول المَلَكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ، إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الشورى/٥١) وقال تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ (النساء/١٦٤)، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف/١٤٣)، ﴿يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ (الأعراف/١٤٤)، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم/١٠)، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى/٥٢)، ﴿يُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل/٢)، ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾ ومنها ما خطه بيده عز وجل

كما قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ (الأعراف/١٤٥).

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت اليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ـ إلى قوله ـ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بن مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ. وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة/٤٤ ـ ٤٩).

وأن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه كما قال تعالى في الإنجيل ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾ (المائدة/٤٦) وقال في القرآن ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (المائدة/٤٨).

وإن كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾ (الأعراف/٤٠).

وأنَّ نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة

بـالإنجيل قـال الله تعالى في عيسى عليـه ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَـابَ والحِكْمَـةَ وَالتَّـوْرَاةَ وَالإِنْجِيـلَ وَرَسُولاً إلى بني إسـرائيلَ أَنِّي قَـدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ـ إلى قـوله ـ وَمُصَدِّقاً لِمَـا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّـوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّـذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِـآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَـاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُـونَ﴾ (آل عمران/٤٨ ـ ٥٠) وكمـا نسـخ كثيـر من شـرائع التـوراة والإنجيل والقـرآن كما قـال تعالى ﴿عَـذَابِي أُصِيبُ بِـهِ مَنْ أَشَـاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُـلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَـا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُـونَ الـزَّكَـاةَ وَالَّـذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّـذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوبـاً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَـائِثَ، وَيَضَـعُ عَنْهُمْ إِصْـرَهُمْ وَالأَغْـلاَلَ الَّتِي كَـانَتْ عَلَيْهِمْ، فَـالَّذِينَ آمَنُـوا بِهِ وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُـوا النُّـورَ الَّـذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ أُولَئِـكَ هُمُ المُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ (الأعراف/١٥٦ ـ ١٥٨) الآية.

وأَنَّ نسخ القرآن بعض آياته ببعض حَقٌّ كما قال تعـالى ﴿مَا نَنْسَـخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ (البقرة/١٠٦) وقـال تعالى ﴿وَإِذَا بَـدَّلْنَا آيَـةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (النحل/١٠١) الآيات، وكما قـال تعالى ﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفـاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِـائَةٌ صَـابِـرَةٌ يَغْلِبُـوا مِـائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُـوا أَلْفَيْنِ بِـإِذْنِ اللهِ﴾ (الأنفال/٦٦) بعد قوله ﴿يَـاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَـرِّضِ المُؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنفال/٦٥). والناسـخ والمنسوخ آيـات مشهورات مـذكورات في مـواضعها من كتب التفسير وغيرها.

وإنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدِّل لشيء من شرائعه بعـده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكـامه، وأَنَّ من كـذب بشيء منه من الأمم الأولى

فقد كذب بكتابه، كما أَنَّ مَنْ كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به، وأَنَّ مَنْ اتَّبَعَ غير سبيله ولم يقتفِ أثره ضل قال تعالى ﴿**الٓمٓصٓ، كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (الأعراف/١ ـ ٣).

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل، فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود في قوله تعالى ﴿**وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا**﴾ (النساء/١٦٣) **والقرآن على محمد ﷺ، وذكر صحف إبراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملاً في قوله ﴿وَالكِتَاب الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَاب الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾** (النساء/١٣٦) وقال تعالى ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا** ـ إلى قوله ـ **وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ**﴾(البقرة/١٣٦) وقال ﴿**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ**﴾ (الشورى/١٥) فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل: آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول. وقال تعالى في القرآن والسنة ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ (الحشر/٧)، ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**﴾ (آل عمران/٧).

فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها، نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه وليّ التوفيق.

[الإيمان بالرسل]

(و) **الرابع الإيمان (برسله)** وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، أما من

أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي فقط وليس برسول، فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول.

(الهداة) جمع هاد والمراد به هداية الدعوة والدلالة والارشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد/٧) وقال تعالى ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللهِ﴾ (الشورى/٥٢ ٥٣).

وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرِّف الأمور ليس لملك مقرب، ولا لنبي مرسل تصريف في شيء منهما فضلاً عمن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيِّه ﷺ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة/٢٧٢) وقال تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص/٥٦).

والإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة/٢٨٥). وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (النساء/١٥٠ ـ ١٥٢)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ (النساء/١٣٦)، وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة/٩١)، وقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسمُهُ أَحمَد، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِين. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الصف/٦ ـ ٧)، وقال الله تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لِمَا آتيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران/٨١ ـ ٨٢).

ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأَنَّ الله تعالى بعث في كلِّ أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأَنَّ جميعهم صادقون مصدقون بارُّون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأَنَّهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفاً ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلاّ البلاغ المبين.

وأَنَّهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكَلَّمَ موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأَنَّ عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضّل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات.

وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفى ما يضاد ذلك أو ينافي كماله كما تقدم ذلك في تقرير توحيد الطلب والقصد. وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويُخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمّة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل ليبلوكم فيما آتاكم، ليبلوكم أيّكم أحسن عملا.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدم ونوحا وإدريس وهودا وصالحا وابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطا وشعيبا ويونس وموسى وهارون والياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسى ومحمداً ﷺ، وقص علينا من أنبائهم ونبَّأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة إجمالاً وتفصيلاً ثم قال ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ (النساء/١٦٢) وقال تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ**﴾ (غافر/٧٨) فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فصل وإجمالاً فيما أجمل.

أولهم نوح بلا شك كما أن محمداً لهم قد ختما

(**أولهم**) يعني أول الرسل عليهم السلام (**نوح بلا شك**) وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[1]. والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ (النساء/١٦٣) لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذب كما قال تعالى ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ**﴾ (غافر/٥) وإلا فآدم قبله كان نبياً رسولا، وكان الناس أمة واحدة على دينه ودين وصيه شيث عليه السلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وأبيّ بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم في قوله تعالى ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ (البقرة/٢١٣) الآية قالوا: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[2] (كما أن محمداً ﷺ (لهم) أي للرسل (قد ختما) فلا نبي بعده كما قال تعالى ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ**

(١) الله أعلم بصحة هذا فلا نقل له من طريق صحيح يعتدُّ بها.

(٢) أخرجه البزار (كشف الأستار ٣/٤١) وابن جرير (٢/٣٣٤) والحاكم في المستدرك (٢/٤٤٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ١/٥٨٢). وقد تقدم.

﴿النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب/٤٠) وسيأتي إن شاء الله تعالى تقرير ذلك في موضعه من هذا المتن.

وخمسة منهم أولو العزم الأولى في سورة الأحزاب والشورى تلا

(**وخمسة منهم**) أي من الرسل (**أولو**) أي أصحاب (**العزم**) يعني الجزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، ولذا خصوا بالذكر (**في سورة الأحزاب**) يعني قوله تعالى ﴿**وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ**﴾ (الأحزاب/٧) فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملة ونص منهم على هؤلاء الخمسة محمد ﷺ وهو خاتمهم ونوح وهو فاتحهم وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما (**و**) كذا ذكرهم على وجه التخصيص في سورة (**الشورى**) إذ يقول تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ (الشورى/١٣).

وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهي إلى نبينا محمد ﷺ فيقول «أنا لها» كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إنْ شاء الله ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾ (الأحزاب/٧) الآية قال النبي ﷺ «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم»[1] وفيه ضعف ويروي مرسلا وموقوفاً على قتادة، وللبزار عنه رضي الله عنه موقوفاً عليه قال «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد»[2] ﷺ

---

(١) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٤٧٨) وأبو نعيم في الدلائل (ح ٣) والديلمي (الفردوس ح ٤٨٥٠) وأخرجه الحسن بن سفيان وابن مردويه وابن عساكر (الدر المنثور ٦/٥٧٠). وإسناده ضعيف فيه عنعنة الحسن البصري وسعيد بن بشير وهو ضعيف. ورواية الأرسال عند ابن سعد (١/١٤٩).

(٢) رواه البزار (كشف الأستار ٣/١١٤).
قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٨/٢٥٨). قلت: هو كما قال وفيه حمزة الزيات ربما وهم.

وعليهم أجمعين، وخيرهم محمد ﷺ، والقول بأن أولي العزم هم هؤلاء الخمسة هو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر، وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين، وقيل هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهود والشعراء، وقال مقاتل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار وإسماعيل صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر.

قلت وقوله إسحاق صبر على الذبح هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبيح إسماعيل عليه السلام كما في سورة الصافات وهود.

وقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبياً إلّا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**﴾ (الأنعام/٩٠).

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ظل رسول الله ﷺ صائماً ثم طواه ثمَّ ظلَّ صائماً ثم طواه ثم ظلَّ صائماً ثم قال «يا عائشةُ، إنَّ الدنيا لا تنبغي لمحمدٍ ولا لآلِ محمد. يا عائشة، إنَّ الله تعالى لم يرضَ مِنْ أولي العزمِ من الرُّسلِ إلّا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ (الأحقاف/٣٥) وإنِّي واللهِ لأصبرنَّ كما صبروا جهدي، ولا قوَّة إلّا بالله»[1].

---

(١) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/١٨٥) والديلمي (ح ٨٦٢٨) وسنده ضعيف فيه مجالد بن سعيد: ليس بالقوي وتغير بآخرة. والسري بن حيّان ترجمه ابن أبي حاتم وسكت عنه.

[الإيمان بالمعاد وقيام الساعة]

وبالمعاد أيقن بلا تردد ... ولا ادعا علم بوقت الموعد
لكننا نؤمن من غير امترا ... بكل ما قد صح عن خير الورى
من ذكر آيات تكون قبلها ... وهي علامات وأشراط لها

(وبالمعاد) وهو المردُّ إلى الله عز وجل والإياب اليه (أيقن) استيقن بذلك يقيناً جازماً (بلا تردد)، هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة/٤)، وقال تعالى ﴿وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ (البقرة/١٧٧) الآية، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة/٢٥٤)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٢٦٤) وقال تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) وقال تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ. رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ، رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ﴾ (آل عمران/٧ ـ ٩) وقال تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران/٢٥) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ، وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِينا، وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ (النساء/٣٨ ـ ٣٩) الآيات.

وقال تعالى ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾ (النساء/٨٧) وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ (الشورى/٢٠) الآية وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل/٤) وقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ (الحجر/٨٥) وقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه/١٦) وقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ﴾ (الحج/٧) وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (يس/٤٨) وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سبأ/٣٠). ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ. فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ (السجدة/٢٨ ـ ٢٩) وقال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ، ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ، وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُود. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لأَجَلٍ مَعْدُود﴾ (هود/١٠٣ ـ ١٠٤) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً، إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورَ﴾ (لقمان/٣٣) وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغرور﴾ (فاطر/٥) وقال تعالى ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (الأنعام/١٣٤) وقال تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل/١) وقال تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (الزمر/٩) وقال تعالى ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (غافر/٥٩) وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ

بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ (المعارج/٥) وقال تعالى ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الزخرف/٨٣) الآيات، وقال ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾ (الواقعة/١) الخ السورة، وقال تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ (الإنسان/٧) إلى آخر السورة.

قال تعالى ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً، فَالحَامِلَاتِ وِقْراً، فَالجَارِيَاتِ يُسْراً، فَالمُقَسِّمَاتِ أَمْراً، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ، وإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٍ﴾ (الذاريات/١ - ٦) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ، فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ، وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ، وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ، لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الفَصْلِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات/٧ - ١٥) إلى آخر السورة والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور، وسيأتي إن شاء الله مزيد نصوص في اللقاء والبعث والنشور.

(و) بـ (لاادعا) بالقصر للوزن وهو مصدر ادَّعى يدَّعي إدّعاء (علم) بوقت الموعد متى هو، فإن ذلك من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، قال الله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام/٥٩) الآية. وقال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/١٨٧) والتي بعدها. وقال تعالى ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (الأنبياء/٤٠)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ (لقمان/٣٤) الآية، وقال تعالى ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فصلت/٤٧) الآيات.

وقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ

يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الأحقاف/٣٥) وقال تعالى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ (الأحزاب/٦٣)، وقال تعالى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى/١٧ ـ ١٨) وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ، وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ. فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ (الملك/٢٥ ـ ٢٧)وقال الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا. إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا. إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا. كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات/٤٢ ـ ٤٦) وغيرها من الآيات.

وتقدم حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي ﷺ «أخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[1] الحديث.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «خمس لا يعلمها إلا الله عز وجل: إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ علمُ السَّاعةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ، ويعلم ما في الأَرْحَامُ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تموت. إِنَّ الله عليم خبير»[2].

وروى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «مفاتحُ الغيب خمس، ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة»[3].

وفي الصحيحين أَنَّ أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فناداه بصوت جَهْوَرِيّ فقال: يا محمد، قال له رسول الله ﷺ: هاؤم ـ على نحو ما صوته ـ قال: يا محمدُ، متى

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) رواه أحمد (٥/٣٥٣) والبزار (كشف الأستار ٣/٦٥) وأخرجه ابن مردويه والروياني والضياء بسند صحيح (الدر المنثور (٦/٥٣١) وهو في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري (٨/٥١٣) في تفسير سورة لقمان، باب (إِنَّ الله عِنْده علم الساعة).

الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك إنَّ السَّاعَةَ آتية فما أعددت لها؟ قال: ما أعددتُ لها كبير صلاة ولا صيام، ولكنِّي أحبُّ الله ورسولَه. فقال لـه رسول الله: المرء مَعَ مَنْ أحب فما فرح المسلمون بشيءٍ فرحهم بهـذا الحديث[1]. ففيـه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلـك والتهيؤ له قبـل نزولـه وإن لم يعرفوا تعيين وقته.

ولمسلم عن عـائشة رضي الله عنهـا قالت: كـانت الأعـراب إذا قـدمـوا على رسـول الله ﷺ سألـوه عن الساعـة متى الساعـة، فينظر إلى أَحْـدَثِ انسـان منهم فيقول: «إنْ يعش هذا لم يـدركه الهـرم قامَتْ عليكم سـاعتكم»[2]، يعني بذلـك موتهم الذي يفضي بهم الى الحصول في برزخ الدار الآخرة.

ولـه عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رجـلاً سأل رسـول الله ﷺ عن السـاعـة فقـال رسـول الله ﷺ «إنْ يَعِشْ هـذا الغـلامُ فعسى أنْ لا يـدركـه الهـرم حتى تقـوم السـاعـة»[3]. وفي روايـة أَنَّ رجـلاً سـأل النَّبِيَّ ﷺ قـال: متى السـاعـة؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نـظر الى غلام بين يـديه من أزد شنـوءة فقال «إنْ عَمَّـرَ هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» قال أنس ذلك الغلام من أتـرابي[4]. وفي رواية عن أنس قال: مَرَّ غلامٌ للمغيرة بن شعبة وكـان من أترابي، فقـال النبي ﷺ

---

(١) رواه أحمد (٤/٢٣٩) والترمذي (٥/٥٤٥ ـ ٥٤٦/ح ٣٥٣٥ و٣٥٣٦) في الدعوات، باب فضـل التـوبة والاستغفـار. والنسائي (١/٨٣ و٨٤) في الـطهارة، بـاب التوقيت في المسح عـلى الخفـين للمسافر. وأخرجه ابن ماجه مختصراً (١/٨٢/ح ٢٢٦) في المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. وابن خزيمة (١/٩٧/ح ١٩٣) وابن حبـان (موارد ـ ح/١٨٦) وأخـرجه الشـافعي والـدارقطـني والبيهقي كلهم من حـديث صفوان بن عسـال رضي الله عنه. وهـو صحيـح. قلت قول المصنف «وفي الصحيحين» وهم منه رحمه الله فما أخرجاه ولا أحـدهما والـذي في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما قولـه ﷺ «المرء مـع من أحب» فقط دون ذكر القصة.

(٢) رواه البخاري (١١/٣٦١) في الرقـاق، باب سكـرات الموت، ومسلم (٤/٢٢٦٩/ح ٢٩٥٢) في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٦٩/ح ٢٩٥٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة.

(٤) رواه مسلم (٤/٢٢٧٠/ح ٢٩٥٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة.

«إِنْ يؤخَّر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم السَّاعة»[1].

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى السَّاعة قائمة؟ قال «ويلك وما أعددت لها؟ قال ما أعددت لها إلاّ أني أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرحنا يومئذٍ فرحاً شديداً. فمر غلام للمغيرة وكان مِنْ أقراني فقال: إِنْ أُخِّرَ هذا فَلَنْ يدركه الهرم حتى تقوم السَّاعة»[2]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم في حديث عائشة رضي الله عنها[3]. وقال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أَنَّهُ سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول قبل أَنْ يموت بشهر «تسألون عَنِ السَّاعة، وإِنَّما علمها عِنْدَ الله، وأُقْسِمُ باللهِ ما على وجه ظهر الأرض اليوم من نفسٍ منفوسةٍ تأتي عليها مائة سنة»[4] رواه مسلم.

وفي الصحيحين عن ابن عمر مثله، قال ابن عمر: وإنما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن[5].

وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لقيتُ ليلةَ أسرى بي ابراهيمَ وموسى وعيسى، فتذاكروا أمْرَ السَّاعةِ، قال فردّوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام، فقال لا علم لي بها، فردّوا أمرهم إلى موسى، فقال لا علم لي بها، فردّوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى: أما وجبتها فلم يعلم بها أحدٌ إلاّ اللهُ عزَّ وجلَّ، وفيما عهد إِلَيَّ ربي عز وجل أَنَّ الدجالَ خارجٌ، قال ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال فيهلكه الله عز وجل، ثم

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٧٠/ح ٢٩٥٣) في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة.

(٢) رواه البخاري (١٠/٥٥٣) في الأدب، باب ما جاء في قول الرجل «ويلك».

(٣) ابن كثير في تفسيره (٢/١٠٦).

(٤) رواه مسلم (٤/١٩٦٦/ح ٢٥٣٨) في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

(٥) رواه البخاري (١/٢١١) في العلم، باب السمر في العلم، ومسلم (٤/١٩٦٥/ح ٢٥٣٧) في فضائل الصحابة، باب قوله ﷺ «لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم».

يرجع الناس إلى بلادهم وأَوْطانهم، قال فعند ذلك يخرج يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كل حَدَبٍ يَنْسلون فيطأون بلادهم لا يأتون على شيءٍ إلَّا أهلكوه، ولا يمرون على ماءٍ إلَّا شربوه. قال ثم يرجع الناسُ إليَّ فيشكونهم، فادعوا الله عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم، حتى تجوى الأرض مِنْ نَتَنِ ريحهم. أي تنتن. قال فيُنْزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر» قال الإمام أحمد قال يزيد بن هارون «ثم تنسفُ الجبال وتمدُّ الأرضُ مَدَّ الأديم» ثم رجع إلى حديث هشيم قال «ففيما عهد إليَّ ربي عز وجل أَنَّ ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً»[1]. ورواه ابن ماجه بنحوه. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هؤلاء أكابر أولي العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراطها لأنه ينزل في آخر هذه الأمة منفّذاً لأحكام رسول الله ﷺ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به[2].

وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن السَّاعة فقال «علمها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو. ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً. قالوا: يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال بلسان الحبشة القتل. قال ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدهم يعرف أحداً»[3].

وروى النسائي عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من

---

(١) رواه أحمد (١/٣٧٥) وابن ماجه (٢/١٣٦٥/ح ٤٠٨١) وقال الهيثمي: هذا اسناد صحيح رجاله ثقات مؤثر بن مفازة ذكره ابن حيان في الثقات وباقي رجال الإسناد ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/٤٨٨ ـ ٤٨٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قال الحاكم: مؤثر بن مفازة روى عن جماعة من التابعين فحديثه حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) في تفسيره (٢/٢٨٤).

(٣) رواه أحمد (٥/٣٨٩) قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٧/٣١٢).
قلت: رجال مسلم إذ عبيد الله بن إياد وأبوه لم يرو لهم البخاري إلّا في الأدب المفرد.

شأن الساعة حتى نزلت ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (النازعات/٤٢) الآية، واسناده جيد قوي[1]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فهذا النبي الأميّ سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح، من حديث أنس وسهيل بن سعد رضي الله عنهما «بعثت أنا والسَّاعة كهاتين. وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها»[2] ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يردَّ علم وقت السَّاعة إليه إذا سئل عنها فقال ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ. . . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١الأعراف/١٨٧) اهـ.

[الإيمان بأمارات الساعة]

(ولكننا نؤمن) ونصدق (من غير امترا) من غير شك (بكل ما قد صح) سنده وصرح لفظه (عن خير الورى) نبينا محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى (من ذكريات) أمارات (تكون) تقع (قبلها) قبل الساعة (وهي) أي تلك الأمارات (علامات) لمجيء السَّاعة وقربها ودنوّها (وأشراط لها) أي لاقترابها.

وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوّها وكثير من علاماتها، قال الله تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ (النحل/١) وقال تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/١) الآيات.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى عن أحمد بن سليمان، عن مؤمل بن الفضل، عن عيسى بن يونس، عن اسماعيل عنه به (تحفة الأشراف ٤/٢٠٨) وطارق بن شهاب رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه. قال ابن كثير: إسناده جيد قوي.

(٢) رواه البخاري (١١/٣٤٧) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ ومسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ومسلم (٤/٢٢٦٨/ح ٢٩٠١) في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة. وقول ابن كثير هذا في تفسيره (٢/٢٨٤).

وقد ذكر الله تعالى أَنَّ بعثة نبينا ﷺ من أشراطها كما قال عز وجل ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى ـ أَزِفَتِ الآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾ (النجم/٥٦ ـ ٥٧) وقال تعالى ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد/١٨) وقال تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ﴾ (القمر/١) الآيات.

وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة، وذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وغيرها كما قال تعالى ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ (الدخان/١٠) الآيات.

وقال تعالى في شأن عيسى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً. وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (النساء/١٥٨ ـ ١٥٩).

وقال تعالى في شأن يأجوج ومأجوج ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً. قَالُوا يَاذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدماً، آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ، حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطراً. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً. قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً. وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾ (الكهف/٩٢ ـ ٩٩) وقال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ﴾ (الأنبياء/٩٦) الآيات.

---

(١) تقدم ذكره.

وقال تعالى ﴿هَلِ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيهِمُ المَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام/١٥٨). وقال تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ﴾ (النمل/٨٢). وقال تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ (يس/٣٨).

وأما الأحاديث في أشراط الساعة فكثيرة متواترة، وقد تقرر في حديث جبريل على اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره ﷺ من أماراتها: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان وقد تقدم قوله ﷺ «بعثتُ أنا والسَّاعة كهاتين» وأشار بالسبَّابة والوسطى[1]. وفي صحيح مسلم وغيره عن حذيفة رضي الله عنه قال «قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام السَّاعة إلاّ حَدَّثَ به، حَفظه مَنْ حفظه ونَسِيهُ مَنْ نسيه، قَدْ علمه أصحابي هؤلاء، وإنَّه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[2].

وفيه عن أبي زيد عمرو بن أَخطب الأنصاري رضي الله عنه قال «صلى بنا رسولُ اللهِ ﷺ الفجر وصعد المنبرَ فخطبنا حتى حضرت الظهرُ، فنزل فصَلَّى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربتِ الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأَعْلَمُنَا أَحفَظُنا»[3].

وفيه عن أبي هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال «لا تقوم السَّاعة حتى يحسر الفراتُ عن جبلٍ مِنْ ذهب يقتتل الناسُ عليه فيقتل مِنْ كُلِّ مائة تسعة وتسعون ويقول كُلُّ

---

(١) تقدم ذكره قبل قليل.

(٢) رواه البخاري (١١/٤٩٤) في القدر، باب «وكان أمر الله قدراً مقدوراً»، ومسلم (٤/٢٢١٥/ح ٢٨٩١) في الفتن، باب أخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢١٦/ح ٢٨٩٢) في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

رجل منهم لعلِّي أكونُ أنا الذي أنجو ـ وفي رواية: فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً»[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «لا تقوم السَّاعةُ حتى ينزل الرومُ بالأعماق ـ أو بدابق ـ فيخرج اليهم جيشٌ مِنَ المدينة مِنْ خيار أَهْلِ الأرضِ يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزمُ ثُلُثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبداً، ويُقْتَلُ ثُلُثٌ هم أفضلُ الشُّهداء عند الله، ويفتتح الثُّلُثُ لا يفتنون أبداً فيفتتحون قُسْطَنْطِينيَّة، فبينما هم يقتسمون الغنائِمَ قد علقوا سيوفَهم بالزيتون إذْ صاحَ فيهم الشيطان إِنَّ المسيح[2] قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطلٌ فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوُّون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيأُمُّهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته»[3]، والأعماق قال في القاموس: بلد بين حلب وانطاكية مصب مياه كثيرة لا تجف إلا صيفاً وهو العمق جمع بأجزائه[4] اهـ. وقال أيضاً: دابق كصاحِب وهاجَر قرية بحلب، وفي الأصل اسم نهر، ودويبق قرية بقربها[5].

وفيه عن يُسَيْر ابنِ جابر قال: هاجتْ ريحٌ حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هِجِّيرىٰ إلا «يا عَبْدَ الله بن مسعود جاءت الساعة» قال فقعد وكان متكئاً فقال: إِنَّ السَّاعة لا تقوم حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ ولا يفرَحُ بغنيمةٍ، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال: عدوّ يجمعون لأهل الإسلام ويَجْمَعُ لهم أهل الإسلام. قلت:

---

(١) رواه البخاري (١٣/٧٨) في الفتن، باب خروج النار، ومسلم (٤/٢٢٢٠/ح ٢٨٩٤) في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

(٢) أي الدّجّال.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٢٥/ح ٢٨٩٧) في الفتن، باب فتح قسطنطينية ونزول عيسى ابن مريم.

(٤) القاموس المحيط باب القاف. فصل العين.

(٥) هو عند الجوهري وانظر شرح النووي على مسلم (١٨/٢١).

الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردَّةٌ شديدة فَيَشْتَرِطَ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلَّا غالبةً فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غَيْرَ غالب وتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثم يشترط المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشُّرْطَةُ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كُلٌّ غَيْرُ غالب، وتفنى الشُّرْطَةُ فإذا كان اليومُ الرابع نهد إليهم بَقِيَّةُ أهل الإسلام فيجعل الله الدَّبَرَةَ عليهم فيقتلون مقتلةً، إمّا قال لا يرى مثلها، وإمّا قال لم يرَ مثلها، حتى إنَّ الطائرَ ليمرُّ بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر مَيْتاً، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائةً فلا يجدونه بقي منهم إلّا الرجل الواحدُ، فبأَيِّ غنيمةٍ يُفرحُ أو أَيُّ ميراثٍ يقاسَمُ، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأْس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ أَنَّ الدجّال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إنِّي لأعرف أسماءهم وأسماء آبائِهم وألوانَ خيولهم، هم خيرُ فوارسٍ على ظهرِ الأرض يومئذٍ - أو من خيرِ فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ»[1].

وفيه عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال «طلع النَّبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا نذكر السَّاعة. قال: إنَّها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدُّخان، والدَّجَّالَ، والدَّابَةَ، وطلوعَ الشَّمْسِ من مغربها، ونزولَ عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوجَ، وثلاثة خسوف: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخرُ ذلك نارٌ تخرج منَ اليمن تطرد الناس الى محشرهم»[2] وفي رواية «ونار تخرج من قَعْرَةِ عَدَنٍ ترحَلُ

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٣٠/ح ٢٨٩٩) في الفتن، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدَّجَّال. والهجيري: أي شأنه ودأبه. والشرطة الطائفة من الجيش. ونهد إليهم: أي نهض وتقدم. والدبرة: هي الدائرة تدور على الأعداء.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٣٥/ح ٢٩٠١) في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال وقعرة عدن: معناه من أقصى أرض اليمن. وترحل الناس: أي تأخذهم بالرحيل وتزعجهم.

الناس»[1] زاد في أخرى «تنزلُ معهم إذا نزلوا وتقيلُ معهُمْ حيث قالوا»[2].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال «بادروا بالأَعمال سِتّاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة. وفي رواية: الدجال، والدخان، ودابة اورض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم»[3].

وقال البخاري رحمه الله تعالى «باب لا ينفع نفساً إيمانها. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل»[4].

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في كتاب الفتن «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيبُ حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: لا تقوم السَّاعة حتى تقتتلَ فئتانِ عظيمتانِ يكونُ بينهما مقتلةٌ عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجَّالون كذَّابون قريب من ثلاثين كُلُّهم يَزْعُمُ أَنَّهُ رسولُ اللهِ، وحتى يقبَضَ العِلمُ، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - وحتى يكثرَ فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانَهُ، وحتَّى تطلعَ الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها النَّاسُ آمنوا أجمعون، فذلك حينَ لا يَنْفَعُ نفساً إيمانها لم تكنْ آمنتْ من قبلُ أوْ كسبتْ في إيمانها خيراً.

---

(١) (٢) تقدم ذكره في الذي مثله.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٦٧/ح ٢٩٤٧) في الفتن، باب بقية من أحاديث الدَّجَّال.

(٤) رواه البخاري في التفسير، باب لا ينفع نفساً إيمانها (٨/٢٩٧) وفي (١١/٣٥٢) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وغيره. ومسلم (١/١٣٧/ح ١٥٧) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

ولتقومنَّ السَّاعةُ وقد نشر الرجلانِ ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعةُ وقدِ انصرفَ الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يليط حوضَهُ فلا يسقى فيه، ولتقومَنَّ الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها»[1].

وفي الصحيحين عن ابراهيم التَّيْمِيِّ عن أبيه عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ لأبي ذر حين غربت الشَّمْسُ «أتدري أين تذهب؟ قلت: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: فإنَّها تذهبُ حتى تسجُدَ تحت العرش فتستأذن فيؤذَنُ لها، ويوشك أَنْ تسجُدَ فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لَمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقدِيرُ العَزِيزِ العليم**﴾[2] (يس/٣٨).

وفي صحيح مسلم عن أبي زرعة عن عبدالله بن عمرو قال: حَفِظْتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ حديثاً لم أنْسَهُ بعد، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أَوَّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحى، وأيُّهما ما كانت قبل صاحبتها فالأُخرى على إثْرِها قريباً»[3].

وفيه عن فاطمة بنت قيس ـ وكانت من المهاجرات الأول رضي الله عنها ـ قالت: سمعت نداءَ المنادي منادَى رسولِ اللهِ ﷺ ينادي: الصلاةُ جامعة، فخرجْتُ إلى المسجدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسولُ اللهِ ﷺ صلاتَهُ جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كُلُّ إنسان مُصَلاّه. ثم قال: أتدرون لِمَ جمعتكمْ؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: إنِّي واللهِ ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ، ولكن جمعتكمْ

---

(١) رواه البخاري (١٣/٨١ ـ ٨٢) في الفتن، باب خروج النار، ومسلم (١/١٣٧/ح ١٥٧) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) رواه البخاري مختصراً دون قوله «فتستأذن فيؤذن...». (٨/٥٤١) في تفسير سورة يس، باب (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) وتاماً في (٦/٢٩٧) في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر. ومسلم (١/١٣٨/ح ١٥٩) في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان بغير ألفاظه هذه بل قريباً منها.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٦٠/ح ٢٩٤١) في الفتن، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض.

لأنَّ تميماً الدَّارى كان رجلاً نصرانيّاً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أُحدثكم عن مسيح الدَّجَّال، حدثني أنَّه ركب في سفينةٍ بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخْمٍ وجُذَامٍ، فلعب بهم الموجُ شهراً في البحر ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقْرَبِ السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابّة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دُبُرِهِ من كثرةِ الشعر، فقالوا: ويلك ما أنْتِ؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجسّاسة؟ قالت: أيُّها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فإنَّه إلى خبركم بالأشواق. قال لمَّا سمَّت لنا رجلاً فرقنا[1] منها أن تكونَ شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناهُ قَطُّ خلقاً وأَشَدُّهُ وثاقاً، مجموعةٌ يداهُ إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن أُناسٌ من العرب ركبنا في سفينةٍ بحريَّةٍ فصادفنا البحر حين اغتلم[2] فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا الى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثيرةُ الشعر لا يدري ما قُبُلُهُ من دُبُرِهِ من كثرة الشعر، فقلنا ويْلَكِ ما أنت؟ فقالت أنا الجسَّاسة. قلنا وما الجسَّاسة؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدَّيْرِ فإنَّه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سِراعاً. وفزعنا منها ولم نأْمَنْ أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخل بيسان[3]. قلنا: عَنْ أَيِّ شأنها تستخبر؟ قال: أسألُكُمْ عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أَمَّا إنَّهُ يوشك أن لا يثمر. قال: أخبروني عن بحيرة طبريَّة[4]. قالوا: عن أَيِّ شأنها تستخبر؟ قال هل فيها ماء؟ قالوا هي كثيرةُ الماء. قال أما إنَّ ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زُغر[5]. قالوا: عن أَيِّ شأنها تستخبر؟ قال هل فيها ماء، وهل يزرع أهلُها بماءِ العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرةُ الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال أخبروني عن نبيِّ الأمِّيِّينَ ما فعل؟ قالوا: قد خرج من

---

(١) الفرق: الخوف.
(٢) اغتلم: هاج.
(٣) (٤) منطقتان في فلسطين.
(٥) بلدة في الجانب القبلي من الشام.

مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العربُ؟ قلنا: نعم. قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناهُ إنَّهُ قد ظهر على من يليه من العربِ وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا نعم. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإنِّي مخبركم عنِّي، إنِّي أنا المسيح، وإنِّي أُوْشِكُ أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلَّما أردت أنْ أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملكٌ بيده السيف صلْتاً يصدُّني عنها، وإنَّ على كُلِّ نقبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها. قالت قالَ رسولُ اللهِ ﷺ وطَعَنَ بمخصرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة. يعني المدينة. ألا هل كُنْتُ حدَّثتكم ذلك؟ فقال الناس نعم. قال: فإنَّهُ أعجبني حديث تميم أنَّه وافق الذي كنت أحدِّثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرقِ ما هو من قبل المشرقِ ما هو من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ»[1]. قال النووي رحمه الله تعالى الأَهلب الغليظ الشعر كثيره، وسميت الجسَّاسة لتجسسها الأخبار للدجال[2]. وجاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّها دابَّةُ الأرضِ المذكورة في القرآن والله أعلم[3].

وفيه عن ابن شهابٍ أخبرني عروة بنُ الزبير أنَّ زينب بنت أبي سلمة أخبرته أنَّ أُمَّ حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتْها أنَّ زينبَ بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت «خرج رسولُ اللهِ ﷺ يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول: لا إلهَ إلاّ الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِحَ اليوم من ردمِ يأجوجَ ومأجوج مثل هذه ـ وحلَّق بأصبعه الابهام والتي تليها ـ قالت فقلت: يا رسولَ اللهِ أنهلكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كَثُرَ الخبث»[4].

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٦١/ح ٢٩٤٢) في الفتن، باب قصة الجساسة.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/٨١).

(٣) انظر القرطبي (٣/٢٣٥) ولكن فيه عبد الله بن عمر وليس عمرو.

(٤) رواه البخاري (٦/٢٧٤) في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين)، ومسلم (٤/٢٢٠٧/ح ٢٨٨٠) في الفتن، باب اقتراب الفتن.

وفيه عن النَّواس بن سمعان قال «ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذات غداةٍ فخفَّض فيه ورفَّع حتَّى ظنناه في طائفةِ النَّخْلِ، فلما رُحْنَا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنُكُمْ؟ قلنا: يارسولَ اللهِ ذكرتَ الدَّجَّالَ غداةً فخفَّضْتَ فيه ورفَّعْتَ حتى ظنَنَّاهُ في طائفةِ النخل، فقال غير الدجال أخوفني عليكم، إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه واللهُ خليفتي على كلِّ مسلمٍ، إنه شابٌّ قَطَطٌ عينه طافئة كأنِّي أشبِّهُهُ بعبد العُزَّى بنِ قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورةِ الكهف[1]، إنَّه خارجٌ خلَّةً بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد اللهِ فاثبتوا. قلنا: يارسولَ اللهِ وما لبثه في الأرض؟ قال أربعون يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويوم كجمعةٍ، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يارسولَ اللهِ فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ؟ قال: لا، أقدروا له قدره. قلنا: يارسولَ اللهِ وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم[2] أطول ما كانت ذُرّاً وأسبغه ضروعاً وأمدَّه خواصر[3]، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردُّون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين[4] ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمرُّ بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزكِ فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل[5]، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رميةَ الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث اللهُ المسيح بنَ مريم فينزل عند المنارة البيضاءِ شرقيِّ دمشق. بين مهْرودتَيْن[6] واضعاً كفَّيه على أجنحة ملكين إذا طأْطَأَ رأسهُ قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جمانٌ كجمان اللؤلؤ فلا يحلُّ لكافرٍ يجد ريح

---

(١) المقصود العشر الآيات الأولى منها كما جاء في رواية صحيحة صريحة.

(٢) كالغيث: أي كالمطر. وسارحتهم: - أي ماشيتهم.

(٣) أي أنها تعود أكثر لبناً وحلباً وأوسع خواصر لكثرة امتلائها من الشبع.

(٤) أي مجدبين.

(٥) هي ذكورها - واليعسوب هو الأمير والذكر.

(٦) المهرودتين: بالدال والذال أي ثوبين وحلتين.

نفسه إلاّ مات ونفسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه[1] فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ[2] فيقتله، ثم يأتي عيسى بنَ مريمَ قومٌ قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إنِّي قد أخرجت عباداً لي لا يدانِ[3] لأحدٍ بقتالهم فحرّزْ عبادي الى الطّور[4]. ويبعثُ اللهُ يأجوج ومأجوج وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون فيمُرُّ أوائلهم على بحيرةٍ طبريَّة فيشربون ما فيها، ويمُرُّ آخِرُهُمْ فيقول: لقد كان بهذه مرَّةً ماء، ويُحْصَرُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُهُ حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدِكم اليوم، فيرغب نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابه، فيرسلُ اللهُ عليهم النَّغف[5] في رقابهم فيصبحون فرسى كموتِ نفسٍ واحدةٍ. ثم يهبط نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زهمهم[6] ونتنهم، فيرغب نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابه إلى اللهِ عز وجل، فيرسلُ اللهُ تعالى طيراً كأعناقِ البُخْتِ[7] فتحملهم فتطرحهم حيث شاءَ اللهُ، ثم يرسلُ اللهُ مطراً لا يكنُّ منه بيت مدرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلقةِ[8]، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرك وردِّي بركتكِ، فيومئذٍ تأكل العِصابةُ[9] من الرُّمَّانة ويستظلُّون بقحفها، ويباركُ في الرِّسْل حتى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الإبلِ لتكفي الفِئام مِنَ الناس، واللَّقحة من البقر لتكفي القبيلةَ من النَّاسِ، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخِذَ من النَّاس، فبينما هم كذلك إذْ بعث اللهُ ريحاً طيِّبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روحَ كُلِّ مؤمن وكلِّ مسلمٍ، ويبقى شرارُ النَّاس يتهارجون فيها تهارُجَ الحمر[10]، فعليهم تقوم

---

(١) أي بصره.
(٢) بلدة قريبة من بيت المقدس.
(٣) أي لا قوّة.
(٤) أي أجمعهم واحفظهم في جبل الطور.
(٥) هو الدود يكون في أنوف الإبل والغنم.
(٦) أي وسمهم ورائحتهم الكريهة.
(٧) أي الإبل.
(٨) أي المرآة.
(٩) أي الجماعة.
(١٠) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما تفعل الحمير.

الساعة». زاد في رواية بعد قوله «لقد كان بِهذه مَرَّةً ماء»: ثم يسيرونَ حتى ينتهي إلى جبل الخمر وهو جبل بيتِ المقدس فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض، هلُمَّ فلنقتل مَنْ في السماء فيرمون بنشَّابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً»[1].

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذكر الدَّجال بين ظهراني الناس فقال: إنَّ اللَه تعالى ليس بأَعور، ألا وإنَّ المسيح الدجال أعورُ العين اليمنى كإنَّ عينه عنبة طافية»[2].

وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من نبي إلّا وقد أنذر أمّته الأعور الكذاب، ألا إنَّه أعور وإنَّ ربَّكُمْ ليس بأعور مكتوبٌ بين عينيه ك ف ر»[3]، وفي رواية قال رسول الله ﷺ «الدَّجّالُ ممسوحُ العين مكتوبٌ بين عينيه كافر ـ ثم تهجاها ك ف ر ـ يقرأه كُلُّ مسلم»[4].

وفيه عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لأَنا أَعْلَمُ بما مع الدَّجّالِ منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأَجَّج، فإمَّا أدركهما أحدٌ فليأْتِ النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثُمَّ ليطأطِئ رأسه فيشرب منه، فإنَّه ماءٌ بارد. وإنَّ الدجال ممسوحُ العين عليها ظفرة غليظة مكتوبٌ بين عينيه «كافر» يقرأه كُلُّ مؤمن كاتب وغير كاتب»[5] قال النووي: ظفرة بفتح الظَّاء المعجمة والفاء وهي جلدة تغشى البصر، وقال الأصْمُعي: لحنة تنبت عند المآقي[6].

وفيه عن أبي سعيد الخدري قال «حَدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٥٠/ح ٢٩٣٧) في الفتن، باب ذكر الدّجّال وصفته وما معه.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٤٧/ح ١٦٩) في الفتن، باب ذكر الدّجّال وصفته وما معه.

(٣) (٤) رواه البخاري (١٣/٨٩) في الفتن، باب ذكر الدّجّال، ومسلم (٤/٢٢٤٨/ح ٢٩٣٣) فيه، باب ذكر الدّجّال وصفته وما معه.

(٥) رواه البخاري (١٣/٨٩ ـ ٩٠) في الفتن، باب ذكر الدّجّال، ومسلم (٤/٢٢٤٩/ح ٢٩٣٤) فيه، باب ذكر الدّجّال وصفته وما معه، واللفظ له.

(٦) في شرحه على مسلم (١٨/٦١ ـ ٦٢).

الدَّجَّال، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو محرّم عليه أَنْ يدخلَ نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يومئذٍ رجل هو خير الناس ـ أو من خير الناس ـ فيقول له: أشهد أَنَّكَ الدَّجَّال الذي حدثنا رسول الله ﷺ، فيقول الدجال: أرأيتم إنْ قتلتُ هذا ثُمَّ أحييته أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: واللهِ ما كنتُ فيك قط أشدَّ بصيرةً مِنِّي الآن. قال فيريدُ الدَّجَّالُ أن يقتله فلا يسلط عليه»[1].

وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ «يخرجُ الدجال فيتوجه قِبَله رجلٌ من المؤمنين، فتلقاه المسائحُ مسائح الدجال فيقولون له: أين تعمّد؟ فيقول: أعمد الى هذا الذي خرج، قال فيقولون له: أَوَمَا تؤمن بربِّنا؟ فيقول: ما بربِّنا خفاء. فيقولون اقتلوه. فيقول بعضُهم لبعضٍ أليْسَ قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحداً دونَهُ. قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآهُ المؤمنُ قال: يا أَيُّهَا الناس هذا الدجال الذي ذكرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ. قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول: خذوهُ وشُجُّوهُ، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال فيقول: أَوَمَا تؤمن بي؟ قال فيقول: أنت المسيح الكذَّابُ. قال فيؤمَرُ به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرَّق بين رجليه، قال ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول قُم، فيستوي قائماً، قال ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيكَ إلاّ بصيرةً. قال ثم يقول: يا أَيُّها الناس إِنَّهُ لا يفعل بعدي بأحدٍ مِنَ الناس. قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنَّما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين»[2].

وفيه عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوبَ بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعتُ عبدالله بن عمرو وجاءه رجلٌ فقال: ما هذا الحديث الذي

---

(١) رواه البخاري (١٣/١٠١) في الفتن، باب لا يدخل الدّجّال المدينة، ومسلم (٤/٢٢٥٦/ح ٢٩٣٨) فيه، باب صفة الدّجّال وتحريم المدينة عليه.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٥٦/ح ٢٩٣٨) في الفتن، باب صفة الدّجّال وتحريم المدينة عليه.

تحدِّث به تقولُ إنَّ السَّاعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله ـ أو لا إله إلاّ اللهُ أو كلمة نحوها ـ لقد هممت أن لا أحدِّثَ أحداً شيئاً أبداً، إنَّما قلت إنَّكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ يخرج الدَّجَّالُ في أمتي فيمكث أربعين ـ لا أدري أربعينَ يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ فيبعث اللهُ تعالى عيسَى بنَ مريمَ كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلِكُهُ. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسلُ اللهُ عز وجل ريحاً باردةً من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّةٍ من خير ـ أو إيمان ـ إلا قبضته حتى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه» قال سمعتها من رسول الله ﷺ. قال «فيبقى شِرارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ وأحلامِ السِّباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثلُ لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبونَ؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصُّورِ فلا يسمعُهُ أحدٌ إلاَّ أصغى ليتا ورفع ليتا. قال وأول من يسمعه رجلٌ يلوطُ حوض إبلِهِ، قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله ـ أو قال ينزل الله ـ عز وجل مطراً كأنَّه الطّل أو الظّل (نعمان الشاكّ) فتنبتُ منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أَيُّها الناس هلمّ إلى ربِّكم، وقفوهم إنَّهم مسؤولون، قال: ثُمَّ يقال أخرجوا بعث النار، فيقال من كم؟ فيقال من كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يومٌ يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشَفُ عن ساق»[1].

وفيه عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليس من بلدٍ الا سيطأهُ الدجالُ، إلاَّ مكَّة والمدينة، وليس نقبٌ من أنقابها إلاَّ عليه الملائكةُ صافّين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجُفُ المدينة ثلاث رجفات يخرج اليه منها كلُّ كافرٍ ومنافق» وفي رواية «فيأتي سبخة الجُرف فيضرب رواقه وقال فيخرج اليه

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٥٨/ح ٢٩٤٠) في الفتن، باب خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه.

كل منافق ومنافقة»[1]. قال النووي: فيضرب رواقه أي ينزل هناك ويضع ثقله. والجرف قال في القاموس: موضع بقرب المدينة وموضع قرب مكة وموضع باليمن وموضع باليمامة والمقصود في الحديث هو الأول. وفيه عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «يتبعُ الدجالَ مِنْ يهودِ اصبهان سبعونَ ألفاً عليهمُ الطَّيالِسة»[2].

وفيه عن أُمِّ شريك أَنَّها سمعت النبي ﷺ يقول «ليفرّنَّ الناس من الدجال في الجبال قالت أم شريك: يارسول الله فأين العرب يومئذٍ؟ قال: هم قليل»[3].

وفيه عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما بين خلقِ آدم إلى قيامِ السَّاعة خَلْقٌ أكبر من الدخال»[4].

والأحاديث في ذكر الدجال وصفته والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تستقصى. وكذا الأحاديث في الفتن والملاحم بين يدي القيامة وغيرها من أشراط الساعة. وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاة فريضة أو نافلة.

وفي الترمذي عن محرز بن هارون عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بادروا بالأعمالِ سبعاً: هل تنتظرون إلّا فقرٍ منسى، أو غنى مطغى، أو هرم مفند، أو الدجال فشرُّ غائبٍ ينتظر، أو الساعة فالسَّاعةُ أدهى وأمر» ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلّا من حديث محرز بن هارون[5]. وروى معمر هذا الحديث عمن سمع سعيداً المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحو هذا.

---

(١) رواه البخاري (٤/٩٥) في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدّجّال المدينة، ومسلم (٤/٢٢٦٥/ح ٢٩٤٣) في الفتن، باب قصة الجساسة.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢٦٦/ح ٢٩٤٤) في الفتن، باب بقية من أحاديث الدجال.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٦٦/ح ٢٩٤٥) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

(٤) رواه مسلم (٤/٢٢٦٦/ح ٢٩٤٦) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال.

(٥) الترمذي (٤/٥٥٢/ح ٢٣٠٦) في الزهد، باب ما جاء في المبادرة بالعمل، وسنده ضعيف فمحرز =

[الإيمان بالموت]

ويدخل الإيمان بالموت وما من بعده على العباد حتما

(**ويدخل**) في الإيمان باليوم الآخر (**الإيمان بالموت**) الذي هو المفضى بالعبد الى منازل الآخرة، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتقدم «إنْ يعش هذا لَمْ يُدْرِكْهُ الهرم قامَتْ عليكُمْ ساعَتُكُمْ»[1].

والإيمان بالموت يتناول أموراً:

● **منها** تحتمه على من كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال الله تعالى ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (القصص/٨٨) وقال تعالى ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ (الرحمن/٢٧) وقال تعالى ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ**﴾ (آل عمران/١٨٥) وقال تعالى لنبيِّه ﷺ ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ**﴾ (الزمر/٣٠) وقال تعالى ﴿**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنَ قَبْلِكَ الخلد، أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (الأنبياء/٣٤ ـ ٣٥)، وقال تعالى ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونَ. كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (العنكبوت/٥٧)، وقال تعالى ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ**﴾ (السجدة/١١) وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان

= هذا منكر الحديث. وطريق معمر هذه رواها الحاكم (٤/٣٢١) وفيها الرجل الذي لم يُسَمَّ.

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

يقول «أعوذُ بعزَّتِكَ الَّذي لا إله إلاَّ أنت أن تضلني، أَنْتَ الحيُّ الـذي لا يموت، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[1].

● **ومنها** إنَّ كلاً له أجلٌ محدود وأمدٌ ممـدود ينتهي إليه لا يتجـاوزه ولا يقصر عنه، وقد علم الله تعـالى جميع ذلـك بعلمه الـذي هو صفتـه، وجرى بـه القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في عينه في أي مكان يكون وفي أي زمان فـلا يزاد فيـه ولا ينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق بـه علم الله تعالى وجـرى به قضـاؤه وقدره، وأنَّ كُلَّ إنسانٍ مات أو قتل أو حرق أو غرق أو بأيِّ حتف هلك بأجله لم يستأخر عنـه ولم يستقدم طرفة عين، وأن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قـدره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه ولم يكن له بد منه ولا محيص عنه ولا مفـر له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص، وأنى وكيف وإلى أين ولات حين مناص، قـال الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً، وَمَنْ يُـرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾ (آل عمران/١٤٥) الآيـة. وقال تعالى ﴿**قُلْ لَـوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَـرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ القَتْـلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ**﴾ (آل عمران/١٥٤) الآيات. وقال تعالى ﴿**أَيْنَ مَا تَكُونُـوا يُدْرِكَكُّمُ المَـوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾ (النساء/٧٨) وقال تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَـدَكُمُ المَوْتُ تَـوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاَهُمُ الحَقُّ أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وَهُوَ أَسْـرَعُ الحَـاسِبِينَ**﴾ (الأنعام/٦١) وقـال تعـالى ﴿**وَلِكُـلِّ أُمَّـةٍ أَجَـل، فَـإِذَا جَـاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْـدِمُونَ**﴾ (الأعـراف/٣٤) في مواضـع من القرآن ـ وقـال تعالى ﴿**كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ (الرعد/٢) وقال تعالى ﴿**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّـكَ لَكَانَ لِـزَاماً وَأَجَـلٌ مُسَمًّى**﴾ (طه/١٢٩) وقـال تعالى ﴿**وَكُـلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ (الرعد/٨) وقال تعالى ﴿**قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ**

---

(١) رواه البخـاري (١٣/٣٦٨) في التوحيـد، باب قـول الله تعـالى (وهـو العـزيـز الحكيم)، ومسلم (٤/٢٠٨٦/ح ٢٧١٨) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة/٨)، وقال تعالى ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر/٤٢) وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام/٦٠) وغيرها من الآيات.

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبدالله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها «اللَّهُمَّ مَتِّعني بزوجي رسولِ اللهِ ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسول الله ﷺ «إِنَّكِ سَأَلْتِ اللهَ تعالى لآجَالٍ مضروبةٍ وآثارٍ موطوءةٍ وأرزاقٍ مقسومةٍ لا يعجل شيء منها قبل حله ولا يؤخر منها يوماً بعد حله، ولو سألتِ الله تعالى أَنْ يعافيك من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر لكانَ خيراً لكِ»[1].

وفي رواية «قد سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبةٍ وأيَّامٍ معدودةٍ وأرزاقٍ مقسومةٍ لَنْ يعجل شيئاً قبل حله أو يؤخر شيئاً عن حله، ولو كُنْتِ سألتِ الله تعالى أنْ يعيذَكِ مِنْ عذابٍ في النَّارِ أو عذابٍ في القبرِ كانَ خيراً وأفضل»[2] وفي أخرى «وآثارٍ مبلوغةٍ»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/١١) يقول: ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له، فذلك قوله تعالى ﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (فاطر/١١) يقول كل ذلك

---

(١) (٢) (٣) مسلم (٤/٢٠٥٠ - ٢٥٢/ح ٢٦٦٣) في القدر، باب بيان أَنَّ الآجال والأرزاق وغيرها، لا تزيد ولا تنقص عمّا سبق به القدر. (بألفاظه).

في كتاب عنده[1]. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم. وأما حديث أنس في الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول«مَنْ سَرَّهُ أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»[2] فإنه يفسر بحديث أبي الدرداء رضي الله عنه عند ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى قال: ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال «إنَّ الله تعالى لا يؤخِّر نفساً إذا جاء أجلُها، وإنّما زيادة العمرِ بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادةُ العمر»[3].

● ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأنَّ ذلك من مفاتِحَ الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو كما قال تعالى ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمَهَا إِلَّا هُوَ**﴾ (الأنعام/٥٩) الآية. وقال تعالى ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت**﴾ (لقمان/٣٤) الآية. وتقدمت الأحاديث في معناها. وفي الحديث المشهور عند أحمد والترمذي وغيرهما عن جماعة من الصحابة قال رسول الله ﷺ «إذا أرادَ اللهُ تعالى قَبْضَ روحِ عَبْدٍ بأرضٍ جعل له فيها ـ أو قال بها ـ حاجةً»[4].

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٢/١٢٢) وابن المنذر وابن أبي حاتم (الدر المنثور ٧/١١).

(٢) رواه البخاري (١٠/٤١٥) في الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومسلم (٤/١٩٨٢/ح ٢٥٥٧) في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٣) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٥٥٨) وسنده ضعيف فيه مسلمة بن عبد الله بن ربعي وعمّه أبو مشجعة بن ربعي وكلاهما مجهول.

(٤) رواه جماعة من الصحابة فعن أبي عزة الهذلي رضي الله عنه: البخاري في الأدب المفرد (٢/٦٩٩/ح ١٢٨٢ مع فضل الله الصمد) و(٢/٢٥٨/ح ٧٨٠) والترمذي (٤/٤٥٣/ح ٢١٤٧) في القدر، باب ما جاء في النفس تموت حيث ما كتب لها. وابن حبان (٨/٨ ـ إحسان) والدولابي في الكني (١/٤٤) وأحمد (٣/٤٢٩) والحاكم (١/٤٢) وابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الحلية (٨/٣٧٤) وله شاهد من حديث مطرِ بن عكامس رضي الله عنه أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤/١/٤٠٠) والترمذي (٤/٤٥٢/ح ٢١٤٦) في القدر، باب ما جاء أن النفس تموت حيث ما كتب لها، والحاكم (١/٤٢)، وأخرجه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه الحاكم (١/٣٦٧) وأخرجه الطبراني في الكبير (١/١٧٨/ح ٤٦٠) عن أسامة بن زيد =

● **ومنها** ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله وهو المفضي به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل في شرعه وقدره وقضائه ووعده ووعيده فلا يعاقب أحداً بذنب غيره ولا يهضمه ذرة من حسن أعماله. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي والنسائي وابن حبان وصححه قال: قال رسول الله ﷺ «أكْثروا ذكر هادِمِ اللَّذات»[1] الموت.

وقال البخاري رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: باب قول النبي ﷺ «كُنْ في الدنيا كأَنَّك غريب أو عابر سبيل، حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن عبدالرحمن أبو المنذر الطفاوي عن سليمان الأعمش قال حدثني مجاهد عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رسولُ اللهِ ﷺ بمنكبي فقال «كُنْ في الدنيا كأَنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ» وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما يقول «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساءَ. وخُذْ من صحتِكَ لمرضك، ومَنْ حياتك لموتك»[2] ثم قال: باب في الأمل وطوله وقول الله تعالى ﴿**فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورُ**﴾ (آل عمران/١٨٥) بمزحزحه بمباعده. وقال تعالى ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ (الحجر/٣)، وقال علي رضي الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً

- رضي الله عنه وله شاهد من حديث ابن مسعود بزيادة فيه أخرجه ابن ماجه وابن أبي عاصم في السنة (٣٤٦) والطبراني في الكبير والحاكم ١/ ٤١ - ٤٢) والحديث صحيح.

(١) رواه الترمذي (٤/ ٥٥٣/ح ٢٣٠٧) في الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، والنسائي (٤/ ٤) في الجنائز، باب كثرة ذكر الموت وابن ماجه (٢/ ١٤٢٢/ح ٤٢٥٨) في الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له. وابن حبان (٤/ ٢٨٢ و٢٨٣) والحاكم (٤/ ٣٢١) والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٨٤ و٩/ ٤٧٠) وسنده صحيح وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٥٢) والخطيب (١٢/ ٧٢ - ٧٣) وسنده على شرط مسلم.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٢٣٣) في الرقاق، باب قول النبي ﷺ «كن في الدنيا كأنك غريب».

حساب ولا عمل[1]. حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني أبي عن منذرٍ عن ربيع بن خُثَيم عن عبدِالله رضي الله عنه قال: خَطَّ النبيُّ ﷺ خطّاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخطَّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال «هذا الإنسان، وهذا أجلُه محيطٌ به أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارجٌ أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأهُ هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا»[2]، حدثنا مسلمٌ حدثنا همّامٌ عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ النبيُّ ﷺ خطوطاً فقال «هذا الأملُ، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاءَهُ الخط الأقرب»[3].

● **ومنها** ـ وهو المقصود الأعظم ـ التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه، إذ ليس بعده لأحد من مستعتب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل إلا القبر وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأوَّلين والآخرين وأهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدي القويِّ المتين، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم الذي لا يحيف ولا يجور ولا يظلم مثقال ذرة إن ربي على صراط مستقيم، ثم إما نعيم مقيم في جنات النعيم، وإما عذاب أليم في نار الجحيم، وإنَّ لكل ظاعن مقراً ولكل نبأ مستقراً وسوف تعلمون، قال الله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ (المؤمنون/٩٩ ـ ١٠٠) الآيات، وقال تعالى ﴿**يَا**

---

(١) (٢) البخاري (١١/٢٣٥ ـ ٢٣٦) في الرقاق، باب في الأمل وطوله.
وقول علي هذا روي مرفوعاً وموقوفاً ولم يصح رفعه (انظر تغليق التعليق ٥/١٥٨).
(٣) البخاري (١١/٢٣٦) في الرِّقاق، باب في الأمل وطوله.

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر/١٨) الآيات، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ. وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا، وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوا العَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (المنافقون/١٠ ـ ١١). وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة كما قال تعالى ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ العَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ، أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ (ابراهيم/٤٤) الآيات.

وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال وشديد الانكال والمقامع والأغلال والسلاسل الطوال وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال ولا يغني بالخبر عنه ضرب الأمثال كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام/٢٧ ـ ٢٨) الآيات، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسو رؤوسهم بين يديه كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة/١٢) الآيات، وكذلك يسألون الرجعة وهم في غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ، أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ (فاطر/٣٧) الآيات، وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (غافر/١١) وغيرها من الآيات.

ويجمع كل ذلك قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَل، قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف/٥٣) وغيرها من الآيات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من أحدٍ يموت إلا ندم» قالوا: وما ندامته يا رسولَ الله؟ قال «إنْ كان محسناً نَدِمَ أَنْ لا يكون ازداد، وإنْ كان مسيئاً نَدِمَ أَنْ لا يكون نزع» رواه الترمذي وغيره[1]، وله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَنْ كان له مال يبلغه حَجَّ بيت ربِّه أو تجب عليه فيه زكاة فلمْ يفعل سأَل الرَّجعة عند الموت. فقال رجل: يا ابن عباس اتَّق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنا ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ الموتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون/١٠ ـ ١١) قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير[2].

وقال قتادة في قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ﴾ (المؤمنون/٩٩) قال كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى. وقال قتادة: والله ما تمنى إلاّ أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا وضع ـ يعني الكافر ـ في قبره فيرى مقعده من النار قال فيقول ربِّ ارجعون أتوبُ وأعملُ صالحاً، قال

---

(١) رواه الترمذي (٤/٦٠٣ ـ ٦٠٤/ح ٢٤٠٣) في الزهد، باب رقم «٥٩» وسنده ضعيف جداً فيه يحيى بن عبيد الله بن موهب قال الحافظ متروك وأفحش الحاكم فرماه بالوضع ورواه ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٦٠) وغيره.

(٢) رواه الترمذي (٥/٤١٨ ـ ٤١٩/ح ٣٣١٦) في التفسير، باب من سورة المنافقين، من حديث أبي جناب الكلبي، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس وسنده ضعيف أبو جناب ضعيف، ورواية الضحاك عن ابن عبّاس منقطعة.

فيقال قد عُمِّرت ما كنت معمراً. قال فيضيق عليه قبرُه ويلتئِمُ فهو كالمنهوشِ ينام أو يفزع تهوى إليه هوام الأرض وحيَّاتها وعقاربها[1].

وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كلُّ أهلِ النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أَنَّ الله هداني، فتكون عليه حسرة. قال وكلُّ أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أَنَّ الله هداني قال فيكون لهم الشكر»[2] وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم «بادروا بالأعمال ستّاً: طلوع الشمس من مغربها»[3] الحديث، وحديثه عند الترمذي «بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا الى فقرٍ منسٍ»[4] الحديث.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحةُ والفراغ»[5].

وللحاكم عنه رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لرجلٍ وهو يعظه «اغتنم خَمْساً قبل خَمْس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[6] يعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمني للأعمال، بعد التفريط منه والاهمال، في زمن الفرصة والامهال، فإن بعد كل شباب هرماً، وبعد كل صحة سقماً، وبعد كل غنى فقراً، وبعد كل فراغ شغلاً، وبعد كل حياة موتاً، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت (الدر المنثور ٦/١١٤) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٢٦٦).

(٢) رواه أحمد (٢/٥١٢) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٩/٣٧٤) وسنده صحيح.

(٣) مسلم (٤/٢٢٦٦/ح ٢٩٤٦) في الفتن، وقد تقدم سابقاً.

(٤) رواه الترمذي (٤/٥٥٢/ح ٢٣٠٦) والنسائي (٤/٤) وقد تقدم سابقاً. وأن سنده ضعيف فيه محرز بن هارون وهو منكر الحديث.

(٥) رواه البخاري (١١/٢٢٩) في الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، وأن العيش عيش الآخرة.

(٦) الحاكم في مستدركه (٤/٣٠٦) وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أيام الهرم، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلّا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات، ويطلب الكرة وهيهات، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات.

ولقد حثَّنا الله عز وجل أعظم الحث وحضنا أشد الحضّ ودعانا الى اغتنام الفرص في زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه إذ يقول تعالى في محكم كتابه داعياً عباده إلى بابه يا من يسمع صريح خطابه ويتأمل لطيف عتابه ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ. أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى عما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ الخَاسِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ المُتَّقِينَ. أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ، بَلىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ**﴾ (الزمر/٥٣ ـ ٥٩) الآيات. وقال تعالى ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ**﴾ (الروم/٤٣) الآيات. وقال تعالى ﴿**اسْتَجِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ**﴾ (الشورى/٤٧) الآيات. وغيرها.

[الإيمان بما بعد الموت]

ومنها الإيمان بـ (**ما**) الذي (**من بعده**) أي من بعد الموت (**على العباد حتماً**) من أحوال الاحتضار إلى البعث والنشور إلى أن يقضي الله بين عباده ويستقر كل

من الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير. ونذكر ما تيسر من التقدير على كل أمر منها في محله من هذه الأبيات الآتية إنْ شاء الله تعالى، وهذا أولها:

وإنَّ كلَّ مقعدٍ مسؤول ... ما الربُّ ما الدِّينُ وما الرَّسولُ
وعِنْدَ ذا يثبِّت المهيمنُ ... بثابتِ القَوْلِ الَّذِينَ آمنوا
ويوقِنُ المُرتابُ عِنْدَ ذلك ... بأَنَّمَا مَوْرِدَهُ المهالك

[إثبات عذاب القبر]

في هذه الأبيات إثبات المسألة العظيمة، وهي إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتاباً وسنة وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وإنْ أنكر ذلك بشر المريسي وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة وحملوا على فاسد فهمهم قول الله عز وجل ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى**﴾ (الدخان/٥٦) وقوله تعالى ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ (فاطر/٢٢).

قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياء في القبور لذاقوا الموت مرتين لا موتة واحدة. وقالوا في الآية الثانية: إنَّ الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور في عدم الاسماع، ولو كان الميت حيّاً في قبره أو حاسّاً لم يستقم التشبيه.

قالوا: وأما من جهة العقل فإنَّا نرى شخصاً يصلب ويبقى مصلوباً إلى أنْ تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة، والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه في بطونها وحواصلها، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذرى أجزاؤه المتفتتة في الرياح العاصفة شمالاً وجنوباً وقبولاً ودبوراً فإنا نعلم عدم أحيائه ومسألته وعذابه ضرورة.

هذه خلاصة شبههم الداحضة، ومحصلة آرائهم الكاسدة، وأفهامهم الفاسدة، وأذهانهم البائدة، ولا عجب ولا استغراب ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وجحد ما صرح به تعالى في محكم آياته، ورد ما صح عن الرسول ﷺ

من أقواله وأفعاله وتقريراته، وحكم العقل في الشرع، وعارض الوحي الرَّحماني بالحدس الشيطاني، وقدَّم الآراء السقيمة، على السنن المستقيمة، وآثر الأهواء الذميمة على المحجة القويمة، فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أنْ ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التي لا يشاهدها، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلّا هذا الجسم الذي هو الجلد واللحم والعظم والعروق والأعصاب والشرايين ونحوها مما يمتلىء بكثرة الطعام والشراب فيه ويخلو بقلتهما عليه، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يقر بموجود إلّا مسموعاً متكلماً به مبصراً مشموماً ملموساً، وما له لا ينكر ذلك وطريقته في النصوص أبداً تأويل الصريح وتضعيف الصحيح، وأنها آحاد ظنية لا تفيد اليقين وليست بأصل بزعمه عند المحققين. ولا ذنب للنصوص وما نقم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرحت بنقض دعواه، وسدت عليه باب مغزاه وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه وهدمت عليه ما قد بناه، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله الله أو رسوله ﷺ، ونادت عليه بأبلغ صوت ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾ (الشورى/٢١)).

والجواب عن الشبهة الأولى: أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه، فإنها في صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا يبأسون ويخلدون فلا يموتون، وأين هذا من نفي عذاب القبر الذي ادّعوه، وقوله ﴿**إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى**﴾ (الدخان/٥٦)) تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنّة، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد في البرزخ اتصالاً خاصّاً ليتألم الجسد بما يتألم به من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية، بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لا تشبه الحياة الدنيا وهي أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمة منه بهم كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحاً كما يشاء الله عز وجل والفتح لباب الجنة للمؤمن وفرشه منها وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمرازب وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه.

وأيضاً فأهل الجنة المشار إليهم بقوله ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ**

﴿الأُولَى﴾ (الدخان/٥٦)) قد وردت فيهم الأحاديث الصحيحة أَنَّ أرواحهم تسرح في الجنة في حواصل طيور خضر كما روى الإمام أحمد عن الإمام محمد بن ادريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «إنَّما نسمةُ المؤمنِ طائرٌ يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه»[1]، وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لاّ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة/١٥٤)) يقول الله تعالى لنبيِّه ﷺ وأصحابه ﴿وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ فهل شعرتم بذلك يا معاشر الزنادقة دونهم؟ ويقول تعالى فيهم ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩)) الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر/١١)) والموتة الثانية على أحد التفسيرين هي موتتهم بعد فتنة القبر، وتفسير الجمهور لا ينافي ذلك فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودهم والثانية على الخروج من الدنيا ولم يعدّوا نومتهم بعد الفتنة في القبر موتة مستقلة لأن حال البرزخ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة بل هو حاجز بينهما، والتفسير اول محمول على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة قال: إذا وُضِعَ - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعده من النار، قال فيقول: ربِّ ارجعونِ أتوبُ وأعملُ صالحاً، قال فيقال قد عُمِّرت ما كنت معمَّراً. قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوامُّ الأرض وحيَّاتُها وعقاربُها[2].

---

(١) رواه أحمد (٣/٤٥٥ و٤٥٦) ومالك في الموطأ (١/٢٤٠) في الجنائز، باب جامع الجنائز، والنسائي (٤/١٠٨) فيه، باب أرواح المؤمنين وابن ماجه (٢/١٤٢٨/ح ٤٢٧١) في الزهد، باب ذكر القبر والبلى وأبو نعيم في الحلية (٩/١٥٦) وهو حديث صحيح.

(٢) تقدم ذكره وقد نقله بسنده ابن كثير في تفسيره (٣/٢٦٦).

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين:

الأول: أن قوله ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ (فاطر/٢٢)) نفي لاستطاعة الرسول ﷺ أن يُسمعهم، وليس ذلك بمحال في قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته ﷺ بقوله ﷺ «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»[1] الحديث سيأتي إن شاء الله، وهذا إذا حمل على نفي مطلق السماع بالكلية.

الوجه الثاني: أنه لم ينف مطلق السَّماع، وإنَّما نفي سماع الاستجابة كما يدل عليه قوله ﷺ في حديث القليب، «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون»[2] وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة، ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم في قوله تعالى ﴿**يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا**﴾ (الجاثية/٨). ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقاً لا سماع استجابة ولا مطلقاً لم يكن القرآن حجة عليه ولم يكن الرسول بلغهم لأنهم ما سمعوه منه، ولا أفسد من قولٍ هذا لازمه.

وأما شبهتهم العقلية: فهي لا تليق إلّا بعقولهم السخيفة، فإن الروح التي عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك في الدنيا ولا يعلمه إلّا الله، فمن كان لا يدرك روح من يمشي معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فكيف يدركه إذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا؟ وأيضاً فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة ورحمته بهم وقد قال النبي ﷺ «لولا أَنْ لا تدافنوا لدعوتُ اللهَ عز وجل أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ الذي أَسْمع»[3] وأيضاً فأكثر أمور الإيمان اعتقادات باطنة منا لأمور غائبة عنَّا وهي أعلى صفات أهل الإيمان ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ**﴾ (البقرة/٣)) وذلك غائب عنّا في الحياة الدنيا ونحن نعلمه عن الله علم اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة

---

(١) (٢) سيأتي بتمامه.

(٣) رواه مسلم (٤/٢١٩٩ - ٢٢٠٠/ح ٢٢٦٧) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، وعن أنس رضي الله عنه (٤/٢٢٠٠/ح ٢٢٦٨) فيه.

ورأينا ذلك عين اليقين ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس/٣٩)) والذي أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الذي أبدأه من لا أجزاء ولا أعضاء، وسيأتي الحديث فيه إن شاء الله. ولا فرق بين من كذب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (الأعراف/٥٣)) الآية. فيا أيها الطالب الحق المتحري الإنصاف، إليك نصوص الآيات المحكمة، والسنن القائمة، فألق لها سمعك وأحضر قلبك، وانظر بماذا عارضها الذين في قلوبهم زيغ وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكم بالمتشابه ولم يردوا علم ما غرب عنهم علمه إلى عالمه، وأحمد الله تعالى إذ هداك لما اختلفوا فيه ووفقك لما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ـ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾ (آل عمران/٨)).

قال الله تبارك وتعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾ (الأنعام/٩٣)) الآية. قال أئمة التفسير ﴿وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ (الأنعام/٩٣)) أي اليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الأنعام/٩٣)) وذلك أن الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ﴾ (الأنعام/٩٣)) أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله،

وسيأتي في الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله.

ووجه الدلالة من هذه الآية أنَّه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيءٍ من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشيءٍ مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به في قبره ذلك وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم، فلا بد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به في المحتضر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون.

وقال ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشَاءُ**﴾ (إبراهيم/٢٧) وهذه الآية نصها في عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم، وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقة، وأنَّ من أنكر ذاك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أنْ يكون الله يفعل ما يشاء.

وقال تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّي أعملُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ، كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ (المؤمنون/٩٩). روى ابن أبي حاتم بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ويلٌ لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيات سود ـ أو دُهم ـ حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ﴿**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ (المؤمنون/٩٩)[1]. وتقدم حَديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك قريباً وسيأتي الأحاديث فيه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (الدر المنثور ٦/١١٤ وابن كثير ٣/٢٦٦) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ (غافر/١١) ذكر العيني هذه الآية في شرح هذا الباب من صحيح البخاري وقال: فإنَّ الله تعالى ذكر الموتة مرتين وهما لا تتحققان إلاّ أن يكون في القبر حياة وموت حتى تكون إحدى الموتتين ما يتحصل عقيب الحياة في الدنيا، والأخرى ما يتحصل عقيب الحياة التي في القبر أهـ.

قلت: وهذا هو تفسير السّدى في هذه الآية حيث قال: أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة أهـ.

والآية تحتمله، لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (البقرة/٢٨) وقد قدَّمنا الجمع بين هذين التفسيرين ولله الحمد والمنة.

وقال تعالى ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة/١٠١) قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصري وسعيد وقتادة وابن اسحاق ما حاصله: ان المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردّون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار.

وقال تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ﴾ (السجدة/٢١) قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر. وقال تعالى في قوم نوح ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً﴾ (نوح/٢٥). وقال تعالى ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر/٤٦).

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإنَّ أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة في

العرش، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها[1].

وفي حديث الإسراء الطويل الذي أخرجه البيهقي وابن جرير وابن أبي حاتم من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال فيه «ثم انطلق بي إلى خلق كثير مِنْ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدوّاً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وآل فرعون كالإبل المسوَّمة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون»[2].

وفي حديث عائشة في قصة اليهودية التي قالت لها وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك، فلما رأت النبي ﷺ قالت له، فقال ﷺ «لا» قالت عائشة رضي الله عنها: ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك، «وَإِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تفتنون في قبوركم»[3] وسيأتي إن شاء الله قريباً.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟

والجواب: أن الآية دلّت على عرض الأرواح على النَّار غدوّاً وعشيّاً في البرزخ، وليس فيها دلالة ـ يعني تامة ـ على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصاً بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلّا السنة في الأحاديث المرضية. وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنبه. وهذا الجواب هو الراجح عندي لما يدل عليه قوله ﷺ «إنما يفتن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٨٨) وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف ـ ورواه ابن جرير (٢٤/٧١) من رواية الثوري من كلام هزيل بن شرحبيل..

(٢) أخرجه ابن جرير (١٥/١٣) وغيره وأبو هارون العبدي متروك متهم. وفي الصحيح غنية عنه.

(٣) البخاري (٢/٥٣٨) في الكسوف، باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، ومسلم (٢/٦٢١/ح ٩٠٣) فيه، باب ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف.

يهود»[1]، وذلك قبل أن يوحى إليه أنَّ أمته تفتن. والجواب الأول مرجوح لأن الآيات أيضاً صريحة في اتصال عذاب القبر بالروح والجسد، وما ليس صريحاً منها فمحتمل يحمل على الصريح إذ لم يجيء في آيةِ تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد، وقال الله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ، بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ (النحل/٢٩). قال ابن كثير رحمه الله تعالى وهم يدخلون جهنَّم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم[2]، ﴿**لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا**﴾ (فاطر/٣٦). وكذلك قال تعالى ﴿**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (النحل/٣٢) وقال تعالى ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ (الفجر/٢٨).

[نصوص السنّة في إثبات عذاب القبر]

(فصل) وأما نصوص السنة في اثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أنس بن مالك وعبدالله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبدالله وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وجابر بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبدالله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبدالله بن مسعود وأبو طلحة

---

(١) مسلم (١/٤١٠/ح ٥٨٤) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٢) ابن كثير (٤/٨٨).

وأسماء أيضاً وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحُذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك:

فأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد. وقال لي خليفة حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «العبدُ إذا وضع في قبره وتولّى وذهبَ أصحابه حتى أنَّه لَيَسْمَعُ قرعَ نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنَّهُ عبدالله ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النَّار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً. وأمَّا الكافرُ أو المنافقُ فيقول: لا أدري، كُنْتُ أقول ما يقول النَّاسُ. فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تليت، ثم يُضْرَبُ بمطرقةٍ من حديد ضربة بين أذنيه فيصيحُ صَيْحةً يسمعها من يليه إلّا الثقلين»[1] ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه «قال قتادة: وذكر لنا أنَّهُ يفسح له في قبره سبعون ذراعاً - يعني المؤمن - ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون»[2]. ولهما عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ «وأعوذ بك من عذاب القبر»[3]. ولمسلم عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع»[4].

وأما حديث عبدالله بن عباس فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاووس قال ابن عباس رضي الله عنهما «مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: إنَّهما لَيعذَّبان، وما يعذبان في كبير» ثم قال «بَلَى أمَّا أحدهما فكان يسعى بالنَّميمة، وأما الآخَرُ فكان لا يستتر من بوله» ثم

---

(١) البخاري (٣/٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

(٢) مسلم (٤/٢٢٠٠/ح ٢٨٧٠) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

(٣) البخاري (١١/١٧٦) في الدعوات، باب التعوذ من فتنة المحيا والممات، ومسلم (٤/٢٠٧٩/ح ٢٧٠٦) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره.

(٤) مسلم (٤/٢٢٠٠/ح ٢٢٦٨) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه.

قال «أَخَذَ عوداً رطباً فكسره باثنتين ثم غرز كل واحدٍ منهما على قبر ثم قال: لعلّه يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه في مواضع من صحيحه. ورواه مسلم أيضاً وغيره[1].

ولهما وللنّسائي عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يُعلِّم السورةَ من القرآن قولوا: اللهم إنَّا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[2].

وأمَّا حديث البراء بن عازب فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ ابنُ عمر حدثنا شعبةُ عن علقمةَ بنَ مَرْثَدٍ عن سعد بن عبيدةَ عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إذا أقعد المؤمن في قبره أُتِيَ ثم شهد أَنْ لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله فذلك قوله ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثابِتِ**﴾ (ابراهيم/٢٧) رواه في مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره[3].

وروى الإمام أحمد عنه رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحَدْ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأَنَّ على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكث به في الأرض، فرفع رأسه فقال «استعيذوا بالله من عذاب القبر» ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم قال «إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا واقفالٍ إلى الآخرة نزل اليه ملائكة مِنَ

---

(١) البخاري (١/٣١٧) في الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله وغيره، ومسلم (١/٢٤٠/ح ٢٩٢) في الإيمان، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٢) مسلم (١/٤١٣/ح ٥٩٠) في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة. ورواه مالك في الموطأ (١/٢١٥) والترمذي (٥/٥٢٤/ح ٣٤٩٤) في الدعوات، باب الاستعاذة والنسائي (٨/٢٧٦ و٢٧٧) في الإستعاذة، باب الإستعاذة من فتنة المماتِ، وابن ماجة (٢/١٦٦٢/ح ٣٨٤٠) في الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، وأما قول المصنف رواه البخاري. فهو وهم منه فلم يروه البخاري من حديثه. قال ابن الأثير: رواه الجماعة إلَّا البخاري (جامع الأصول ٤/٣٧٠) وانظر تحفة الأشراف (٥/٢٧/ح ٥٧٥٠).

(٣) البخاري (٣/٢٣١ ـ ٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر. ومسلم (٤/٢٢٠١/ح ٢٨٧١) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النّار عليه.

السَّماء بيضُ الوجوه كأَنَّ وجوههم الشمس معهم كفنٌ من أكفان الجنَّةِ وحَنُوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البَصَرِ، ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى مغفرةٍ منَ اللهِ ورضوان ـ قال ـ فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيِّ السِّقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يدهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحَنُوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملأٍ مِنَ الملائكة إلّا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان بأحسنِ أسمائه التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيُشَيِّعُهُ من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإنِّي منها خلقتُهُم وفيها أعيدهُم ومنها أخرجهم تارةً أخرى. قال فتعاد روحُهُ، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول؛ ربِّي اللهُ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ اللهِ ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأتُ كتابَ الله تعالى فآمنتُ به وصدقت. فينادي مناد من السماء أنْ صدَقَ عبدي، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة. فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مَدَّ البصر، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيِّب الريح فيقول: أبشِرْ بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقمِ الساعةَ، ربِّ أقم الساعةَ، حتى أرجع إلى أهلي ومالي ـ قال ـ وإنَّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نَزَلَ إليه من السماء ملائكة سودُ الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مَدَّ البصرِ، ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النَّفسُ الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ مِنَ اللهِ وغضب. قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصُّوفِ المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفةَ عَيْنٍ حتي يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأَنتنِ

ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا: ما هذه الروحُ الخبيثةُ؟ فيقولون. فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا. فيستفتح فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾ (الأعراف/٤٠) فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ (الحج/٣١) فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أَدْري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أنْ كذب عبدي، فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حَرِّها وسمومها ويضيق عليه قبرُهُ حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبْشِر بالذي يسوؤك، هذا يومُك الذي كنتَ توعد. فيقول: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: ربِّ لا تقم الساعة» زاد في رواية في قصة المؤمن «حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت له أبوابُ السماء، وليس من أهل بابٍ إلا وهم يدعون الله عز وجل أَنْ يعرج بروحه من قبلهم» وزاد في قصة الكافر «ثم يقيّض له أعمى أصم أبكم في يده مِرْزَبة لو ضُرِب بها جبلٌ كان تراباً، فيضربه ضربة فيصير تراباً. ثم يعيدُه الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحةً يسمعها كلُّ شيءٍ إلاّ الثقلين ـ قال البراء ـ ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فراش من النار». ورواه أبو داوود والنسائي وابن ماجه بنحوه[1].

---

(١) أحمد (٤/٢٨٧ و٢٨٨ و٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧) وأبو داود (٤/٢٣٩ ـ ٢٤٠/ح ٤٧٥٣ و٤٧٥٤) في السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، والنسائي (١/٢٨٢) وابن ماجة (١/٤٩٤/ح ١٥٤٨) في الجنائز، باب ما جاء في الجلوس في المقابر. والطيالسي (ص ١٠٢/ح ٧٥٣) والآجري =

وأما حديث عمر بن الخطاب فرواه مسلم من طرق عنه رضي الله عنه قال «إنَّ رسول الله ﷺ كان يرينا مصارِعَ أهل بدرٍ بالأمس يقول: هذا مصرعُ فلان غداً إنْ شاء الله تعالى. قال فقال عمر: فو الذي بعثه بالحقِّ ما أخطأوا الحدود التي حَدَّ رسولُ الله ﷺ. قال فجعلوا في بئرٍ بعضهم على بعض، وانطلق رسولُ الله ﷺ حتى انتهى اليهم فقال: يا فلانَ ابن فلانَ ويا فلانَ ابنَ فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسولُهُ حقّاً؟ فإني وجدتُ ما وعدني الله حقاً. قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: ما أنْتُمْ بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليَّ شيئاً»[1].

ولأبي داود والنسائي وابن ماجه عنه رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يتعوَّذُ من الجبن والبخل وعذاب القبر وفتنة الصَّدر»[2].

وأما حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فقال البخاري رحمه الله تعالى «باب الميتُ يُعْرَضُ بالغداة والعشي. حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: إنَّ أَحَدَكُمْ إذا مات عرض عليه مقعده بالغداةِ والعشيِّ، إنْ كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإنْ كان من أَهْلِ النار فمن أَهْلِ النَّارِ، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعَثُكَ الله يَوْمَ القيامة»[3]. وله عنه رضي الله عنه قال «اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ على أَهْلِ القليبِ

= في الشريعة (ص ٣٦٧ ـ ٣٧٠) والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠) وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين. وأقره الذهبي، وهو كما قالا. والبيهقي في عذاب القبر (ح ٢٠).

(١) مسلم (٤/ ٢٢٠٢/ح ٢٨٧٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٢) وأبو داود (٢/ ٩٠/ح ١٥٣٩) في الصلاة، باب الاستعاذة، والنسائي (٨/ ٢٥٥) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من فتنة الصدر، وباب الاستعاذة من فتنة الدنيا، والاستعاذة من البخل، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٣/ح ٣٨٤٤) في الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ، وابن حبان (٦٠٥ ـ ٦٠٦/ح ٢٤٤٥ ـ موارد) وهو حديث حسن.

(٣) رواه البخاري (٣/ ٢٤٣) في الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، وفي بدء الخلق، وفي الرِّقاق، ومسلم (٤/ ٢١٩٩/ح ٢٨٦٦) في الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

فقال: وجدتُم ما وعدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أَنْتُمْ بأسمع مِنْهُمْ ولكن لا يجيبون»[1].

وأما حديث عائشة أُم المؤمنين فقال البخاري رحمه الله تعالى «باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف. حدثنا عبدالله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي ﷺ أَنَّ يهوديَّةً جَاءَتْ تسألها فقالت لها: أعاذك اللهُ مِنْ عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ عائذاً باللهِ من ذلك ـ ثم ذكر حديثَ الكسوفِ بطوله وفيه آخره ـ ثُمَّ أمرهم أنْ يتعوَّذُوا من عذاب القبر» ورواه مسلم بنحوه[2].

وقال البخاري أيضاً «حدثنا عبدان أخبرني أبي سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ يهوديَّةً دخلتْ عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشةُ رسولَ اللهِ ﷺ عن عذاب القبر فقال: عذاب القبر حق ـ قالت عائشة: فما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بعدُ صلّى صلاةً إلا تعوَّذَ مِنْ عذاب القبر» ووافقه عليه مسلم وغيره[3].

وقال مسلم أيضاً «حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى، قال هارون حدثنا ـ وقال حرملة أخبرنا ـ ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني عروة بن الزبير أَنَّ عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ وعندي امرأة مِنَ اليهود وهي تقول: هل شعرتِ أَنَّكم تفتنون في القبور؟ قالت فارتاع رسول الله ﷺ وقال: إِنَّما تفتن يهود. قالت عائشة فلبثنا ليالي. ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: هل شعرت أَنَّهُ أوحَى إليَّ أَنَّكُمْ تفتنون في القبور. قالت عائشة

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (٢/٦٤٣/ح ٩٣٢) في الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٢) رواه البخاري (٢/٥٣٨) في الكسوف باب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف ومسلم (١/٤١٠/ح ٥٨٤) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٣) رواه البخاري (٣/٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم (١/٤١١/ح ٥٨٦) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

رضي الله عنها: فسمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر»[1].

وقال رحمه الله تعالى أيضاً «حدثنا زهيرُ بنُ حربٍ وإسحقُ بنُ ابراهيمَ كلاهما عن جرير، قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبي وائل عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهودِ المدينة فقالتا: إنَّ أهلَ القبور، يعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أنْ أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقلت له: يا رسول الله إنَّ عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أنَّ أهْلَ القبور يعذَّبون في قبورهم، فقال: صدقتا إنَّهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم، ثم قالت فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[2].

ولهما عنها رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ كان يقول «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ من الكسلِ والهرمِ والمأْثَمِ والمغْرَمِ ومن فتنةِ القبرِ وعذاب القبرِ ومن فتنةِ النَّارِ وعذابِ النَّارِ ومن شَرِّ فتنةِ الغنى، وأعوذُ بك من فتنةِ الفَقْرِ وأعوذ بِكَ من فتنةِ المسيح الدَّجَّال. اللَّهُمَّ اغسل عَنِّي خطاياىَ بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقَّيْتَ الثوب الأبيض منَ الدَّنَسِ، وباعد بيني وبين خطاياىَ كما باعدْتَ بين المشرق والمغرب»[3].

ولمسلم عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قوله ﷺ في خطبته «ولقد رأيْتُ جَهَنَّمَ يحطِّمُ بعضُها بعضاً حينَ رأيتموني تأَخَّرْتُ، ورأيتُ فيها ابن لُحَيّ وهو الذي سيَّب السوائب»[4].

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقال البخاري رحمه الله

---

(١) رواه مسلم (١/٤١٠/ح ٥٨٤) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر. وقد تقدم.

(٢) مسلم (١/٤١١/ح ٥٨٦) في المساجد، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر.

(٣) رواه البخاري (١١/١٧٦) في الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، وباب الاستعاذة من فتنة الغنى، وباب التعوذ من فتنة الفقر، ومسلم (١/٤١١/ح ٥٨٩) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر الفتن.

(٤) رواه مسلم (٢/٦٢٢/ح ٩٠٤) في الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار.

تعالى «حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابنُ وهبٍ قال أخبرني يونس عن ابن شهابٍ أخبرني عروة بن الزبير أَنَّهُ سمع أسماءَ بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: قام رسولُ اللهِ ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضَجَّ المسلمون ضَجَّة»[1].

ولهما عنها رضي الله عنها حديث الكسوف بطوله، وفيه: «فلما انْصَرفَ رسولُ اللهِ ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما مِنْ شيءٍ كُنْتُ لَمَ أَرَهُ إلَّا قَدْ رأيته في مقامي هذا حتى الجنَّةَ والنَّار، لقد أوحى إليَّ أَنَّكُم تفتنون في القبور مثل ـ أو قريباً من ـ فتنةِ الدَّجَّال. لا أدري أيتهما قالت أسماء. يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن ـ أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ فيقول محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبيِّنات والهدى، فأجبنا وآمنَّا واتبعنا. فيقال له: نَمْ صالحاً، فقد علمناك كنتَ لموقناً، وأما المنافق ـ أو المرتاب، لا أدري أي ذلك قالت أسماء ـ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته»[2] قوله «لا أدري أي ذلك الخ» التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضي الله عنهما.

وأما حديثُ أبي أيوب الأنْصاري فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبة قال: حدثني عون بن أبي جحيفة عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضي الله عنهم قال «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وقد وَجَبَتِ الشَّمْسُ فسمع صوتاً، فقال: يهودُ تعذَّب في قبورها» رواه مسلم من طريق جماعة عن شعبة به[3].

وأما حديث أم خالد فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا معلي حدثنا

---

(١) رواه البخاري (٣/٢٣٢) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر.

(٢) رواه البخاري (١/٢٨٨ ـ ٢٨٩) في الوضوء، باب من لم يتوضأ إلا من الغش المثقل، وفي العلم، وفي الكسوف، وفي السهو، وفي الجمعة، وفي الأذان، وفي العتق، وفي الاعتصام، ومسلم (١/٦٢٤/ح ٩٠٥) في الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف.

(٣) رواه البخاري (٣/٢٤١) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (٤/٢٠٠/ح ٢٨٦٩) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

وهيب عن موسى بن عقبة قال «حدثتني ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنَّها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوَّذ من عذاب القبر»[1]. وقال في كتاب الدعوات: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا موسى بن عقبة به[2] الخ.

وأما حديث أبي هريرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا حَمَّادُ بن زيد حدثنا بديل عن عبدالله بن شقيق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «إذا خَرَجَتْ روحُ المؤمن تلقَّاها ملكانِ يُصعدانها» قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت مِنْ قبل الأرض، صلَّى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه: فينطلق به إلى رَبِّه عزَّ وجلَّ. ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإنَّ الكافر إذا خرجت روحه» قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعناً «ويقول أهلُ السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل، قال أبو هريرة: فرد رسولُ اللهِ ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا»[3].

ولهما عنه رضي الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إنِّي أعوذ به من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدَّجَّال»[4].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: باب ما جاء في عذاب القبر. حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف البصري أخبرنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قبر الميتُ ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودانِ أزرقانِ يقال لأحدهما المنكر والآخر النَّكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما

---

(١) (٢) رواه البخاري (٣/٢٤١) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر. وفي الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر (١١/١٧٤).

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٠٢/ح ٢٨٧٢) في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٤) البخاري (٣/٢٤١) في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم (١/٤١٢/ح ٥٨٨) في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

كان يقول: هو عبدالله ورسوله أشهدُ أَنْ لا إله إلّا الله وأَنَّ محمداً عبدُهُ ورَسُولُهُ. فيقولان قد كنَّا نعلم أَنَّكَ تقول هذا. ثم يفسح له في قبره سبعونَ ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان نَمْ كنَوْمَةِ العروس الذي لا يوقظه إلّا أَحبَّ أهليه إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإنْ كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري. فيقولان: قد كنَّا نعلم أَنَّكَ تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إنَّ الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النَّفْسُ الطَّيِّبة كانت في الجسدِ الطَّيِّبِ، اخرجي حميدة وأبشري بروحٍ وريحانٍ، وربٍّ غير غضبان. قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: مَنْ هذا؟ فيقال فلان. فيقولونَ مَرْحباً بالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ كانَتْ في الجسد الطيب، ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ـ قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عزَّ وجلَّ. وإذا كان الرَّجُلُ السُّوءُ والعياذ بالله قالوا: اخرجي أيَّتُهَا النَّفْسُ الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بجحيم وغَسَّاقٍ وآخر من شكله أزواج. فلا يزالُ يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها السماء فيستفتح لها فيقال مَنْ هذا فيقال هذا فلانُ فيقولون لا مرحباً بالنَّفْس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمةً فإنَّه لا تفتح لك أبوابُ السماء، فيرسَلُ مِنَ السماءِ ثم يصير إلى القبر[2].

---

(١) رواه الترمذي (٣/٣٨٣/ح ١٠٧١) في الجنائز، باب ما جاء من عذاب القبر. وقال: حديث حسن غريب، وابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٠٢/ح ٨٦٤) والآجري (ص ٣٦٥) وابن حبان (ص ١٩٧/ح ٧٨٠ ـ موارد) وهو حديث حسن.

(٢) رواه أحمد (٤/٣٦٤) ورواه ابن ماجه من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن شبابة عن ابن أبي ذئب (٢/١٤٢٦/ح ٤٢٦٨) في الزهد، باب ذكر القبر والبلى وإسناده صحيح.

وقال ابن حبان في صحيحه: حدثنا عمر بن محمد الهمداني حدثنا زيد بن أخزم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إنَّ المؤمِنَ إذا قُبِضَ أتته ملائِكَةُ الرحمة بحريرةٍ بيضاءَ فيقولون: اخرجي إلى روح الله، فتخرج كأطيب ريح مِسْكٍ، حتى أنَّه ليناوله بعضهم بعضاً يشمُّونه حتى يأتوا به بابَ السماءِ فيقال: ما هذه الريح الطيبة التي جاءَتْ من قبل الأرض؟ ولا يأتون السماء إلّا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنين فلهم أشدَّ فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم. فيقولون: ما فَعَلَ فلان؟ فيقولون دعوهُ حتَّى يستريح فإنَّه كان في غَمٍّ فيقول قد مات أما أتاكم؟ فيقولون ذهب به إلى أُمِّهِ الهاوية. وأمَّا الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي الى غضبِ الله تعالى فتخرج كأنتنِ ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض»[1] زاد في رواية «وأما الكافر إذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحاً أنتن من هذه فيبلغ الأرض السفلى»[2].

وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (ابراهيم/٢٧) قال «ذلك إذا قيل له في القبر: مَنْ رَبُّكَ، وما دينُكَ، ومَنْ نبيُّكَ؟ فيقول: ربّي اللهُ، وديني الإسلامُ، ونبيّي محمد ﷺ جاءنا بالبينات من عِنْد الله فآمنت به وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عِشْتَ وعليه مت وعليه تبعث»[3].

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده، إنَّ الميت ليسمع خفق نعالكم حين

---

(١) رواه ابن حبان (ص ١٨٧/ح ٧٣٣ موارد) وإسناده صحيح ويشهد له الذي قبله.

(٢) ابن حبان (ص ١٨٦ - ١٨٧/ح ٧٣١ موارد).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٣/٢١٥) وابن مردويه (الدر المنثور ٥/٣٢) وسنده حسن ومحمد بن عمرو هو الليثي وأبو سلمة هو ابن عبد الرحمن حسن.

تولون عنه مدبرين، فإنْ كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال: أخبرنا عما نسئلك، فيقول: دعني حتى أصلي، فيقال له: إِنَّكَ ستفعَل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعَمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول، أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم فيقول: أشهدُ أَنَّهُ رسولُ اللهِ وَأَنَّهُ جاءنا بالبينات من عند الله فصَدَّقناه، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعثُ إِنْ شاء اللهُ تعالى. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينور له ويفتح له باب إلى الجنَّةِ فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ اللهُ لك فيها، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم تُجعل نسمتُهُ في النسم الطيب، وهي طيرٌ خضر يعلق بشجر الجنة، ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التُّراب، وذلك قول اللهِ عز وجل ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ (ابراهيم/٢٧) ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمرو، وذكر جواب الكافر وعذابه[1]. وقال البزار رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن بحر القراطيسي حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه قال «إِنَّ المؤمن يُنْزَل به الموت ويعاين ما يعاين فيوَدُّ لو خرجت ـ يعني نفسه ـ والله يُحِبُّ لقاءَهُ. وإِنَّ المؤمنَ يصعَدُ بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال تركت فلاناً في الأرض أعجبهم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه (٣/٣٨٤) وهناد في الزهد (ح ٣٣٨) وابن جرير (١٣/٢١٥ ـ ٢١٦) وابن حبان (ص ١٩٧ ـ ١٩٨/ح ٧٨١ ـ موارد) والطبراني في الأوسط (٣/٣٠١ ـ ٣٠٢/ح ٢٦٥١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٦١ ـ ٦٢/ح ٦٧) وفي الاعتقاد (ح/١٠٨) والحاكم في المستدرك (١/٣٧٩) وابن المنذر وابن مردويه (الدر المنثور ٥/٣١) وهو حديث حسن وقد صححه الحاكم وأقره الذهبي وهو كذلك لشواهده.

ذلك، وإذا قال إنَّ فلاناً قد ماتَ قالوا ما جيء به إلينا. وإنَّ المؤمن يجلس في قبره فيُسْأَلُ مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول ربي الله عز وجل. ويسأل من نبيك؟ فيقول محمد ﷺ نبيِّي، فيقال: ماذا دينك؟ قال ديني الإسلام. فيفتح له بابٌ في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر فكأنَّما كانت رقدة. وإذا كان عدواً للهِ نَزل به الموتُ وعاين ما عاين فإنَّه لا يُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ روحَهُ أَبداً والله يبغض لقاءَهُ، فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له: من رَبُّكَ؟ فيقول: لا أدري، فيقال لادريتَ، فيفتَحُ له بابٌ إلى جهنم ثُمَّ يُضْرَبُ ضربة تسمعها كلُّ دابة إلاَّ الثَّقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش» قلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال الذي تنهشه الدوابُّ والحيَّات، ثم يضيق عليه قبره، ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليد بن مسلم، وفي بعض النسخ ابن قاسم[1].

وأما حديث أبي سعيد وسلمان فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبدالله بن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي حدثنا قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ «أَنَّهُ ذكر رجلاً فيمن سلفَ وفي مَنْ كان قبلكم قال كلمة يعني أعطاهُ الله مالاً وولداً، فلما حضرتْهُ الوفاة قال لبنيه: أيَّ أَبٍ كنْتُ لكم؟ قالوا خير أب. قال فإنه لم يبتئر عند الله خيراً وإنْ يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا متُّ فأحرقوني حتى إذا صرت فحماً فاسحقوني ـ أو قال فاسحكوني ـ فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها. فقال نبيُّ اللهِ ﷺ: فأخَذ مواثيقهم على ذلك وربِّي. ففعلوا ثم أذروه في يومٍ عاصف، فقال الله عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال الله: أَيّ عبدي ما حَمَلَكَ على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك، أو فرق منك. قال فما تلافاه أن رحمه عندها» وقال مرة أخرى «فما تلافاه» فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد

---

(١) رواه البزار (١/٤١٤/ح ٨٧٤/ كشف الأستار) قال الهيثمي: ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه (المجمع ٣/٥٦) قلت لئن لم يعرفه هو فقد عرفه غيره، ومن عرف حجة على من لم يعرف فقد ذكره الخطيب وقال: كان ثقة (تاريخ بغداد (٩/٩٣). وليس من رواته الوليد بن مسلم بل هو ابن قاسم كما هو في كشف الأستار ـ وكذلك ابن كثير (٢/٥٥٣).

فيه «اذروني في البحر»[1] أو كما حدَّث ـ وفي رواية له عن أبي سعيد قال «ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقاه برحمة»[2].

وقال رحمه الله تعالى «باب كلام الميت على الجنازة، حَدَّثنا قتيبة حدَّثنا الليثُ عَنْ سعيد بن أبي سعيد عن أبيه أَنَّهُ سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: إذا وُضِعَتِ الجنازة فاحتملها الرِّجال على أعناقهم فإنْ كانت صالحة قالت: قَدِّموني قدِّموني، وإنْ كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أَيْن يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيءٍ إلاّ الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»[3].

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال «شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: يأأيُّهَا الناس، إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرَّق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاّ الله وأَنَّ محمداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، فيقول له: صدقْتَ. ثم يفتح له باب إلى النار فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت بربِّكَ، فأمَّا إذ آمنْتَ فهذا منزلك، فيفتح له باباً إلى الجنة، فيريد أَنْ ينهض إليه فيقول له: اسكن اسكن، ويفسح له في قبرة. وإنْ كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئاً، فيقول: لادريت ولا تليت ولا اهتديت. ثم يفتح له باباً إلى الجنةِ فيقول هذا منزلك لو كُنْتَ آمنت بربِّكَ، فأمَّا إذْ كفرت به فإنَّ الله عز وجل أبدلك به هذا، فيفتح له باباً إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحةً يسمعها

---

(١) رواه البخاري (٦/٥١٤ ـ ٥١٥) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي التوحيد، ومسلم (٤/٢١٠٩/ح ٢٧٥٦) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) رواه البخاري (٦/٥١٤) في الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والرقاق، باب الخوف من الله وفي التوحيد، ومسلم (٤/٢١١١/ح ٢٧٥٧) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى.

(٣) رواه البخاري (٣/٢٤٤) في الجنائز، باب كلام الميت على الجنازة وفي (٣/١٨١) في الجنائز، باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، وباب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني.

خلق الله عز وجل كُلُّهم غير الثقلين. فقال بعض القوم: يا رسولَ اللهِ ما أَحَدٌ يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمنوا بالقولِ الثَّابِتِ﴾ (١).

ولابن مردويه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمنوا بالقولِ الثَّابِتِ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ: ﴾«في القبرِ»(٢).

وأما حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال «كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّى صلاة أَقْبل علينا بوجهه فقال: مَنْ رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال فإنْ رأى أَحدٌ قصَّها، فيقول: ما شاء اللهُ. فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا لا. قال: لكنِّي رأيتُ الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ ورجلٌ قائمٌ بيده ـ قال بعض أصحابنا عن موسى ـ كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتَّى أتينا على رَجُلٍ مضَّطجع على قفاه ورجلٌ قائمٌ على رأسِه بفهر ـ أو صخرة ـ فيشرخ به رأسَه، فإذا ضربه تدهدَهَ الحجرُ، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسُهُ، وعاد رأسُهُ كما هو فعاد إليه. قلت: من هذا؟ قالا انطلق. فانطلقنا إلى ثقب مثل التنّور أعلاهُ ضَيِّقٌ وأسفله واسعٌ يتوقَّدُ تحته ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عراة، فقلتُ مَنْ هذا؟ قالا انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نَهَرٍ مِنْ دمٍ فيه رجل قائم على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجلُ الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجرٍ في فيهِ فرَدَّهُ

---

(١) رواه أحمد (٣/٣ و٢٣٣ و٣٤٦) وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وابن أبي عاصم في السنة (٢/٤٠٣/ح ٨٦٥) والبزار (كشف الأستار ١/٤١٢/ح ٨٧٢). وابن جرير (٨/٢١٤) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٤٣/ح ٣٢٠) وهو صحيح لشواهده. رجاله رجال الصحيح غير عباد بن راشد روى له البخاري مقروناً على ضعف فيه، وسنده لا بأس به كما قال ابن كثير.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن مردويه (الدر المنثور ٥/٢٨) وقد تقدمت شواهده.

حيثُ كان فجعل كلَّما جاءَ ليخرج رمى في فيهِ بحجرٍ فيرجع كما كان، فقلتُ: ما هذا قالا انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضةٍ خضراءَ فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعدا بي في الشجرة وأدخلاني داراً لم أرَ قطّ أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشَّجَرةِ فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشبان. قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم، أمَّا الذي رأيتَهُ يشق شدقه فكذَّاب يحدث بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة. والذي رأيته يُشرخ رأسُهُ فرجلٌ عَلَّمه اللهُ القرآن فنام عَنْهُ باللَّيْلِ ولم يعمل فيه بالنَّهار يفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيتَهُ في الثقب فهم الزُّناة. والذي رأيتَهُ في النهر آكلو الرِّبا. والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان حوله فأولادُ الناس، والذي يوقِدُ النَّار مالكٌ خازنُ النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأمَّا هذه الدَّارُ فدارُ الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك. قلت دعاني أدخل منزلي، قالوا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك[1]

وأمَّا حديث عثمان رضي الله عنه فقال أبو داود: حدَّثنا ابراهيم بنُ موسى الرازي حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبدالله بن بجير عن هانيء مولى عثمان عن عثمان رضي الله عنه قال« كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقفَ عليه وقال: استغفروا لأخيكُم واسألوا له التَّثبيت فإنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»[2] قال ابن حجر: صححه الحاكم.

---

(١) رواه البخاري (١٢/٤٣٨ - ٤٣٩) في التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، وفي صفة الصلاة، وفي التهجد، وفي الجنائز، وفي البيوع، وفي الجهاد، وفي بدء الخلق، وفي الأنبياء، ومسلم (٤/١٧٨١/ح ٢٢٧٥) في الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (طرفاً يسيراً من أوله).

(٢) رواه أبو داود (٣/٢١٥/ح ٣٢٢١) في الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت. والحاكم (١/٣٧٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا وأخرجه البيهقي=

وأما حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمدُ بن حاتم المؤدِّب أخبرنا عليُّ بن ثابت حدثني قيسُ بن الرَّبيع وكانَ من بين أسد عن الأغرِّ بن الصبَّاحِ عن خليفة بن حصين عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال «أكثرُ ما دعا به رسولُ اللهِ ﷺ عشية عرفة في الموقفِ: اللَّهمَّ لَكَ الحمدُ كالذي تقولُ وخيراً مما نقول. اللَّهُمَّ لَكَ صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي، وإليك مآبي ولك ربِّ تراثي. اللهم إنِّي أعوذُ بك من عذاب القبر ووسوسةِ الصَّدْرِ وشتاتِ الأمرِ، اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من شَرِّ ما تجيء به الرِّيحُ»[1].

وأما حديث زيد بن ثابت فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بن أبي شيبة جميعاً عن ابن عليَّةَ. قال ابن أيوب: حدثنا ابنُ علية قال وأخبرني سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النَّبيِّ ﷺ في حائطٍ لبني النَّجَّارِ على بغلةٍ له ونحنُ معهُ إذ حادت به فكادَتْ تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ـ قال كذا كان يقول الجريري ـ فقال: مَنْ يعرفَ أصحابَ هذه الأقبر؟ فقال رجلٌ أنا. قال: فمتى ماتَ هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراكِ. فقال: إنَّ هذه الأمَّةُ تُبتلى في قبورِها، فلولا أَنْ لا تدافنوا لدعوتُ اللهَ أنْ يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوَّذوا باللهِ من عذاب النار. قالوا نعوذُ باللهِ من عذابِ النار. فقال: تعوَّذُوا باللهِ من عذاب القبر. قالوا: نعوذُ باللهِ من عذاب القبرِ. قال: تعوَّذُوا باللهِ مِنَ الفِتَنِ ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذُ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوَّذُوا باللهِ من فتنة الدَّجَّال. قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال»[2].

= (٥٦/٤) وفي إثبات عذاب القبر (ص ١٢٤/ح ٢١١ و٢١٢).
وانظر تلخيص الحبير لابن حجر (١٣٥/٢) وقال النووي: إسناده جيد (المجموع ٢٩٢/٥).

(١) رواه الترمذي (٥٣٧/٥/ح ٣٥٢٠) في الدعوات، باب «٨٨» وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقويّ. قلت فيه: قيس بن الربيع: تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به. وعلي بن ثابت الجزري: ربما أخطأ.

(٢) رواه مسلم (٢١٩٩/٤ ـ ٢٢٠٠/ح ٢٨٦٧) في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من=

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بن سعيد عن ابن جُرَيْجٍ أخبرني أبو الزبير أَنَّهُ سأل جابر بن عبدالله عن فتَّاني القبر فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ «إنَّ هذه الأُمَّةُ تبتلى في قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملكٌ شديدٌ الانتهار فيقول له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فأَمَّا المؤمنُ فيقول: إنَّه رسولُ اللهِ وعبدُهُ. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه، وأبْدلك بمقعدك الذي ترى من النَّارِ مقعدك الذي ترى منَ الجنَّةِ. فيراهما كليهما. فيقولُ المؤمنُ: دعوني أبشِّرُ أهلي. فيقال له: اسكن. وأَمَّا المنافِقُ فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناس. فيقال له: لا دَرَيْتَ، هذا مقعدك الذي كانَ لك في الجنَّةِ أبدلك مكانه مقعدك من النار. قال جابرٌ: فسمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: يُبعث كُلُّ عبدٍ في القبر على ما مات، المؤمنُ على إيمانِهِ، والمنافقُ على نفاقِه»[1].

ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه «وَعُرِضَتْ عليَّ النَّارُ، فرأيتُ فيها امرأةً من بني إسرائيل تعذَّب في هِرَّةٍ لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، ورأيتُ أبا ثمامة عمرو بن مالك يجرُّ قصبه في النار ـ وفي روايةٍ ـ لقد جيء بالنَّارِ وذلك حين رأيتموني تأخَّرْتُ مخافةَ أَنْ يصيبني مِنْ لَفْحها. وحتَّى رأيتُ فيها صاحِبَ المحجَنِ يَجُرُّ قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإنْ فُطِنَ له قال: إنَّما تعلق بمحجني، وإنْ غُفل عنه ذهب به. وحتى رأيتُ فيها صاحِبَةَ الهِرَّةِ التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكلُ من خشاش الأرضِ حتَّى ماتَتْ جوعاً»[2] الحديث.

= الجنة أو النار عليه.

(١) رواه أحمد (٣/٣٤٦) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ١٢٦ ـ ١٢٧/ح ٢١٦) وأخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط (الدر المنثور ٥/٣٤) وأخرج مسلم الجزء الأخير قوله «يبعث كل عبد على ما مات عليه» (٤/٢٢٠٦/ح ٢٨٨٧) في الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظنّ بالله.

(٢) رواه مسلم (١/٦٢٤/ح ٩١٥) في الكسوف، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف، وقد تقدم بعضه.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فرواه البخاري من عدة طرق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال «كانَ النَّبيّ ﷺ يعلّمنا هؤلاء الكلماتِ كما تعلم الكتابة: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وأعوذُ بِكَ من الجُبْنِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إلى أرذَلِ العُمُرِ، وأعُوذُ بِكَ من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبرِ»[1].

وأما حديث زيد بن أرقم فقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى في صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحقُ بن إبراهيم ومحمد بن نمير واللفظ لابن نمير، قال اسحق أخبرنا ـ وقال الآخران حدَّثنا ـ أبو معاوية عَنْ عاصمٍ عن عبدالله بن الحارث، وعن أبي عثمان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «لا أقولُ لَكُمْ إلاَّ كما كَانَ رسولُ الله ﷺ يقول، كانَ يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ، وعذابِ القَبْرِ. اللَّهُمَّ آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا ومولاها. اللَّهم إنِّي أعوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا ينفع، ومن قَلْبٍ لا يخشع، ومن نَفْسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها» رواه النسائي[2].

وأما حديث أبي بكرة فأخرجه النسائي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يقول في أَثَرِ الصَّلاة «اللهم إنِّي أعوذُ بكَ مِنَ الكُفْرِ، والفقر، وعذابِ القبر»[3].

وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فقال أبو عبد الله الحكيم الترمذي في كتابه (نوادر الأصول): حدثنا أبي حدثنا عبدالله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد

---

(١) رواه البخاري (١١/١٧٩) في الدعوات، باب الاستعاذة من أرذل العمر، وباب التعوذ من البخل، وباب التعوذ من عذاب القبر، وباب التعوذ من فتنة الدنيا، وفي الجهاد، باب ما يتعوذ به من الجبن.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨٨/ح ٢٧٢٢) في الذكر، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، والنسائي (٨/٢٦٠) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز.

(٣) رواه أحمد (٥/٣٦ و٣٩) والنسائي (٨/٢٦٢) في الاستعاذة، باب الإستعاذة من الفقر، وفي اليوم والليلة (ص ١٤٦/ح ٢٢) وابن حبان (٢/١٨٣ الإحسان) وابن السني في اليوم والليلة (ص ٢٤ ـ ٢٥/ح ٦٩) والحاكم في المستدرك (١/٢٥٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حديث حسن.

الرحمن بن أبي عبدالله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ ونحنُ في مسجدِ المدينة فقال «إنِّي رأيتُ البارحَةَ عجيباً، رأيتُ رجلاً من أُمَّتِي جاءَ ملكُ الموتِ ليقبض روحَهُ، فجاءَ بِرُّه بوالديه فردَّ عنه. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتِي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتِي قد احتوشته الشياطين، فجاءَه ذِكْرُ اللهِ عز وجل فخلصه من بينهم. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتِي قد احتوشته ملائكةُ العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذتُهُ مِنْ أيديهم. ورأيت رجلاً مِنْ أُمَّتِي يلتهب عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءَه صيامُهُ فسقاه وأرواه. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظُلمة وعن يمينه ظُلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، وهو متحيِّرٌ فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاهُ النور. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي يكلِّم المؤمنين فلا يكلِّمونه، فجاءته صلةُ الرحم فقالت: يامعشر المؤمنين كلِّموه، فكلَّموه. ورأيتُ. رجلاً من أمّتي يتقي وَهَجَ النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقتُهُ فصارتْ له ستراً على وجهه وظلاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أُمَّتي أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءهُ أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من أُمَّتي جاثياً على ركبتيه، بينه، وبين الله حجاب، فجاءه حُسْنُ خُلُقِهِ فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي قد هوت صحيفته من قِبَل شماله، فجاءَه خوفه من اللهِ تعالى فأخَذَ صحيفته فجلعها في يمينه. ورأيْتُ رجلاً من أُمَّتِي قَدْ خَفَّ ميزانه، فجاءته أفراطه فثقَّلوا ميزانه. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي قائماً على شفير جهنم، فجاءَهُ وَجَلُهُ من اللهِ فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتِي هوى في النار، فجاءتْهُ دموعُهُ التي بكت من خشيةِ الله في الدنيا فاستخرجته من النار. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي قائماً على الصِّراط كما ترعد السعفة، فجاء حسنُ ظنِّهِ باللهِ فسَكَنَ رعدته ومضى. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتي على الصِّراطِ يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءتْهُ صلاته فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصِّراط. ورأيتُ رجلاً من أُمَّتِي انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أَنْ لا إله إلاّ اللهُ ففتحت له الأبواب وأدخلته

الجنة»[1]. ورواه القرطبي رحمه الله في تذكرته وقال: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة.

وأما حديث عبدالله بن عمرو بن العاص فرواه النسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار»[2].

وللحكيم الترمذي عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَتردُّ لنا عقولَنا يا رسولَ اللهِ؟ قال: نعم كهيئتِكم اليَوْمَ. فقال عمر: في فيهِ الحجر»[3].

وروى البغوي عنه رضي الله عنه موقوفاً عليه: إذا توفي العبدُ المؤمنُ أَرسلَ اللهُ عز وجل ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: أُخرجي يا أَيَّتُها النَّفْسُ المطمئنَّة، أُخرجي إلى روحٍ وريحان وربٍّ عَنْك راضٍ. فتخرجُ كأَطْيب ريح مِسْكٍ وجده أَحَدٌ في أنفه، والملائكة على أرجاءِ السماء يقولون: قد جاء من الأرض روحٌ طيبةٌ - أو نسمةٌ طيبةٌ - فلا تمرُّ بابٍ إلَّا فُتِحَ لها، ولا بملك إلا صلَّى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن عز وجل فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهبْ بهذه فاجعلها مع أَنْفُسِ المؤمنين. ثم يُؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له الرَّيحان، وإن كان معه شيءٌ من القرآن

---

(١) الحكيم الترمذي شهد عليه بالكفر وأخرج من ترمذ. وأبوه علي بن الحسن بن بشر لم أجد له ترجمة وقول القرطبي هذا في تذكرته (١/٢٤٢).

(٢) رواه أحمد (٢/١٨٥ و١٨٦) والنسائي (٨/٢٦٩) في الاستعاذة، باب الاستعاذة من الهرم. وإسناده حسن وشواهده في الصحيحين عن عائشة وأنس رضي الله عنهما.

(٣) رواه أحمد (٢/١٧٢) وابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ٣/٥٠) والآجري في الشريعة (ص ٣٦٧) وابن عدي في الكامل (٢/٨٥٥) وابن حبان (٥/٤٧) والحكيم الترمذي غير مسند في نوادر الأصول (ص ٤١) في ذكر فتاني القبر. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. قلت: ليس الحال كما قال بل في سند أحمد ابن لهيعة وحيي بن عبد الله المصري وليسا من رجال الصحيحين وقد تابع ابن لهيعة ابن وهب فإسناده حسن إن سلم من حيي بن عبد الله المصري فإنه صدوق بهم.

كفاه نوره، وإنْ لم يكن جعل له نورٌ مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أَحَبُّ أهله إليه. وإذا توفي الكافرُ أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بحاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال: يا أَيَّتُها النَّفْس الخبيثة، اخرجي إلى جهنَّم وعذاب أليم، ورب عليكِ غضبان»[1].

وأما حديث أبيه عمرو بن العاص فرواه مسلم في قصة وفاته مطولاً، وفيه: «فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ التراب شنّاً، ثم أقيموا حول قبري قَدْر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأَنْظُر ماذا أراجع به رُسُلَ ربي عَزَّ وجَلَّ»[2].

وأما حديث أم مبشر فأخرجه عنها ابن أبي شيبة في مصنفه قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج فسمعته يقول «إستعيذوا باللهِ مِنْ عذابِ القبرِ» قلت: يا رسول اللهِ وللقبرِ عذابٌ؟ قال «إنَّهم ليعذَّبون عذاباً في قبورهم تسمعُهُ البهائمُ»[3].

وأما حديث أبي قتادة رضي الله عنه فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمدُ بنُ عثمان بنُ حكيمٍ الأودي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ (ابراهيم/٢٧) الآية قال: إنَّ المؤمنَ إذا مات أُجْلِسَ في قبره فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: اللهُ عَزَّ وجَلَّ. فيقال له: من نبيُّكَ؟ فيقول: محمد بن عبدالله ﷺ. فيقال له ذلك مرات، ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك

---

(١) البغوي في معالم التنزيل (٥/٥٧٢ ـ ٥٧٣) من غير إسناد من حديث ابن عمر وليس عمرو.

(٢) رواه مسلم (١/١١٢/ح ١٢١) في الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٣) رواه أحمد (٦/٣٦٢) قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٣/٥٩) وهو كما قال وابن أبي شيبة في مصنفه ( ).

من الجنة إذ ثَبتَّ. وإذا مات الكافر أُجلس في قبره فيقال له: من ربُّكَ، من نبيُّكَ؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لا دريت. ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبتَّ. ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذا زغت. فذلك قوله تعالى ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (ابراهيم/٢٧)[1].

وأما حديث عبدالله بن مسعود فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بن أبي شيبة حدثنا جريرٌ عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم بن سويد عن عبدالرحمن بن يزيد عن عبدالله رضي الله عنه قال: كان نبيُّ اللهِ ﷺ إذا أمسى قال «أمسينا وأمسى الملكُ للهِ، والحمدُ للهِ لا إله إلاّ اللهُ وحده لا شريك له» قال أراه قال فيهن «له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير. ربِّ أسألك خيرَ ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها. ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، ربِّ أعوذ بك من عذابٍ في النار وعذابٍ في القبر»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً «أصبحنا وأصبح الملكُ لله»[2]. حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن الحسن بن عبيد الله الخ بنحوه، وفيه «اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من الكسل والهرم وسوءِ الكبر وفتنةِ الدنيا وعذاب القبر»[3].

وقال النَّسائي: أخبرنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا الفضل بن موسى عن زكريا عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (ابن كثير ٢/٥٥٤) وابن منده والطبراني في الأوسط (الدر المنثور ٥/٣٠). وإبراهيم بن يوسف هو بن اسحق بن أبي اسحق السبيعي وأبو اسحق هو السبيعي. وعامر قال عنه الحافظ مقبول. قلت وثقه ابن حبان وروى عنه عدّة وأخرج له مسلم في صحيح فحديثه حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٨٨/ح ٢٧٢٣) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٠٨٩/ح ٢٧٢٣) في الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

«كان النبي ﷺ يتعوَّذ من خمس: من البخلِ، والجبن، وسوءِ العمر، وفتنةِ الصدر، وعذاب القبر»[1].

وروى الطحاوي عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أُمر بعبدٍ مِنْ عباد اللهِ أَنْ يُضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسألِ اللهَ ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ عليه قبره ناراً»[2] الحديث ذكره العيني في شرح البخاري والله أعلم بصحته. وعزاه في التبصرة إلى أبي القاسم الحريري، وتقدم عنه قريباً حديث أم حبيبة وفيه الاستعاذة من عذاب اقبر.

وأما حديث أبي طلحة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثني عبدالله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا انس بن مالك عن أبي طلحة «أَنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ أمر يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقُذِفُوا في طوى من أطواء بدرٍ خبيثٍ مخبَّث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشُدَّ عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلانَ ابن فلان، يا فلان ابن فلان، أيسركم أَنَّكم أطعتم الله ورسولَهُ، فإنَّا قد وجدنا ما وعدنا ربُّنا حقّاً فهل وجدتم ما وعدكم ربُّكُمْ حَقّاً؟ قال فقال عمرُ: يا رسولَ اللهِ ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: والذي نفس محمدٍ بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[3]. قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً.

وأما حديث أسماء الآخر فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حجين ابن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر

---

(١) رواه النسائي (٢/٢٥٦) في الاستعاذة من البخل، وهو حديث حسن.

(٢) وقد ذكره القرطبي في التذكرة (ص ١٣٧) بأطول من هذا.

(٣) راه البخاري (٧/٣٠٠ ـ ٣٠١) في المغازي، باب قتل أبي جهل، ومسلم (٤/٢٢٠٤/ح ٢٨٧٥) في الجنة وصفه نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

قال: كانت أسماء ـ يعني بنت الصديق رضي الله عنها ـ تحدث عن النبي ﷺ قالت: قال «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً أحفَّ به عمله الصلاة والصيام، قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتردّه، ومن نحو الصِّيام فيرده، قال: فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ يعني النبي ﷺ. قال: من؟ قال: محمد. قال: أشهدُ أَنَّهُ رسولُ اللهِ. قال فيقول: على ذلك عشت وعليه مِتَّ وعليه تبعث. وإنْ كان فاجراً أو كافراً جاءَه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أيّ رجل؟ قال: محمد. قال يقول: والله ما أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته. قال له الملك: على ذلك عشتَ وعليه مت وعليه تبعث. قال ويسلط عليه دابَّةٌ في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاءَ اللهُ صَمَّاء لا تسمع صوته فترحمه»[1] والأنسب لمكان هذا الحديث أن ينقل عند حديثي أسماء الأولين.

وأما حديث عبد الرحمن بن حَسَنة فقال أبو داود: حدثنا مُسَدَّد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال «انطلقتُ أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومع درقة ثم استتر بها ثم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: أَلَمْ تعلموا ما لقي صاحب بني اسرائيل، كانوا إذا أصابهم البولُ قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذِّب في قبره»، ورواه النسائي وابن ماجه[2].

وأما حديث تميم الداري فرواه أبو يعلى الموصلي بنسده عنه مطولاً بسياق عجيب ومتن غريب[3] وغالب معناه في الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناء عنه بغيره ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه أحمد (٦/٢٥٢ ـ ٢٥٣) والطبراني في الكبير طرفاً من (٢٤/١٠٥/ح ٢٨١) قال الهيثمي ورجال أحمد رجال الصحيح (المجمع ٣/٥٤). وقد روي عنها عندهما من طريق أخرى.

(٢) رواه أحمد (٤/١٩٦)، وأبو داود (١/٦/ح ٢٢) في الطهارة، باب الاستبراء من البول، والنسائي (١/٢٦ ـ ٢٨) في الطهارة، باب البول إلى السترة يستتر بها، وابن ماجه (١/١٢٤/ح ٣٤٦) فيه، باب التشديد في البول. وعبد الواحد بن زياد في حديثه عن الأعمش مقال: وتابعه عند أحمد وابن ماجه والنسائي أبو معاوية فسنده صحيح جداً.

(٣) ذكره ابن كثير بسنده في تفسيره (٢/٥٥٥ ـ ٥٥٦) وسنده ضعيف فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف=

وأما حديث حذيفة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبدِ الملكِ بن عمير عن ربعيٍّ بن حراش قال: قال عقبةُ لحذيفة «ألا تحدثنا ما سمعت من النبيِّ ﷺ؟ قال: سمعته يقول: إنَّ رجلاً حضره الموتُ لمَّا يئس من الحياة أوصى أهله إذا متُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوروا ناراً حتى إذا أكلت لحميَ وخلصت إلى عظمي فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يومٍ حار أو راح، فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك. فغفر له». قال عقبة وأنا سمعته يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا عبدالملك وقال «في يوم راح»[1]. وقد تقدمت هذه القصة من حديث أبي سعيد الخدري.

وقد رواها البخاري رحمه تعالى أيضاً من حديث أبي هريرة فقال: حدثني عبدالله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «كان رجلٌ يسرف على نفسه، فلمَّا حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مِتُّ فأَحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربِّي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعِلَ به ذلك. فأمر الله تعالى الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائمٌ، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا ربِّ خشيتك حملتني. فغفر له» وقال غيره «مخافتك يا رب»[2]، ومحل هذا الحديث مع أحاديث أبي هريرة المتقدمة فلينقل إلى هناك.

وأما حديث أبي موسى فرواه أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وهذا لفظ أحمد: عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال «الميِّتُ يعذَّبُ ببكاءِ الحيِّ، إذا قالت النائحةُ: واعضداه، وانـاصراه، واكاسباه، جُبِذَ الميت وقيل: أنت عضدها، أنت ناصرها، أنت كاسبها؟». ولفظ الترمذي «ما من ميت يموت

= وبكر بن خنيس له أغلاط وفيه من لم أجد لهم ترجمة أبو عاصم الحبطي وضرار بن عمرو.

(١) رواه البخاري (١١/٣١٢ - ٣١٣) في الرقاق، باب الخوف من الله.

(٢) رواه البخاري (١٣/٤٦٦) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم (٤/٢٢١٠/ح ٢٧٥٦) في التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وُكِّلَ به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟»[1].

وأما حديث النعمان بن بشير فرواه الشيخان البخاري ومسلم عنه رضي الله عنه قال «أُغْمِي على عبدِ الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرةُ تبكي: واجَبَلاه، واكذا واكذا تعدِّدُ عليه، فقال حين أفاقَ: ما قلتِ شيئاً إلا قيلَ لي: آنْتَ كذلك؟ فلمَّا ماتَ لم تبكِ عليه رضي الله عنه»[2].

وأما حديث عوف بن مالك فقال مسلم رحمه الله تعالى: حَدَّثَنِي هارون بن سعيدٍ الأيلي أخبرني ابن وهب أخبرني معاويةُ بن صالح عن حبيب بن عبيد عن جبير بن نفير سمعه يقول سمعتُ عوفَ بن مالك يقول «صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ على جنازةٍ فحفظت من دعائه وهو يقول: اللهمَّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسِّع مدخله واغسله بالماءِ والثلجِ والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقيت الثوبَ الأبيض من الدَّنَسِ، وأَبْدِلْهُ داراً خيراً مِنْ داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنَّة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار»[3] قال حتى تمنيتُ أَنْ أكون ذلك الميت. وفي رواية «وقه فتنة القبر وعذاب النار»[3].

[نصوص الكتاب والسنّة في لقاء الله]

وباللقا والبعثِ والنُّشورِ ... وبقيامنا مِنَ القبورِ
غُرْلاً حفاةً كجرادٍ منتشرْ ... يقولُ ذو الكفرانِ ذا يوم عَسِرْ

---

(١) رواه أحمد (٤/٤١٤)، والترمذي (٣/٣٢٦/ح ١٠٠٣) في الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت، وابن ماجه (١/٥٠٨/ح ١٥٩٤) فيه، باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه والحاكم (٢/٤٧١) وصححه. وسنده حسن فيه. موسى بن أبي موسى الأشعري قال عنه الحافظ مقبول. وللحديث شواهد قد تقدم بعضها ومنها الذي يليه.

(٢) رواه البخاري (٧/٥١٦) في المغازي، باب غزوه مؤتة. قلت وقد وهم المصنف رحمه الله في عزوه إلى مسلم، فلم يخرجه مسلم ولا أحد من الستة سوى البخاري. وانظر تأكيد ذلك في تحفة الأشراف (٩/٢٥/ح ١١٦٢٩) وجامع الأصول لابن الأثير.

(٣) رواه مسلم (٢/٦٦٢/ح ٩٦٣) في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة.

أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا على الخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/٤٥) وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق/٦) وقال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (الكهف/١١٠) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يونس/٧) وقال تعالى ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام/٣١) وقال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ (يونس/١٥) وقال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمِ﴾ (العنكبوت/٥) وقال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾ (البقرة/٢٢٣) وقال تعالى ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ (البقرة/٢٤٩) وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان/٣٢) وقال تعالى ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَونَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة/٧٧) وقال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ (النبأ/٢٧) وغيرها من الآيات.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لقاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومن كرِه لقاء اللهِ كره اللهُ لقاءَهُ» فقلت: يا نبيَّ اللهِ أكراهية الموتِ؟ فكلُّنا نكره الموت. فقال «ليس كذلك، ولكنَّ المؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمة اللهِ ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء اللهِ فأحبَّ اللهُ لقاءَهُ، وإنَّ الكافرَ إذا بُشِّرَ بعذاب اللهِ وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه ـ وفي رواية ـ والموت قبل لقاءِ اللهِ»[1].

---

(١) رواه البخاري (١١/٣٥٧) في الرِّقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومسلم (٤/٢٠٦٥/ح ٢٠٦٦) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه.

وفيه عن شريح بن هانىء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «مَنْ أَحَبَّ لقاءَ اللهِ أَحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومن كره لقاءَ اللهِ كره اللهُ لقاءَهُ» قال فأتيتُ عائشة فقلت: يا أُمَّ المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسولِ اللهِ ﷺ حديثاً إنْ كان كذلك فقد هلكنا. فقالت: إنَّ الهالك من هلك بقول رسولِ اللهِ ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ أَحبَّ لقاءَ الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ، ومن كره لقاء اللهِ كره اللهُ لقاءَهُ، وليس من أحد إلّا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعرَّ الجلد وتشنّجت الأصابع فعند ذلك من أحبَّ لقاء الله أحبَّ اللهُ لقاءَهُ ومن كره لقاء اللهِ كره اللهُ لقاءه[1]. وفيه عن عبادة بن الصامت[2] وأبي موسى الأشعري[3] عن النبي ﷺ المرفوع منه دون شرحه.

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «قالوا: يا رسولَ اللهِ، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤيةِ الشمس في الظهيرة ليست في سحابةٍ؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارُّون في رؤيةِ القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارُّون في رؤية ربِّكم إلّا كما تضارُّون في رؤيةِ أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسوّدك وأزوّجك وأسخّرُ لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول بلي. قال فيقول: أفظننت أنَّكَ ملاقيَّ؟ فيقول فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخّر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاّقيَّ؟ فيقول لا. فيقول فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصلَّيتُ وصمت وتصَدَّقتُ ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذاً. قال ثم يقال له:

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٦٦/ح ٢٦٨٥) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٢) البخاري (١١/٣٥٧) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.
ومسلم (٤/٢٠٦٥/ح ٢٦٨٣) في الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

(٣) البخاري (١١/٣٥٧) في الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. ومسلم (٤/٢٠٦٧/ح ٢٦٨٦) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

الآن نبعثُ شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه مَنِ الذي يشهد على؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»[1].

وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة «بَلِّغُوا قومَنا عَنَّا أَنْ قَدْ لقينا ربَّنا فرضى عنا ورضينا عنه»[2].

وروى أَنَّهُ كان قرآناً فنسخت تلاوته.

والآيات والأحاديث في إثبات لقاء الله عز وجل كثيرة جداً، ومن كذَّب بذلك كفر.

[الإيمان بالبعث والنشور]

(**والبعث والنشور**) أي ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمانُ بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني اسرائيل ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً، فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة/٥٦) وقال تعالى ﴿**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (البقرة/٧٣). وقال تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ (البقرة/٢٤٣). وقال تعالى ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (البقرة/٢٨).

وقال تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي**

---

(١) مسلم (٤/٢٢٧٩/ح ٢٩٦٨) في الزهد والرقاق.

(٢) مسلم (١/٤٦٨/ح ٦٧٧) في المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة.

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا، فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ، وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ. وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى، قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ، قَالَ بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة/٢٥٨ ـ ٢٦٠).

وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرَىً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف/٥٧)، وقال تعالى ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الرعد/٥). وقال تعالى ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ. وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ، قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا، قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ (الأنعام/٣٠ ـ ٣١) الآيات. وقال تعالى ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ، إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم/٤٧ ـ ٤٨)، الآيات.

وقال تعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الحجر/٢٣ ـ ٢٥)، وقال تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّؤُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٠٥)، وقال تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ، قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً. يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء/٤٩ ـ ٥٢)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً. أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ (الإسراء/٩٧ ـ ٩٩)، وقال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ (الإسراء/١٠٤)، وقال تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾ (الكهف/١٢)، وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ـ إلى قوله ـ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَرَيْبَ فِيهَا﴾ (الكهف/١٩ ـ ٢١) وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً. وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾ (الكهف/٤٧ ـ ٤٨) الآيات. وقال تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾ (الكهف/٩٩) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً. أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً. فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً﴾ (مريم/٦٨) الآيات إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه/٥٥) وقال تعالى

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً. نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً. فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً. يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ (طه/١٠٢ - ١٠٨) الآيات.

وقال تعالى ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء/١). وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (الأنبياء/٣٨ - ٣٩). وقال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٤)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيد. كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ. يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً. وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ﴾ (الحج/١ - ٧)، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ،

فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون/١٢ - ١٦).

وقال تعالى عن كفر عاد ﴿وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا: مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ، أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ. هَيْهَاتِ هَيْهَاتِ لِمَا تُوعَدُونَ. إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (المؤمنون/٣٣ - ٣٧) الآيات. وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ. بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ. قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ، إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون/٨٠ - ٨٣)، وقال تعالى ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ. قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ العَادِّينَ. قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ، فَتَبَارَكَ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ﴾ (المؤمنون/١١٢ - ١١٦)، وقال تعالى ﴿أَلاَ إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّؤُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾ (النور/٦٤).

وقال تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ. وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً﴾ (الفرقان/٣)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ، قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (يونس/٤٥)، وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، قُلْ اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (يونس/٣٤)، وقال تعالى ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَإِلَهٌ

مَعَ اللهِ، قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - إلى قوله تعالى - بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ - إلى قوله - قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ - إلى قوله - وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، وَكُلٌّ أَتَوهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل/٦٤ - ٨٧) الآيات.

وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يَبْدَأُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير. قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِير﴾ (العنكبوت/١٩ - ٢٢)، وقال تعالى ﴿وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ - إلى قوله - اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الروم/٦ - ١١) الآيات - إلى قوله - ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ. وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ. وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (الروم/٢٥ - ٢٧) الآيات.

وقال تعالى ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الروم/٤٠). وقال تعالى ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ

كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلَهُ كِسْفاً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ. فَانْظُرْ إلى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (الروم/٤٨ ـ ٥٠)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الروم/٥٥ ـ ٥٦) الآيات.

وقال تعالى ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان/٢٨). وقال تعالى ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ. قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة/١٠ ـ ١١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَيَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾ (الأحزاب/٦٣)، وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ﴾ (سبأ/٢٩ ـ ٣٠) الآيات. وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (سبأ/٥١) الآيات. وقال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّؤُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ أَنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (سبأ/٧). وقال تعالى ﴿اللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر/٩) وقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس/١٢) وقال تعالى ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (يس/٣٣) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ

صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ. فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا. هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ. إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (يس/٤٨ ـ ٥٣) الآيات.

وقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِين. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ، بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون، فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كِلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس/٧٧ ـ ٨٣) وقال تعالى ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا، إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ، بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ، وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ، وَإِذَا رَأَوا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ، وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِين، أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ، قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ، وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ، هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ، احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ (الصافات/١١ ـ ٢٣).

وقال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ، إِلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ (الحجر/٣٦)، وقال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ (الزمر/٣٠) وقال تعالى ﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (غافر/١٦) الآيات.

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (غافر/٣٣) الآيات، وقال تعالى

﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (فصلت/٣٩) وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ، أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ (فصلت/٥٤)، وقال تعالى ﴿وَيُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى/٧)، وقال تعالى ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (الزخرف/١١)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ، فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ، وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الدخان/٣٤ ـ ٤٠) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية/٢٢). وقال تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الجاثية/٢٤ ـ ٢٦) الآيات.

وقال تعالى ﴿أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى، بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٍ﴾ (الأحقاف/٣٣)، وقال تعالى ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قٓ وَالقُرْآنِ المَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ. أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ. قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ (قٓ/١ ـ ٤) إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً ـ إلى قوله ـ إِنَّمَا

تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ (الذاريات/١ ـ ٦). وقال تعالى ﴿والطُّورِ وكِتَابٍ مَسْطُورٍ ـ إلى قوله ـ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ، يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً وَتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْراً، فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الطور/١ ـ ١١) الآيات. وقال تعالى ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ (الطور/٤٥) الآيات.

وقال تعالى ﴿وأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنْتَهَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم/٤٤) الآيات. وقال تعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ. خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ. مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ (القمر/٧) الآيات.

وقوله تعالى ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ (القمر/٤٦) وقال تعالى ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ (الرحمٰن/٣١) إلى آخر السورة، وسورة الواقعة بتمامها، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (الحديد/١٢) الآيات.

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّؤُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ـ إلى قوله ـ ثُم يُنَبِّؤُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ، إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المجادلة/٦ ـ ٧). وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾ (المجادلة/١٨)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ﴾ (الممتحنة/١٣)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن/٩) الآية، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ، إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (التحريم/٨)، وقال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك/٢)، وقال تعالى ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ﴾ (القلم/٣٥) الآيات، وسورة الحاقة بكمالها، وقال تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج/١) الآيات، وقال تعالى ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ، يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (المعارج/٤٢ ـ ٤٣)، وقال تعالى ﴿فَذَرْنِي وَالمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ (المزمل/١١)الآيات. وقال تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر/٨)، وقال تعالى ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ، وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ، أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة/١ ـ ٤) الآيات، وقال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾ (القيامة/٣٦ ـ ٤٠). وجاء جوابه في الحديث «بلى إنه على كل شيءٍ قدير»[1].

وقال تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ (الإنسان/١) الآيات بل السورة بتمامها، وجميع السور التي بعدها: المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق

---

(١) انظر ابن كثير (٤/٤٨٢).

والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والارشاد إلى دليل ذلك لكل امرىء بأن يعتبر في بدنه ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرَّة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسوادادها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزَّت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة، فيقول عز وجل ﴿كَذَلِكَ الخُرُوجُ﴾، ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾، ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جداً، وقد تقدم كثير منها في مواضع متفرقة، وقال البخاري رحمه الله تعالى «حدَّثنا أبو اليمان حدثنا شعيبٌ حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله كذبني ابنُ آدم ولم يكنْ له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأمَّا تكذيبه إيَّايَ فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أوَّل الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إيايَّ فقوله: اتَّخذ اللهُ ولداً، وأنا الأحد الصَّمَدُ لم ألد ولم أولد ولم يكنْ لي كفواً أحد»[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده «حدثنا أبو المغيرة حدَّثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بسر بن جحاش قال: إنَّ رسول الله ﷺ «بَصَقَ يوماً في كفِّه فوضع عليها إصبَعَهُ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: قال الله تعالى بني آدم أنَّى تعجزني وقد خلقتك مثل هذه، حتى إذا سوَّيتك وعدلتك مشيتَ بين برديك، وللأرض منك وئيد، فجمعتَ ومنعتَ، حتى إذا بلغت التَّراقي قلت أتصدَّق، وأنَّى أوان الصَّدقة». ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به[2].

---

(١) رواه البخاري (٨/٧٣٩) في تفسير سورة (قل هو الله أحد).

(٢) رواه أحمد (٤/٢١٠)، وابن ماجه (٢/٩٠٣/ح ٢٧٠٧) في الوصايا، باب النهي عن الإمساك في=

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا عليُّ بنُ الحسين بن الجنيد حدثنا محمدُ بنُ العلاءِ حدثنا عثمانُ بنُ سعيد الزيات عن هشيمٍ عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «إنَّ العاصَ بن وائل أخذ عظماً من البطحاءِ ففتَّهُ بيده ثمَّ قال لِرَسولِ اللهِ ﷺ: أيحيي اللهُ هذا بعد ما أرم؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: نعم، يُميتك اللهُ ثم يحييك ثم يدخلك جهنَّم» قال: ونزلت الآيات من آخر يس[1].

وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ، فذكر أحاديث، منها: وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ في الإنسانِ عظماً لا تأكله الأرضُ أبداً فيه يركب يوم القيامة. قالوا: أيُّ عظمٍ هو يارسول الله؟ قال: عجب الذنب»[2] وفيه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «كلُّ ابنُ آدمَ يأكله الترابُ إلّا عجب الذنب، منه خلق وفيه يُركب»[3]. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب محمدُ بنُ العلاء حدَّثنا أبو معاوية عن الأعْمَش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ما بين النفختين أربعون ـ قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبيتُ، قالوا أربعون شهراً؟ قال أبيتُ، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت ـ ثمَّ يُنزل اللهُ

= الحياة والتبذير عند الموت. قال البوصيري: وإسناد حديثه صحيح رجاله ثقات (مصباح الزجاجة ٢/٣٦٥). قلت فيه عبد الرحمن بن ميسرة قال عنه الحافظ مقبول. قلت: وثقة العجلي وابن حبان ولكن روى عنه عدّة فالحديث حسن إن شاء الله تعالى. وللحديث شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٥٨٨)، وابن المنذر والإسماعيلي في معجمه وابن مردويه، والبيهقي في البعث والضياء في المختارة (الدر المنثور ٧/٧٤) والحاكم في المستدرك (٢/٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي سند ابن أبي حاتم: عثمان الزيات قال ابن حجر: لا بأس به. قلت: تابعه عمرو بن عون عند الحاكم.

(٢) مسلم (٤/٢٢٧١/ح ٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين.

(٣) رواه مسلم (٤/٢٢٧١/ح ٢٩٥٥) في الفتن، باب ما بين النفختين.

إلّا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[1]. ورواه البخاري عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه، دون قوله «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ تعالى مِنَ السَّمَاءِ ماء»[2].

وتقدم حديث عبدالله بن عمرو قريباً وفيه «ثُمَّ ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلّا أصغى ليتا ورفع ليتا. قال: وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق النَّاسُ، ثم يرسلُ اللهُ ـ أو قال يُنْزِلُ اللهُ ـ مطراً كأنه الطلُّ ـ أو الظل، نعمان الشاكّ ـ فتنبت منه أجسادُ النَّاس، ثُمَّ ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون. ثم يقال: يا أَيُّها الناس، هلمُّوا إلى ربِّكُمْ، وقفوهم إنَّهم مسؤولون. قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقول: مِنْ كَم؟ فيقال: من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعة وتسعين. قال فذلك يومٌ يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عَنْ ساق»[3].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إنِّي أول من يَرْفعُ رأسَهُ بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلِّقٌ بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة»[4].

وفي حديث الصور الآتي قريباً إن شاء الله «ثم ينزل اللهُ عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر اللهُ السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماءُ فوقهم اثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر اللهُ الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات الطَّراثيت ـ أو كنبات البقل ـ حتى إذا تكاملت أجسادهم، فكانت كما كانت قال الله عَزَّ وجَلَّ: ليحيى حملة العرش، فيحيون. ويأمر اللهُ عز وجل إسرافيلَ فيأخذ الصُّورَ فيضعه

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٧٠ ٢٢٧١/ح ٢٩٥٥) في الفتن، بأب ما بين النفختين.

(٢) رواه البخاري (٨/ ٥٥١) في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى: (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله) وفي تفسير سورة (عمّ يتساءلون).

(٣) تقدم تخريجه سابقاً. وأن الساق هو ساق الرحمن سبحانه وتعالى.

(٤) رواه البخاري (٨/ ٥٥١) في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى: (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلّا من شاء الله).

على فيهِ ثم يقول: ليحي جبريل وميكائيل، فيحييان. ثم يدعو الله بالأرواح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنَّها النَّحْلُ قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كلُّ روحٍ إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السُّمُّ في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أوَّل من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربِّكُمْ تنسلون»[1] الحديث.

وروى الإمام عبدُ الله ابنُ الإمام أحمد في مسند أبيه وفي كتاب السنة له قال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدِّث بذلك عني، قال حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري عن دلهم بن الأسود بن عبدالله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنَّه خرج وافداً إلى رسولِ اللهِ ﷺ ومعه صاحب له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبي حتَّى قدمنا على رسولِ اللهِ ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام في الناس خطيباً فقال «أيُّها النَّاسُ، ألا إنِّي قد خبّأت لكم صوتي منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم. ألا فهل امرىء بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ؟ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال، ألا إنِّي مسؤول، هل بلَّغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا. فجلس الناس. وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يا رسولَ اللهِ ما عندك من علم الغيب؟ فضحك فقال: ضنَّ ربُّكَ بمفاتيح خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل، وأشار بيده، فقلت: ما هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال: علم المنيّة، قد علم متى منيَّةُ أحدكم ولا تعلمونه. وعلم المنى حين يكون

---

(١) سيأتي بتمامه وتخريجه هناك..

في الرَّحْم، قد علمه وما تعلمونه. وعلم ما في غد، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه. وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم أَزلينَ[1] مشفقين، فيظل يضحك قد علم أَنَّ غوثكم إلى قريب. قال لقيط: فقلت لن نعدم من ربٍّ يضحك خيراً يارسولَ اللهِ. قال: وعلم يوم الساعة. قلنا يا رسولَ اللهِ علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فإنَّا من قبيل لا يصدّق تصديقنا أحد، من مذحج التي تدنو علينا، وخثعم التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: تلبثون فيها ما لبثتم، ثم يُتوفى نبيكم، ثم يُبعث الصيحة، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلّا مات، والملائكة الذين مع ربِّك، فأصبح ربُّك عز وجل يطوف في الأرض وخلت البلاد، فأرسل ربُّكَ السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوي جالساً، فيقول ربُّكَ مَهيم لما كان فيه، يقول يا ربِّ أمس اليوم لعهده بالحياةِ يحسبه حديثاً بأهله. فقلت: يا رسول الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزِّقُنا الرياح والبلاء والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، الأرض أشرف عليها وهي في مدرةٍ بالية، فقلت لا تحيا أبداً، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلّا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء[2] ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم. قال قلتُ: يا رسولَ الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخصٌ واحدٌ ينظر الينا وننظر إليه؟ قال: أنبئك بمثل هذا في آلاء اللهِ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعةً واحدة ولا تضامون في رؤيتهما. قلت: فما يفعل بنا رَبُّنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه باديةً له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربُّكَ عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطىء وجه أَحدٍ منكم منها قطرةً، فأَمَّا المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فينضحه ـ أو قال فينطحه ـ بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق

---

(١) الأَزْل: الضيق والشدة.

(٢) الأصواء: القبور.

على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك عز وجل أو إنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ والله ناهلة قط ما رأيتُها، فلعمر إلهكَ ما يبسط أحدٌ منكم يده إلا وقع عليها قدحٌ يطهره من الطّوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها أحداً. قال قلتُ: يا رسولَ اللهِ فبم نُبْصِر؟ قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار. قال قلت: يا رسولَ اللهِ فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال ﷺ: الحسنةُ بعشرِ أمثالها والسيئةُ بمثلها إلا أن يعفو. قال قلت: يا رسولَ اللهِ ما الجنَّة وما النَّار؟ قال لعمر إلهك إنَّ النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلّا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. قلت: يا رسولَ اللهِ فعلام نطَّلعُ من الجنة؟ قال على أنهار من عسلٍ مصفًّى، وأنهارٍ من خمرٍ ما بها صُداع ولا ندامة، وأنهارٍ من لبن لم يتغير طعمه وماءٍ غير آسن وفاكهة. ولعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواجٍ مطهرةٍ. قلت: يا رسولَ اللهِ أو لنا فيها أزواج ومنهن المصلحات؟ قال: المصلحات للصالحين وفي لفظ الصالحات للصالحين تلذونهنَّ ويلذونكم مثل لذَّاتكم في الدنيا غير أنْ لا توالد. قال لقيط: فقلتُ يا رسولَ اللهِ أقصى ما نحن بالغون ومنتهون اليه؟ فلم يجبه النبيُّ ﷺ. قال قلت: يا رسولَ اللهِ علام أبايعك. فبسط النبي ﷺ يده وقال: على إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وزيال المشرك وأَنْ لا تشرك باللهِ إلهاً غيره. قال قلتُ: يا رسولَ اللهِ وإنَّ لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبضَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَهُ وظنَّ أنِّي مشترطٌ مالا يعطينيه. قال قلت: نحلُّ منها حيث شئنا ولا يجني على امرىء إلّا نفسه. فبسط يده وقال: لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك. قال فانصرفنا عنه ثم قال: ها إن ذين، ها إن ذين (مرتين)، من أتقى الناس في الأولى والآخرة. فقال له كعب بن الخدارية أحد بني بكر بن كلاب: مَنْ هُمْ يا رسولَ اللهِ؟ قال بنو المنتفق بنو المنتفق أهل ذلك منهم. قال فانصرفنا. وأقبلت عليه فقلتُ: يا رسولَ اللهِ هل لأحدٍ ممَّنْ مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجُلٌ من عرض قريش: والله إنَّ أباك المنتفق لفي النّار. قال فكأنَّه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه مما قال لأبي على رؤوس النَّاس، فهممت

أَنْ أقول وأبوك يا رسولَ اللهِ، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت: يا رسولَ اللهِ وأهلك؟ قال: وأهلي، لعمر الله حيث ما أتيت على قبر [كافر] عامري أو قرشي أو دوسي قل: أرسلني اليك محمد، فأبشر بما يسوؤك، تجر على وجهك وبطنك في النَّار. قال قلتُ: يا رسولَ اللهِ وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلّا إياه، وكانوا يحسبون أَنَّهم مصلحون؟ قال ﷺ: ذلك بأَنَّ الله بعث في آخر كلِّ سبعِ أُمم نبيّاً فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين»[1].

ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن منصور الجواز أبو عبدالله قال حدثنا يعقوب بن عيسى الزهري قال حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصاري ثم السمعي عن دلهم بن الأسود بن عبدالله عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسولِ اللهِ ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب، فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً وذكر الحديث بنحو ما تقدم مع مغايرة في بعض الألفاظ[2].

وقال الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه في الهدى عن زوائد المسند: هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلّا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة المدني رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيري وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما في الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، ورواه أئمة

---

(١) زوائد المسند (٤/١٣ ـ ١٤) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٦٣٦) وعبد الله بن أحمد في السنة (ح ١١٢٠) والطبراني في الكبير (١٩/٢١١/ح ٤٧٧) قال الهيثمي: وأحد طرقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات (المجمع ١٠/٣٤٣) قلت بل إسناده ضعيف فيه ثلاثة مجاهيل:
١ ـ عبد الرحمن بن عياش السمعي
٢ ـ دلهم بن الأسود.
٣ ـ الأسود بن عبد الله بن حاجب (أبو دلهم).

(٢) ابن خزيمة في التوحيد (ص ١٨٦ ـ ١٩٠).

السنة في كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل في مسند أبيه وفي كتاب السنة وقال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عني. ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النبيل في كتاب السنة له. ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال في كتاب المعرفة. ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في كثير من كتبه. ومنهم الحافظ أبو محمد عبدالله بن محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب السنة. ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبدالله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ اصبهان. ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه. ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن اسحاق الأصبهاني، وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم. وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعاني، وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازي وأبو حاتم وأبو عبدالله محمد بن اسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم في إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبي عبدالله بن منده[1].

قلت: وقال ابن كثير بعد إيراده في الوفود: هذا حديث غريب جداً، وألفاظه في بعضها نكارة، وقد أخرجه الحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، وعبد الحق الأشبيلي في العاقبة، والقرطبي في كتاب التذكرة في أحوال الآخرة[2]. انتهى.

قلت: وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه الله تعالى:

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٦٧٣).

(٢) ابن كثير (البداية والنهاية ٥/٨٣). وقد ذكره في البعث والنشور كذلك.

قوله «تهضيب» أي تمطر. و«الأصواء» القبور. و«الشَرَبَة» بفتح الراء الحوض الذي يجمع فيه الماء. وبالسكون الحنطة، يريد أَنَّ الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها. وقوله «حس» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعي: وهي مثل أوه. وقوله: يقول عز وجل «أو أنه»، قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى نعم، والآخر أَنْ يكون الخبر محذوفاً كأَنَّه قال أَنْتم كذلك، أو أنه على ما يقول. و«الطوف» الغائط، وفي الحديث «لا يصلّ أحدكم وهو يدافع الطوف والبول». و«الجسر» الصراط. وقوله: فيقول ربك «مَهْيَم» أي ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟ وقوله «يشرف عليكم أزِلين» الأَزْل بسكون الزاي الشدة والأزِل على وزن الكتِف هو الذي قد أصابه الأَزْل واشتد به حتى كاد يقنط. وقوله «فيظل يضحك» هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته. وقد وردتْ هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك «فأصبح ربك يطوف في الأرض» هو من صفات فعله كقوله ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ**﴾ (الفجر/٢٢)، ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ المَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبّكَ**﴾ (الأنعام/١٥٣) و«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ـ ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة»[1]. والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل.

وقوله «والملائكة الذين عند ربك» لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا وحديث اسماعيل ابن رافع الطويل في الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾ (الزمر/٦٨).

وقوله «فلعمر إلهك» هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها وأَنَّها قديمة وأَنَّهُ يُطْلَق عليه منها أسماء

---

(١) تقدما في أحاديث النزول في المجلد الأول

المصادر ويوصف بها. وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر، دالة عليها. وقوله «ثم تجيء الصَّائحة» هي صيحة البعث ونفخته. وقوله «حتى يخلف من عند رأسه» هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده تشبيه النشأة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع. وقوله «فيستوي جالساً» هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكباً وإما ماشياً.

وقوله «يقول يا ربِّ أمس اليوم» استقلالاً لمدة لبثه في الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمس، أو بعض يوم فقال اليوم، يحسب أنه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم. وقوله «كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع»؟ وإقرا رسول الله ﷺ له على هذا السؤال ردٌّ على من زعم أَنَّ القوم لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأَنَّ أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعلميات. وفيه دليل أَنَّهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم. وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أما أعداؤه فللتعنت والمغالبة، وأما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجيب كلًّا على سؤاله، إلا ما لا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة. وفي هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد ما فرقها وينشئها نشأةً أخرى أو يخلقه خلقاً جديداً كما سموا في كتابه كذلك في موضعين منه، وقوله «أنبِّئك بمِثلِ ذلك في آلاء الله» آلاؤه نعمه وآياته التي تعرف بها إلى عباده، وفيه إثبات القياس في أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أَنَّ حكم الشَّيءِ حكم نظيره وأَنَّهُ سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله، فقد قَرَّرَ اللهُ سبحانه أدلة المعاد في كتابه أحسن تقرير وأبينه وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلّا تكذيباً له وتعجيزاً له وطعناً في حكمه، تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً.

وقوله في الأرض «أشرفت عليها وهي مدرة بالية» كقوله تعالى ﴿يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم/٥٠)، وقوله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (فصلت/٣٩) ونظائره في القرآن كثيرة.

وقوله «فتنظرون إليه وينظر إليكم» فيه إثبات صفة التجلي لله عَزَّ وجَلَّ وإثبات النظر له وإثبات رؤيته في الآخرة ونظر المؤمنين اليه.

وقوله «كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد» قد جاء هذا الحديث وفي قوله في حديث آخر «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ»[1] والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولاً وأصحُّ أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوعَ الرؤية عياناً برؤيةِ الشَّمْسِ والقمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذي يظنّه المعطلون.

وقوله «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم» فيه إثبات صفة اليد لله عز وجل بقوله وإثبات الفعل الذي هو النضح. و«الريطة» الملاءة. و«الحمم» جمع حممة وهي الفحمة.

وقوله «ثمَّ ينصرف نبيكم» هذا انصراف من موضع القيامة إلى الجنة.

وقوله «ويفرق على أثره الصالحون» أي يفزعون ويمضون على أثره. قوله «فتطلعون على حوض نبيكم» ظاهر هذا أنَّ الحوض من وراء الجسر فكأنَّهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر. وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «بينا أنا قائمٌ على الحَوْضِ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال لهم: هَلُمَّ، فقلت: إلى أين؟ فقال إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنَّهم ارتدُّوا على أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلَّا مثل همل النَّعم»[2] قال فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون

---

(١) رواه مسلم (٢/١١٣٦/ح ١٤٩٩) في اللعان، من حديث سعد بن عبادة. وعلقه البخاري في التوحيد ٣/٣٩٩ مجزوماً.

(٢) البخاري (١١/٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض.

في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسرٌ ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار.

قلت[1]: وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدّق بعضه بعضاً، وأصحاب هذا القول إنْ أرادوا أنَّ الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلّا بعد قطع الصراط فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم، وإنْ أرادوا أنَّ المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدلُّ عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإنَّ قوله «طوله شهر وعرضه شهر» فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعدَه، فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق والله أعلم.

وقوله «والله على أظمأ ناهلة قط» الناهلة العطاش الواردون الماء، أي يردونه أظمأ ما هم اليه، وهذا يناسب أنْ يكون بعد الصراط فإنَّه جسرُ النَّار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة.

وقوله «تحبس الشمس والقمر» أي تختفيان فتحتبسان ولا يريان، والاحتباس التواري والاختفاء، ومنه قول أبي هريرة «فانحبست». وقوله «ما بين البابين مسيرة سبعين عاماً» يحتمل أن يريد به ما بين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أنْ يريد بالبابين المصراعين، ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدهما أنَّه لم يصرح فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاماً، والثاني أنَّ المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه والله أعلم.

وقوله في خمر الجنة «ما بها صداع ولا ندامة» تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والنَّدامة على ذهابِ العقل والمال وحصول الشر الذي يوجبه زوال العقل و«ماء غير آسن» هو الذي لم يتغير بطول مكثه.

---

(١) هو قول ابن القيم رحمه الله تعالى.

وقوله في نساء الجنة «غير أن لا توالد» قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين: فقالت طائفة لا يكون فيها حبل ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه في المسند وفيه «غَيْرَ أَنْ لا منى ولا منية»[1].

وأثبتت طائفة من السلف الولادة في الجنة واحتجت بما رواه الترمذي في جامعه من حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي» قال الترمذي حسن غريب، ورواه ابن ماجه[2].

قالت **الطائفة الأولى**: هذا لا يدل على وقوع الولادة في الجنة فإنَّهُ علقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهي، وهذا تأويل اسحاق بن راهويه حكاه البخارى عنه، قالوا والجنة دار جزاء على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا والجنة دار خلود ولا موت فيها فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم، وإنَّما وسعتهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت «إذا» إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه، وقد صَحَّ أَنَّه سبحانه ينشىء في الجنة خلقاً ليسكنهم إياها بلا عمل، قالوا وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل، وأما من حيث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم، فإن أدناهم من ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام.

وقوله «يا رسولَ اللهِ أقصى ما نحن بالغون ومنتهون» لا جواب لهذه المسألة لأَنَّه إنْ أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلاّ الله، وإنْ أراد أقصى ما نحن بالغون اليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهي إليه من ذلك

---

(١) أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة (حادي الأرواح ص ١٧٩): وسنده ضعيف جداً فيه خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وهو ضعيف وله شاهد ضعيف من حديثه في مسند الحسن بن سفيان فيه علي بن زيد الألهاني فالحديث ضعيف لا يقوى بهما.

(٢) الترمذي (٤/٦٩٥/ح ٢٥٦٣) في صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، وابن ماجه (٢/١٤٥٢/ح ٤٣٣٨) في الزهد، باب صفة الجنة. وأحمد (٣/٩) والدارمي (٢/٣٣٧) وسنده جيِّد.

وإنْ كانَ الانتهاء إلى نعيمٍ وجحيم، ولهذا لم يجبه النبي ﷺ.

وقوله في عقد البيعة «وزيال المشرك» أي مفارقته ومعاداته فلا تجاوره ولا توالیه، كما جاء في الحديث الذي في السنن «لا ترأى ناراهُما»[1] يعني المسلمين والمشركين.

وقوله «حيث ما مررتَ بقبر كافر فقل: «أرسلني اليك محمد» هذا إرسال تقريع وتوبيخ، لا تبليغ أمر ونهي، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم، ودليل على أنَّ من مات مشركاً فهو في النار وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت، ولو لم يكن إلّا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل. والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/٤٥/ح ٢٦٤٥) في الجهاد، باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود والترمذي (٤/١٥٥/ح ١٦٠٤) في السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين والنسائي (٨/٣٦) في القسامة، باب القود بغير حديدة. وسنده جيد وللحديث شواهد.

فصل
[منكرو البعث على أربعة أصناف]

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف:

صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أَنَّ الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدَّهريّة والطبائعيَّة.

والصنف الثاني مِنَ الدهريَّة طائفةٌ يقال لهم الدوريَّة، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أَنَّ في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أَنَّ هذا قد تكرَّر مرات لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذَّبوا المنقول، قبحهم الله تعالى. وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ (الجاثية/٣٤) ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم ﴿**نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾ أي يموت الآباء ويحيى الأبناء هكذا أبداً، وهو قول الطائفة الأولى. والمعنى الثاني أَنَّهم عَنَوْا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازي، وهذا قول الدورية.

الصنف الثالث الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مقرون بالبداءة، وأَنَّ الله تعالى ربّهم وخالقهم ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ (الزخرف/٨٧) ومع هذا قالوا ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ**﴾ (الدخان/٣٥) فأقروا بالبداءة والمبدىء، وأنكروا البعثَ والمعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح «وأما تكذيبُه إيَّايَ فقوله لَنْ يعيدني كما بدأني، وليس أوَّل الخلقِ بأهونَ عليَّ مِنْ إعادته»[1].

والصنف الرابع ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على ما في

---

(١) تقدم قبل قليل.

القرآن ولا فيما أخبَرَتْ به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أَنَّ هذا العالم يعدم عدماً محضاً، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذٍ تكون الأرض التي تحدِّث أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون الأجساد التي تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة ولا أَنَّها تحولت من حال إلى حال، بل هي غيرها تبتدأ ابتداءً محضاً، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أَنَّ المعادَ بداءة أخرى! وما أحسنَ ما قاله ابنُ القيِّم رحمه الله فيهم في كافيته:

وقضى بأَنَّ الله يجعل خلقه ... عدماً ويقلبه وجوداً ثاني
العَرْشُ والكرسيُّ والأرواحُ والـ ... أملاكُ والأفلاكُ والقمرانِ
والأرض والبحر المحيط وسائر الـ ... أكوانِ من عرض ومن جثمانِ
كلٌّ سيفنيه الفناءُ المحض لا ... يبقى له أثر كظلٍّ فانِ
ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً ... محض الوجود إعادة بزمانِ
هذا المعاد وذلك المبدأ لدى ... جَهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابن سينا والألىٰ ... قالوا مقالتَهُ إلى الكفرانِ
لم تقبل الأذهانُ ذا وتوهَّموا ... أَنَّ الرسولَ عناهُ بالإيمانِ
هذا كتابُ اللهِ أَنَّى قال ذا ... أو عبدهُ المبعوثُ بالبرهانِ
أو صحبه مِنْ بعده أو تابع ... لهمو على الإيمانِ والاحسانِ
بل صرَّح الوحيُ المبين بأَنَّهُ ... حقّاً مغيِّر هذه الأكوانِ
فيبدِّلُ اللهُ السَّماواتِ العُلى ... والأرضَ أيضاً ذان تبديلانِ
وهما كتبديل الجلود لساكني النِّيران عِنْد النُّضج مِنْ نيرانِ
وكذاك يقبض أرضَهُ وسماءَهُ ... بيديه ما العدمان مقبوضانِ
وتحدِّثُ الأرضُ التي كنَّا بها ... أخبارَها في الحَشْرِ للرحمنِ
وتظل تشهد وهي عَدْل بالذي ... مِنْ فوقها قَدْ أحدث الثقلانِ
أفيشْهد العدم الذي هو كاسمه ... لا شيء هذا ليس في الإمكانِ
لكن تسوّى ثم تبسط ثم تشهد ثُمَّ تبدل وهي ذاتُ كيانِ

وتمدُّ أيضاً مثل مَدِّ أديمنا ... مِنْ غير أوديةٍ ولا كثبانِ
وتقيءُ يَوْمَ العرض مِنْ أكبادِها ... كالاسطوان نفائسُ الأثمانِ
كلٌّ يراهُ بعينه وعيانه ... ما لامرىء بالأخْذِ مِنْهُ يدانِ
وكذا الجبالُ تُفَتُّ فَتّاً محكماً ... فتعود مثل الرَّمْلِ ذي الكثبانِ
وتكونُ كالعهن الذي لو أنَّهُ ... وصباغه مِنْ سائِرِ الألوانِ
وتُبَسُّ بَسّاً مثل ذاك فتنثني ... مثل الهباءِ لناظرِ الإنسانِ
وكذا البحارُ فإنَّها مسجورةٌ ... قد فُجِّرت تفجير ذي سلطانِ
وكذلك القمرانِ يأذَنُ رَبُّنا ... لهما فيجتمعانِ يلتقيانِ
هذى مكوَّرة وهذا خاسف ... وكلاهما في النَّار مطروحانِ
وكواكِبُ الأفلاكِ تنثر كلُّها ... كالآليء نُثِرَتْ على ميدانِ
وكذا السماءُ تُشَقُّ شقاً ظاهراً ... وتمورُ أيضاً أيَّما موران
وتصيرُ بعد الانشقاقِ كمثل هذا المُهْل أو تلك وردة كدهانِ
والعرش والكرسي لا يفنيهما ... أيضاً وإنَّهما لمخلوقانِ
والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى وما فيها مِنَ الولدانِ
ولأَجْل هذا قال جهمٌ إنَّها ... عَدَمٌ ولم تخلق إلى ذا الآنِ
والأنبياءُ فإنَّهم تحت الثَّرى ... أجسادهم حُفِظتْ من الدِّيدانِ
ما للبلى بلحومهم وجسومهم ... أبداً وهم تحت التُّراب يدانِ
وكذاك عجب الظَّهْرِ لا يبلي بلى ... منه تركب خلقة الإنسانِ
وكذلك الأرواح لا تبلى كما ... تبلى الجسومُ ولا بلى اللحمانِ
ولأجل ذلك لم يقر الجهمُ ما ... الأرواح خارجةٌ عن الأبدانِ
لكِنَّها من بعضِ أعراضٍ بها ... قامَتْ وذا في غايةِ البُطلانِ
فالشَّأْنُ للأرواحِ بعد فراقها ... أبدانها والله أعظم شانِ
إمَّا عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ ... قد نعمت بالرُّوحِ والرَّيحانِ
وتصيرُ طيراً سارِحاً مع شكلها ... تجني الثمار بجنَّةِ الحيوانِ
وتظلُّ واردة لأنهارٍ بها ... حتى تعودَ لذلك الجثمانِ
لكنَّ أرواحَ الذين استُشْهدوا ... في جَوْف طيرٍ أخضر رِيَّانِ

فلهم بذاك مزية في عيشهم ونعيمهم للروحِ والأبدانِ
بذلوا الجسومَ لربِّهم فأعاضهم أجسام تِلْكَ الطيرَ بالإحسانِ
ولها قناديلٌ إليها تنتهي مأوى لها كمساكنِ الإنسانِ
فالروحُ بعد الموتِ أكملُ حالةٍ منها بهذى الدارِ في جثمانِ
وعذاب أشقاها أشدَّ مِنَ الذي قد عاينتْ أبصارُنا بعيانِ
والقائلونَ بأَنَّها عرض أبوا ذا كله تباً لذي نكرانِ
وإذا أرادَ اللهُ إخراج الورى بعد الممات إلى المعادِ الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها واللهُ مقتدِرٌ وذو سلطانِ
مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً عشراً وعشراً بعدها عشرانِ
فتظلُّ تنبت منه أجسام الورى ولحومهم كمنابتِ الرَّيحانِ
حتَّى إذا ما الأم حانَ ولادُها وتمخَّضتْ فنِفاسُها متدانِ
أوحى لها ربُّ السَّما فتشقَّقتْ فبدا الجنينُ كأكملِ الشُّبانِ
وتخلت الأم الولودُ وأخْرجتْ أثقالُها أنثى ومن ذكرانِ
واللهُ ينشئُ خلقه في نشأةٍ أخرى كما قد قال في القرآنِ
هذا الذي جاءَ الكتابُ وسنَّةُ الهادي به فاحرص على الإيمانِ
ما قال إنَّ الله يعدم خلقه طرّاً كقولِ الجاهلِ الحيرانِ

قوله «هذا المعاد وذلك المبدأ لدى جهم» تقدم تقريره وتقدم ترجمة جهم وبيان مذهبه وعمن أخذه ومن أخذ عنه. وقوله «وهو الذي قاد ابن سينا» هو أبو علي بن سينا واسمه الحسن بن عبدالله، وهو رئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم، له كتاب الإشارات الذي هذب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلاً إلى الأديان، وكان ـ فيما ذكر ابن القيم ـ يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور، وكان ابن سينا هذا تفقّه مذهب الفلاسفة من كتب الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي هذا قبّحه الله يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالي في تهافت الفلاسفة في

عشرين مجلساً له كفَّره في ثلاث منها وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقوله إنَّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي. قال ابن كثير ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم. قوله رحمه الله «والألى قالوا مقالته إلى الكفران» يعني بذلك أتباع ابن سينا وأنصار زندقته ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسي واسمه محمد بن عبدالله ويقال له الخواجا نصير الدين، فإنَّه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذب عنه وقام في ذلك وقعد وشرح إشاراته وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة، ويسمى كتاب الله تعالى قرآن العامة، ورد على الشهرستاني في مصارعته ابن سينا بكتاب سماه مصارعة المصارع، قال ابن القيم: وقفنا على الكتابين، نصر فيه أنَّ الله تعالى لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنَّه لا يعلم شيئاً، وأنَّه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور. وذكر عنه أنَّه تعلم السحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام، إلى أن قال: وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. قلت وكان الطوسي هذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيراً لهولاكوخان وهو الذي بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم ونقل إليها أوقافَ المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: إنَّه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمائة فعمِل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد في اليوم والليلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم. وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام عليه فليراجَع. وأما هولاكوخان ملك التتار الذي كان الطوسي وزيراً له فذكر ابن كثير هلاكه في سنة أربع وستين وستمائة وقال: كان ملكاً جبَّاراً كفاراً لعنة الله تعالى، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلاّ الذي خلقهم وسيجازيه على ذلك شر الجزاء. كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق. وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة. وهو كان يترامى على محبة المعقولات ولا يتصور منها شيئاً.

وإنما كان همته في تدبير الملك وتملك البلاد شيئاً فشيئاً حتى أبـاده الله في هذه السنـة وقيل في سنـة ثلاث وستين ودفن في مـدينـة تـلا[1]. لا رحمـه الله تبـارك وتعالى.

وقول ابن القيم رحمه الله:

بـل صَرَّح الـوحيُ المبين بأَنَّـهُ حقّـاً مغيِّـرُ هـذهِ الأكـوانِ الـخ

يشيـر بـذلـك إلى قـول الله عـز وجـل ﴿**يَـوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْضِ والسَّمَوَاتُ**﴾ (ابراهيم/٤٨) الآيات، وإلى ما في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهـلِ بن سعد رضي الله عنـه قال: قـال رسولُ اللهِ ﷺ «يحشـرُ النَّاسُ يـومَ القيامة على أرضٍ بيضاء عفراء كقرصةِ النَّقى ليس فيها معلم لأحد»[2].

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «تكونُ الأرضُ يَوْمَ القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبارُ بيده كما يتكفأ أحـدكم خبزتـه في السفر نزلاً لأهل الجنة»[3].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أَنَّها قالت: أنـا أَوَّل الناس سـأل رسـولَ اللهِ ﷺ عن هـذه الآيـة ﴿**يَـوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَيْـرَ الأَرْضِ وَالسَّمَـوَاتُ**﴾ (ابراهيم/٤٨) قالت قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال «على الصراط»[4].

وفيه من حديث اليهودي الذي سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تُبدَّلُ

---

(١) البداية والنهاية (١٣/٢٤٨).

(٢) رواه البخاري (١١/٣٧٢) في الرقـاق، باب يقبض الله الأرض، ومسلم (٤/٢١٥٠/ح ٢٧٩٠) في صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة.
والنّقي: الخبز الحوارى كما قال أبو عبيد.

(٣) رواه البخاري (١١/٣٧٢) في الرقاق، باب يقبض الله الأرض ومسلم (٤/٢١٥١/ح ٢٧٩٢) في صفات المنافقين، باب نزل أهل الجنة.

(٤) رواه مسلم (٤/٢١٥٠/ح ٢٧٩١) في صفات المنافقين، باب في البعث والنشور.

الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ «هم في الظلمة دون الجسر»[1] الحديث.

ولابن جرير الطبري رحمه الله تعالى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ حبراً من اليهود سأل النبي ﷺ فقال: أرأيتَ إذ يقول اللهُ تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (ابراهيم/٤٨) فأين الخلق عند ذلك؟ فقال «أضياف الله، فلن يعجزهم ما لديه[2]»، ورواه ابن أبي حاتم أيضاً.

وفي حديث الصور الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّه قال «يبدل الله الأَرْض غير الأَرْضِ والسَّموات فيبسطها ويمدها مدَّ الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا. ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة»[3] وهذا هو الذي أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله: وتمد أيضاً مثل مد أديمنا الخ البيت. وقوله: وهما كتبديل الجلود لساكني النيران إلى آخر، يشير إلى قول الله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ (النساء/٥٦) ووجْهُ المشابهة بين التبديلين أَنَّ جلودَ الكفار كلما احترقت قيل لها عودي فعادت كما كانت، ومعنى قوله «غيرها» أي صارت غيرها لعودها بعدما نضجت واحترقت، وإلّا فهي هي التي عملت المعاصي في الدنيا وبها تجازى في الآخرة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما يبدِّلون جلوداً بيضاً أمثال القراطيس، يعني تجدد لهم الجلود التي نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبداً والعياذ بالله، وكذلك تبديل الأرض والسموات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهي هي. والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٥٢/ح ٣١٥) في الحيض، باب بيان صفة مَنِيّ الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣/٢٥٣) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٢/٥٦٣) وسنده ضعيف جداً فيه أبو بكر ابن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف وسعيد بن ثوبان الكلاعي ترجمه له ابن أبي حاتم (٢/١/٩) وبيّض له.

(٣) سيأتي بتمامه وتخريجه.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذلك يقبض أرضه وسماءه بيديه الخ. يشير إلى قول الله تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء/١٠٤) وقوله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (الزمر/٦٧). وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ مِنَ الأحبار إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا محمَّد إنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ عز وجل يجعل السَّمَوَاتِ على إصبع، والأرضينَ على إصبع، والشجر على إصبع، والماءَ والثَّرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع فيقول أنا الملك. فضحك رسولُ اللهِ ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسولُ اللهِ ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ (الزمر/٦٧)[1] الآية.

وللإمام أحمد والترمذي رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ يهوديٌّ برسولِ الله ﷺ وهو جالسٌ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذِه؟ وأشار بالسبابة، والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، كل ذلك ويشير بأصابعه، قال فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر/٦٧)[2] الآية.

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «يَقبِضُ الله تعالى الأرض ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوكُ الأرضِ»[3] وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن

---

(١) رواه البخاري (٨/٥٥٠ ـ ٥٥١) في الرقاق، باب قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره)، ومسلم (٤/٢١٤٧/ح ٢٧٨٦) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنَّة والنار.

(٢) رواه أحمد (ح ٢٢٦٧ نسخة أحمد شاكر) والترمذي (٥/٣٧١/ح ٣٢٤٠) في التفسير، باب ومن سورة الزمر وقال: حسن غريب صحيح. لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وفي سند أحمد حسين بن حسن الأشقر وهو ضعيف وتابعه عند الترمذي محمد بن الصلت. فالحديث صحيح.

(٣) رواه البخاري (٨/٥٥١) في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى: (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة) ومسلم (٤/٢١٤٨/ح ٢٧٨٧) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

رسولِ اللهِ ﷺ قال «إنَّ الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على اصبع وتكون السَّمَوَاتُ بيمينه ثم يقول أنا الملك»[1]. وفي لفظ لمسلم «يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك ـ ويقبض أصابعه ويبسطها ـ أنا الملك، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرَّك من أسفل شيءٍ منه حتى إنِّي لأقول أساقطٌ هو برسولِ اللهِ ﷺ»[2]، ولفظ أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال «إنَّ رسولِ اللهِ ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ (الزمر/٦٧) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرَبُّ نفسه، أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملكُ أنا العزيزُ أنا الكريمُ، فرجف برسولِ اللهِ ﷺ المنبرُ حتى قلنا ليخرنَّ به»[3].

ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوي اللهُ السَّمَواتِ السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السَّبع بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كله بيمينه يكونُ ذلك كله في يده بمنزلة خردلةٍ[4].

وقوله رحمه الله تعالى «وتحدِّث الأَرْضُ التي كنا بها، أخبارها الخ» يشير إلى قوله تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾ (الزلزلة/٤ ـ ٥) وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ (الزلزلة/٤) قال «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلم. قال: فإنَّ أخبارها أَنْ تَشهَدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عمل على ظهرها، أنْ تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا. فهذه أخبارُها» ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب[5].

---

(١) البخاري (١٣/٣٩٣) في التوحيد، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي). ومسلم (٤/٢١٤٨/ح ٢٧٨٨) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٢) مسلم (٤/٢١٤٨/ح ٢٧٨٨) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) أحمد (٢/٧٢) وسنده على شرطيهما.

(٤) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ (الدر المنثور ٧/٢٤٨).

(٥) رواه أحمد (٢/٣٧٤) والترمذي (٥/٤٤٦/ح ٣٣٥٣) في التفسير، باب ومن سورة إذا زلزلت الأرض، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي أَنَّ رسول الله ﷺ قال: تحفظوا من الأَرْضِ فإِنَّها أُمُّكُمْ، وإِنَّه ليس من أحدٍ عامل عليها خيراً أو شرّاً إلا وهي مخبرة»[1] وقال البخاري رحمه الله تعالى: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد. وكذا قال ابن عباس. وعنه رضي الله عنه قال: قال لها ربها قولي فقالت: وقال مجاهد: أوحى لها أي أمرها.

وقوله رحمه الله تعالى:

وتقيءَ يوم العَرض من أكبادها كالأسطوانِ نفائس الأثمانِ

كل يراه بعينه الخ. يشير إلى قول الله عز وجل ﴿**وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا**﴾ (الزلزلة/٢) وإلى ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «تُلقي الأَرْضُ أفلاذ كبدها أمثال الأُسطوان من الذهب والفضة، فيجيءُ القاتل فيقول في هذا قُتِلت، ويجيءُ القاطع فيقول في هذا قطعتُ رحمي، ويجيءُ السارقُ فيقول في هذا قُطعتْ يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً[2].

وقوله «وكذا الجبال تفت فتاً محكماً الخ» يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً، فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمتاً**﴾ (طه/١٠٦) وقوله عز وجل ﴿**وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ (النمل/٨٨) الآية، وقوله عز وجل ﴿**وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثاً**﴾ (الواقعة/٥ ـ ٦) وقوله عز وجل ﴿**وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ**﴾ (المعارج/٩) وفي سورة القارعة ﴿**كَالعِهْنِ المَنْفُوشِ**﴾ (القارعة/٥) وقوله عز وجل

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٥/٦٥/ح ٤٥٩٦). وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف وربيعة الجرشي مختلف في صحبته.

(٢) رواه مسلم (٢/٧٠١/ح ١٠١٣) في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾ (المزمل/١٤) وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ (المرسلات/١٠) وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (التكوير/٣) وقوله عز وجل ﴿وَسُيِّرَتْ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ (النبأ/٢٠) وقوله عز وجل ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ (الحاقة/١٤) وقوله عز وجل ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف/٤٧) وما في معانيها من الآيات. قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل رجل من ثقيف رسولَ الله ﷺ: كيف تكونُ الجبالُ يَوْمَ القيامة؟ فأَنْزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ﴾[1] أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ (طه/١٠٥) أي يذهبها عن أماكنها ويسيِّرها تسييراً فيذرها أي الأرض قاعاً صفصفاً أي بسطاً واحداً، والقاع هو المنبسط المستوى من الأرض والصفصف الأملس ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أمتاً﴾ (طه/١٠٧) أي لا ترى في الأرض يومئذٍ وادياً ولا رابية ولا صدعاً ولا أكمة ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً. كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله تعالى. وقوله تعالى ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي قائمة واقفة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (النمل/٨٨) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، قال البغوي رحمه الله تعالى: وذلك أَنَّ كُلَّ شيء عظيم وكُلَّ جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر. وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم في قوله تعالى ﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّاً﴾ (الواقعة/٥): أي فتتت فتاً. وقال عطاء ومجاهد ومقاتل: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسدِّي: كسرت كسراً. وقال الكلبي: سُيِّرَتْ على وجه الأرض تسييراً. وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت. ونظيرُها ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾ (طه/١٠٥) وقال ابن كيسان:

---

(١) ذكره البغوي من غير إسناد (معالم التنزيل ٤/٣١) ولم أجده في غيره.

جعلت كثيباً مهيلاً بعد أَنْ كانت شامخة طويلة، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾ (الواقعة/٦): غباراً متفرقاً كالذي يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء. وقال أبو اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه ﴿هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾: كوهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء[1].

وقال العوفي عن ابن عباس: الهباء يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئاً[2].

وقال عكرمة: المنبثّ الذي قد ذرته الريح وبثّته. وقال قتادة: هباءً منبثاً، كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح، وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك والسدّي: العهن الصوف، وقال البغوي: كالصوف المصبوغ، ولا يقال عِهن إلا للمصبوغ. وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف. وقال: المنفوش المندوف. وقال ابن كثير: المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق. وقال في قوله ﴿كَثِيباً مَهِيلاً﴾: أي تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء. وقال البغوي: رملاً سائلاً. قال الكلبي: هو الرمل الذي إذا أخذت منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه. وقال ﴿نُسِفَتْ﴾ قلعت من أماكنها. وقال ابن كثير: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر. وقال في ﴿فَكَانَتْ سَرَاباً﴾: أي يخيل إلى النَّاظر أَنَّها شيء، وليس بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر. وقال في ﴿وَتَسِيرُ الجِبَالُ﴾: تذهب عن أماكنها وتزول. ﴿وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾ (الكهف/٤٧) أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يواري أحداً، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية. قال مجاهد وقتادة ﴿وَتَرَى الأرضَ بارِزَةً﴾ (الكهف/٤٧): لا حجر فيها ولا غيابة. وقال قتادة أيضاً: لا بناء ولا شجر. وقال البغوي: ﴿فدكتا﴾ كسرتا ﴿دكّة﴾ كسرة

---

(١) الحارث هو الأعور: متّهم مع ضعفه. وأبو اسحق هو السبيعي.

(٢) العوفي هو عطيّة: ضعيف.

﴿واحدة﴾. قال: وأول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً، ثم عِهناً منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذا البحار فإنها مسجورة، قد فجرت الخ، يشير إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير/٦) وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ (الانفطار/٣) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: فجر الله تعالى بعضها في بعض[1]. وقال الحسن: فجر الله تعالى بعضها في بعض فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها. وقال الكلبي: ملئت. وقوله تعالى ﴿سُجِّرَتْ﴾ قال ابن عباس: أوقدت فصارت ناراً تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعني فجر بعضها في بعض، العذب والملح، فصارت كلها بحراً واحداً. وقال الكلبي: ملئت. وقيل: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: يبست. وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة. والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها في بعض فتمتلىء ثم تسجر ناراً فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابن القيم رحمه الله تعالى بينهما فقال «مسجورة قد فجرت» والله تعالى أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك القمران يأذَنُ ربُّنا لهما فيجتمعان» الخ، يشير إلى قول الله عز وجل ﴿وَخُسِفَ الْقَمَرُ ـ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة/٨ ـ ٩) وقوله ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١) خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه. ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة/٩) أي صارا أسودين مكوَّرين كأنهما ثوران عقيران. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١): أظلمت. وقال العوفي عنه: ذهبت. وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: ذهب ضوؤها. وقال سعيد بن جبير: كوّرت غورت. وقال ربيع بن خيثم: رمى بها. وقال أبو صالح: ألقيت. وعنه أيضاً: نكست. وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض. وقال ابن جرير: والصواب عندنا من القول في ذلك أنَّ التكويرَ جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير

---

(١) علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفَّت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها. ولابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١) قال: يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله تعالى ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً. وكذا قال عامر الشعبي. ولابن أبي حاتم عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (التكوير/١) قال «كُوِّرَتْ في جَهَنَّم»[1] وللبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ «الشَّمس والقمر يُكوَّران يَوْمَ القيامة»[2]. وللبزار عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «إِنَّ الشَّمس والقمر ثوران في النار عقيران يَوْمَ القيامة»[3].

وقوله رحمه الله تعالى «وكواكب الأفلاك تنثر كلها الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (التكوير/٢) وقوله تعالى ﴿وَإِذَا الكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ (الانفطار/٢)، وقوله تعالى ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (المرسلات/٨) أي محى نورها وذهب ضوؤها. وانكدرت: تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض. يقال انكَدَرَ الطائر إذا سقط عن عشه. قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً وتمور» الخ، يشير إلى

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٤/٥٠٧) وسنده ضعيف فيزيد تابعي أرسله ولم أجد من ترجم لابنه..

(٢) البخاري (٦/٢٩٧) في بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر.

(٣) وهم الشيخ بنسبة الحديث للبزار من رواية أبي هريرة إذ مصدر الشيخ هو تفسير ابن كثير كعادته في أغلب كتابه هذا فالحديث عنده من رواية أبي يعلى من حديث أنس وهو كذلك في أصله في مسند أبي يعلى (٧/١٤٨/ح ٤١١٦) وفي سنده يزيد الرقاشي وهو ضعيف ودُرُست بن زياد قال ابن حبان: منكر الحديث. ورواه الطيالسي برقم (٢٢٨٨) والطحاوي في مشكل الآثار (١/٦٧) وابن حبان في المجروحين (١/٢٩٣). والحديث ثابت دون قوله عقيران وأما أنهما في النار فقد ثبت من حديث أبي هريرة عند البزار (ابن كثير ٤/٥٠٧) وعند الطحاوي في مشكل الآثار (١/٦٦ - ٦٧) بسند صحيح.
وأما أنهما يكوران فقد ثبت ذلك عند البخاي كما تقدم.

قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ (الانشقاق/١) وقوله تعالى ﴿وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (الحاقة/١٦) وقوله ﴿يَوْمَ تَشَقَّقَ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ﴾ (الفرقان/٢٥) وقوله عز وجل ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل/١٨) وقوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ (الانفطار/١) وقوله تعالى ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (التكوير/١١) وقوله عز وجل ﴿إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (المرسلات/٩) وقوله تعالى ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ (النبأ/١٩) وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً﴾ (الطور/٩) وقوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهلِ﴾ (المعارج/٨) وقوله ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (الرحمن/٣٧) وقوله ﴿انشقت﴾: أي صارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فكانت وردة﴾ عن ابن عباس: تغير لونها، وعنه قال كالفرس الورد. وقال أبو صالح: كالبرذون الورد. وحكى البغوي وغيره أَنَّ الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد اغبرَّ لونها، فشبَّه السَّمَاءَ في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه. ﴿كالدهان﴾ قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع: هو جمع دهن، شبّه السماء في تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وقال عطاء بن أبي رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً، وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي، وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب. وذلك حين يصيبها حر جهنم. وقال ابن عباس والكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه دهنة ودهن. وقال عطاء الخراساني: كلون الدهن في الصفرة، وقال قتادة: هي اليوم خضراء ويومئذٍ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان، وقال ابن كثير رحمه الله: تذوبُ كما يذوب الدرديُّ والفضّةُ في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شِدَّةِ الأمر وهول يوم القيامة العظيم. وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم»[1] قال الجوهري: الطش المطر الضعيف.

---

(١) رواه أحمد (٣/٢٦٧) وأبو يعلي (٧/٩٩/ح ٤٠٤١) قال الهيثمي: وفيه عبد الرحمن بن أبي الصهباء ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً، وبقية رجاله ثقات (المجمع ١٠/٣٣٨). وقلت: =

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً﴾ (الطور/٩). قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكاً، وعنه: هو تشققها. وقال مجاهد: تدور دوراً، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنَّه التحرك في استدارة. وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض، وقيل تضطرب، وقال البغوي: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال: والمور يجمع هذه المعاني كلها: فهو في اللغة الذهاب والمجيء، والتردد والدوران، والاضطراب. وقال تعالى ﴿وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ، وَالمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ (الحاقة/١٦) عن علي قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم، والملك اسم جنس ـ أي الملائكة ـ على أرجاء السماء، قال ابن عباس على ما لم ير منها أي حافاتها. وكذلك قال سعيد بن جبير والأوزاعي، وقال الضحاك: أي أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض. وقوله تعالى ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ (المزمل/١٨): متشقق. قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله، و﴿فرجت﴾ قال ابن كثير: أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها.

وقوله رحمه الله «والعرش والكرسي لا يفنيهما الخ» وكذا قوله «والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى الخ» يعني أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها في مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتي ذكر ما تيسر منها. وقد جاء في تفسير قوله ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ (الزمر/٦٨): إن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب، وقد قال الإمام أحمد في ذلك: إنه هو اعتقاد السلف الصالح. قال فإن احتج مبتدع بقوله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه﴾ (القصص/٨٨) و﴿كُلُّ

= وكذا صنع البخاري في تاريخه ولم يوثقه إلا ابن حبان فسنده ضعيف.

﴿مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن/٢٦) قيل إنَّ المراد كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فان. ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور في سورة الزمر، وأيضاً فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت. وكذا جاء في العرش أنَّ الله يأمره أنْ يأخذ الصُّور من إسرافيل عليه السلام عند موته كما في حديث الصور الطويل. وقوله «ولأجل هذا قال جهم إنها عدم الخ» يعني أن لجهم إلحاداً في آيات الله جميعها، فكما ألحد في آيات الأسماء والصفات ألحد أيضاً في آيات الوعد والوعيد، وجحد وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما وقضى أيضاً بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتي إن شاء الله. وقوله رحمه الله:

والأنبياءُ فإنَّهم تحت الثّرى أجسادهم حُفِظَتْ مِنَ الديدان الخ

يشير إلى ما في السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ أفضلَ أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِق آدمُ، وفيه قبض، وفيه النَّفخة، وفيه الصَّعقة. فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ قال يقولون: بليت. قال: إنَّ الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

وقال ابن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ «أكثروا عليَّ من الصَّلاةِ يوم الجمعة فإنَّه يومٌ مشهودٌ تشهده الملائكة، وإنَّ أحداً لا

(١) رواه أحمد (٤/٨)، وأبو داود (١/٢٧٥/ح ١٠٤٧) في الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، والنسائي (٣/٩١ و٩٢) في الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وابن ماجة (١/٣٤٥/ح ١٠٨٥) في إقامة الصلاة، باب في فضل يوم الجمعة، والدارمي (١/٣٦٩) في الصلاة، باب في فضل الجمعة، وابن حبان (٢/١٣٢) والحاكم في المستدرك (٤/٥٦٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقد صححه الدارقطني والنووي.

يصلي عليَّ إلَّا عرضت عليَّ صلاتـه حتى يفرغ. قـال: قلت وبعد المـوت؟ قال إنَّ الله حـرَّم على الأرض أن تأكـل أجساد الأنبيـاء»[1]، ورواه ابن ماجـه بـإسنـاد جيـد، وفي رواية للطبـراني «ليس من عبدٍ يصلِّي عليَّ إلّا بلغني صـلاته. قلنـا: وبعد وفاتـك؟ قال: وبعـد وفاتي، إنَّ الله عَـزَّ وجَلَّ حـرَّم على الأرض أن تأكـل أجساد الأنبياء»[2].

والأحاديث في بلوغ صلاتنا إليه، وعرض أعمالنـا عليه كثيـرة جداً، وبعضهـا في الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد.

وقد ثبت أيضاً في أجسـاد الشهداء أنَّهـا لا تبلى فكيف بأجسـاد الأنبياء، كمـا قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال «لما حضر أُحُد دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلا مقتـولاً في أوّل من يُقْتل من أصحـاب النبي ﷺ، وإنِّي لا أترك بعـدي أعز عليَّ منك غير نفس رسولِ اللهِ ﷺ، وإنَّ عليَّ ديناً فاقضِه واستوص بأخواتك خيراً. فأصبحنا وكان أوّل قتيل، فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هُنَيَّة غير أذنه»[3].

ولأصحاب السنن عنه رضي الله عنـه من حديث طـويل، وفيـه: «فبينا أنـا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل فقال: يا جابـر بْنَ عبدالله، والله لقـد أثار أباك عمّال معاوية فبدأ فخرج طائفـةٌ منه، فـأتيته فـوجدتـه على النحو الـذي دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل»[4].

---

(١) رواه ابن ماجه (١/٥٢٤/ح ١٦٣٧) في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، قال البوصيري: هذا إسناد رجال ثقات إلا أنه منقطع في موضعين عبادة بن نسي روايتـه عن أبي الدرداء مرسلة قالـه العـلائي وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسلة قـاله البخـاري مصباح الـزجـاجـة (١/٥٤٥) قلت: فقـول المصنف اسناده جيـد ليس بجيـد. وهـو قـد أخـذه من قـول المنـذري في الـترغيب والترهيب (٢/٥٠٣). ولكن يشهد له الذي قبله.

(٢) لم أجده فإن كان من رواية أبي الدرداء فالجزء الذي فيه مفقود من الكبير. ومعنى الحديث صحيح لما تقدم.

(٣) البخاري (٣/٢١٤) في الجنائز، باب هل يُخرج الميت من القبر واللحد لعلّه؟

(٤) وهم الشيخ بنسبة هذا الحديث لأصحاب السنن تبعاً لما في المطبـوع من البدايـة والنهايـة (٤/٤٣)=

وللبيهقي عنه رضي الله عنه عنه قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً»[1]. وفي رواية ابن إسحاق عنه قال «فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس»[2].

وذكر الواقدي أَنَّ معاوية لما أراد أن يجري العين نادى مناديه: مَنْ كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفر عنهم فوجدت أبي في قبره كأَنَّما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره في قبره ـ عمرو بن الجموح ـ ويده على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً. ويقال إنَّه فاح من قبورهم مثل ريح المسك، رضي الله عنهم أجمعين، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا[3]. وفي ذلك آثار كثيرة.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذاك عجب الظهر لا يبلى الخ»، يشير إلى حديث أبي هريرة المتقدم قريباً وفيه «وليس من الإنسان شيء إلا سيبلي، إلا عظماً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[4].

وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك الأرواح لا تبلى الخ» يشير إلى ما تقدم ذكر بعضه قريباً من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أَنَّ الأرواح ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة، بل هي حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها

= فقد ذكر أنه من رواية نبيح العنزي عن جابر وليس كذلك في السنن فالذي في السنن من روايته الحديث المختصر (أمر النبي ﷺ بقتلى أحد أن يردوا الى مصارعهم) انظر مختاراً (تحفة الأشراف ح ٣١١٧) وأما هذه الرواية فقد رواها البيهقي في دلائل النبوة (٣/٢٩٢ ـ ٢٩٣) من روايته كذلك ونبيح قال عنه الحافظ مقبول. قلت وثقه عِدَّة أبو زرعة وابن حبان والعجلي والترمذي فحديثه حسن إن شاء الله تعالى.

(١) البيهقي في دلائل النبوءة (٣/٢٩١) وسنده حسن. إلا أن فيه ذكر خبر حمزة من غير سند من قول حماد بن زيد: وزادني صاحب لي في الحديث: وذكره.

(٢) مغازي ابن اسحق (دلائل النبوة للبيهقي ٣/٢٩١ والبداية والنهاية ٤/٤٣) وفيه رجل مبهم.

(٣) الواقدي (دلائل النبوة ٣/٢٩٣ والبداية والنهاية ٤/٤٣) وفيه مجاهيل مع ما في الواقدي من كلام.

(٤) تقدم تخريجه سابقاً.

فيه ويفسد بخروجها منه، وهي النسمة التي يموت الإنسان بخروجها من جسده، وأنَّها لها حقيقة، وأنَّها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط، وأنَّها بعد مفارقتها الجسد إمَّا أن تنعم أو تُعذَّب، وإمَّا أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله، أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سجين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمد، وأنَّها تجمع في الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا أمره الله، فتطير كل روحٍ إلى جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا حتى تدخله وتدب فيه دبيب السم في اللديغ حتى يقوم بشراً سويّاً، وأنَّها بعد خروجها من الجسد تُكَلَّم وتتكلم وتُسأل وتُجيب وتُخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وأما كيفية الروح وكنهها فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه، ولهذا لما سألت اليهودُ النبي ﷺ عنه أنزل الله تعالى جوابهم ﴿**قُلُ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾ (الإسراء/٨٥)[1]. وقوله رحمه الله تعالى:

ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما ... الأرواحُ خارجةٌ مِنَ الأبدانِ

ولكنها من بعض أعراض بها الخ».

يعني أنَّ مذهب الجهم في الروح هو مذهب الفلاسفة الحائرين أنَّ الروحَ ليست شيئاً يقوم بنفسه بل عرض والعرض في اصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا يستقر، فمنزله الروح عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من المبصر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصر والسمع والذات التي يقوم بها موجودة، فجحدوا أنَّ لكون النفس التي هي الروح شيئاً قائماً بنفسه، وأنَّه ينفخ في الجنين في بطن أُمِّه بعد الأربعين الثالثة، وأنَّ ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ التِي قَضَى عليها المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ (الزمر/٤٢)، وجحدوا كونها شيئاً يساق وينزع عند الموت ويعرج بها إلى الله عز وجل فيفتح لها أبواب السماء إن كانت محسنة أو تغلق دونها إنْ

---

(١) رواه البخاري (١/٢٢٣) في العلم، باب قول الله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً) وفي مواطن عدّة ومسلم (٤/٢١٥٢/ح ٢٧٩٤) في صفات المنافقين، باب سؤال اليهود عن الروح من حديث ابن مسعود.

كانت مسيئة، ولا أنَّ روح الأنبياء والمؤمنين في الرفيق الأعلى وأرواح الكفار في سجين، فكذَّبوا بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله، فضلّوا مِنْ قبل وأضلُّوا كثيراً وضلُّوا عن سواء السبيل.

وقوله رحمه الله تعالى:

«فالشأنُ للأَرْوَاحِ عند فراقها أبدانها والله أعظم شانِ»

يعني أنه أعظم شأناً من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبر عياناً، والغيب شهادة والمستور مكشوفاً، والمخبأ ظاهراً، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم اليقين كعين اليقين، فالمصدق يرى ويجد مصداق ما جاء به النص كما علمه وتيقنه فيزداد بشرى وفرحاً وسروراً، والمكذب يرى ويجد حَور تكذيبه بذلك، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره، وكل يفضي إلى ما قدم.

وقوله «إمَّا نعيم أو عذاب الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿**فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ، فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ**﴾ (الواقعة/٨٨ ـ ٩٦) سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وغير ذلك مما في معناه من الآيات. وقدمنا منها جملة وقدمنا من الأحاديث في أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حد التواتر، فليرجع اليه، ولله الحمد والمنّة.

وقوله رحمه الله «وتصير طيراً سارحاً مع شكلها الخ» يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالأئمة «نسمة المؤمن طائِرٌ يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»[1].

---

(١) رواه أحمد (٣/٤٥٥)، والترمذي (٣/١٧٦/ح ١٦٤١) في فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤/١٠٨) في الجنائز، باب أرواح المؤمنين، وابن ماجه (٢/١٤٢٨/ح ٤٢٧١) في الزهد، باب القبر والبلى. ومالك في الموطأ (١/٢٤٠) في الجنائز، باب جامع الجنائز. وابن حبان (٧/٨٣) الإحسان بألفاظ عِدّة.

وقوله رحمه الله تعالى: «لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر الخ» يشير إلى قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩) الآيات وما في معناها.

وفي الصحيح من حديث الأعمش عن عبد الله بن مرّة عن مسروق قال: سألنا عبدَالله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران/١٦٩) قال: أَمَّا إنّا قد سألنا عن ذلك فقال «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديلُ معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى القناديل، فاطَّلع إليهم ربُّهم عَزَّ وجَلَّ اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا أيَّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأَوْا أنَّهم لم يُتركوا من أن يُسألوا قالوا: يارب نريدُ أَنْ ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرَّة أخرى. فلما رأى أَنْ ليس لهم حاجة تركوا»[1] وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله:

وإذا أرادَ اللهُ إخراجَ الورى ... بعد الممات إلى معادٍ ثانِ
ألقى على الأرضِ التي هم تحتها ... الخ

يشير إلى حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما بطوله وفيه «ثم يرسل الله ـ أو قال يُنْزِلُ اللهُ ـ تعالى مطراً كأنه الطَّل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس»[2] الحديث. وفي حديث الصور الطويل «ثم يُنْزِلُ اللهُ عليهم ماءً مِنْ تحت العرش، ثم يأمر اللهُ السماءَ أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنباتِ الطراثيث أو كنبات البقل»[3] وهو الذي عناه بقوله «عشراً وعشراً بعدها عشران».

---

(١) رواه مسلم (٣/١٥٠٢/ح ١٨٨٧) في الامارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٥٥٨/ح ٢٩٤٠) في الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض.

(٣) سيأتي بتمامه وتخريجه.

وقوله «أوحى لها ربُّ السماء فتشقَّقت الخ» يشير إلى قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (الانفطار/٤)، وقوله ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات/٩) قال ابن عباس: بحثت، وقال السدي: تبعثر تحرك فيخرج من فيها، وقال البغوي: بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وقال في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾: أثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾ أي من الأموات.

وقوله «وتخلت الأمُ الولودُ الخ» يشير إلى قوله تعالى ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (الانشقاق/٤) قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألقتْ ما في بطنها مِنَ الأموات وتخلَّت منهم. اهـ.

وقوله «وأخرجت أثقالها الخ» يشير إلى قوله عز وجل ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ـ إلى قوله ـ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ (الزلزلة/٢ ـ ٥) قال ابن كثير رحمه الله: يعني ألقت ما فيها من الموتى؛ قاله غير واحد من السلف: وقد تقدم تفسيرها بإلقائها أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان. وقال البغوي رحمه الله: أثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها.

وقوله رحمه الله «والله ينشى خلقه» أي هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم «في نشأة أخرى الخ» يشير إلى قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (النجم/٤٥) فهذه هي النشأة الأولى. قال تعالى ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ (النجم/٤٧) وهو البعث بعد الموت. قال تعالى ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ. نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ. وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الواقعة/٥٧ ـ ٦٢) وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث. والمقصود أنَّ الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعد ما فرقهم وينشرهم بعد ما مزقهم، ويعيدهم كما خلقهم، قد علم الله ما تنقص الأرض منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ

مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَواتِ وَلَا فِي الأَرْضِ ، إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ (فاطر/٤٤).

وقوله «ما قال إنَّ الله يعدم خلقه الخ» أي لم يقل الله تعالى ولا رسوله ﷺ إنَّهُ يعدمهم العدم المحض ويأتي بغيرهم، ولا إنَّ المثاب غير من عمل الطاعات في الدنيا، ولا إنَّ المعذب غير من مرد على المعاصي ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء/٤٠) ﴿وَمَارَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت/٤٦) ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾ (غافر/٣١) ، بل قال تعالى ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه/٥٥)، فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرهم كما يقوله الزنادقة قبحهم الله تعالى. وقال رسول الله ﷺ «فتخرجون منَ الأصواءِ ومن مصارعكم»[1] ولم يقل إنَّه غيركم الذي يخرج.

والكلام في هذا الباب يطول جداً، والنصوص فيها لا تحصى كثرة، وإنَّما أشرنا إلى بعض من كل ودق من جل وقطرة من بحر والله المستعان. إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التي سقنا من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار، والايجاز ولله الحمد والمنة. ولنرجع إلى شرح أبيات المتن المذكور.

[الإيمان بالنفخ في الصور]

(وبقيامنا بنفخ الصُّورِ) أي وكما يدخل في الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل في ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذي جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذي وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم في ذكر الملائكة. وقد ذكر الله عز وجل النفخ فيه في مواضع من كتابه، كقوله عز وجل ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ

(١) تقدم تخريجه وأن سنده ضعيف لمجاهيل ثلاثة فيه.

شَاءَ اللهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (الزمر/٦٨) الآيات. وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل/٨٧) الآيات، وقال تعالى ﴿قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ (الأنعام/٧٣). ولنسق ههنا حديث الصور بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع فيه مما تفرق في غيره من الأحاديث وبالله التوفيق.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الأخرى: وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال: حدثنا أحمد بن الحسن المصري الأيلى حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال: «إنَّ الله تعالى لمَّا فرغ من خلق السَّمَوَاتِ والأَرْضِ خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً بصره في العرش ينتظر متى يؤمر» قلت: يارسول الله وما الصُّور؟ قال «القرن» قلت: كيف هو؟ قال «عظيم، والذي بعثني بالحق إنَّ عِظَم دارة فيه كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه **ثلاث نفخات: النفخةُ الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة القيام لربِّ العالمين**، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ، فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلاّ من شاء الله، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهو كقول الله تعالى ﴿**وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلاَّ صيحةً واحدةً ما لها من فواق**﴾ (يس/٤٩) فيسير الله الجبال فتمر مرَّ السحاب فتكون سرابا، ثم ترتج الأرض بأهلها رجّاً فتكون كالسفينة المرمية في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح، وهو الذي يقول ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَادِفَةَ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (النازعات/٦) فيميدُ الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولّي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم،

ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله تعالى ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ فبينما هم على ذلك إذ تصدَّعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوْا أمراً عظيماً لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم. ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانْخَسَفَتْ شمسُها وقمرها، قال رسول الله ﷺ: «الأمواتُ لا يعلمون بشيءٍ من ذلك» قال أبو هريرة: يا رسول الله مَنِ استثنى اللهُ عَزَّ وجَلَّ حين يقول ﴿فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ (النمل/٨٧)؟ قال «أولئك الشهداءُ» وإنَّما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه» قال «وهو الذي يقول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج/١ ـ ٢) فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنَّه يطول، ثم يأمرُ اللهُ إسرافيل بنفخة الصَّعْقِ، فينفخ نفخةَ الصَّعْق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عَزَّ وجَلَّ فيقول: يا ربِّ قد مات أهل السموات والأرض إلّا من شئت، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى: فمن بقي؟ فيقول: يا ربِّ بقيتَ أنتَ الحي الذي لا تموت وبقيتْ حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله تعالى العرش: فيقول: يا ربِّ يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت فإنِّي كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان. ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: لتمتْ حملةُ العرش. فتموت، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا ربِّ قد مات حملة عرشك. فيقولُ الله وهو أعلمُ بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: يا ربِّ، بقيتَ أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: أنت خلقٌ

من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت. فيموت. فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصَّمدُ الذي لم يلد ولم يولد كان آخراً كما كان أولاً، طوى السموات والأرض طيَّ السِجِلِّ للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار (ثلاثاً) ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم (ثلاث مرات) فلا يجيبه أحد. ثم يقول لنفسه: لله الواحدِ القهار. يقول الله تعالى ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ**﴾ (ابراهيم/٤٨) فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مَدَّ الأديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرةً واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى: مَنْ كان في بطنها كان في بطنها، ومَنْ كان على ظهرها كان على ظهرها. ثم يُنْزِلُ الله تعالى عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمرُ اللهُ السماء أنْ تمطر، فتمطر أربعين يوماً حتَّى يكون الماءُ فوقهم إثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر اللهُ الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحيى حملةُ عرشي، فيحيون، ويأمر اللهُ إسرافيل فيأخذ الصُّورَ فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريل وميكائيل، فيحييان، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهَّجُ أرواحُ المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمةً، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أنْ **ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث**، فتخرج الأرواحُ كأنَّها النَّحْلُ قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعنَّ كلُّ روحٍ إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجسادِ فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السُّمُّ في اللديغ، ثم تنشقُّ الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿**مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ**﴾ (القمر/٨) حفاة عراة غرلا، فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكونَ حتى تنقطع الدُّموع، ثم تدمعون دماً وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون مَن أَحَقُّ بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قُبُلاً، فيأتون آدم فيطلبون ذلك اليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب

ذلك، فيستقرئون الأنبياء نبيّاً نبيّاً كُلَّما جاءوا نبيّاً أبى عليهم. قال رسولُ اللهِ ﷺ: حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخرّ ساجداً». قال أبو هريرة: يا رسولَ الله وما الفحص؟ قال «قدام العرش، حتّى يبعث الله إليَّ ملكاً فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي: يا محمَّدُ. فأقول: نعم يا رب، فيقول عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يارَبِّ وعدتني الشَّفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم، قال الله: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم. قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثْلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجنِّ والإنس، حتّى إذا دنوا مِنْ الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مصافَّهم، وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا وهو آتٍ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبارُ عز وجل في ظللٍ من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذٍ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم في تخوم الأرض السُّفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجلٌ في تسبيحهم يقولون: سبحانَ ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت. فيضع الله كرسيَّهُ حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا مَعْشَرَ الجنِّ والأنْسِ إنِّي قد أنْصَتُّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إليّ، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسه. ثم يأمر الله جهنَّم فيخرج منها عنق ساطعٌ مظلم، ثم يقول ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ. هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (يس/٦٠ ـ ٦٣) أو ﴿**بِهَا**

تكذبون﴾ شك أبو عاصم ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (يس/٥٩) فيميز الله الناس وتجثو الأمم، يقول الله تعالى ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/٢٨) فيقضي الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنَّه ليقضي للجمَّاءِ من ذات القرن. فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ياليتني كنت تراباً، ثم يقضي الله تعالى بين العباد: فكان أول ما يقضي فيه الدماء، ويأتي كل قتيل في سبيل الله، ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول: يا رب فيم قتلني هذا؟ فيقول ـ وهو أعلم ـ فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتُهم لتكون العزة لك، فيقول الله له: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نورِ الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشْخَبُ أوداجه فيقول: يارب قتلني هذا؟ فيقول تعالى وهو أعلم: لم قتلتهم؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لي، فيقول: تَعِسْتَ، ثم لا تبقى نفسٌ قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إنْ شاء عذبه وإن شاء رحمه. ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمةٌ لأحَدٍ عند أحدٍ إلاّ أخذها الله للمظلوم مِنَ الظَّالم حتى إنَّه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء. فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق: ألا ليلحق كلُّ قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحدٌ عُبِدَ من دون الله إلاَّ مثلت له آلهتُهُ بين يديه، ويجعل يومئذٍ ملك من الملائكةِ على صورة عُزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى بن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النَّصاري ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذي يقول ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء/٩٩) فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءَهُمُ اللهُ فيما شاء من هيئته فقال: يا أيُّها الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون واللهِ والله ما لنا إله إلا الله، وما كنا نعبدُ غيره، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلّى لهم من عظمته ما يعرفون أنَّه رَبُّهم، فيخرُّون للأذقان سُجّداً على وجوههم ويخرُّ كلُّ منافقٌ على قفاه، ويجعل الله عز وجل أصلابهم

كصياصيِّ البقر. ثم يأذَنُ الله لهم فيرفعون ويضربُ الله الصِّراط بين ظهراني جهنَّم كحدِّ الشفرةِ أو كحدِّ السيفِ عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسكِ السَّعْدان دونه جسر دحض مزلة، فيمرُّون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمرِّ الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الرِّكاب أو كجياد الرِّجال، فناج سالم، وناج مخدوش، ومكدوس على وجهه في جهنم.

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربِّنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحقُّ بذلك من أبيكم آدم عليه السلام؟ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا. فيأتون آدم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنَّه أوَّل رُسُلِ اللهِ. فيوتى نوح فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيم فإنَّ الله تخيَّره، خليلاً، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإنَّ الله قرَّبه نجيّاً وكلَّمه وأنزل عليه التوراة. فيؤتى موسى فيطلب ذلك اليه فيذكر ذنباً ويقول: لستُ بصاحب ذلك ولكنْ عليكم بروحِ الله وكلمته عيسى بن مريم. فيؤتى عيسى بن مريم فيطلب ذلك اليه فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكنْ عليكم بمحمد. قال رسول الله ﷺ فيأتوني ولي عند ربِّي ثلاث شفاعات وعدنيهن، فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلقةِ الباب فأستفتح فيفتح لي فأُحيّا ويرحب بي، فإذا دخلتُ الجنة فنظرتُ إلى ربّي خررت له ساجداً فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيءٍ ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسلْ تعط، فإذا رفعتُ رأسي يقول الله تعالى وهو أعلم ما شأنُكَ؟ فأقول يا ربِّ وعدتني الشفاعة فشفِّعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك، وقد أذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول الله ﷺ يقول «والذي نفسي بيده ما أنتُم في الدنيا بأعْرَفَ بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم» فيدخل كلُّ رجلٍ منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشىء الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا، فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سريرٍ مكلَّلٍ باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، ثم إنه يضع

يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنَّه لينظر إلى مُخِّ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت. كبدها له مرآة وكبده لها مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتُر ذكره وما تشتكي قبلها. فبينا هو كذلك إذ نودي: إنَّا قد عرفنا أنَّك لا تَملَّ وَلاَ تُمَلّ، إلاّ أنَّه لا مَني ولا منيَّة، إلا أنَّ لك أزواجاً غيرها. فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ولا في الجنة شيء أحبَّ إليَّ منك.

وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربِّكَ أوبقتهم أعمالُهم، فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كلَّه إلا وجهه حرَّم اللهُ صورته عليها، قال رسولُ اللهِ ﷺ «فأقولُ يا ربِّ شفِّعني فيمن وقع في النار مِنْ أُمَّتي، فيقول أَخْرِجُوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد. ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبيٌّ ولا شهيد إلاّ شُفِّع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ، ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيماناً ثلثي دينار، ثم يقول ثلث دينار، ثم يقول ربع دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيراً قط ولا يبقى أحدٌ له شفاعة إلا شفع، حتى إنَّ إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاءَ أَنْ يُشْفَعَ له. ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنَّهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما يلي الشمس منها أخيضر وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنباتِ الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذرِّ، مكتوبٌ في رقابهم: الجهنميون عتقاء الرحمن، يعرفهم أهلُ الجنَّةِ بذلك الكتاب ما عملوا خيراً لله قط: فيمكثون في الجنةِ ما شاء الله وذلك الكتابُ في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا

الكتاب، فيمحوه الله عز وجل عنهم»[1].

قال ابن كثير ثم ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه: فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم[2]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال «جاءَ أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال ما الصُّور؟ فقال قرن ينفخ فيه»[3] وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ ﷺ قال «كيف أنعمُ وصاحبُ الصُّور قد التقمه وأصْغى سمعه وحنى جبهته ينتظرُ متى يؤمر، فقالوا: يا رسول الله وما تأمُرُنا؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[4]..

---

(١) رواه ابن جرير مختصراً ومطولاً (٢/٣٣٠ - ٣٣١ و٣٠/١٨٦ - ١٨٨) وفي (١٧/١١٠ - ١١١) وفي (٢٤/٣٠) والطبراني في المطولات (نهاية المعجم الكبير ٢٥/٢٢٦) وغيرهم كما ذكر ابن كثير فيما يأتي وإسناده ضعيف لمداره على اسماعيل بن رافع المدني وهو ضعيف ومع اختلاف أسانيده عند الجميع إلّا أنه لا يخلو من عِلَّة أخرى غير ما ذكرنا. قال أبو موسى المديني: - الحديث وإن كان فيه نكارة وفي إسناده من تكلم فيه فعامة ما يروى مفرقاً في أسانيد ثابته. وانظر كلام ابن كثير الآتي.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/١٥٤).

(٣) رواه أحمد (٢/١٦٢ و١٩٢) وغيره وقال الحاكم (٢/٤٣٦ و٥٠٦، ٤/٥٦٠) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كذلك.

(٤) رواه أحمد (٣/٧، ٧٣) والترمذي (٤/٦٦٠/ح ٢٤٣١) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن =

(**غرلا حفاة**) الأغرل الأقلف، حفاة غير منتعلين (**كجراد منتشر**) شبهوا بالجراد المنتشر لكثرته ولكونه ليس له وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه في بعض وهم كذلك. قال الله تعالى ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ. مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٍ**﴾ (القمر/٦ ـ ٨) وقال تعالى ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾ (المدثر/٨ ـ ١٠).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «يُحْشَرُ النَّاس على ثلاثِ طرائق: راغبينَ راهبينَ واثنان على بعيرٍ، وثلاثة على بعير، وأربعةٌ على بعيرٍ، وعشرةٌ على بعير، ويَحْشُرُ بَقيَّتهم النَّار تقيل معهم حيث قالوا وتبيتُ معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتُمسي معهم حيث أمسوا»[1].

وفيهما عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ يخطُبُ فقال «إِنَّكُمْ محشورون حفاةً عراةً غرلاً ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ (الأنبياء/١٠٤) الآية، وأَنَّ أولَ الخلائق يكسي يوم القيامة إبراهيم، وإِنَّه سيجاءُ برجالٍ من أمَّتي فيؤخذ بهم ذات الشِّمال فأقول: يا ربِّ أصيحابي، فيقول الله عز وجل: إِنَّك لا تدري ما أحدثوا بعْدك، فأقول كما قال العبدُ الصَّالحُ ﴿**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٍ. إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ**

= الصور، وهو من رواية عطية العوفي عنه وعطية ضعيف. ولكن تابعه أبو صالح عنه عند الحاكم (٤/٥٥٩) من رواية أبي يحيى التيمي عن الأعمش عن أبي صالح عنه به وأبو يحيى واه ولكن تابعه جرير عند ابن حبان (٢/٩٥/ح ٨٢٠ الإحسان) فالحديث صحيح من رواية أبي سعيد مع ما له من شواهد من رواية ابن عباس وزيد بن أرقم وأنس وجابر والبراء. انظرها مختاراً في السلسلة الصحيحة (ح ١٠٧٩).

(١) رواه البخاري (١١/٣٧٧) في الرِّقاق، باب كيف الحشر ومسلم (٤/٢١٩٥/ح ٢٨٦١) في الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

الحَكِيمِ﴾ (المائدة/١١٧ ـ ١١٨) قال فيقال إنَّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم».

وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنَّكُم ملاقو الله حفاةً عراةً مشاةً غرلاً»، وفي أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر[1].

وفيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «تُحْشرون حفاةً عراةً غرلاً. قالت عائشة فقلت: يا رسولَ اللهِ الرجالُ والنِّساءُ ينظر بعضهم إلى بعضٍ؟ فقال الأمر أَشَدُّ من أن يهُمَّهُمْ ذلك»[2]. وفي رواية النسائي «فقالت عائشة: يارسولَ الله فكيف بالعَوْرات؟ فقال لكلِّ امرىء منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه»[3] وروى هو وابنُ أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «تحشرون حفاةً عراةً مشاةً غرلاً. قال فقالت زوجتُهُ: يارسولَ الله ينظر ـ أو يرى ـ بعضنا عورةَ بعض؟ قال: لكلِّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأْنٌ يغنيه» أو قال «ما أشْغلهم عن النَّظر» رواه الترمذي بنحوه وقال حسن صحيح[4].

وروى ابنُ أبي حاتم عن أنس رضي الله عنه قال «سألتْ عائشةُ رضي الله عنها رسولَ اللهِ ﷺ فقالتْ: يارسول الله بأبي أَنْتَ وأُمِّي إنِّي سائلتُكَ عن حديث فتخبرني أنت به. قال: إنْ كان عندي منه علمٌ. قالت: يا نبيَّ اللهِ كيف يُحشر الرِّجال؟ قال حفاةً عراةً. قالت: واسوأتاهُ من يوم القيامة. قال: وعن أيِّ ذلك تسألين؟ إنَّه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثيابٌ أو لا يكون. قالت أية آية يا نبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ امرىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[5]. .

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٨٦) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله ابراهيم خليلاً)، ومسلم (٤/٢١٩٤/ح ٢٨٦٠) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة.

(٢) رواه البخاري (١١/٣٧٧) في الرقاق، باب الحشر، ومسلم (٤/٢١٩٤/ح ٢٨٥٩) في الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة.

(٣) النسائي (٤/١١٤) في الجنائز، باب البعث.

(٤) رواه الترمذي (٥/٤٣٢/ح ٣٣٣٢) في التفسير، باب ومن سورة عبس، والنسائي (٤/١١٤) في الجنائز، باب البعث وابن أبي حاتم (ابن كثير ٥/٥٠٥) والحاكم (٢/٢٥١).

(٥) ابن أبي حاتم في تفسيره (ابن كثير ٥/٥٠٥ ـ ٥٠٦) من رواية أبيه عن أزهر بن حاتم عن الفضل ابن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس عنها به. وأزهر ترجم له ابن أبي حاتم ونقل عن أبيه أنه =

وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن سودَةَ زوجِ النَّبيِّ ﷺ قالتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ «يُبْعَثُ الناس حفاةً عراةً غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذانِ. فقلتُ: يارسولَ الله واسأوتاه، يَنظر بعضنا إلى بعضٍ؟ فقال قد شغل الناس، لكلِّ امرىء منهم يومئذٍ شأْنٌ يغنيه»[1].

وفي الصحيحين عن قتادة عن أَنسِ بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ رجلاً قال يا نبيَّ اللهِ كيف يُحْشرُ الكافر على وجهه؟ قال: أَلَيْس الذي أمشاهُ على الرِّجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»؟ قال قتادة بلى وعزة ربِّنا[2].

قلت: وذلك قول الله عز وجل ﴿**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً**﴾ (الإسراء/٩٧) الآيات. فشتّان ما بين الفريقين، وفرقان ما بين الطريقين. أولئك يفدون ركباً إلى جنَّاتِ النَّعيم، ورحمة الرحمن الرحيم، وزيارة الرب العظيم، وهؤلاء يسحبون سحباً إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم ﴿**يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً، وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً**﴾ (مريم/٨٥ ـ ٨٦) قال ابن عباس: وفداً ركباناً. وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال ابن جريج: على النَّجائب. وقال الثّوريُّ: على الإبل النوق. قال قتادة: إلى الجنة ـ وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إنْ هَمُّوا بها سارت وإن هَمُّوا بها طارت.

= صدوق (١/١/٣١٥) وعائذ ضعيف كما في الميزان.

(١) أخرجه الطبراني (٢٤/٣٤/ح ٩١)، والحاكم في المستدرك (٣/٥١٥) والبغوي في تفسيره (٥/٥٢٤ ـ ٥٢٥) قال الحاكم: على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قال الهيثمي: ـ رجاله رجال الصحيح غير محمد بن أبي عياش وهو ثقة. قلت نعم ليس هو من رجال التهذيب وترجم له البخاري عند هذا الحديث في تاريخه (١/١/٢٣٦) وسكت عنه وكذلك صنع ابن أبي حاتم (٤/١/٨٤) ويقال له محمد بن أبي موسى كما هو عندهما.

(٢) رواه البخاري (١١/٣٧٧) في الرِّقاق، باب الحشر، ومسلم (٤/٢١٦١/ح ٢٨٠٦) في المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه.

وروى عبدالله ابن الأمام أحمد في مسند أبيه عن النعمان بن سويد قال: كُنَّا عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ (مريم/٨٥) قال: لا واللهِ ما على أَرْجُلِهِمْ يُحْشَرُونَ وَلَا يُحْشَرُ الوَفْدُ عَلَى أَرْجُلِهِمْ وَلَكِنْ بِنُوقٍ لَمْ يَرَ الخَلائِقِ مِثْلَهَا عَلَيْهَا رَحَائِلُ مِنْ ذَهَبٍ فَيَرْكَبُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَضْرُبُوا أَبْوابَ الجَنَّةِ. ورواه ابن أبي حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمّتها الزبرجُد[1].

ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه كان ذات يومٍ عند رسولِ اللهِ ﷺ فقرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾ (مريم/٨٥) فقال: ما أظنُّ الوفد إلا الرَّكب يا رسولَ اللهِ، فقال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده إنَّهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون ـ أو يؤتون ـ بنوقٍ بيضٍ لها أجنحة وعليها رحالُ الذَّهب شرك نعالهم نورٌ يتلألأ كل خطوةٍ منها مَدَّ البصر فينتهون إلى شجرةٍ ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل ما في بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً، وتجري عليهم نضرةُ النعيم فينتهون ـ أو فيأتون ـ باب الجنَّة فإذا حلقة من ياقوتةٍ حمراء على صفائح الذَّهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين»[2] وذكر الحديث مطولاً والصحيح وقفه.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ (مريم/٨٦) أي عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد الجماعة يردون الماء، ولا يرد أحدٌ الماءَ إلَّا بعد عطش. قلت: ولكنَّهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنَّم وجحيمها، ومهلها

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/١٥٥) وابن جرير (٩/١٢٦) والحاكم في المستدرك (٢/٣٧٧) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/١٤٥) قال الحاكم: ـ صحيح على شرط مسلم. قال الذهبي بل عبد الرحمن (بن اسحق القرشي) هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان وضعفوه. قلت والنعمان مجهول. وعبد الرحمن الأنصاري ويقال الكوفي.

(٢) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/١٤٥) وفي سنده أبو معاذ البصري وهو ضعيف ومسلمة بن جعفر البجلي ذكره البخاري وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه شيئاً. قال ابن كثير: وقد روى من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحّة. قلت قد تقدم أن سنده ضعيف.

وحميمها. وفي حديث الشفاعة الطويل «فيقال لهم ماذا تشتهون؟ فيقولون عطشنا. فيشارُ لهم إلى جهنم كأنَّها سرابٌ يحطم بعضها بعضاً فيقال لهم: ألا تردون»[1] الحديث.

فسبحان الله وبحمده الله أكبر، كانوا في الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه الله ومن لا يحب، فلمَّا جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله، واتَّضح له مقيله. فلما كانوا في البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ما قدم قبل أجله، فبينما هو كذلك إذ صرخ بهمُ الصارخ وصاح بهم الصائحُ، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعي مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه. هؤلاء في النور ينظرون، وأولئك في ظلمات لا يبصرون. هؤلاء إلى الرَّحمن يفدون، وأولئك إلى النار يردون. هؤلاء حُلُّوا أساور من فضَّة وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً، وأولئك غلّوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطوناً منهم وظهوراً. هؤلاء وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا. وأولئك أعتد الله لهم سعيراً، إذا رأتهم من مكانٍ بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً، وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً، لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً. هؤلاء عليهم حلل السُّندس والاستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرَّنون في الأصفاد سرابيلهم من قطران. هؤلاء إلى زيارة ربِّهم يركبون، وأولئك إنَّهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون. هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرةً وعشيّاً، وأولئك تُركوا في جهنَّم جثيّاً. هؤلاء يقول لهم ربهم سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون وما هم بخارجين من النار. هؤلاء يقررون بذنوبهم فيغفرها لهم ربُّ العالمين، وأولئك ينادي بهم على رؤوس الأشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربِّهم ألا لعنةُ اللهِ على الظالمين. فحينئذٍ ظهر الفرقان، وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيبُ شهادةً

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

والسِّرُّ علانيةً، والمستور مكشوفاً، والمخبأ ظاهراً ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص/٢٨) ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية/٢١) كم كاسٍ في الدُّنيا طال يومئذٍ عُريه، كم طاعمٍ في الدنيا عظم يومئذٍ جوعه، كم ريَّان في الدنيا اشتد يومئذٍ عطشه، كم ناعمٍ في الدنيا حق به يومئذٍ بؤسه ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القصص/٨٣ - ٨٤).

[الاجتماع ليوم الفصل]

ويجمع الخلقُ ليومِ الفَصْلِ جميعُهم علويهم والسُّفلى
في موقفٍ يجل فيه الخَطْبُ ويعظم الهولُ به والكَرْبُ

(**ويجمع الخلق**) أولهم وآخرهم (**ليومِ الفصل**) يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك وسماه **يوم التغابن لكثرة المغبونين** يومئذ، وسماه **يوم الجمع** لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وسماه **يوم التَّلاق** لأنَّه يلقى فيه العبد ربه ويلقى فيه العامل عمله ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهل السموات والأرضين، وسماه يوم القيامة لأنَّ فيه قيام الخلائق من القبور، وسماه **يوم التناد**، لتنادي العباد بعضهم بعضاً، ولمناداة الله عز وجل عباده فيه، وبندائهم ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ولتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلاً من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله عز وجل ﴿**اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ**﴾ (النساء/٨٧) وقال تعالى ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**﴾ (التغابن/٩) وقال تعالى ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ**﴾ (المائدة/١٠٩) وقال تعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً**﴾ (الكهف/٩٩) وقال تعالى ﴿**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾ (الكهف/٤٧) وقال تعالى ﴿**لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلت لِيَوْمِ الفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الفَصْلِ ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾ (المرسلات/١٣ ـ ١٤) وقال تعالى ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ**﴾ (غافر/١٦) وقال تعالى ﴿**فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَونَهُ**﴾ (التوبة/٧٧) وقال تعالى ﴿**يَوْمَ يَصْدُرُ**

النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة/٦ ـ ٨) وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً﴾ (النبأ/٣٨) ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلَائِكَةُ تَنْزِيلاً﴾(الفرقان/٢٥) وقبل ذلك ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (الفرقان/٢٢) وقال في السُّعداء ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلَائِكَةُ﴾ (الأنبياء/١٠٣) وقال تعالى عن مؤمن آلِ فِرعون ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ (غافر/٣٢)، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ـ إلى قوله ـ وَيَوْمَ يُنَادِيهِم فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ المُرْسَلِينَ﴾ (القصص/٦٢ ـ ٦٥) وقال تعالى في مناداة المنافقين المؤمنين ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحديد/١٤) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَنَادَى أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً؟ قَالُوا نَعَمْ، فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ـ إلى قوله في أصحاب الأعراف ـ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ـ إلى قوله ـ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ـ إلى قوله ـ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ، قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الكَافِرِينَ﴾ (الأعراف/٤٣ ـ ٥٠)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ (هود/١٨) وغيرها من الآيات.

(وجميعهم علويهم) وهم عوالم السموات (والسفلى) وهم عوالم الأرضين. وقد تقدم في حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض. (في موقف) عظيم (يجل) يشتد (فيه الخطب) الشأن والأمر (ويعظم الهول) الأمر

الفظيع الهائل (به) أي فيه (والكرب) الحزن الآخذ بالنفس والهم والغم. وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين/٤)، وقال تعالى ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ (ابراهيم/٤٣)، وقال تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ (غافر/١٨)، وقال تعالى ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ - إلى قوله - وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً. يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج/١١ - ١٤)، وقال تعالى ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (المدثر/٩)، وقال تعالى ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً - إلى قوله - إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ (الإنسان/٧ - ١١)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ (الإنسان/٢٧).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال «يقومُ الناس لربِّ العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»[1].

ورواه أحمد بلفظ «يوم يقوم الناس لربِّ العالمين لعظمةِ الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إنَّ العرق ليلجم الرجال إلى أنصافِ آذانهم»[2].

وله عن المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «إذا كان يوم القيامة أُدْنيتِ الشمس من العباد حتى تكون قدر ميلٍ أو

---

(١) رواه البخاري (١١/٣٩٢) في الرقاق، باب قول الله تعالى: (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم)، ومسلم (٤/٢١٩٥/ح ٢٨٦٢) في الجنة، باب في صفة يوم القيامة.

(٢) رواه أحمد (٢/١٣ و١٩ و٦٤ و٧٠ و١٠٥ و١١٢ و١٢٥ و١٢٦).

ميلين، قال فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً»[1].

رواه مسلم والترمذي.

وروى أحمد أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميلٍ ويزاد في حرها كذا وكذا تغلى منها الهوامُّ كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق»[2].

وفيه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس: فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ الحجر، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه ـ وأشار بيده فألجمها فاهُ، رأيتُ رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا ـ ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده إشارة»[3].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[4].

---

(١) رواه أحمد (٦/٣)، ومسلم (٤/٢١٩٦/ح ٢٨٦٤) في الجنة وصفة نعيمها، باب صفة يوم القيامة، والترمذي (٤/٦١٤/ح ٢٤٢١) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

(٢) رواه أحمد (٥/٢٥٤) والطبراني (٨/٢٢٢/ح ٧٧٧٩) قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد (المجمع ١٠/٣٣٨).

(٣) رواه أحمد (٤/١٥٧) والطبراني (١٧/٣٠٦/ح ٨٤٤) وفي سنده ابن لهيعة ولكن تابعه عند الطبراني عمرو بن الحارث (١٧/٣٠٢/ح ٨٣٤) قال الهيثمي عنه إسناده جيد (المجمع ١٠/٣٣٨).

(٤) رواه البخاري (١١/٣٩٢) في الرقاق، باب قول الله تعالى: (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم)، ومسلم (٤/٢١٩٦/ح ٢٨٦٣) في الجنة، باب في صفة القيامة.

ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري «كيف أنت صانعٌ في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لربِّ العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر». قال بشير: المستعانُ الله. قال «فإذا أويت إلى فراشك فتعوَّذ باللهِ من كرب يوم القيامة وسوء الحساب»[1].

وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ باللهِ من ضيق المقام يوم القيامة[2].

وقوله تعالى ﴿**مهطعين**﴾ قال قتادة: مسرعين. وقال مجاهد: مديمي النظر. ومعنى الإهطاع أَنَّهم لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً ولا يعرفون مواطن أقدامهم. ﴿**مقنعي رؤوسهم**﴾ قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه، ويقبل ببصره على ما بين يديه. وقال الحسن: وجوه الناس يومئذٍ إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحد. ﴿**لايَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**﴾ لا ترجع اليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم. ﴿**وأفئدتهم هواء**﴾ أي هي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها، ومنه سمى ما بين السماء والأرض هواء لخلوِّهِ، وقيل: خالية لا تعي شيئاً ولا تعقلُ من الخوف. وقال سعيدُ بن جبير: مترددة تمورُ في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه. قال البغوي رحمه الله تعالى: وحقيقة المعنى أن القلوب زائلةٌ عن أماكنها، والأبصار شاخصةٌ من هول ذلك اليوم اهـ. وهذا معنى قوله عز وجل ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ (غافر/١٨) قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى

---

(١) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٥١٧) وابن جرير في تفسيره (٣٠/٥٩) وابن الأثير في أسد الغابة (١/٢٣٤). وفي سنده أبو يزيد المدني وثقه ابن معين وأحمد وقال أبو حاتم يكتب حديثه. وعبد السلام بن عجلان قال عنه أبو حاتم شيخ بصري يكتب حديثه قال عنه ابن حجر: ضعيف (الإصابة ١/١٦١).

(٢) رواه أبو داود (١/٢٠٣ ـ ٢٠٤/ح ٧٦٦) في الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء والنسائي (٣/٢٠٩) في قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام وابن ماجه (ح ١٣٥٦) في الصلاة، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل وسنده حسن.

أماكنها. وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد. ومعنى كاظمين أي ساكتين لا يتكلم أحدٌ إلّا بإذنه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ (النبأ/٣٨) وقال ابن جريج: باكين، وقال البغوي: مكروبين ممتلئين خوفاً وجزعاً، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج/٤) في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الزكاة وفيه «مَنْ كانت له إبل لا يعطى فيها حقَّها في نجدتها ورسلها. قلنا: يارسولَ الله، ما نجدتها ورسلها؟ قال: في عُسرها ويُسرها. فإنَّها تأتي يوم القيامة كأغذِّ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشرَهُ حتى يبطح لها بقاعٍ قرقر فتطأه بأخفافها فإذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها ﴿في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج/٤) حتى يقضي بين الناس فيرى سبيله: إمّا إلى الجنة، وإمّا إلى النار»[1] الحديث. ﴿وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ (المعارج/١١) لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، قال العوفي عن ابن عباس: يعرف بعضُهُمْ بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/٣٧)، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَ يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً، إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ (لقمان/٣٣) وقوله تعالى ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (فاطر/١٨) قال عكرمة: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول: يا مؤمن إن لي عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة

---

(١) البخاري (٣/٢١٢) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، وفي تفسير آل عمران، باب (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم) وفي كتب غيرهما ورواه مسلم (٢/٦٨٠/ح ٩٨٧) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

فيقول: يابني أي والد كنت لك؟ فيثني خيراً، فيقول: يا بني إني قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً. ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك؟ فتثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها إليّ لعلي أنجو بها مما ترين. قال فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً، إني أتخوف مثل الذي تتخوف. يقول الله تعالى ﴿**وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا**﴾ (فاطر/١٨) الآية. ويقول تبارك وتعالى ﴿**لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً**﴾ (لقمان/٣٣) ويقول تعالى ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ (عبس/٣٤).

﴿**فإذا نقر**﴾ نفخ، ﴿**في الناقور**﴾ الصُّور. روى ابن أبي حاتم عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يُؤمر فينفخ. فقال أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ فما تأمُرُنا يا رسول الله. قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»[1] رواه الإمام أحمد وابن جرير. ﴿**فذلك يومئذ يوم عسير**﴾ شديد. ﴿**على الكافرين غير يسير**﴾ عليهم وروى عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة رحمه الله تعالى أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية ﴿**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**﴾ (المدثر/٩) شهق شهقة فمات[2]، أولئك قومٌ قرأوا القرآن بقلوبٍ حاضرةٍ وآذانٍ واعيةٍ، وبصائر نافذةٍ، وأفهام جليَّةٍ ونفوسٍ عليَّةٍ، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها، شاهدين ببصائرهم من تكلَّم به فأنزله فأثمر ذلك في قلوبهم خشية الله عز وجل فذابوا خوفاً وحياءً من ربِّهم وشوقاً إليه ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (فاطر/٢٨) وقال تعالى

---

(١) تقدم ذكره وأنه حديث صحيح.

(٢) ذكره ابن سعد (٧/١٥٠) في الطبقات والحاكم في المستدرك (٢/٥٠٦) وفي سنده عتّاب بن المثنى القشيري (وقع في المستدرك غياث وهو خطأ) قال عنه الحافظ مقبول (إذا توبع وإلّا فللّين).

فيهم ﴿وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ (الإنسان/٧) قال ابن عباس فاشياً. وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض. وقال مقاتل: كان شرُّه فاشياً في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب وكُوِّرت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، قال ابن جرير: ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فبانَتْ وَقَدْ أثأرَتْ في الفؤا دِ صَدْعاً على نأيها مستطيراً

يعني ممتداً فاشياً. وقوله ﴿عبوساً قمطريراً﴾ قال ابن عباس: ضَيِّقاً طويلاً وعنه قال: يعبس الكافر يومئذٍ حتى يسيل من بين عينيه عرقٌ مثل القطران. وقال مجاهد ﴿عبوساً﴾ العابس الشفتين ﴿قمطريراً﴾ تقبض الوجه بالسيور. وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قمطريراً﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول. وقال ابن زيد: العبوس الشر والقمطرير الشديد. وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرونَ بلاءنَا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

[حشر الخلائق للعرض]

وأحضروا للعَرْضِ والحساب ... وانقطعت علائقُ الأنساب
وارتكمت سحائبُ الأهوالِ ... وانعجمَ البليغُ في المقالِ

(وأحضروا للعرض) العرض له معنيان:

معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية. هذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب.

والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم، والحساب المناقشة. وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع إجمالاً وتفصيلاً كما قال ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة/١٨) الآيات، وقال تعالى ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الكهف/٤٨) الآيات، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِايَاتي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمْ مَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، وَوَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (النمل/٨٣ ـ ٨٤). وقال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة/٦ ـ ٨) وقال تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢) وقال تعالى ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾ (الصافات/٢٤)، وقال تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ (الغاشية/٢٦) وغير ذلك من الآيات.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنَّه أخفُّ عليكم في الحساب غداً أنْ

تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيَّنوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[1] (الحاقة/١٨).

وروى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأمَّا عرضتان فجدالٌ ومعاذير، وأمَّا الثالثة فعند ذلك تطيرُ الصحف في الأيدي فآخِذٌ كتابَهُ بيمينه وآخِذٌ كتابه بشماله»[2] وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه[3]. وروى ابن جرير عن عبدالله بن مسعود نحوه موقوفاً[4].

وفي الصحيحين: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الحُمُر فقال «ما أنزل الله فيها إلا هذه الآيةالفاذَّة الجامعة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[5] (الزلزلة/٧ ـ ٨).

وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عمِّ الفرزدق أنَّه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة/٧ـ ٨) قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها[6].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ١٠٣) وأحمد في الزهد (ص ١٤٩) وأبو نعيم في الحلية (٥٢/١) وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص ٢٩ ـ ٣٠).

(٢) رواه أحمد (٤١٤/٤)، وابن ماجه (١٤٣٠/٢/ح ٤٢٧٧) في الزهد، باب ذكر البعث. قال الهيثمي رجال الإسناد ثقات، إلا أنه منقطع، والحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده ومتنه (زوائد ٣٥٢/٢) وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٢٧١/٨). وروي موقوفاً عليه (ابن جرير ٥٩/٢٩) وعلته علته.

(٣) الترمذي (٦١٧/٤/ح ٢٤٢٥) في صفة القيامة، باب ما جاء في العرض، وقال: ولا يصح هذا الحديث من قِبَل أنَّ الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

(٤) أخرجه ابن جرير (٥٩/٢٩).

(٥) رواه البخاري (٧٢٧/٨) في تفسير سورة (إذا زلزلت الأرض زلزالها)، باب (ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره)، ومسلم (٩٨٧/٦٨٠/٢) في الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

(٦) رواه أحمد (٥٩/٥) والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ١٨٧/٤) والطبراني في الكبير (٩٠/٨/ح ٧٤١١) وأخرجه عبيد بن حميد وابن مردويه (الدر المنثور ٥٩٥/٨) والصحيح أنه عمّ الأحنف لا =

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ، وَمَنْ يَعْمَلَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة/٧- ٨) فرفع أبو بكر يده وقال: يارسولَ اللهِ أجزى بما عملت من مثقال ذرة مِنْ شر؟ فقال: يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدَّخِرُ اللهُ لك مثاقيل ذرِّ الخير حتى توفاه يوم القيامة»[1].

وعن أبي العالية في قوله ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢) قال: يسأل العباد كلهم عن خلَّتين يوم القيامة، عمَّا كانوا يعبدون وعمَّاذا أجابوا المرسلين[2].

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: والذي لا إله غيره، ما منكم من أحدٍ إلا سيخلو اللهُ به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلةَ البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرَّك منِّي بي، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت، ابن آدم ماذا أجَبْت المرسلين[3].

ولابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ «يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بأصبعيه، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك»[4].

= الفرزدق (انظر الإصابة والتهذيب في ترجمته). وفي سنده الحسن وقد صرح بالتحديث عند النسائي كما في تحفة الأشراف.

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/٢٦٨) وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم في تاريخه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (الدر المنثور ٨/٥٩٣) وفي سنده الهيثم بن الربيع وهو ضعيف (من طريقه موصولاً) وروي من غير طريقه مرسلاً.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٤/٦٧) وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (الدر المنثور ٥/٩٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٩/٢٠٤/ح ٨٨٩٩ و٨٩٠٠) موقوفاً وسند الأول صحيح والثاني فيه شريك. ومتابعة أبو عوانة له في الحديث الأول ترفع ضعفه/ والحديث ليس عند أحمد. وغرَّ المصنف أن ابن كثير ساق إسناد الطبري في تفسيره (٢/٥٧٩) من طريقه.

(٤) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٢/٥٧٩) وفي سنده من لم أجد لهم ترجمة كأبي حمزة الشيباني ويونس الحذاء.

وعن ابن عباس ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر/٩٢) قال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (الرحمن/٣٩) قال: لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا؟ وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ (الانشقاق/٨)؟ فقال رسول الله ﷺ «إنَّما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب»[١].

وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول «يجاءُ بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم. فيقال له قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك»[٢].

وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال النبي «ما منكم من أحدٍ إلّا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين اللهِ وبينه تُرجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلّا ما قدَّم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلّا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلّا النار تلقاء وجهه، فاتَّقوا النار ولو بشقّ تمرة»[٣].

وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوفُ إذ عرض رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن ـ أو قال يا ابن عمر ـ هل سمعت النبي ﷺ في النَّجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول «يدنو المؤمنُ من ربِّه حتى يضع عليه كتفه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف، يقول ربِّ أعرف، مرتين فيقول أنا سترتُها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تُطوى صحيفة حسناته. وأمَّا الآخرون أو الكفار

---

(١) رواه البخاري (١/١٩٦ ـ ١٩٧) في العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرف، ومسلم (٤/٢٢٠٤/ح ٢٨٧٦) في الجنة، باب إثبات الحساب.

(٢) رواه مسلم (٤/٢١٦١/ح ٢٨٠٥) في صفات المنافقين، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً.

(٣) رواه البخاري (٣/٤٢٣) في التوحيد، باب قوله الله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة)، ومسلم (٢/٧٠٣/ح ١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار.

فينادي على رؤوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربِّهم ألا لعنة الله على الظالمين»[1].

وفي الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لا تزولَ قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[2] وقال حسن صحيح

[براءة الناس يومئذ بعضهم من بعض]

(**وانقطعت علائق الأنساب**) كما قال تعالى ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ (المؤمنون/١٠١)، وقال تعالى ﴿**وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً**﴾ (المعارج/١٠) الآيات، وقال تعالى ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ**﴾ (عبس/٣٤) الآيات، وقال تعالى عن الكافرين ﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾ (الشعراء/١٠٠)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه، قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً. ومصداق ذلك في كتاب الله ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ**﴾ (المؤمنون/١٠١)[3].

رواه ابن أبي حاتم. وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «إنَّ الرجل ليقول في الجنّةِ: ما فعل بصديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى

---

(١) رواه البخاري (٥/٩٦) في المظالم، باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، ومسلم (٤/٢١٢٠/ح ٢٧٦٨) في التوبة، باب قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله.

(٢) رواه الترمذي (٤/٦١٢/ح ٢٤١٧) في صفة القيامة، باب رقم ١. والدارمي (١/١٣١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (ص ١٥٩/ح ١) وهو حديث صحيح وله شواهد من حديث ابن مسعود ومعاذ بن جبل انظر السلسلة الصحيحة (٢/٦٦٦/ح ٩٤٦).

(٣) عزاه ابن كثير له (٣/٢٦٦).

الجنة. فيقول من بقي: فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم[1]. قال الحسن رحمه الله تعالى استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وعن قتادة في قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ (عبس/٣٤ ـ ٣٥) قال: يفر هابيل من قابيل ويفر النبي ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/٣٧) يشغله عن شأن غيره.

وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة «أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلّا نفسي، حتى إنّ عيسى بن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلّا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني»[2].

وارتكمتْ سحائبُ الأهوالِ وانعجَمَ البليغُ في المقالِ
وَعَنَتِ الوُجُوهُ للقيُّومِ واقْتُصَّ من ذي الظُّلمِ للمظلومِ

(**وارتكمت**) اجتمعت (**سحائب الأهوال**) جمع هول وهو الأمر الشديد الهائل المفظع (**وانعجم**) أسكت فلم يتكلم. (**البليغ**) الذي كان في الدنيا مقتدراً على البلاغة والفصاحة (**في المقال**) قال الله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (هود/١٠٥)، وقال تعالى ﴿وَخَشِعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ (طه/١٠٨) وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفّاً لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ (النبأ/٣٨) قال ابن عباس ﴿وَخَشِعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ (طه/١٠٨): سكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ (طه/١٠٨) قال: تحريك الشفاه من غير منطق، وعنه: الهمس الصوت الخفي، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم: الهمس نَقْلُ الأقدام إلى

---

(١) معالم التنزيل (٤/٢٦٨) وفيه الوليد بن مسلم وحدّث عن رجل مبهم فسنده ضعيف وهو منكر.
(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

المحشر كأخفاف الإبل، وقال سعيد بن جبير: همساً سر الحديث ووطء الأقدام فجمع بين القولين، وفي حديث الشفاعة «ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل»[1] الحديث. **(وعنت الوجوه)** ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير عان. **(القيوم)** تضمين لمعنى قوله عز وجل ﴿**وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ**﴾ (طه/١١١) وقال ابنُ عباس وغير واحد: خضعت وذلّت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام وهو قيِّم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير اليه لا قوام له إلا به ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمَا**﴾ (ط/١١١) قال ابن عباس خسر من أشرك بالله، والظلم هو الشِّرك. وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضاً، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. وفي بعض الأحاديث «يقول اللهُ عزَّ وجَلَّ: وعزَّتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم»[2]. وفي الصحيحين «إيَّاكُم والظُّلم فإنَّ الظلم ظلماتٌ يوم القيامة»[3] فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة، والخيبة كل الخيبة لمن لقى الله وهو به مشرك، فإن الله تعالى يقول ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ (لقمان/١٣) وقد تقدم حديث عائشة عند أحمد «الدواوين ثلاثة: ديوانٌ لا يغفره الله، وديوان لا يعبأ اللهُ به، وديوانٌ لا يترك الله منه شيئاً»[4] الحديث. **(واقتص من ذي الظلم)** أي اقتضى من الظالم **(للمظلوم)**، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**﴾ (النساء/٤٠) وقال تعالى ﴿**اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، لَا ظُلْمَ اليَوْمَ، إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ** - إلى قوله - **واللهُ يَقْضِي بالحَقِّ**﴾ (غافر/١٧ - ٢٠) وقال تعالى ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ (الزمر/٦٩) ﴿**وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾

---

(١) تقدم.

(٢) لم أجده مسنداً.

(٣) رواه البخاري (٥/١٠٠) في المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ومسلم (٤/١٩٩٦/ح ٢٥٧٩) في البر، باب تحريم الظلم.

(٤) تقدم تخريجه سابقاً.

(الزمر/٧٥) وقال تعالى ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (الزمر/٧٠) وغيرها من الآيات.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب القصاص يوم القيامة، وهي الحاقّة لأن فيها الثواب وحواقّ الأمور الحقة والحاقة واحد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار» ثم ساق بسنده حديث ابن مسعودٍ قال النبي ﷺ «أوَّل ما يقضى بين الناس بالدِّماء»[1].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «مَنْ كانت عنده مظلمةٌ لأخيه فليتحلله منها فإنَّه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإنْ لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئاتِ أخيه فطرحت عليه»[2].

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يخلص المؤمنون من النار، فيحُبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنار، فَيُقَصُّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا. حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسُ محمَّدٍ بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»[3].

وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرونَ مَنِ المفلس؟ قالوا: المفلسُ فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسولُ اللهِ ﷺ: المفلس من أُمَّتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةً ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقعد فيقتصّ هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإنْ فنيت حسناتُهُ قبل أن يقتص ما

---

(١) البخاري (١١/٣٩٥) في الرِّقاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (١٢/١٨٧) في الديات، باب قول الله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)، ومسلم (٣/١٣٠٤/ح ١٦٧٨) في القيامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة.

(٢) رواه البخاري (١١/٣٩٥) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (٥/١٠١) في المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته.

(٣) رواه البخاري (١١/٣٥٩) في الرقاق، باب القصاص يوم القيامة وفي (٥/٩٦) في المظالم، باب قصاص المظالم..

عليه من الخطايا أُخِذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طُرح في النار»[1] هذا حديث حسن صحيح.

وله عنه رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال «لتؤدنَّ الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاةُ الجلحاءُ من الشاة القرناء»[2] قال وفي الباب عن أبي ذر وعبدالله بن أنيس حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: بلغني حديثٌ عن رجلٍ سمعه من النبي ﷺ، فاشتريتُ بعيراً ثم شددت عليه رحلاً فسرتُ عليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبدُ الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له جابر على الباب. فقال: ابن عبدالله؟ قلت نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثٌ بلغني عنك أَنَّك سمعتّه من رسولِ اللهِ ﷺ في القصاص فخشيتُ أَنْ تموت وأموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة ـ أو قال العباد ـ عراةً غرلاً بهما. قلت: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء. ثم يناديهم بصوتٍ يسمعه مَنْ بعُد كما يسمعه من قرُب: أنا الملك، أنا الديّان، لا ينبغي لأحَدٍ من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحدٍ من أهل الجنة حقٌّ حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحَدٍ من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجلٍ من أهل النار حقٌّ حتى أقضيه منه، حتى اللطمة. قال قلنا كيف وإنَّما نأتي الله عز وجل حفاةً عراةً غرلاً بهما؟ قال: بالحسناتِ والسَّيئات» وقد أشار البخاري إلى هذا الحديث في مواضع من صحيحه تعليقاً ووصله في كتاب خلق أفعال العباد[3].

---

(١) رواه مسلم (٤/١٩٩٧/ح ٢٥٨١) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي (٤/٦١٣/ح ٢٤١٨) في القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، وأحمد (٢/٣٠٣ و٣٣٤ و٣٧٢) وعلقه البخاري في صحيحه (١٠/٥٦٦) في الأدب، باب قول النبي ﷺ «إنما الكرم قلب المؤمن» طرفه الأول بلفظ «إنما المفلس الذي يفلس يوم القيامة».

(٢) رواه مسلم (٤/١٩٩٧/ح ٢٥٨١) في البر والصلة، باب تحريم الظلم، والترمذي (٤/٦١٤/ح ٢٤٢٠) في القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

(٣) رواه البخاري تعليقاً في صحيحه (١٣/٤٥٣) وفي خلق أفعال العباد (ح ٤٦٣) في الأدب المفرد (ح/٩٧٠) وأحمد (٣/٤٩٥) والحاكم في المستدرك (٢/٤٣٧ ـ ٤٣٨ و٤/٥٧٤ ـ ٥٧٥) والبيهقي =

وروى عبد الله ابن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إنَّ الجماء لتقتصُّ من القرناء يوم القيامة»[1]. وروى رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «رأى رسولُ اللهِ ﷺ شاتين ينتطحان فقال: أتدري ما ينتطحان يا أبا هريرة؟ قلت لا. قال: لكنَّ اللهَ يدري وسيحكم بينهما»[2].

وساوت الملوك للأجناد ... وجيء بالكتاب والأشهاد
وشهد الأعضاء والجوارح ... وبدت السوآت والفضائح
وابتليت هنالك السرائر ... وانكشف المخفى في الضمائر

(**وساوت الملوك**) العظماء الرؤساء الكبراء (**للأجناد**) الرعايا، أي صاروا سواء في ذلك الموقف مشتركين في هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحمه الله، وليس لأحد منهم مقال، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً، ولا ضراً، كل امرىء بما كسب رهين، قال الله تعالى ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ (**الفاتحة/٤**)، وقال تعالى ﴿**الملكُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ**﴾ (**الحج/٥٦**)، وقال تعالى ﴿**يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ، لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ؟ لِلهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ**﴾ (**غافر/١٦**)، وقال تعالى ﴿**يَوْمَ لاَ تَمْلكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلهِ**﴾ (**الانفطار/١٩**) وغير ذلك من الآيات.

قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ (**الفاتحة/٤**)

= في الأسماء والصفات (ص ٧٨)، والخطيب في الرحلة في طلب الحديث (ص ٣١ و٣٢) والطبراني في الكبير (المجمع ١/١٣٣). وفي سنده عبد الله بن محمد بن عقيل قال الحافظ: في حديثه لين. قلت يتقوى بما ذكر الحافظ في الفتح (١/١٧٤) أن له سند عند الطبراني في حديث الشاميين وتمام في فوائده. وقال: إسناده صالح.

(١) رواه عبد الله بن أحمد في المسند (١/٧٢) والبزار (ح ٣٤٤٩) وسنده ضعيف فيه الحجاج بن نصير وهو ضعيف. وهو صحيح لشاهده الذي سبق من حديث أبي هريرة في الصحيح.

(٢) رواه أحمد (٥/١٦٢) والبزار (ح ٣٤٥٠) مع زيادة يسيرة والطبراني في الأوسط كما في (المجمع ١٠/٣٥٥) قال الهيثمي: وفيها ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح غير شيخه ابن عائشة وهو ثقة ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح. وفيها راو لم يُسَمَّ.

يقول لا يملك أحدٌ معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا. قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم. إنْ خيراً فخيراً وإنْ شرّاً فشر، إلاّ من عفا عنه وقال البغوي في قوله عز وجل ﴿**الملكُ يومئذٍ الحَقُّ للرّحمن**﴾ (الفرقان/٢٦): أي الملك الذي هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة. وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره، وفي الحديث الصحيح المتقدم «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض» وفي لفظ «أين الجبارون أين المتكبرون»[1].

وقال قتادة ﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله**﴾ (الانفطار/١٩): والأمر والله اليوم لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد. وقال البغوي: يوم لا يُمَلّك الله في ذلك اليوم أحداً من خلقه شيئاً كما ملكهم في الدنيا. (وَجِيءَ بِالكِتَابِ والأَشْهَادُ) قال الله تعالى ﴿**وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا مَا لهَذَا الكتَابِ لا يُغَادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً**﴾ (الكهف/٤٩)، وقال تعالى ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ**﴾ (الزمر/٦٩)، وقال تعالى ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ (البقرة/١٤٣)، وقال تعالى ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً**﴾ (النساء/٤١)، وقال تعالى ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**﴾ (النحل/٨٤)، إلى قوله ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَث فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاَءِ**﴾ (النحل/٨٩)، وقال تعالى ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ، وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ (القصص/٧٤-٧٥) الآية، وقال تعالى ﴿**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**﴾ (ق/٢١) وغير ذلك من الآيات.

---

(١) تقدم ذكره.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يوسف بنُ راشدٍ حدثنا جريرُ وأبو أسامة ـ واللفظ لجرير ـ عن الأعمش عن أبي صالح. وقال أبو أسامة: حدثنا أبو صالح عن أبي سعيدٍ الخدري قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «يُدْعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبَّيْكَ وسعديْكَ يا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول نعم. فيقال لأُمَّته هل بلَّغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير. فيقول: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ وأمته. فتشهدون أنَّه قد بلَّغ، ويكون الرسولُ عليكم شهيداً، فذلك قوله جل ذكره ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1] (البقرة/١٤٣). والوسط العدل. ورواه أحمدُ وأصحاب السنن.

ورواه الإمام أحمد أيضاً بلفظ «يجيءُ النبيُّ يوم القيامة ومعه الرَّجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون لا. فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول نعم. فيقال مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد ﷺ وأمته فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما عِلْمُكم؟ فيقولون جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أنَّ الرسل قد بلغوا. فذلك قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ قال عدلاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[2] (البقرة/١٤٣).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال «قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: اقرأ عليَّ. فقلتُ يا رسولَ الله اقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: نعم، إنِّي أُحِبُّ أنْ أسمعه من غيري. فقرأتُ سورةَ النِّساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ (النساء/٤١) فقال: حَسْبُك الآن. فإذا عيناهُ تذرفان»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٧١) في الأنبياء، باب قول الله عز وجل: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، وفي التفسير، والاعتصام، وأحمد (٣/٣٢)، والترمذي (٥/٢٠٧/ح ٢٩٦١) في تفسير سورة البقرة وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (تحفة الأشراف ٣/٣٤٥)، وابن ماجه (٢/١٤٣٢/ح ٤٢٨٤) في الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ.

(٢) أحمد (٣/٥٨).

(٣) رواه البخاري (٩/٩٨) في فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، وباب من أحب أن =

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾ أي كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ﴿فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ (الكهف/٤٩) أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمالنا، ﴿مَالِهَذَا الكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (الكهف/٤٩) أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها[1].

وروى الطبراني بإسناده عن سعْدِ بن جنادة قال: لما فرغ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء، فقال النبي ﷺ «اجمعوا، مَنْ وجد عوداً فليأتِ به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأْتِ به» قال فما كان إلّا ساعة حتى جعلناه رُكاماً، فقال النبي ﷺ «أترون هذا؟ فكذلك تُجْمع الذُّنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتَّقِ اللهَ رجلٌ ولا يذنب صغيرةً ولا كبيرةً فإنَّها محصاة عليه»[2].

وروى البغوي بإسناده عن سهل بن سعد قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إيَّاكُم ومُحقِّرات الذُّنوب، فإنَّما مثل محقِّرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطنِ وادٍ فجاء هذا بعودٍ وجاء هذا بعودٍ وجاء هذا بعودٍ فأنضجوا خبزتهم، وإنَّ محقرات الذنوب لموبقات»[3].

وقوله ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾ (الكهف/٤٩) كقوله عز وجل ﴿يَوْمَ تَجِدُ

= يسمع القرآن من غيره، وباب قول المقرىء للقاريء: حسبك، ومسلم (١/٥٥١/ح ٨٠٠) في صلاة المسافرين، باب فضل استماع القرآن.

(١) تفسير ابن كثير (٣/٨٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦/٥٢/ح ١/٥٤٨٥) قال الهيثمي: وفيه نفيع أبو داود وهو ضعيف (المجمع ١٠/١٩٣) قلت: فيه يونس بن نفيع وليس نفيع أبو داود والحسين بن الحسن وهما ضعيفان. وفيه محمد بن سعد العوفي وهو ضعيف كذلك.

(٣) رواه أحمد (١/٤٠٢ و٥/٣٣١) والبغوي في التفسير (٣/٥٧٤) والطبراني في الكبير (٦/١٦٥/ح ٥٨٧٢) والأوسط (٣/٢٥٤/ح ٢٥٥١) والصغير (٢/٤٩) وأخرجه الروياني في مسنده (٢٩/١٩٧ - ١٩٨) والبيهقي في الشعب. قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. (المجمع ١٠/١٩٢).

كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ (آل عمران/٣٠)، وقوله عز وجل ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ (التكوير/١٤)، وقوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ (الانفطار/٥)، وقوله تعالى ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (القيامة/١٣) وغيرها من الآيات.

وقوله تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ (القصص/٧٥) قال البغوي: يعني رسولهم الذي أرسل إليهم وهو قول مجاهد، وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/٢١) فقال: سائق يسوقُها إلى الله تعالى وشاهِدٌ يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائِقُ الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدّي، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه. وقوله تعالى ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بنور خالقها، ذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو، قاله البغوي. والحديث «لا يتضارون في رؤيته»[1].

﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال. ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله اليهم. ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ أي من الملائكة الحفظة على أعمال العباد قال ذلك عطاء، ويدل عليه قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/٢١) قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ. ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة/١٤٣) وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ (غافر/٥١) يعني الملائكة، قال البغوي: يشهدون للرُّسلِ بالتبليغ وعلى الكفار بالتَّكْذيب.

(وشهدت) على كل جاحد (الأعضاء) أعضاؤه (والجوارح) عطف تفسير، قال تعالى ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا

---

(١) تقدم ذكره.

يَكْسِبُونَ﴾ (يس/٦٥) الآيات، وقال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (فصّلت/١٩ ـ ٢٢) الآيات وغيرها.

وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «كُنَّا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: أتدرون مِمَّ أضحك؟ قلنا اللهُ ورسولُهُ أعلم. قال ﷺ: مِنْ مجادلة العبد ربَّه يوم القيامة، يقول: ربِّ ألم تُجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: لا أجيزُ على نفسي إلّا شاهداً منّي. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكتاب شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً وسحقاً فعنكُنَّ كنت أُناضِلُ»[1].

وروى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال «إنَّكم تدعون مفدماً على أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه»[2] ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به. وله هو ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال فيه «ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، آمنتُ بكَ وبنبيِّكَ وبكتابك، وصمْتُ وصلَّيْت وتصدَّقْتُ، ويثني بخير ما استطاع. قال: فيقال له ألا نبعثُ عليك شاهدنا؟ قال فيفكِّرُ في نفسه من الذي يشهد

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٨٠/ح ٢٩٦٩) في الزهد والرقائق، وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٥٨٤) في فاتحته، والنسائي في التفسير في «الكبرى» كما في تحفة الأشراف (١/٢٤٩).

(٢) رواه أحمد (٥/٤ و٥) وعبد الرزاق في «مصنفه» والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ٨/٤٣١/ح ١١٣٩٢) وإسناده حسن.

عليه؟ فيُخْتَمُ على فيهِ ويقال لفخذه: انطقي، قال فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافقُ، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه»[1] وهذا الحديث تقدم قريباً بطوله ولله الحمد. وهذا والله أعلم يتضمن بيان قول الله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ (المجادلة/١٨) الآية، وروى ابن جرير وابنُ أبي حاتم وأحمد رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقولُ «إنَّ أوَّل عظم من الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواهِ فخذه من الرجل اليسرى» وفي رواية أحمد «مِنَ الرِّجْل الشمال»[2].

وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه «يُدعى المؤمنُ للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربُّه عمله فيما بينه وبينه فيعترفُ فيقول نعم. أي ربِّ عملت عملت عملت قال فيغفر الله له ذنوبه ويستره منها قال فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناتُه فودَّ أنَّ الناس كلهم يرونها. ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرضُ عليه ربُّه عمله فيجحد ويقول: أي رب وعزتك لقد كتب عليَّ هذا الملكُ ما لم أعمل. فيقولُ له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملتُهُ. فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيهِ. قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: فأنا أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى» ثم تلا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس/٦٥)[3].

وروى أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إذا كان يوم القيامة عُرِّفَ الكافر بعمله فجحد وخاصم، فيقول هؤلاءِ جيرانُكَ

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٢٧٩/ح ٢٩٦٨) في الزهد والرقائق، وقد تقدم.

(٢) رواه أحمد (٤/١٥١) وابن جرير (٢٣/٢٤) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/٥٨٤) والطبراني وابن مردويه (الدر المنثور ٧/٦٨) وإسناده ضعيف فيه انقطاع بين شريح بن عبيد وعقبة بن عامر. وعند أحمد قال (عن شريح عمن حدّثه عن عقبة).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٣/٢٤) موقوفاً وإسناده على شرط الشيخين.

يشهدون عليك، فيقول كذبوا، فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار»[1].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إنَّ يوم القيامة يأتي على الناس منه حين، لا ينطقون، ولا يعتذرون، ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحدُ بشركهِ باللهِ تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداءَ من أنفسهم جلودَهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول ﴿**أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ (فصلت/٢١) فتقر الألسنة بعد الجحود[2]، وروى أيضاً عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلاً جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيعَ أَنْ ينطِقَ بكلمةٍ، ثم يقول لآرابِهِ[3] تكلَّمي واشْهَدي عليه فيشهدُ عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه: صنعنا عملنا فعلنا[4]. وله أيضاً عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. قال: لما رَجَعَتْ إلى رسولِ اللهِ ﷺ مهاجرةُ البحر قال «ألا تحدِّثون بأعاجيبَ ما رأيْتم بأرضِ الحبشة» فقال فتيةٌ منهم: بلى يا رسول الله، بينما نحنُ جلوسٌ إذْ مرَّت علينا عجوزٌ من عجائز رهابينهم تحمل على رأسِها قُلَّة من ماءٍ، فمرَّت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرَّت على ركبتيها فانكسرت قُلَّتُها، فلمَّا ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع اللهُ الكرسيَّ وجمع الأوَّلين والآخرين وتكلَّمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غداً. قال يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ «صَدَقَتْ صدقت كيف يقدِّسُ

---

(١) رواه أبو يعلى (٢/٥٢٧/ح ١٣٩٢) وابن جرير (١٨/١٠٥) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى بإسناد حسن على ضعف فيه (المجمع ١٠/٣٥٤) قلت: بل هو ضعيف فيه ابن لهيعة ودراج أبو السمح عن أبي الهيثم وهما علتان لضعفه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٧/٣١٩ وابن كثير (٤/١٠٤) وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٣) أي أعضائه.

(٤) ابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/١٠٤).

الله تعالى قوماً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم»[1]، ورواه ابن أبي الدنيا.

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ**﴾ (فصلت/٢٢) الآية: كان رجلانِ من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيتٍ، فقال بعضهم لبعضٍ: أترون أنَّ الله يسمع حديثنا؟ قال بعضُهم يسمع بعضه، وقال بعضهم لئنْ كان يسمع بعضه لقد يسمع كله. فأنزلت ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ**﴾[2] (فصّلت/٢٢) الحديث تقدم لفظه في إثبات السمع والبصر ولله الحمد.

(وابتليت) أي اختبرت **(هنالك)** الاشارة إلى موقف القيامة العظيم، **وهَوْلَه** الجسيم **(السرائر)** جمع سريرة وهي ضد العلانية **(وانكشف المخفى)** المستور **(في الضمائر)** إشارة إلى قول الله عز وجل ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾ (الطارق/٩) قال البغوي رحمه الله تعالى: وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال قتادة ومقاتل تختبر. قال عطاء بن أبي رباح: السرائرُ فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاءَ العبدُ لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، قال ابنُ عمر رضي الله عنهما: يُبدي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْم القيامة كُلَّ سر، فيكون زيناً في وجوهٍ وشيناً في وجوه، يعني من أدَّاها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر. وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «يُرْفَعُ لكُلِّ غادِرٍ لواء عند استه يقال: هذه غدرةُ فلان ابن فلان»[3] عياذاً باللهِ من ذلك.

---

(١) ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في الأهوال (ابن كثير ٤/١٠٤) وابن ماجه (٢/١٣٢٩/ح ٤٠١٠) في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وسنده ضعيف فيه سويد بن سعيد ويحيى بن سعيد الطائفي وكلاهما مضعف. وقد تقدم في العلو.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) رواه البخاري (١٣/٦٨) في الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، وفي=

[صحائف الأعمال تؤخذ باليمين والشمال]

ونشرتْ صحائفُ الأعمالِ ... تؤخذ باليمينِ والشمالِ
طوبى لمن يُؤْخَذُ باليمينِ ... كتابَه بشرى بحور عينِ
والويلُ للآخِذِ بالشّمالِ ... وراءَ ظهر للجحيم صالي

(**ونشرت صحائف**) كتب (**الأعمال**) من حسنات وسيئات قال الله تعالى ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾. (**تؤخذ باليمين**) للمؤمن (**والشمال**) للكافر (**طوبى**) أطيب شيء واسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (**لمن يأخذ اليمين كتابه بشرى**) أعظم بشارة (**بحور**) جمع حوراء صفة لهن من حَوَر العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما (**عِين**) عين الأعين (**والويل**) كلمة عذاب وواد في جهنم (**للآخذ بالشمال**) كتابه (**وراء ظهر للجحيم صال**) اسم فاعل من صلى يصلى غمر فيها، وقد ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها وتناولها في غير موضع من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى ﴿**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً، إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾ (الإسراء/١٤)، وقال تعالى ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً، وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ (الإسراء/٧١)، وقال تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفِي مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيه، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيه، يَالَيْتَهَا كَانَتِ القَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيه، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ**

= الجهاد، باب إثم القادر للبر والفاجر، وفي الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، وفي الحيل، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت فقضى بقيمة الجارية الميتة، ومسلم (٣/١٣٥٩/ح ١٧٣٥) في الجهاد، باب تحريم الغدر.

الجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ، فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ، لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة/١٨ ـ ٣٧)، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظِهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً، وَيَصْلَى سَعِيراً، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً، إِنَّهُ ظَنَّ أَلَّنْ يَحُورَ، بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾ (الانشقاق/٦ ـ ١٥)، وقال تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية/٢٩)، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (الإسراء/١٣): طائره هو ما طار عنه من عمله من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾ (الإسراء/١٣) قال معمر: وتلا الحسن البصري ﴿عَنِ اليَمِينِ، عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (ق/١٧) يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل به ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ﴿إِقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ الآية. فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك.

وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء/٧١) قال يدعى أحدهم فيعطى كتابَهُ بيمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيروْنه من بعيدٍ فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وباركْ لنا في هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإنَّ لكلِّ رجلٍ منكم مثل هذا. وأمَّا الكافر فيسوَّد وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون: نعوذ باللهِ من هذا أو من شر هذا، اللهم لا تأتينا به. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإنَّ

لكلِّ رجلٍ منكم مثل هذا»[1] حديث غريب حسنه الترمذي.

وفي السُّنن عن عائشة رضي الله عنها أنَّها «ذكرتِ النار فبكت، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ما يبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النار فبكيتُ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: أمَّا في ثلاثة مواطنٍ فلا يذكر أحدٌ أحداً. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقول ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ﴾ (الحاقة/١٩) حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أو في شماله أمْ من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم»[2].

وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع اليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدِّلت حسنات، قال فعند ذلك يقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه»[3].

وله عن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال «إنَّ اللهَ يُوقِفُ عَبْده يَوْمَ القيامةِ فيبدي - أي يظهر - سيئاتِهِ في ظهر صحيفتِهِ فيقولُ لهُ: أنْتَ عملتَ هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إنّي لم أفضحك به، وإنّي قد غَفَرْتُ لَكَ. فيقول عند ذلك ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾

---

(١) رواه الترمذي (٥/٣٠٢/ح ٣١٣٦) في التفسير، باب «من سورة بني اسرائيل، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان (٩/٢٢٢/ح٧٣٠٥ - إحسان) والحاكم في المستدرك (٢/٢٤٣) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبزار وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٥/٣١٧) قلت وفيه عبد الرحمن بن أبي كريمة والد السُّدي الكبير «اسماعيل» وهو مجهول ولم يخرج له مسلم كما وهم الحاكم وتابعه الذهبي. قال البزار: لا يروى إلا من هذا الوجه (ابن كثير ٣/٥٦).

(٢) رواه أبو داود (٤/٢٤٠ - ٢٤١/ح ٤٧٥٥) في السنة، باب في ذكر الميزان، وأحمد مختصراً (٦/١٠١) والحاكم في المستدرك (٤/٥٧٨) وقال: هذا حديثه صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن عائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي. منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة ووافقه الذهبي. قلت: هو مدلس وقد عنعن عند الجميع.

(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر والخطيب كما في الدر المنثور (٨/٢٧١) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٤/٤٤٣).

(الحاقة/١٩) حين نجا من فضيحته يوم القيامة»[1]. وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح في النجوى وفيه في المؤمن «ثُمَّ يُعطى كتابَ حسناتِهِ بيمينه، وأَمَّا الكافرُ والمنافقُ فيقول الأشهادُ: هؤلاءِ الَّذِينَ كذبوا على ربِّهم ألا لعنةُ اللهِ على الظالمين»[2].

وعن ابن السائب في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ (الحاقة/٢٥) قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره. وقال البغوي في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (الانشقاق/١٠) قال: فتغلّ يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٨/٢٧١ وابن كثير ٤/٤٤٣).
(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

فصل
فيما جاء في الميزان

والـوزنُ بـالقِسْطِ فـلا ظُلْمَ ولا يؤخَـذُ عَبْـدُ بسـوى مـا عَمِـلاَ
فبيـن نـاجٍ راجـح ميـزانُـهُ ومـقـرف أَوْبَـقَـهُ عِـدوانُـهُ

(والوزن) لأعمال العباد (بالقسط) العدل (فلا ظلم) على أحد يومئذٍ، لأن الحاكم فيه هو العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرماً فلا يهضم أحد من حسناته. (ولا يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسوَى ما عملا) الألف للاطلاق، قال الله تعالى ﴿اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اليَوْمَ﴾ (غافر/١٧)، وقال تعالى ﴿فَاليَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (يس/٥٤)، وقال تعالى ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧)، وقال تعالى عن لقمان ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/١٦)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (النساء/٤٠).

(فبين ناج راجح ميزانه) الخ قال الله تعالى ﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف/٩)، وقال تعالى ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ (المؤمنون/١٠٢) الآيات.

وقال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَه، وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَة، نَارٌ حَامِيَة﴾ (القارعة/٦ ـ ١١)، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً﴾ (الكهف ١٠٥).

وفي الترمذي عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال: سألتُ النبي ﷺ أَنْ يشفع لي يوم القيامة، فقال: أنا فاعل ـ يعني إنْ شاء الله ـ قلت: يارسول الله فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصِّراطِ. قلت: فإنْ لَمْ أَلْقك على الصِّراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإنْ لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض فإنِّي لا أخطىء هذه الثلاث المواطن»[1] هذا حديث حسن غريب.

وفي سنن أبي داود وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه «وعِنْدَ الميزان حتى يثقل أو يخف»[2] الحديث.

والقول في الموزون على ثلاثة أوجه:

الأول: أَنَّه الأعمال نفسها هي التي توزن، وأَنَّ أفعالَ العباد تجسم فتوضع في الميزان.

ويدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح **قال:** قال رسول الله ﷺ «كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرَّحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحانَ اللهِ وبحمده سبحانَ اللهِ العظيم»[3].

وفي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «اقرأوا

---

(١) رواه أحمد (١٧٨/٣)، والترمذي (٦٢١/٤/ح ٢٤٣٣) في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلّا من هذا الوجه.
قلت: وهو كما قال.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) رواه البخاري (٢٠٦/١١) في الدعوات، باب فضل التسبيح، ومسلم (٢٠٧٢/٤/ح ٢٦٩٤) في الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح.

القرآن، فإنَّهُ يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آلِ عمران، فإنَّهما تأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان، أو كأنَّهما غيايتان، أو كأنَّهما فرقان من طير صوّاف تحاجَّانِ عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فإنَّ أَخْذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال معاوية: بلغني أنَّ البطلة السحرة[1] ومعاوية هو ابن سلام.

وفيه عن النَّواسِ بنِ سمعانِ الكلابي قال: سمعتُ النبي ﷺ يقولُ «يؤتَى بالقرآنِ يوم القيامة وأهله الَّذِينَ كانوا يعملون به، تقدمه سورةُ البقرة وآل عمران» وضرب لهما رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال «كأنَّهما غمامتان أو ظُلَّتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنَّهما فرقان من طير صواف تحاجّان عن صاحبهما»[2]. وقال الترمذي رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنَّه يجيءُ ثوابُ قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنَّه يجيءُ ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النواسِ بن سمعان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ «وأهله الذين يعملون به في الدنيا» ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل[3] اهـ.

قلتُ: ولا مانع من كون الآتي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأمَّا أنْ يقال إنَّ الآتي هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأنَّ كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات/٩٦).

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كُنْتُ جالساً عند النبي ﷺ فسمعتُهُ يقول «تعلّموا سورةَ البقرة فإنَّ أخْذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة» قال: ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنَّهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنّهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان

---

(١) رواه مسلم (١/٥٥٣/ح ٨٠٤) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٢) رواه مسلم (١/٥٥٤/ح ٨٠٥) في صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

(٣) الترمذي (٥/١٦٠ ـ ١٦١/ح ٢٨٨٣) في فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة آل عمران.

من طير صوّاف، وإنَّ القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشقُّ عنه قبره كالرَّجُلِ الشاحب فيقول له: هل تعرفُنِي؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآنُ الذي أظمأتُكَ في الهواجر وأسْهرت مقلتك وإنَّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارتك، وإنَّك اليوم من وراء كلِّ تجارة فيعطي الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاجٌ من الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولد كما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنَّةِ وغرفها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلا»[1] وإسناده حسن.

والقول بأن الأعمال هي ذاتها التي توزن، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنه.

والقول الثاني: أن صحائف الأعمال هي التي توزن.

ويدل لذلك ما روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يستخلصُ رجلاً مِنْ أُمَّتي على رؤوسِ الخلائق يوم القيامةِ فينشر له تسعةٌ وتسعون سجلاً كل سجل مَدَّ البصرِ ثم يقول: أتُنْكِرُ من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال لا يارب، قال أفلك عذرٌ أو حسنةٌ؟ قال فبُهِتَ الرَّجُلُ فيقول لا يارب، فيقول بلى إنَّ لك عندنا حسنةً واحدةً لا ظلم عليك اليوم، فَيُخْرَجُ له بطاقة فيها أشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وأشْهَدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ ﷺ فيقول أحضروه، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقول إنَّك لا تظلم، قال فتوضع السجلات في كفَّةٍ والبطاقةُ في كفَّةٍ، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم»[2] ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب.

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٦١) والحاكم في المستدرك شطره الثاني (١/١٤٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) رواه أحمد (٢/٢١٣)، والترمذي (٥/٢٤ ـ ٢٥/ح ٢٦٣٩) في الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلّا الله. وقال «هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٤٣٧/ح ٤٣١١) في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة. وهو حديث صحيح.

والثالث: أن الموزون ثواب العمل وهو اطراد ما نقله الترمذي في معنى حديث النواس.

الرابع: أن الموزون هو العامل نفسه.

ويدل لذلك ما روى أحمدُ عن علي رضي الله عنه أَنَّ ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة يجتنى الكباث، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقلُ من أُحُد»[1].

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إنَّه ليأتي الرجلُ العظيم السَّمين يوم القيامة لا يزنُ عند الله جناح بعوضةٍ» وقال اقرأوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف/١٠٥)[2]. ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالرَّجُلِ الأكولِ الشروبِ العظيم فيوزن بحبَّة فلا يزنها» قال وقرأ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (الكهف/١٠٥) رواه ابن جرير[3].

وروى البزار عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنَّا عند رسولِ اللهِ ﷺ، فأقبل رجلٌ من قريشٍ يخطر في حلَّة لهُ، فلمّا قام على النبي قال «يا بريدة هذا ممَّنْ لا يقيمُ اللهُ له يوم القيامة وزناً»[4].

قلت: والذي استظهر من النصوص ـ والله أعلم ـ أن العامل وعمله وصحيفة

---

(١) رواه أحمد (١/١١٤) وإسناده حسن وله شواهد من حديث ابن مسعود وقُرَّة بن إياس وغيرهم والكباث: هو النضيج من ثمر الأراك.

(٢) رواه البخاري (٨/٤٢٦) في تفسير سورة الكهف، باب قوله تعالى: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه)، ومسلم (٤/٢١٤٧/ح ٢٧٨٥) في صفات المنافقين، باب صفة القيامة والجنة والنار.

(٣) أخرجه ابن جرير (٩/٣٥) والبيهقي في الشعب كما في الدر المنثور (٥/٤٦٦) وابن أبي حاتم (ابن كثير ٣/١١٣). وفي سنده صالح مولى التوأمة: صدوق اختلط وتابعه عند البخاري الأعرج فهو حديث صحيح.

(٤) رواه البزار (كشف الأستار ٣/٣٦٥).
قال الهيثمي: وفيه عون بن عمارة وهو ضعيف (المجمع ٥/١٢٨) قال البزار: عون لم يكن بالحافظ ولم يتابع على هذا.

عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمدُ رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال قال رسول الله ﷺ «توضع الموازينُ يوم القيامة، فيؤتى بالرَّجُلِ فيوضع في كَفَّةٍ ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزانُ، قال فيبعث به إلى النَّارِ. قال فإذا أَدْبر إذا صائحٌ من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنَّه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلّا الله فتوضع مع الرجل في كفّةٍ حتى يميل به الميزان»[1] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنّة.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رجلاً من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إنَّ لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فيكف أنا منهم؟ فقال لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإنْ كان عقابك إيَّاهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإنْ كان عقابُك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإنْ كان عقابُكَ إياهم فوق ذنوبهم اقتصَّ لهم منك الفضل الذي بقي قبلك» فجعل الرجلُ يبكي بين يدي رسولِ اللهِ ﷺ ويهتف، فقال رسولُ اللهِ ﷺ «ما له لا يقرأ كتابَ اللهِ ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧) فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً مِنْ فراق هؤلاء ـ يعني عبيده ـ إنِّي أشهدك أنَّهم أحرارٌ كلُّهم»[2].

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٨٠)، والترمذي (٥/ ٣٢٠/ح ٣١٦٥) في التفسير، باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام، وابن جرير في تهذيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان كما في الدر المنثور (٥/ ٦٣٢) قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث عبد الرحمن بن غزوان. قلت: هو ثقة والحديث صحيح.

فصل
فيما جاء في الصراط

وينصبُ الجسرُ بلا امتراءِ ... كما أتى في مُحْكَمِ الأنباءِ
يجوزُهُ النَّاسُ على أَحْوَالِ ... بقدر كسبهم مِنَ الأعمالِ
فبينَ مجتازٍ إلى الجنانِ ... ومسرفٌ يُكَبُّ في النِّيرانِ

(وينصب الجسر) وهو الصراط على متن جهنم (بلا امتراء) بلا شك (كما أتى في محكم الأنباء) من الآيات والأحاديث (يجوزه) يمر عليه الناس (على أحوال) متفاوتة (بقدر كسبهم) في الحياة الدنيا (من الأعمال) من إحسان أو إساءة أو تخليط، (فِ)هم (بين مجتاز) عليه (إلى الجنان) وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، (ومسرف) على نفسه (يكب في النيران) فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّا﴾ (مريم/٧١)، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ، يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتِ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالتَمِسُوا نُوراً، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورِ. فَاليَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ المَصِيرِ﴾ (الحديد/١٢ - ١٥).

وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورودِ، فقال بعضُنا لا يدخلُها مؤمنٌ، وقال بعضُنا يدخلونها جميعاً ثم ينجّي الله

الـذين اتّقوا، فلقيت جـابر بن عبـد الله فقلت له: إنـا اختلفنا في الورود، فقال: يردونَها جميعاً.

وقال سليمانُ بن مرة: يدخلونها جميعاً وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقـال: صمتاً إنْ لم أكن سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول «لا يبقى بر ولا فاجـر إلا دخلها: فتكـونُ على المؤمن بـرداً وسلامـاً كمـا كـانت على إبـراهيم حتى إنَّ للنَّـار ضجيجـاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتَّقوا ويذر الظالمين فيها جثيّا»[1].

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال أَهْلُ الجنَّةِ بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربُّنا الورود على النَّار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة[2].

وروى عبـد الرزاق عن قيس بن حـازم قال: كـان عبدُ اللهِ بنُ رواحـة واضعـاً رأسه في حجرِ امرأته فبكى فبكت امـرأتُهُ، فقـال ما يبكيـك؟ قالت رأيتـك تبكي فبكيت، قال إنِّي ذكرتُ قـول الله عز وجـل ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾ (مـريم/٧١) فلا أدري أأنجو منها أم لا[3].

ولـه عن ابن عباس في قصـة مخاصمتـه نافـع بن الأزرق، فقال ابن عبـاس: الورود الدخول. فقال نافع لا. فقرأ ابنُ عبَّـاس ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ (الأنبياء/٩٨) أوردوهـا أم لا؟ وقال ﴿**يَقـدُم قَوْمَـهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّـار**﴾ (هود/٩٨) أوردوهـا أم لا؟ أما أنـا وأنت فسندخلهـا فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع[4].

وروى ابن جرير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبـو

---

(١) رواه أحمد (٣/٣٢٨ ـ ٣٢٩) ورجاله ثقات غير أبي سميّة قال الحافظ: مقبول.
ولذلك قال ابن كثير: غريب ولم يخرجوه.

(٢) الحسن بن عرفه (ابن كثير ٣/١٣٢) وابن جرير (١٦/١٠٩).

(٣) عبد الرزاق في مصنفه ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الرزاق وابن جرير (١٦/١٠٨ ـ ١٠٩) وسعيد بن منصور وهنّـاد وعبد بن حميـد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث وفيه رجل مبهم ويشهد له الذي بعده.

راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾ (مريم/٧١) قال: أما أنا وأنْت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا[١]. وعنه رضي الله عنه في ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ (هود/٩٨) الآية ﴿وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ (مريم/٨٦) فسمى الورود على النار دخولاً وليس بصادر[٢].

وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال رسول الله ﷺ «يرد النَّاسُ كُلُّهُم ثم يصدرون عنها بأعمالهم»[٣]. ورواه الترمذي هكذا مرفوعاً، وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفاً قال «يَرِدُ الناس جميعاً الصراط، ورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمرُّ مثل البرقِ، ومنهم من يمرُّ مثل الريح، ومنهم من يمرُّ مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدْو الرجل حتى إنَّ آخرهم مرّاً رجلٌ نوره على موضع إبهامي قدميه يمرُّ فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسكٌ كحسكِ القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس»[٤] الحديث.

وروى ابن جرير عنه في ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة

---

(١) ابن جرير (١٦/١١١).

(٢) ابن جرير (٩/١٠٨ ـ ١٠٩) وأخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/٥٣٥). وإسناده مسلسل بالضعفاء.

(٣) رواه أحمد (١/٤٣٥)، والترمذي (٥/٣١٧/ح ٣١٥٩) في التفسير، باب ومن سورة مريم، وقال هذا حديث حسن، وابن جرير (١٦/١١١) وفي سنده إسماعيل السدي: قال شعبة: وقد سمعته من السدي مرفوعاً ولكني عمداً أدعه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/١٣٩) وقد تقدم ذكر شعبة في هذا. والسدي له أوهام.

كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم[1].

وقال قتادة: قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم/٧١) قال: هو الممر عليها[2]، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها[3].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لا يموت لأحَدٍ من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»[4] قال الزهري كأنَّه يريدُ هذه الآية ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً﴾ (مريم/٧١) قال ابن مسعود: قسماً واجباً، وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه «وَيُضْرَبُ الصراط بين ظهري جهنَّم فأكونُ أنا وأمتي أوَّل من يجيزها، ولا يتكلم يومئذٍ إلاّ الرسل، ودعوى الرسل يومئذٍ اللهمَّ سلِّم سلِّم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال فإنَّها مثل شوك السعدان، غير أنَّه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبَق بعمله والموثَق بعمله ومنهم المخردَل أو المجازى أو نحوه»[5] الحديث.

وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنَّم. قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٦/١١٠) قال ابن كثير: ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم (٣/١٣٩ - ١٤٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٩/١١٠).

(٣) أخرجه ابن جرير (٩/١١١)، قلت: وهذا أقرب الأقوال إلى الصحة وله تشهد النصوص والدلائل.

(٤) رواه البخاري (٣/١١٨) في الجنائز، باب فضل من مات له فاحتسب، ومسلم (٤/٢٠٢٨/ح ٢٦٣٢) في البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

(٥) رواه البخاري (١٣/٤١٩ - ٤٢٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربّها ناظرة)، ومسلم (١/١٦٣ - ١٦٦/ح ١٨٢) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً»[1] الحديث.

ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «آخِرُ من يدخل الجنة رجلٌ فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة ـ فإذا ما جاوزها التفت اليها فقال: تبارَكَ الذي نجّاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأَوَّلين والآخرين» الحديث. وفي رواية عن ابن مسعود «رجلٌ يخرج من النارِ حبواً»[2].

وفيه عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولاً. وفيه «وترسلُ الأمانةُ والرَحِم فتقومان جنبتي الصِّراط يميناً وشمالاً، فيمرُّ أولكُم كالبرق، قال: قلت بأبي أَنْتَ وأُمِّي أَيُّ شيءٍ كمرِّ البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجعُ في طرفة عينٍ، ثم كَمَرِّ الطير، وتشد الرجال تجري بهم أعمالُهم، قال ونبيكم ﷺ قائمٌ على الصراط يقول رَبِّ سلِّم سلِّم حتى تعجز أعمالُ العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السَّير إلّا زحافاً. قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأَخْذِ من أُمِرَتْ به فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوسٌ في النار. والذي نفس أبي هريرة بيده إنَّ جهنَّم لسبعون حريفاً»[3]. وفيه أيضاً في بعض طرق حديث أبي سعيد المتقدم قال أبو سعيد «بلغني أَنَّ الجسر أدقُّ من الشعرة وأحدُّ من السَّيْفِ»[4]، وفيه عن أبي الزبير أَنَّه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن الورود الحديث[5]. وفيه رؤية الله تعالى «فيتجلّى لهم يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل إنسان ـ منافق

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤١٩ ـ ٤٢٠) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة)، ومسلم (١/١٦٧ ـ ١٧١/ح ١٨٣) في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

(٢) رواه مسلم (١/١٧٢ ـ ١٧٥/ح ١٨٧) في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً.

(٣) رواه مسلم (١/١٨٦ ـ ١٨٧/ح ١٩٥) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلاً.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم.

أو مؤمن ـ نوراً ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يطفأ نورُ المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجونَ أَوَّل زمرةٍ وجوههم كالقمرِ ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون»[1] وذكر الحديث.

وقال عبدالله بن مسعود في قوله الله تعالى ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الحديد/١٢) قال: على قدر أعمالهم يمرُّون على الصراط، منهم مَنْ نورُه مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النَّخْلة ومنهم مَنْ نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً مَنْ نورُه في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»[2] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أَنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقول «مِنَ المؤمنين مَنْ يضيءُ نورُهُ من المدينة إلى عدن أبيْنَ وصنعاء فدون ذلك، حتى إنَّ من المؤمنين مَنْ يضيء نورُهُ موضِعَ قدميه»[3].

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلب الله تعالى نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحداً[4].

قلت: وذلك من تأويل قول الله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا

---

(١) مسلم (١/١٧٧/ح ١٩١) في الإيمان، باب معرفة أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) ابن جرير (٢٧/٢٢٣) والحاكم في المستدرك (٢/٤٧٨) وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٥٢) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: على شرط البخاري.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٧/٢٢٢) وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/٥٢) وإسناده منقطع. ومعناه يشهد له ما تقدم.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/١٢٢/ح ١١٢٤٢).
وأخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٥٣) وإسناده موضوع فيه إسحق بن بشر وهو وضاع.

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ (التحريم/٨) وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «أنا أولُ مَنْ يؤذن له يوم القيامة بالسُّجودِ، وأوَّلُ من يؤذنُ له برفع رأسه، فأَنْظُرْ من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أُمَّتي من بين الأُمم. فقال له رجُلٌ: يا نبيَّ اللهِ كيف تعرفُ أُمَّتَكَ من بين الأمم ما بين نوحٍ إلى أمتك؟ فقال أعرفهم محجَّلون من أثرِ الوضوءِ ولا يكونُ لأَحَدٍ من الأُمَمِ غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوهِهِم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»[1] وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا. وقال الحسن رحمه الله ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الحديد/١٢) قال: على الصراط اهـ.

وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأوّلوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالاصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنّة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنَّ نافع بن الأزرق مارى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء/٩٨) أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل أَنْ يخرجك منها بتكذيبك»[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٧٨) وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٥٢). وهو حديث صحيح. في سند الحاكم: عبد الله بن صالح كاتب الليث تابعه عند ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/٣٣٠) ابن أخي ابن وهب.

(٢) تقدم ذكره سابقاً. وتمامه فضحك نافع (أي استهزاءً).

فصل ـ فيما ورد في الجنة والنار

والنـار والجنـة حق وهمـا مـوجـودتـان لا فنـاء لهمـا

أي ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، **والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور:**

الأول: كونهما حقاً لا ريب فيهما ولا شك، وأن النار دار أعداء الله، والجنة دار أوليائه.

وهـذا هو المشـار إليه بقـولنا حق، قـال الله تعالى ﴿يَـا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَـاراً وَقُودُهَـا النَّاسُ وَالحِجَـارَةُ عَلَيْهَا مَـلاَئِكَـةٌ غِـلاَظٌ شِـدَادٌ لاَ يَعْصُـونَ اللهَ مَا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَـرُونَ، يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ كَفَـرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا اليَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ﴾ (التحريم/٦ ـ ٨)الآيات.

وقال تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّـارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَـافِرِينَ، وَبَشِّـرِ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾ (البقـرة/٢٥) الآيـة. وقـال تعـالى ﴿واتَّقُـوا النَّـارَ الَّتِي أُعِـدَّتْ لِلْكَـافِـرِينَ، وَأَطِيعُـوا اللهَ وَالـرَّسُـولَ لَعَلَّكُمْ تُـرْحَمُونَ، وَسَـارِعُوا إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَـرْضُهَـا السَّمَـواتُ وَالأَرْضِ أُعِـدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمـران/١٣١ ـ ١٣٣) الآيـات، وقـال تعـالى ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ، إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيمـاً، وَالَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِـدِينَ فِيهَا أَبَـدَا لَهُمْ فِيهَا

أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلاً﴾ (النساء/٥٥- ٥٧)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ نَعِيمٍ، دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ (يونس/٧ - ٨)، وقال تعالى في أولياء الشيطان ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقَ مِنَ اللهِ قِيلا﴾ (النساء/١٢٠ - ١٢٢). وقال تعالى لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكَلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ، إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ (الحجر/٤٣) الآيات، وغيرها كثيرة في القرآن شهيرة، كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة، فتارة يعد ويتوعد، وتارة يخبر عما أعدَّ في الجنة من النعيم المقيم لأوليائه، ويخبر عما أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك. فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق.

وقال البخاري رحمهُ اللهُ تعالى: حدَّثنا صدقةُ بنُ الفضْلِ حدثنا الوليدُ عن الأوزاعي قال حدثني عميرُ بن هانيء قال حدثني جنادة بنُ أبي أُميَّة عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولهُ ،وأَنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُهُ وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه والجنة حقٌّ والنارُ حقٌّ أدخله الجنة على ما كان من العمل» زاد في رواية «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء»[1] ووافقه على إخراجه مسلم وغيره.

---

(١) رواه البخاري (٦/٤٧٤) في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا =

ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال «اللهم لك الحمد، أنت قيِّمُ السمواتِ والأرضَ ومن فيهنَّ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهنَّ، ولك الحمد أنت نور السمواتِ والأرضَ، ولك الحمد أنت ملك السمواتِ والأرضِ، ولك الحمد أنت الحقُّ ووعدك الحقُّ ولقاؤك حقٌّ وقولك حقٌّ والجنةُ حقٌّ والنار حقٌّ والنبيونَ حقٌّ ومحمدٌ ﷺ حقٌّ والساعة حَقٌّ. اللهم لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك توكَّلت وإليك أنبْتُ وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمْتُ وما أَخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك» زاد في رواية «ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1] هذا لفظ البخاري في باب التهجد.

وقد رواه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقية رسله عليهم السلام وحقية وعده الصادق وهما أي الجنة والنار من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه. وفي حديث عبادة هذا أنه ﷺ علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار ﴿**هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ (يس/٦٣ - ٦٤)، وقال تعالى ﴿**يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَذَا**﴾ (الطور/١٣ - ١٥) الآيات وغيرها. وتقدم في بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد «قال فحدثني ما الإيمانُ؟ قال: الإيمانُ أَنْ تؤمِنَ باللهِ واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمِنَ بالموتِ وبالحياةِ بعد الموت وتؤمِنَ بالجنَّةِ والنار والحساب والميزان»[2] الحديث، وغير ذلك من الأحاديث.

= تقولوا على الله إلّا الحق)، ومسلم (١/٥٧/ح ٢٨) في الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

(١) رواه البخاري (٣/٣) في التهجد، باب التهجد بالليل وفي الدعوات، وفي التوحيد، ومسلم (١/٥٣٢/ح ٧٦٩) في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) تقدم تخريجه.

البحث الثاني: اعتقاد وجودهما الآن:

قال الله تعالى في الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ - أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٧)، وقال تعالى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ (النجم/١٤ - ١٥) وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم، وأنها في السماء، وأن النبي ﷺ أتاها ليلة المعراج ورآها. وقال تعالى في النار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) وقال ﴿وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً، إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً لِلْطَّاغِينَ مَآباً﴾ فهي أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم.

وقال البخاري في صحيحه «باب ما جاء في صفة الجنة وأنَّها مخلوقة» ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إذا مات أَحَدُكُمْ فإنَّهُ يُعرض عليه مقعده بالغداة والعشيِّ، فإنْ كان من أهلِ الجنة فمن أهل الجنة، وإنْ كان من أهل النار فمن أهل النار»[1]. وحديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال «اطَّلعتُ في الجنة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطَّلعت في النار فرأيتُ أكثر أهلها النساء»[2]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «بينما نحن عند رسولِ اللهِ ﷺ إذ قال: بينا أنا نائمٌ رأيتني في الجنةِ، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصرٍ، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرته فولَّيْتُ مُدْبراً. فبكى عمر، وقال: عليك أغار يارسول الله»[3] ؟. وحديثه رضي الله

---

(١) رواه البخاري (٦/٣١٧) في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. وفي الجنائز، وفي الرقاق، ومسلم (٤/٢١٩٩/ح ٢٨٦٦) في الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٢) رواه البخاري (١١/٢٧٣) في الرقاق، باب فضل الفقر، وباب صفة الجنة والنار، وفي بدء الخلق، وفي النكاح، ومسلم (٤/٢٠٩٦/ح ٢٧٣٧) في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء. وبيان الفتنة بالنساء.

(٣) رواه البخاري (٩/٣٢٠) في النكاح، باب الغيرة، وفي بدء الخلق، وفي فضائل أصحاب

عنه أيضاً قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «قال اللهُ تعالى: أعددتُ لعبادِيَ الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأَتْ ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلبِ بشرٍ، فاقْرؤوا إنْ شئتُمْ: فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قُرَّةِ أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون»[1].

ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال «بابُ صفةِ النار وأنَّها مخلوقة، ثم ذكر فيه حديث أبي ذر وأبي سعيد رضي الله عنهما قال النبي ﷺ «أَبْرِدُوا بالصلاةِ، فإنَّ شِدَّةَ الحَرِّ من فيح جهنم»[2]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «اشتكتِ النَّارُ إلى ربِّها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضاً. فأُذِنَ لها بنفسين نفسٌ في الشتاء ونفسٌ في الصيف، فأشدُّ ما تجدونَ في الحرِّ وأشد ما تجدون من الزمهرير»[3]. وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم قال رسول لله ﷺ الحمّى مِنْ فيحِ جهنَّم فأبردوها بالماء»[4]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال «نارُكُمْ جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنَّمَ» قيلَ يا رسول الله إنْ كانت لكافيةً قال «فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كُلُّهُنَّ مثل حرها»[5]. وفيه من حديث أنس بن مالك في المعراج» ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سِدْرَةِ المنتهى وغشيها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»[6].

= النبي ﷺ، والتعبير، ومسلم (٤/١٨٦٣/ح ٢٣٩٥) في فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (١٣/٤٦٥) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدِّلوا كلام الله)، وفي بدء الخلق، وفي التفسير، ومسلم (٤/٢١٧٤/ح ٢٨٢٤) في الجنة وصفة نعيمها، في فاتحته.

(٢) البخاري (٦/٣٢٩) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.

(٣) البخاري (٦/٣٣٠) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.

(٤) البخاري (٦/٣٣٠) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.

(٥) البخاري (٦/٣٣٠) في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.

(٦) رواه البخاري (١/٤٥٨ - ٤٥٩) في الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟، وفي التوحيد، وفي الأنبياء، ومسلم (١/١٤٥ - ١٤٧/ح ١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات.

وفيه من حديث مالك بن صعصعة في ذلك وفيه «ثم رُفِعَتْ إلى سدرة المنتهى فإذا نَبْقُهَا مثل قلال هجر، وإذا ورقُها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهرانِ باطنانِ ونهرانِ ظاهرانِ، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنَّةِ، وأما الظاهران فالنيل والفرات»[1] الحديث.

وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته ﷺ فيها وأنَّه عُرِضَتْ عليه الجنَّةُ والنار، وأنه ﷺ أراد أن يتناول من الجنة عنقوداً فقصرت يده عنه، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، وأنه رأى النار ورأى فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج، ورأى فيها عمرو بن لُحَيّ يجر قصبه في النار، ورأى المرأة التي تعذب هرّة حبستها وقال ﷺ «لم أرَ مَنْظراً كاليوم أفظع»[2].

وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لمَّا خلق الله الجنَّة والنَّارَ أَرْسَل جبرائيل إلى الجنَّةِ فقال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها وإلى ما أَعدَّ الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزَّتِكَ لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها. فأمر بالجنَّةِ فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر اليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزَّتِكَ لقد خشيتُ أَنْ لا يدخلها أَحَدٌ، قال ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانْظر إليها وإلى ما أعددْتُ لأهلها فيها، قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزَّتِكَ لا يدخلها أحدٌ سمع بها. فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزَّتِكَ لقد خشيت أنْ لا ينجو منها أحدٌ إلّا دخلها»[3].

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٠٢ ـ ٣٠٣) في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم (١/١٤٥ ـ ١٤٧/ح ١٦٢) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) تقدم تخريجه سابقاً.

وقد تقدم في أحاديث عذاب القبر وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ورؤية كل منزلة فيها، وعرض مقعده عليه وفتح باب إحديهما إليه وأن أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الفجار في سجّين وغير ما ذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة مالا يحصى، وإلى هذه المسألة الاشارة بقولنا (موجودتان).

(البحث الثالث: في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبداً ولا يفنى من فيهما)

وإلى هذه المسألة الاشارة بقولنا (**لا فناء لهما**) قال الله تعالى في الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (التوبة/١٠٠)، وقال تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر/٤٨)، وقال تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود/١٠٨)، وقال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص/٥٤)، وقال تعالى ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ - إلى قوله تعالى - لا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الجَحِيمِ. فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ (الدخان/٥١ - ٥٧)، وقال تعالى ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة/٣٣) وغير ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً - إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ (ص/٥٤) وأبدية حياة أهلها بقوله ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إِلَّا المَوْتَةَ الأُولَى﴾ (الدخان/٥٦) وعدم انقطاعها عنهم بقوله ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ - عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (الواقعة/٣٣) وبعدم خروجهم بقوله ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر/٤٨). وكذلك النار قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (النساء/١٦٨)، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ (الأحزاب/٦٤)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ (الجن/٢٣)، وقال تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾ (الفرقان/٦٥ ـ ٦٦)، وقال تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة/٦٨)، وقال تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة/١٦٧)، وقال تعالى ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمين. وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ (الزخرف/٧٤ ـ ٧٧) الآيات.

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضِى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلْظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر/٣٦ ـ ٣٧)، وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقوتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسئوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ﴾ (المؤمنون/١٠٦ ـ ١٠٨)، وقال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ (الشورى/٤٥)، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (طه/٧٤)، وقال تعالى ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى، وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (الأعلى/١٠ ـ ١٣)، وقال تعالى ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ـ إلى قوله ـ فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً﴾ (النبأ/٢٣ ـ ٣٠). وغير ذلك في القرآن كثير، فأخبرنا تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا فكاك لهم منها ولا خلاص، ولات حين مناص. فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة/١٦٧) ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله عز وجل ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر/٣٦)، وقال تعالى ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ (الزخرف/٧٥) ونفى فناءهم فيما بقوله

عز وجل ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فيها وَلاَ يَحْيَى﴾ (الأعلى/١٣) وقوله ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ (النساء/٥٦).

وقال البخاري رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ (مريم/٣٩): حدثنا عمرُ بنُ حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيدٍ الخدْري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «يُؤتى بالموت كهيئةِ كبشٍ أملحٍ، فينادي منادٍ يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلُّهم قد رآهُ ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلُّهم قد رآه، فيُذْبحُ ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موتٌ ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ (مريم/٣٩) وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون»[1] ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبي سعيد هذا.

وأخرجاه أيضاً من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إذا صار أَهْل الجنَّةِ إلى الجنةِ وأهل النار إلى النار جيء بالموتِ حتى يجعل بين الجنَّةِ والنَّارِ ثم يُذْبح ثم يُنادي منادٍ: يا أَهْلَ الجنَّة لا موتٌ، ويا أهل النار لا موتٌ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حُزناً إلى حزنهم»[2].

وفي رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال «يُدْخِلُ اللهُ أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النَّارِ النَّارَ، ثم يقوم مؤذِّنٌ بينهم فيقول: يا أَهْل الجنةِ لا موتٌ ويا أهل النارِ لا موتٌ، كل خالد فيما هو

---

(١) رواه البخاري (٨/٤٢٨) في تفسير سورة مريم، باب قوله تعالى: (وأنذرهم يوم الحسرة). ومسلم (٤/٢١٨٨/ح ٢٨٤٩) في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٢) رواه البخاري (١١/٤١٥) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومسلم (٤/٢١٨٩/ح ٢٨٥٠) في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون.

فيه»[1]. ورواه البخاري دون قوله كل خالد الخ. وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ «يقال لأهْلِ الجنةِ خلودٌ لا موت. ولأهْلِ النار: يا أهل النار خلودٌ لا موت»[2].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا نصرُ بنُ علي الجهضمي حدثنا بشر يعني ابن المفضل عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أَمَّا أَهْلُ النار الَّذِينَ هم أهلها فإنَّهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال بخطاياهم ـ فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أُذِنَ بالشَّفاعةِ فجيء بهم ضبائر ضبائر فبُثُّوا على أَنْهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنَّة أفيضوا عليهم، فينبتون نباتَ الحبَّةِ تكونُ في حميل السيل. فقال رجلٌ من القوم: كأَنَّ رسولَ الله ﷺ قد كان بالبادية»[3]، ورواه الإمام أحمد من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا، وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

[إخراج عصاة الموحدين من النار]

نعم جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنايتهم، وأنَّهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريباً، وأنَّ هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم. وجاء فيها آثار أنَّ هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة، وأنَّها ليأتين عليها يوم وهي تصفق في أبوابها ليس بها أحد»[4] وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا

---

(١) مسلم (٤/٢١٨٩/ح ٢٨٥٠) في الجنة، باب يدخلها الجبارون والبخاري (١١/٤١٥) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٢) البخاري (١١/٤٠٦) في الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

(٣) رواه مسلم (١/١٧٢/ح ١٨٥) في الإيمان، باب اثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار. وأحمد (٣/٥ و١١).

(٤) حديث: ليأتين على جهنم يوم تصفق أبوابها، ما فيها من أمّة محمد أحد» رواه ابن عدي في =

شَاءَ رَبُّكَ﴾ الآية، وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة. وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه (الوابل الصيب) قال رحمه الله تعالى: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب ـ كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض ـ وهاتان الداران لا تفنيان ـ ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(فصل)
[ما قالته اليهود في النار]

قالت اليهود قبحهم الله: إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام ثم يخلفهم آخرون كما قص الله تعالى ذلك عنهم في سورة البقرة إذ يقول تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ (البقرة/٨٠) ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ، أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/٨٠ ـ ٨١)وقال تعالى في آل عمران ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ، فَكَيْفَ إِذَا

= الكامل للضعفاء (١٨٦٣/٥) بإسناد موضوع فيه العلاء بن زيدل وهو وضاع. وله شاهد مثله من حديث أبي أمامة ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢٦٨/٣). فالحديث موضوع باطل.

(١) الوابل الصيب (ص ٢٦). وأما خروج الموحدين من النار فهو قول أهل السنة والجماعة بآيات وأحاديث عدّة مشهورة. وابن القيم رحمه الله وشيخه ابن تيميّة لهما قول في فناء النار. وقيل إن أقوالهما قد تضاربت واختلفت والنص هذا في الوابل منها. انظر رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني بتحقيق الشيخ الألباني ففيها الغنية لك.

﴿جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران/٢٤ ـ ٢٥).

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيدٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال «لما فُتِحَتْ خَيْبر أُهديتْ لرسولِ اللهِ ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: اجمعوا لي من كان ههنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: إنِّي سائِلُكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقيَّ عنه؟ فقالوا نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: مَنْ أبوكم؟ قالوا أبونا فلان. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: كذبْتُم، بل أبوكم فلانٌ. فقالوا: صدقْتَ وبررْتَ. فقال ﷺ: هل أنتم صادقي عن شيءٍ إنْ سألْتُكُمْ عنه؟ فقالوا نعم يا أبا القاسم، وإنْ كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا. قال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: مَن أهل النار؟ فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها. فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: اخسئوا فيها، واللهِ لا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال لهم: فهل أنتم صادقي عن شيءٍ إنْ سألتُكُم عنه؟ قالوا نعم، فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟ فقالوا نعم. فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أرَدنا إنْ كنت كذَّاباً نستريحُ منك، وإنْ كنت نبيّاً لم يضرك»[1].

وقال ابن عربي إمام الاتحادية محي الزندقة والإلحاد في آيات الله تعالى: إنَّ أهْلها يعذَّبون فيها ثم تنقلب طبيعتُهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم[2].

وقال الجهم وشيعته: إنَّ الجنة والنار تفنيان كلاهما لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه. بناء على أصله الفاسد في منع تسلسل الحوادث وبقائها بإبقاء الله تعالى لها.

وقال طائفة من المعتزلة والقدرية: لم يكونا الآن موجودتين بل ينشئهما الله

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٧٢) في الجزية، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم.

(٢) ذكر ذلك في كتابه الهالك «فصوص الحكم» في نهاية «فص حكمة عليّة في كلمة إسماعيليّة» (ص ٩٤).

تعالى يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنَّه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، قياساً لله تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النُّصوص عن مواضعها وضلَّلوا وبدَّعوا من خالف شريعتَهُمْ قبَّحهم الله تعالى.

وقال أبو الهذيل العلاف تفنى حركات أَهْل الجنَّة والنَّار ويصيرون جماداً لا يحسون بنعيم ولا ألم. وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، ومحادَّة ومشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديم للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية الطريدة، وزخارف فاسدي السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة. وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته الكافية الشافية في أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته دمرهم الله تعالى:

وقضى بأَنَّ الله كان معطَّلاً ... والفعلُ ممتنع بلا إمكانِ
ثم استحالَ وصارَ مقدوراً له ... مِنْ غير أَمْر قامَ بالديَّانِ
بَل حالُهُ سبحانهُ في ذاتِهِ ... قبل الحدوثِ وبعدهُ سيَّانِ
وقضى بأَنَّ النَّارَ لم تخلقْ ولا ... جَنَّاتِ عدْنٍ بل هما عدمانِ
فإذا هما خُلِقا ليومِ معادِنا ... فهُمَا على الأوقاتِ فانيتانِ
وتلطف العلافُ من أتباعه ... فأتى بضحكةِ جاهلٍ مجانِ
قال الفناءُ يكونُ في الحركاتِ لا ... في الذَّاتِ واعجباً لذا الهذيانِ
أَيصيرُ أَهْلُ الخُلْدِ في جنَّاتِهِمْ ... وجحيمهم كحجارةِ البُنيانِ
ما حالُ مَنْ قَدْ كان يغشى أهله ... عِنْدَ انقضاءِ تحرُّكِ الحيوانِ
وكذاك ما حالُ الذي رفعتْ يدا ... هُ أَكلة من صحفةٍ وخوانِ
فتناهتِ الحركاتُ قبل وصولها ... للفمِّ عند تفتُّحِ الأسنانِ
وكذاكَ ما حالُ الذي امتدَّتْ يدٌ ... منه إلى قنوٍ مِنَ القِنْوَانِ

فتناهتِ الحركـاتُ قبل الأخـذ هل ... يبقى كـذلـك سـائـرُ الأَزْمـانِ
تبّـاً لهـاتيـكَ العقـولُ فـإنَّهـا ... واللهِ قـد مُسِخَتْ على الأبـدانِ
تبّاً لمنْ أضْحَى يقـدِّمُهـا على الـ ... آثـارِ والأخـبـارِ والـقُـرآنِ

فصل
فيما جاءَ في الحوض والكوثر

وحَـوْضُ خَيْـرِ الخَلْقِ حَقٌّ وَبِـهِ يشـربُ في الأُخرى جميعُ حِزْبـه

(**وحوض خير الخلق**) نبيّنا محمد ﷺ وهو الكوثـر الذي أعـطاه ربه عـز وجل (**حق**) لا مرية فيه (**وبه**) بالحوض (**يشـرب**) أي يروى ولـذا عدَّى بـالباء دون من لتضمن الشـرب ههنا معنى الـري (**في الأخرى**) أي في الـدار الآخـرة (**وجميـع حزبه**) وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزله معه، قال الله تبارك وتعالى ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرْ . فَصَلِّ لِـرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرْ**﴾ (الكوثر).

وروى البخاري بسنده إلى أبي بشـر عن سعيد بن جبيـر عَنِ ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشـر: قلت لسعيد بن جبير: فإنَّ النَّاس يزعمون أَنَّه نهرٌ في الجنة. فقال سعيدٌ: النهر الـذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إيّاه[1] أهـ.

وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ، واشتهر واستفاض بل تواتر في كتب السنَّةِ من الصحـاح والحسان والمسانيد والسنن، فممَّنْ روى ذلك عنه من الصحابة: أنس بن مالك، وعبـدالله بن عمر، وحـارثة بن وهب، وجنـدب بن عبـد الله، وسهـل بن سعـد، وعائشة، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن مسعـود، وأبو هـريرة، وعبـدالله بن عمرو، وابن عبـاس، وأسماء بنت أبي بكـر، وثوبـان، وأبو ذر، وأم سلمـة، وجـابـر بن سمـرة، وزيـد بن أرقم، وسمـرة بن جنـدب، وحـذيفـة، وأبـو بـرزة الأسلمي، والمستورد بن شداد، وأبو سعيد الخدري، وعبدالله بن زيد، وأسامة بن زيد.

---

(١) البخاري (٨/٧٣١) في تفسير سورة إنا أعطيناك الكوثر، وفي الرقاق، باب في الحوض.

فأما عن أنس بن مالك فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا آدم حدَّثنا شيبانُ حدثنا قتادة عن أنسٍ رضي الله عنه قال «لما عُرِجَ بالنبيِّ ﷺ إلى السَّماءِ قال: أتيت على نهرٍ حافَّتاهُ قبابُ اللؤلؤ المجوَّفَ فقلتُ ما هذا يا جبريلُ؟ قال هذا الكوثر»[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو الوليد حدَّثنا همام عن قتادة عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ. وحدَّثنا هدبة بن خالد حدثنا همامُ حدثنا قتادة حدثنا أنسُ بن مالك عن النبي ﷺ قال «بينما أنا أسيرُ في الجنَّةِ إذ أنا بنهرٍ حافَّتاهُ قِبابُ الدرِّ المجوَّف، قلت ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربُّكَ، فإذا طينه ـ أو طيبه ـ مسك أذفر»[2] شك هُدْبَة.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بن عفير قال حدثني ابنُ وهبٍ عن يونس قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «إنَّ قدر حوضي كما بين أيْلَه وصنعاء من اليمن، وإنَّ فيه مِنَ الأباريقِ بعدد نجوم السماءِ»[3] ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ «ما بين ناحيتي حوْضي كما بين صنعاءَ والمدينة» وبلفظ «ترى فيه أباريق الذَّهب والفضة كعدد نجوم السماء»[4].

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حَدثنا مسلم بنُ إبراهيم حدثنا وهيبٌ حدثنا عبدالعزيز عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لَيَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقولُ أصحابي، فيقولُ لا تدري ما أحْدَثوا بعدك»[5] ورواه مسلم بلفظ «إنَّ النبي ﷺ قال لَيَرِدَنَّ عليَّ الحوض رجالٌ ممن صاحبَني حتى إذا رأيتهم ورُفِعوا إليَّ اختلجوا دوني،

---

(١) رواه البخاري (٨/٧٣١) في تفسير سورة إنا أعطيناك الكوثر.
(٢) رواه البخاري (١١/٤٦٤) في الرقاق، باب في الحوض.
(٣) البخاري (١١/٤٦٤) في الرقاق، باب ذكر الحوض.
(٤) مسلم (٤/١٨٠١/ح ٢٣٠٣) في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ.
(٥) البخاري (١١/٤٦٤ ـ ٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض.

فلأقولن أي ربِّ أصحابي، فليقالنَّ لي إنَّك لا ندري ما أَحْدَثوا بعدك»[1].

وأما عن ابن عمر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدَّدُ حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافعُ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أمامكم حوضٌ كما بين جرباءَ وأذرُح»[2] ورواه مسلم بلفظ «ما بين ناحيتيهِ كما بين جَرْباءَ وأذرُح»[3] وزاد في رواية «فيه أباريق كنجوم السماءِ، مَنْ ورده فشرب منه لا يظمأ بعدها أبداً»[3] زاد في أخرى: قال عبيد الله «فسألته فقال: قريتين بالشَّامِ بينهما مسيرةُ ثلاث ليال»[3].

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عليُّ بنُ عبد اللهِ حدثنا حرميُّ بنُ عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنَّه سمع حارثة بن وهب رضي الله عنه يقول «سمعتُ النبي ﷺ وذكر الحوض فقال: كما بين المدينةِ وصنعاءَ» وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثه سمع النبي ﷺ قوله «حَوْضه ما بين صنعاءَ والمدينة» فقال له المستورد «ألم تسمعْهُ قال الأواني؟ قال لا. قال المستورد: تُرى فيه الآنيةُ مثل الكواكب»[4] ورواه مسلم بهذا اللفظ.

وأما عن جندب بن عبد الله فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا عبدان أخبرني أبي عن شُعبة عن عبد الملك قال: سمعتُ جُنْدَباً قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول «أَنَا فَرَطُكُمْ على الحوض»[5] ورواه مسلم هكذا.

وأما عن سهل بن سعد فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا سعيدُ بن أبي مريم حدثنا محمد بن مطوف حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال: قال

---

(١) مسلم (٤/١٧٩٦/ح ٢٢٩٧) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) البخاري (١١/٤٦٣) في الرقاق، باب في الحوض.

(٣) مسلم (٤/١٧٩٧ ـ ١٧٩٨/ح ٢٢٩٩) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٤) رواه البخاري (١١/٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٧/ح ٢٢٩٨) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٥) رواه البخاري (١/٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٢/ح ٢٢٨٩) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

النبيُّ ﷺ «إنِّي فرطُكُم على الحوض، من مَرَّ عليَّ شرب، ومَنْ شربَ لم يظمأ أبداً. لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني ثمَّ يحالُ بيني وبينهم» قال أبو حازم فسمعني النعمانُ بن أبي عيَّاش فقال: هكذا سمعت مِنْ سهل؟ فقلتُ نعم. فقال: أَشْهَدُ على أبي سعيد الخدري لسمعتُهُ هو يزيدُ فيها «فأقول إنَّهم مِنِّي، فيقالُ: إنَّك لا تدري ما أحْدَثوا بعدك، فأقولُ سُحْقاً سُحْقاً لمن غيَّر بعدي» - ورواه مسلم وفيه «لمن بدل بعدي»[1].

وأما عن عائشة فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا خالدُ بن يزيد الكاهليّ حدثنا إسرائيلُ عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عَنْ عائشة رضي الله عنها قال: سألْتُها عن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ (الكوثر/١) قالت «نهْرٌ أعطيهِ نبيّكُم ﷺ شاطئاهُ عليه دُرٌّ مجوَّفٌ آنيته كعدد النجوم»[2].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا ابن أبي عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خُثيم عن عبدِ اللهِ بن عبيدالله بنِ أبي مُليكة أنَّه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابه «إنِّي على الحوضِ أنتظرُ مَنْ يردُ عليَّ منكم، فواللهِ ليقتطعنَّ دوني رجالٌ فلأقولنَّ أي ربِّ منيِّ ومن أُمَّتي، فيقول: إنَّك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجِعون على أعقابهم»[3].

وأما عن عقبة بن عامر فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا عمرو بن خالد حدثنا الليثُ عن يزيد عن أبي الخير عن عقبة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ خرج يوماً فصلَّى على أهل أُحُدٍ صلاته على الميِّتِ، ثم انصرف على المنبر فقال «إنِّي فرطٌ لكم وأنا شهيدٌ عليكم، وإنِّي والله لأنظُرُ إلى حوضي الآن وإنِّي أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإنِّي والله ما أخاف أنْ تُشْرِكُوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أنْ تنافسوا فيها»[4] ورواه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ

---

(١) رواه البخاري (١١/٤٦٤) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٢/ح ٢٢٩٠) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) البخاري (٨/٧٣١) في التفسير، سورة إنّا أعطيناك الكوثر.

(٣) مسلم (٤/١٧٩٤/ح ٢٢٩٤) في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ.

(٤) رواه البخاري (١١/٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض، وباب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس =

«صلَّى رسولُ اللهِ ﷺ على قتلى أُحُدٍ، ثم صعَد المنبر كالمودِّع للأحياءِ والأموات فقال: إنِّي فرطُكُمْ على الحوض، وإنَّ عرضه كما بين أيلة إلى الجُحفةِ. إنِّي لستُ أخشى عليكم أنْ تُشركوا بعدي، ولكنِّي أخشى عليكُمُ الدنيا أنْ تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم». قال عقبة: وكانت آخر ما رأيت رسولَ اللهِ ﷺ على المنبر[1].

وأمَّا عن عبدالله بن مسعودٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بن حمَّادٍ حدَّثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه عَنِ النبيِّ ﷺ «أَنَا فرطُكُمْ على الحوضِ»[2].

وحدثني عمرو بن علي حدَّثنا محمدُ بن جعفر حدَّثنا شُعبةُ عن المغيرة قال سمعتُ أبا وائل عن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال «أَنَا فرطُكُمْ على الحوضِ، ولَيُرْفَعَنَّ رجالٌ منكم ثم لَيُخْتلَجُنَّ دوني فأقولُ يا ربِّ: أصحابي، فيقال إنَّك لا تدري ما أَحْدثوا بعدك» تابعه عاصم عن أبي وائل، وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي ﷺ[3]. وروى مسلم حديث ابن مسعود بلفظ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أَنَا فَرَطُكُمْ على الحوض ولَأُنازعنَّ أقواماً ثم لَأُغْلبَنَّ عليهم فأقولُ: يارَبِّ أصحابي أصحابي فيقالُ: إنَّك لا تدري ما أَحْدثوا بعدك»[4]. وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية الأعمش ومغيرة.

وأما عن أبي هريرة فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذر الحزامي حدَّثنا محمدُ بن فليح حدثنا أبي قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «بينا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا

= فيها، وفي الجنائز، وفي الأنبياء وفي المغازي، ومسلم (٤/١٧٩٥/ح ٢٢٩٦) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(١) مسلم (٤/١٧٩٦/ح ٢٢٩٦) في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) البخاري (١١/٤٦٣) في الرقاق، باب في الحوض.

(٣) البخاري (١١/٤٦٣) في الرقاق، باب في الحوض، وفي الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: (واتقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصَّة).

(٤) مسلم (٤/١٧٩٦/ح ٢٢٩٧) في الفضائل، باب اثبات حوض نبينا ﷺ.

عـرفتهم خرج رجـلٌ من بيني وبينهم فقـال هلمَّ، فقلت إلى أين؟ قـال إلى النَّـارِ واللهِ، قلت ومـا شأنهم، قـال إنَّهم ارتدُّوا بعـدك على أدبارهم القهقـرى، ثم إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خـرج رجلٌ من بيني وبينهم قـال هلُمَّ، قلتُ إلى أين؟ قال إلى النَّار واللهِ، قلت ما شأنهم، قال إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراهُ يخلصُ منهم إلا مثل همل النَّعم»[1].

وله عنه أنَّه كان يحدِّث أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «يردُ عليَّ يـوم القيامـة رهطٌ من أصحابي فيحلأون عن الحوض فأقولُ يا ربِّ أصحـابي، فيقولُ إنَّـك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنَّهم ارتدُّوا على أدبارهم القهقرى»[2].

وله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «ما بين بيتي ومنبري روضـةٌ من رياض الجنـة، ومنبري على حوضي»[3].

وقال مسلمٌ رحمه الله تعـالى: حدَّثنـا عبدالـرحمن بن سلامٍ الجمحي حـدَّثنا الـربيـع يعني ابن مسلم عن محمـد بن زيـاد عن أبي هـريـرة رضي الله عنـه أنَّ النَّبيّ ﷺ قال «لأذودَنَّ عن حوضي رجالاً كما تذادُ الغريبة من الإبل»[4].

وله عن أبي حاتم عنه رضي الله عنه أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال «إنَّ حـوضي أبعد من أيلة من عـدنٍ، لهو أشـدُّ بياضـاً من الثلج وأحلى من العسل بـاللَّبن، ولآنيتُهُ أكثر من عدد النجوم، وإنِّي لأصدُّ النـاس عنه كمـا يصدُّ الـرجل إبـل الناس عن حوضه، قالوا يا رسولَ اللهِ أتعرفنا يومئذٍ. قال: نعم، لكم سيما ليست لأحـدٍ من الأُمم، تردون عليَّ غُرّاً محجَّلين من أثر الوضوء»[5].

وأما عن عبدالله بن عمرو بن العاص فقـال البخاريُّ رحمـه الله تعالى: حـدَّثنا

---

(١) البخاري (١١/٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض.
(٢) البخاري (١١/٤٦٤) في الرقاق، باب في الحوض.
(٣) البخاري (١١/٤٦٥) في الرقاق، باب في الحوض.
(٤) مسلم (٤/١٨٠٠/ح ٢٣٠٢) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.
(٥) مسلم (١/٢١٧/ح ٢٤٧) في الطهارة، باب استحباب إطالة الغره والتحجيل في الوضوء.

سعيد بن أبي مريم حدَّثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبدالله بنُ عمرو قال النَّبيّ ﷺ «حَوْضِي مسيرةُ شهرٍ ماؤُه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً»[1]، ورواه مسلم بلفظ: «حوضي مسيرة شهرٍ وزواياه سواء وماؤُه أبيض من الورِقِ وريحُهُ أطيبُ من المسك وكيزانه كنجوم السماءِ، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»[2].

وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم في أول الباب، وروى ابنُ جرير عن سعيد بن جبير عنه رضي الله عنه قال: الكوثرُ نهرٌ في الجنَّة حافَّتاه من ذهبٍ وفضة يجري على الياقوت والدُّرِّ ماؤُه أبيض من الثلج وأحلى من العسل[3].

وله عن عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدَّثنا عن ابن عباس: أنه الخير الكثير، فقال صدق والله إنه للخير الكثير، ولكن حدَّثنا ابن عمر قال: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرْ﴾ (الكوثر/١) قال رسول الله ﷺ «الكوثر نهرٌ في الجنَّة حافَّتاه من ذهبٍ يجري على الدر والياقوت»[4].

وأما عن أسماء فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا سعيدُ بن أبي مريم عن نافع بن عمر، قال حدثني بن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنِّي على الحوض حتى أنظر من يردُ عليَّ منكم، وسيؤْخذ ناسٌ دوني فأقول: يا ربِّ مِني ومن أُمَّتي، فيقال: هل شعرتَ ما عملوا بعدك واللهِ ما برحوا يرجعون على أعقابهم» وكان ابن أبي مليكة يقول «اللَّهُمَّ إنَّا نعوذ بك أَنْ نرجع على أعقابنا أو نُفتن عن ديننا» ورواه مسلم بسند حديث

---

(١) البخاري (١١/٤٦٣) في الرقاق، باب في الحوض.

(٢) مسلم (٤/١٧٩٣/ح ٢٢٩٢) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) ابن جرير (٣٠/٣٢٠ تفسيره).

(٤) ابن جرير (٣٠/٣٢٥) وحديث ابن عمر رواه أحمد (٢/٦٧ و١٥٨ و٣/١٠٢)، والترمذي (٥/٤٥٠/ح ٣٣٦١) في التفسير، باب ومن سورة الكوثر، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٤٥٠/ح ٤٣٣٤) في الزهد، باب صفة الجنة، وابن جرير (١٥/٣٢٠) وأخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٦٤٨).

عبدالله بن عمرو متصلا بمتنه ولفظه كلفظ البخاري[1].

وأما عن ثوبان فقال مسلمٌ رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو غسان المسمعيُّ ومحمد بن المثنى وابنُ بشار وألفاظهم متقاربة قالوا: حدَّثنا معاذُ وهو ابنُ هشامٍ حدَّثني أبي عن قتادة عن سالمِ بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمريُّ عن ثوبان رضي الله عنه أَنَّ نبيَّ الله ﷺ قال «إنِّي لَبِعُقْرِ حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفضَّ عليهم، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمّان. وسُئِل عن شرابه فقال: أَشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغتّ فيه ميزابان يمدَّانه من الجنة أحدهما من ذهبٍ والآخر من ورق»[2].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا يحيى بن صالح أنبأنا محمدُ بن مهاجر عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إليّ عمر بن عبدالعزيز فحُملتُ على البريد فلمَّا دخل عليه قال: يا أميرَ المؤمنين لقد شقَّ عليَّ مركبي البريد. فقال: يا أبا سلّام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدِّثه عن ثوبان عن النَّبيّ ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، قال أبو سلام: حدَّثني ثوبانُ رضي الله عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «حوضي من عدنٍ إلى عمَّان البلقاءِ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحْلى من العسل، وأكوابه[3] عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، أوَّل الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين، الشُّعث رؤوساً الدُّنس ثياباً، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد» قال عمر: لكنِّي نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد، ونكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم إنِّي لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتّسخ[4]. ورواه ابن

---

(١) رواه البخاري (١١/٤٦٦) في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٤/١٧٩٤/ح ٢٢٩٣) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) مسلم (٤/١٧٩٩/ح ٢٣٠١) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) في الأصل: أكاويبُهُ.

(٤) الترمذي (٤/٦٢٩/ح ٢٤٤٤) في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة =

ماجه بلفظ «إنَّ حوضي ما بين عدنٍ إلى إيلة أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، أكاويبه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً» الحديث. وفيه قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته. وفيه «ولا أدهن رأسي حتى يشعث»[1].

وأما عن أبي ذر فقال مسلمٌ رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم واللفظ لابن أبي شيبة، قال اسحقُ أخبرنا ـ وقال الآخران حدَّثنا ـ عبد العزيز بنُ عبد الصمد العمى عن أبي عمران الجوني عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر قال «قلتُ يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمدٍ بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية. آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخرَ ما عليه يشخُب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ. عرضه مثل طوله ما بين عمَّان إلى أَيْلة ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»[2] رواه الترمذي بهذا اللفظ وقال حسن صحيح غريب.

وأمَّا عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها فقال مسلمُ بنُ الحجاج: حدثني يونس بنُ عبد الأعلى الصدفيُّ أخبرني عبدالله بنُ وهب أخبرني عمرو وهو ابن الحارث أنَّ بكيراً حدَّثه عن القاسم بن عباس الهاشمي عن عبدالله بن رافع مولى أم سلمة عن أُمِّ سلمة زوج النَّبيِّ ﷺ أنَّها قالت «كُنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسولِ اللهِ ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشُطني فسمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: أيُّها الناس. فقلت للجارية استأخري عنِّي. قالت: إنَّما دعا الرجال ولم يدع النساء. فقلت: إنِّي من الناس. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إنِّي لكم فرطٌ على الحوض، فإيَّاي لا يأتينَّ أحدكم فيذبُّ عني

= عن ثوبان عن النبي ﷺ. قلت: هو حديث حسن صحيح.

(١) ابن ماجه (٢/١٤٣٨/ح ٤٣٠٣) في الزهد، باب ذكر الحوض.

(٢) رواه مسلم (٤/١٧٩٨/ح ٢٣٠٠) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، والترمذي (٤/٦٣٠/ح ٢٤٤٥) في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

كما يذبُّ البعير الضال، فأقول فيم هذا؟ فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً»[1].

وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثني الوليد بنُ شجاع بن الوليد السَّكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدَّثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «ألا إنِّي فرطٌ لكم على الحوض، وإنَّ بُعْد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأنَّ الأباريق فيه النجوم»[2].

وأمَّا عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا حفص بن عمر النمري حدَّثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: «كُنَّا مع رسولِ اللهِ ﷺ فنزلنا منزلاً فقال: ما أنتم بجزءٍ من مائة ألف جزءٍ ممَّن يرد عليَّ الحوض. قال قلت: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة»[3].

وأما عن سمرة بن جندبٍ فقال الترمذيُّ رحمه الله تعالى: حدَّثنا أحمد بنُ نيزك البغداديُّ أنبأنا محمد بكَّار الدمشقي أنبينا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ لكلِّ نبيٍّ حوضاً وإنَّهم يتباهون أيُّهم أكثر وارده، وإنِّي أرجو أن أكون أكثرهم وارده» هذا حديث حسن غريب. وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النَّبيِّ ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح[4]. اهـ.

---

(١) مسلم (٤/١٧٩٥/ح ٢٢٩٥) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) مسلم (٤/١٨٠١/ح ٢٣٠٥) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٣) أبو داود (٤/٢٤٧/ح ٤٧٤٦) في السنة، باب في الحوض. وأحمد (٤/٣٦٧ و٣٦٩ و٣٧١ و٣٧٢) والحاكم في المستدرك (١/٧٦ ـ ٧٧) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٢٧/ح ٧٣٣) وهو صحيح.

(٤) الترمذي (٤/٦٢٨/ح ٢٤٤٣) في صفة القيامة، باب ما جاء في صفة الحوض. والبخاري في التاريخ الكبير (١/١/٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٢٧ ـ ٣٢٨/ح ٧٣٤) والطبراني في الكبير (٧/٢١٢/ح ٦٨٨١) وفي مسند الشاميين (ح ٢٦٤٦) والحديث صحيح لشواهده.

وأما عن حذيفة فتقدمت الإشارة اليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود.

وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى: حدَّثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن أبي مالك سعدِ بن طارقٍ عن ربعيٍّ عن حذيفة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «إنَّ حوضي لأبعد من أيلة الى عدنٍ، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إنِّي لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه. قيل: يا رسول الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون عليَّ غُرّاً محجَّلين من أثر الوضوء، ليست لأحدٍ غيركم». ورواه مسلم في الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند[1].

وأما عن أبي برزة فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدَّثنا مسلمُ بنُ ابراهيم حدَّثنا عبدالسلام بن أبي حازم أبو طالوت قال: شهدتُ أبا برزة دخل على عبيدِ الله بن زيادٍ فحدَّثني فلانٌ سماه مسلم وكان في السِّماط فلما رآه عبيدُالله قال إنَّ محمديكم هذا لدحداح[2]، ففهمها الشيخ فقال: ما كنت أحسب أنِّي أبقى في قومٍ يعيروني بصحبةِ محمَّدٍ ﷺ، فقال له عبيد الله: إنَّ صحبة محمدٍ ﷺ لك زين غير شين، ثم قال: إنَّما بعثت إليك لأسألك عن الحوض، سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزة: نعم لا مرَّة ولا اثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً، فمن كذب به فلا سقاهُ الله منه، ثم خرج مغضباً[3].

وأما عن المستورد فتقدم في المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب.

وأما حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ فقال ابن ماجة رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو

---

(١) رواه مسلم (١/٢١٧/ح ٢٤٨) في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء. وابن ماجه (٢/١٤٣٨/ح ٤٣٠٢) في الزهد، باب ذكر الحوض.

(٢) القصير السمين.

(٣) أبو داود (٤/٢٣٨/ح ٤٧٤٩) في السنة، باب في الحوض وأحمد (٤/٤٢١) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٧٠٢ و٧٢٠) وإسناده ضعيف فيه رجل لم يُسمَّ. والحديث صحيح لشواهده ولأبي برزة رضي الله عنه حديث حسن في الحوض رواه أحمد (٤/٤٢٤) وابن أبي عاصم في السنة (ح/٧٢٢).

بكر بن أبي شيبة حدَّثنا محمد بنُ بشرٍ حدَّثنا زكريا حدَّثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النَّبيّ ﷺ قال «إنَّ لي حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض من اللبن آنيته عدد النجوم، وإنِّي لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة»[1].

وأما عن عبدالله بن زيد فرواه البخاري ومسلم عنه مطولاً في قصة قسم غنائم حنين، وفي آخره قوله ﷺ للأنصار رضي الله عنهم «إنَّكم ستلقوْنَ بعدي أثرةً، فاصبروا حتى تَلْقَوْني على الحوض»[2].

وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدَّثني البرني حدَّثنا ابن أبي مريم حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ بن أبي كثير أخبرني حرامُ بنُ عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت: خرج يا نبيَّ الله عامداً نحوك، فأظنُّهُ أخطأك في بعض أزقّة بني النجار. أوَ لا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيساً فأكل منه، فقالت: يا رسولَ اللهِ هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئت وأنا أريد أنْ آتيك لأهنيك وأمريك، أخبرني أبو عمارة أنَّك أُعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: أجل وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ»[3]. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: حرام بنُ عثمان ضعيف، ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث[4] اهـ. قلت: وقد ذكرنا منها ما تيسر. وفي الباب عدة أحاديث غير ما ذكرنا، ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخر لم

---

(١) ابن ماجه (٢/١٤٣٨/ح ٤٣٠١) في الزهد، باب ذكر الحوض. وابن أبي عاصم في السنة (ح/٧٢٣). وإسناده ضعيف. فيه عطيّة العوفي. وهو صحيح لشواهده. ولأبي سعيد رضي الله عنه حديث في الحوض في الصحيحين وعند أحمد.

(٢) رواه البخاري (١٣/٥) في الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها» وفي المساقاة، وفي الخمس، وفي الجزية، وفي المناقب، وفي المغازي، ومسلم (٢/٧٣٣/ح ١٠٥٩) في الزكاة، باب اعطاء من يخاف على إيمانه.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠/٣٢٥) وابن مردويه كما في الدر المنثور (٨/٦٤٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٢).

نذكرها، ولهم روايات في الأصول التي عزونا اليها غير ما سقنا، وإنما أشرنا إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضته وتواتره مع الإيجاز والاختصار[1]. ولله الحمد والمنة.

(١) انظر أحاديث الحوض مجتمعة في السنة لابن أبي عاصم (٢/٣٢١).

فصل
في الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

كـذا لـه لـواءُ حَـمْـدٍ يُـنْـشَـرُ وتحتـه الـرُّسُـلُ جميعاً تُحْشَـرُ

قال الترمذي رحمه الله تعالى: حدَّثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدَّثنا عبدالسلام بنُ حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أَنَا أَوَّل الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشِّرهم إذا يئسوا، لواءُ الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم على ربِّي ولا فخر» هذا حديث حسن غريب[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بنُ بشارٍ أنبأنا أبو عامر العقدي أنبأنا زهير بنُ محمدٍ عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب عن أبيه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «مثلي في النبيِّين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنةٍ، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون: لو تمَّ موضع تلك اللَّبنة، وأنا في النَّبيين موضع تلك اللبنة». وبهذا الإسناد عن النَّبيّ ﷺ قال «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر» هذا حديث حسن صحيح غريب[2].

حدَّثنا ابن أبي عمر أنبأنا سفيان عن ابن جُدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أَنَا سيِّدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وما

---

(١) الترمذي (٥/٥٨٥/ح ٣٦١٠) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، وقال: هذا حديث حسن غريب. قلت: فيه ليث به أبي سليم وهو ضعيف والربيع بن أنس: له أوهام. فسنده ضعيف والحديث صحيح له شواهد.

(٢) الترمذي (٥/٥٨٦/ح ٣٦١٣) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ وقال: هذا حديث حسن. والحديث في سنده ضعيف: فيه عبد الله بن محمد بن عقيل في حديثه لين، والحديث صحيح فقد رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وجابر وأخرجه مسلم من رواية أبي سعيد رضي الله عنهم جميعاً.

من نبيٍّ يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوَّل من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر» وفي الحديث قصة. هذا حديث حسن[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا عليُّ بنُ نصر بن عليٍّ الجهضمي أنبأنا عبيدُ اللهِ بنُ عبد المجيد أنبأنا زمعة بنُ صالحٍ عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً إنَّ الله اتَّخذ من خلقه خليلاً، اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلَّمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمةُ الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاهُ الله، فخرج عليهم فسلَّم وقال: قد سمعت كلامكم وعجَبَكُمْ، إنَّ إبراهيم خليل اللهِ وهو كذلك، وموسى نجيُّ اللهِ وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاهُ الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيب اللهِ ولا فخر، وأنا حامل لواءِ الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّل شافعٍ وأول مشفَّعٍ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّل من يحرِّك حِلَقَ الجنة فيفتح الله لي فيُدْخِلُنِيها ومعي فقراءُ المؤمنين، ولا فخرٌ، وأنا أكرمُ الأوَّلين والآخرين ولا فخر». هذا حديث غريب[2].

قلت: ومعناه ثابت في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلوم عند من له خبرة بالعلم.

---

(١) الترمذي (٥/٥٨٧/ح ٣٦١٥) في المناقب، باب فضل النبي ﷺ. والقصة في (٥/٣٠٨ - ٣٠٩/ح ٣١٤٨) في التفسير، باب ومن سورة بني اسرائيل وقال هذا حديث حسن صحيح قلت فيه ابن جدعان وفيه ضعف. وقد روى البخاري ومسلم هذه القطعة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الترمذي ٥/٥٨٧/ح ٣٦١٦) في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ. وقال: هذا حديث غريب. قلت: وهو ضعيف فيه زمعة بن صالح وهو ضعيف. ولألفاظه شواهد صحيحة.

فصل
في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

كَذا له الشفاعةُ العظمى كما ... قدْ خصَّهُ اللهُ بها تكرُّما

من بعد إذن اللهِ لا كما يرى ... كل قبوريٍّ على اللهِ افترى

(كذا له) لنبينا ﷺ (الشفاعة العظمى) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء/٧٩) ولذا قلنا (قد خصه الله بها) بالشفاعة (تكرماً) منه عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ قال «أُعطيتُ خمساً لم يُعْطهنَّ أَحَدٌ قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعب مسيرة شهر، وجعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم ولم تحلّ لأحدٍ قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصَّةً وبعثت إلى الناس عامة»[1] وفيه عنه رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ «لكلِّ نبيٍّ دعوة قد دعا بها في أُمَّته، وخبأت دعوتي شفاعة لأُمَّتي يوم القيامة»[2]، وفيه عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قال «لكلِّ نبي دعوةٌ دعاها لأُمَّته، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعةً لأُمَّتي يوم القيامة»[3]. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «لكلِّ نبيّ دعوةٌ مستجابة، فتعجَّل كل نبيٍّ دعوته، وإنِّي اختبأتُ

---

(١) رواه البخاري (١/٤٣٥ ـ ٤٣٦) في التيمم، في فاتحته، وفي المساجد، وفي الجهاد، ومسلم (١/٣٧٠/ح ٥٢١) في المساجد، في فاتحته.

(٢) رواه مسلم (١/١٩٠/ح ٢٠١) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً».

(٣) رواه البخاري تعليقاً (١١/٩٦) في الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (١/١٩٠/ح ٢٠٠) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً».

دعوتي شفاعة لأُمَّتي يوم القيامة فهي نائلةٌ إنْ شاء الله تعالى من مات من أُمَّتي لا يشرك بالله شيئاً»[1].

وفيه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أَنَّ النَّبيّ ﷺ تلا قول الله عَزَّ وجَلَّ في إبراهيم ﴿رَبِّ إنهن أَضْلَلْنَ كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنَّه مِنِّي ومن عصاني فإنَّك غفورٌ رحيم﴾ وقال عيسى عليه السلام ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمِ﴾ (المائدة/١١٨) فرفع يديه وقال: اللهم أُمَّتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسلْه: ما يبكيك. فأتاه جبريلُ عليه السلام فسأله، فأخبره رسولُ اللهِ ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال اللهُ تعالى: يا جبريلُ اذهب إلى محمد فقل: إنَّا سنرضيك في أُمَّتك ولا نسوؤك»[2]. وفيه عنه رضي الله عنه أَنَّه سمع النَّبيّ ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ فإنّه من صلى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنَّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سألَ الله لي الوسيلة حلَّت له الشَّفاعة»[3].

وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «من قال حين يسمع النداء: اللَّهمَّ ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة»[4].

وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه، وبوقت

---

(١) رواه البخاري (١١/٩٦) في الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، ومسلم (١/١٨٨/ح ١٩٨) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا».

(٢) رواه مسلم (١/١٩١/ح ٢٠٢) في الإيمان، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم.

(٣) رواه مسلم (١/٢٨٨/ح ٣٨٤) في الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة.

(٤) رواه البخاري (٢/٩٤) في الأذان، باب الدعاء عند النداء. وفي تفسير سورة بني إسرائيل.

الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه، كما قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة/٢٥٥) ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (يونس/٣) ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ (سبأ/٢٣) ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (النجم/٢٦) ﴿قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ (الزمر/٤٤) ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف/٨٦) ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ (مريم/٨٧) ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾ (النبأ/٣٨) ﴿وَيَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ (طه/١٠٩) ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء/٢٨)، وقال تعالى في الكفار ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر/٤٨) ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر/١٨)، وقال عنهم ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء/١٠٠)، وقال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة/٢٥٤). وسيأتي في ذكر الأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذن ربه عز وجل، ثم يسجد ويحمده بمحامد يعلمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال: ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، وأنه يحد له حداً فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك، وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن له ويحد له حداً حتى ينجو جميع الموحدين، وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتى يؤذن له، إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود. والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولا تسأل إلا منه، كما لا

تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة.

(لا كما يرى كل قَبُوري) نسبة إلى القبور لعبادته أهلها **(على الله افترى)** في ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التي هي ملك لله عز وجل لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم. وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفي ويكفي ولله الحمد والمنة.

يَشْفَعُ أولاً إلى الرحمن في ... فَصْل القضاءِ بين أهْل الموقفِ
مِنْ بعدِ أَنْ يطلبها الناس إلى ... كلِّ أولي العزم الهداةِ الفضْلاَ

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ، وهي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي ذكر الله عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان. وقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: بابْ قوله تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء/٧٩) حدثنا إسماعيلُ بنُ أَبَّان حدَّثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول «إنَّ الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيَّها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النَّبيّ ﷺ، فذلك يومٌ يبعثه الله المقام المحمود»[1].

وقال مسلم رحمه الله تعالى حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبدالله بن نمير واتفقا في سياق الحديث إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف، قالا حدَّثنا محمد بنُ بِشْرٍ حدَّثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسولُ اللهِ ﷺ يوماً بلحمٍ فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: أنا سيِّد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بِمَ ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأوَّلين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيُسْمعهم الداعي، وينفذهم البصر

(١) البخاري (٨/٣٩٩) في التفسير، باب قوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً).

وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعضٍ: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربِّكم؟ فيقول بعض الناس لبعضٍ: ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إنَّ ربِّي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، إذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوحُ أَنْت أول الرُّسُل إلى الأرض وسمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربِّكَ ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إنَّ ربِّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنَّه قد كانت دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي. اذهبوا إلى ابراهيم ﷺ. فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبيُّ الله وخليلهُ من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم ابراهيمُ ﷺ: إنَّ ربِّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسولُ الله فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى عليه السلام: إنَّ ربِّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنِّي قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى عليه السلام. فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسولُ اللهِ وكلَّمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى عليه السلام: إنَّ ربِّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسولُ اللهِ وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، اشفع لنا إلى ربِّك، ألا ترى ما نحن

فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فأنْطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربِّي، ثم يفتح الله عليَّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي. ثم قال: يا محمد ارفعْ رأسك سلْ تُعْطه اشفع تشفَّعْ فأرفع رأسي فأقول: يا ربِّ أُمَّتي أُمَّتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أُمَّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بن مكة وهجر أو كما بين مكة وبُصرى»[1].

قال وحدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: «وُضِعَتْ بين يدي رسولِ اللهِ ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذِّراع وكانت أحبَّ الشاة إليه، فنهس نهسةً فقال: أنا سيِّد الناس يوم القيامة، ثم نهس أخرى فقال: أنا سيِّدُ الناس يوم القيامة. فلمَّا رأى أصحابه لا يسألونه قال: ألا تقولون كيف؟ قالوا: كيف يا رسولَ اللهِ؟ قال: يقوم الناس لربِّ العالمين» وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة، وزاد في قصة ابراهيم فقال: وذكر قوله في الكوكب: هذا ربِّي، وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إنِّي سقيم. قال: والذي نفس محمَّدٍ بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة، قال لا أدري أيُّ ذلك قال»[2].

وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «يُبْعَثُ الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمّتي على تل، ويكسوني ربِّي عَزَّ وجَلَّ حُلَّةً خضراء، ثُمَّ يُؤْذَنُ لي فأقول ما شاءَ اللهُ تعالى أنْ أقول، فذلك المقام المحمود»[3].

وسيأتي إن شاء الله تعالى في حديث أنس رضي الله عنه قوله ﷺ «يجمع اللهُ

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٧١) في الأنبياء، باب قول الله عز وجل: (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، وباب قوله الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) وفي تفسير سورة بني اسرائيل، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٨٦/ح ١٩٤) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم (١/١٨٦/ح ١٩٤) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) أحمد (٣/٤٥٦) قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٧/٥٤) وهو كما قال.

الناس يوم القيامة فيهتمُّون لذلك ـ وفي لفظة فيلهمون لذلك ـ فيقولون لو استشفعنا إلى ربِّنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدم»[1] الحديث، وتقدم في حديث الصور قوله ﷺ «فتقفون موقفاً واحداً مقدارُهُ سبعون عاماً لا يُنْظَرُ إليكم ولا يُقْضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً. وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان، وتقولون مَنْ يشفع لنا إلى ربِّنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحقُّ بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه وكلَّمه قبلاً. فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأتي ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرئون الأنبياءَ نبيّاً نبيّاً كلما جاؤوا نبيّاً أبى عليهم. قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخرُّ ساجداً. قال أبو هريرة: يا رسولَ اللهِ وما الفحص؟ قال قدام العرش، حتى يبعث الله إليّ ملكاً فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد. فأقول: نعم يا ربِّ فيقول اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ما شأنُكَ؟ وهو أعلم. فأقول: يا رب وعدتني الشفاعة فشفِّعني في خلقك فاقض بينهم. قال الله تعالى: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضي بينكم»[2] الحديث.

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: حدَّثني نبيُّ اللهِ ﷺ قال «إنِّي لقائمٌ أنتظر أُمَّتي تعبر على الصراط، إذ جاءني عيسى عليه السلام فقال: هذه الأنبياء قد جاءَتْكَ يا محمد يسألون أو قال يجتمعون إليك ـ ويدعون الله أنْ يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغمٍّ جاءهم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأمَّا المؤمن فهو عليه كالركمة وأما الكافر فيغشاهُ الموت، فقال: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبيُّ اللهِ ﷺ فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملكٌ مصطفى، ولا نبيٌّ مرسل، فأَوْحى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له: ارفع رأسك سل تُعْطَ واشْفَعْ تُشفع»[3] الحديث.

وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف «فلَكَ بكل ردة

---

(١) وسيأتي بتمامه.

(٢) تقدم تخريجه سابقاً.

(٣) رواه أحمد (١٧٨/٣) قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح (المجمع ٣٧٦/١٠) وهو كما قال.

رددتكها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهمَّ اغفر لأمتي، اللهمَّ اغفر لأمَّتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الخلق كلُّهم حتى إبراهيم ﷺ»[1].

(١) رواه مسلم (١/٥٦١ ـ ٥٦٢/ح ٨٢٠) في صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، وبيان معناه.

فصل
اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة

وثـانيـا يشفـع في استفتـاح دار الـنعـيـم لأولـي الـفـلاحِ
هـذا وهـاتـانِ الشَّفـاعتـان قـد خُصّتـا بـه بـلا نُكـرانِ

هذه الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة، وقد جاء في الأحاديث أنها أيضاً من المقام المحمود، وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدَّثنا قتيبة بنُ سعيدٍ واسحقُ بنُ ابراهيم. قال قتيبةُ حدَّثنا جرير عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أنا أوَّل الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً»[1].

وحدَّثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدَّثنا معاويةُ بنُ هشام عن سفيان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أوَّل من يقرع باب الجنة»[2].

وحدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن المختار بن فلفل قال: قال أنس بنُ مالكٍ قال النَّبيّ ﷺ «أنا أوَّل شفيعٍ في الجنة، لم يصَدَّق نبي من الأنبياء ما صُدِّقت، وإنَّ من الأنبياء نبيّاً ما يصدقه من أمته إلاّ رجلٌ واحد»[3].

وحدَّثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدَّثنا هاشم بن القاسم حدَّثنا

---

(١) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٦) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة».

(٢) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٦) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة».

(٣) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٦) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة».

سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «آتي باب الجنة يومَ القيامةِ فأستفتح، فيقول الخازن: مَنْ أَنْتَ؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأَحَدٍ قبلك»[1].

قال حدَّثنا محمد ابن طريف بن خليفة البجلي حدَّثنا محمد بن فضيل حدَّثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة، وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ «يَجْمَعُ اللهُ تبارَكَ وتعالى النَّاسَ، فيقوم المؤمنون حتى تزلفُ لهم الجنَّة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئةُ أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني ابراهيم خليل الله عز وجل. قال فيقول إبراهيم: لستُ بصاحب ذلك، وإنَّما كنت خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلَّمه الله تعالى تكلماً. فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لستُ بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لستُ بصاحب ذلك. فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط فيمُرُّ أولكم كالبرق»[2] الحديث ـ تقدم باقيه في الصراط.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدَّثنا يحيى بنُ بكير حدَّثنا الليثُ عن عبيدالله بن أبي جعفر قال: سمعتُ حمزة بنَ عبدالله بن عمر قال سمعتُ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يومَ القيامةِ ليس في وجهه مُزْعَةُ لحم، وقال: إنَّ الشمس تدنو يومَ القيامةِ حتى يبلغ العرق نصف الأُذن. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ»[3]. وزاد عبدالله حدثني الليث قال حدثني ابن أبي جعفر «فيشفع ليقضي بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلُّهم»[4].

---

(١) رواه مسلم (١/١٨٨/ح ١٩٧) في الإيمان، باب في قول النبي ﷺ «أنا أوّل الناس يشفع في الجنة.

(٢) رواه مسلم (١/١٨٦ ـ ١٨٧/ح ١٩٥) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٣) (٤) رواه البخاري (٣/٣٣٨) في الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً، ومسلم (٢/٧٢٠/ح ١٠٤٠) في الزكاة، باب كراهية المسألة للناس.

ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين: الأولى في فصل القضاء، والثانية في استفتاح باب الجنة، وسمى ذلك كله المقام المحمود (**هذا**) أي ما ذكر (**وهاتان الشفاعتان**) المذكورتان اللتان هما المقام المحمود (**قد خصتا**) أي جعلهما الله تعالى خاصتين (**به**) أي بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحد غيره (**بلا نكران**) بين أهل السنة والجماعة، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة في إخراج عصاة الموحدين من النار، وهي المشار إليها بقولنا:

وثالثاً يشفعُ في أقوام ... ماتوا على دين الهدى الإسلامِ
وأوبقتهم كثرةُ الآثامِ ... فأُدْخِلوا النار بذا الإجرامِ
أن يخرجوا منها إلى الجنانِ ... بفضل ربِّ العرشِ ذي الإحسانِ

فهذه الشفاعة حقٌّ يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار في كلّ صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرّين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدين مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله عَزَّ وجَلَّ ﴿**أَمْ نَجْعَلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلِ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ (ص/٢٨) وقوله عز وجل ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ (الجاثية/٢١) وقوله تعالى ﴿**أَفَنَجْعَلِ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ (القلم/٣٥) وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: وقال حجَّاجُ بنُ منهال حدَّثنا همامُ بنُ يحيى

حدَّثنا قتادةُ عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «يُحبس المؤمنون يومَ القيامةِ حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كل شيءٍ لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لست هناكم. قال ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها، ولكن ائتوا نوحاً أوَّل نبيّ بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربَّه بغير علم، ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن. قال فيأتون إبراهيم فيقول: إنِّي لستُ هناكم، ويذكر ثلاث كلمات كذبهنَّ، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلَّمه وقرَّبه نجيّاً. قال فيأتون موسى فيقول: إنِّي لستُ هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعالى وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر، فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله تعالى أن يدعني فيقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تُشفّع وسلْ تُعْطَ. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلميه، ثم أشفع فيحدُّ لي حدّاً فأخرج فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وقد سمعته يقول «فأخرج فأخرِجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأستأذن على ربِّي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفعْ محمد وقل يسمع واشفع تشفّع وسلْ تُعْطَ. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يعلّمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدّاً فأخرج فأدخلهم الجنة» قال قتادة: وسمعته يقول «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالث فأستأذن على ربِّي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تُعْطَ، قال فأرفع رأسي فأُثني على ربِّي بثناءٍ وتحميد يعلِّمنيه، قال ثم أشفع فيحُدُّ لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة». قال قتادة: وقد سمعته يقول «فأخرجُ فأُخرجهم من النار وأُدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا

من حبسه القرآن» أي وجب عليه الخلود. قال؛ ثم تلا هذه الآية ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء/٧٩) قال: وهذا المقام المحمود الذي وُعِدَهُ نبيكم ﷺ[١].

وقال أيضاً: حدَّثنا مسدد حدَّثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «يجمع الله الناس يومَ القيامةِ فيقولون: لو استشفعنا إلى ربِّنا حتى يُريحنا من مكاننا ـ وذكره مختصراً وقال في الثالثة أو الرابعة ـ حتى ما بقي في النار إلاّ من حبسه القرآن» وكان قتادة يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود[٢].

ورواه مسلم من طرق بنحوه، وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو الربيع العتكيُّ حدَّثنا حمَّاد بنُ زيد حدَّثنا معبد بنُ هلالٍ العنزيُّ. ح. وحدَّثنا سعيد بنُ منصور ـ واللفظ له، حدَّثنا حماد بن زيد حدَّثنا معبدُ بنُ هلال العنزيُّ قال: انطلقنا إلى أنس بن مالكٍ، وتشفعنا بثابتٍ، فانتهينا إليه وهو يصلي الضُّحى، فاستأذن لنا ثابتٌ فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال: يا أبا حمزة إنَّ إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة. قال: حدَّثنا محمدٌ ﷺ قال: «إذا كان يومَ القيامةِ ماجَ الناس بعضهم الى بعضٍ، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لذُرِّيتك فيقول لستُ لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنَّه خليل اللهِ، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنَّه كليمُ اللهِ، فيُؤْتى موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنَّه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمَّدٍ ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها فأنْطلق فأستأذن على ربِّي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن، يُلهمنيه الله، ثم أخرُّ له ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع. فأقول: ربِّ أُمَّتِي أُمَّتِي،

---

(١) رواه البخاري (١٣/٤٢٢) في التوحيد، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة).

(٢) رواه البخاري (١١/٤١٧) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبةٍ من بُرَّةٍ أو شعيرة من إيمان فأخْرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربِّي فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجداً له، فيقال لي يا محمَّدُ ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع، فأقول: أُمَّتِي أُمَّتِي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقالُ حبّةٍ من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربِّي عَزَّ وجَلَّ فأحمده تلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال لي يا محمد إرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تُشفَّع فأقول يا ربِّ أُمَّتِي فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبّةٍ من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل» هذا حديث أنس الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده، فلما كنّا بظهر الجبَّان: قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلَّمنا عليه وهو مستخفٍ في دار أبي خليفة. قال فدخلنا عليه فسلَّمنا عليه فقلنا: يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدَّثناه في الشفاعة. قال: هيه. فحدَّثناه الحديث. فقال هيه. قلنا ما زادنا. قال: قد حدَّثنا به منذ عشرين سنةٍ وهو يومئذٍ جميعٌ، ولقد ترك شيئاً ما أدري أَنَسِيَ الشيخ أو كره ان يحدِّثكم فتتَّكلوا، قلنا له: حدِّثنا. فضحك وقال: خُلِق الإنسان من عَجَل، ما ذكرتُ لكُم هذا إلا وأنا أريدُ أن أُحَدِّثكموه «ثم أرجع إلى ربِّي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمدُ! ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تُشفَّع. فأقول يا ربِّ ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. قال: ليس ذاك لك ـ أو قال ليس ذاك إليك ـ ولكن وعِزَّتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأُخرجَنَّ من قال لا إله إلا الله» قال: فأشهد على الحسن أنَّه حدَّثنا به أنَّه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه أراه قال: قبل عشرين سنةً وهو يومئذٍ جميع[1].

وقال أيضاً: حدثنا محمد بنُ منهالٍ الضَّرير حدَّثنا يزيد بنُ زُريع حدَّثنا سعيد بنُ أبي عروبةَ وهشامٌ صاحب الدَّسْتَوَائي عن قتادة عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ. ح. وحدَّثني أبو غسّان المِسْمَعِيُّ ومحمد بن المثنى قالا

(١) رواه مسلم (١/١٨٢ ـ ١٨٤/ح ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

حدثنا معاذ وهو بنُ هشام قال حدَّثني أبي عن قتادة حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ أنَّ النَّبيّ ﷺ قال «يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرةً. ثم يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برَّةً، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلاّ اللهُ وكان في قلبه من الخير ما يزن ذَرَّةً» زاد ابنُ منهالٍ في روايته. قال يزيدُ: فلقيتُ شعبة فحدَّثته بالحديث فقال شعبة حدَّثنا به قتادةُ عن أنسِ بن مالكٍ عن النَّبيّ ﷺ بالحديث، إلاّ أنَّ شعبة جعل مكان الذرة ذُرَة، قال يزيد: صحَّف فيها أبو بسطام[1].

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا حجَّاج بنُ الشاعر حدَّثنا الفضل بنُ دكين حدَّثنا أبو عاصم يعني محمد بْنَ أبي أيوب قال حدَّثني يزيد الفقير قال كنت قد شغفني رأيٌ من رأى الخوارج فخرجنا في عصابةٍ ذوي عددٍ نريد أن نَحُجّ، ثم نخرج على الناس، قال فمررنا على المدينة، فإذا جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما يحدِّث القوم، جالسٌ إلى سارية عن رسولِ اللهِ ﷺ قال فإذا هو قد ذكر الجهنَّميين قال فقلت له: يا صاحب رسولِ اللهِ ﷺ ما هذا الذي تحدِّثون والله تعالى يقول ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ (آل عمران/١٩٢) و﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج/٢٢) فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال فهل سمعت بمقامِ محمدٍ ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال فإنَّه مقام محمدٍ ﷺ المحمودُ الذي يُخرج الله به من يخرج. قال ثم نعت وضع الصراط ومرَّ الناس عليه، قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال غير أنَّه قد زعم أنَّ قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال يعني فيخرجون كأنَّهم عيدان السَّماسم، قال: فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنَّهم القراطيس، فرجعنا قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسولِ اللهِ ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج منّا غير رجلٍ واحدٍ، أو كما قال أبو نعيم[2].

---

(١) رواه مسلم (١/١٨٢/ح ١٩٣) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم (١/١٧٩ - ١٨٠/ح ١٩١) رقم ٣٢٠ في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

وقال رحمه الله تعالى: حدَّثنا أبو بكر بنُ أبي شيبة حدَّثنا سفيانُ بنُ عيينة عن عمرو، سمع جابراً رضي الله عنه يقول: سمعه من النَّبيّ ﷺ بأُذنه يقول «إنَّ الله يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة»[1].

وفي رواية له عن حمَّاد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار «أسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدِّث عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ الله يُخرج قوماً من النار بالشفاعة؟ قال نعم»[2]، ورواه البخاري.

وفي رواية له أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «يخرج قومٌ من النار بالشفاعة كأنَّهم الثَّعارير» قال الضَّغابيس وكان قد سقط فمه[3].

وقال: حدَّثنا هدبة بنُ خالدٍ حدَّثنا همَّام عن قتادة حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ عن النَّبيّ ﷺ قال: «يخرج قومٌ من النار بعد ما مسَّهم منها سفعٌ. فيدخلون الجنة، فيسمِّيهم أهل الجنة الجهنميين»[4].

وقال رحمه الله تعالى حدَّثنا قتيبة بنُ سعيدٍ حدَّثنا اسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قلت: يا رسولَ اللهِ من أسعد الناس بشفاعتك يومَ القيامةِ؟ فقال «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال لا إله إلّا الله خالصاً من قلبه»[5].

وهذه الشفاعة الثالثة قد فسّر بها المقام المحمود أيضاً كما في حديث أنس

---

(١) رواه مسلم (١/١٧٨/ح ١٩١) رقم ٣١٧ في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

(٢) رواه مسلم (١/١٧٨/ح ١٩١) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
والبخاري (١١/٤١٦) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٣) البخاري (١١/٤١٦) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٤) رواه البخاري (١١/٤١٦) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وفي التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: (إن رحمة الله قريب من المحسنين).

(٥) رواه البخاري (١١/٤١٨) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وفي العلم.

وحديث جابر رضي الله عنهما فيكون المقام المحمود عامًّا لجميع الشفاعات التي أوتيها نبينا محمد ﷺ، لكن جمهور المفسرين فسروه بالشَّفاعتين الأوليين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره من عباد الله المكرمين، وأمَّا هذه الشفاعة الثالثة فهي وإنْ كانت من المقام المحمود الذي وعده فليست خاصَّة به ﷺ بل يؤتاها كثيرٌ من عباد الله المخلصين ولكن هو ﷺ المقدم فيها، ولم يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، ثم بعده يشفع من أذن الله تعالى له من الملائكة المقرَّبين والأنبياءِ والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأفراطُ كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو له أهل، ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعة الشافعين، ولذا قلنا في ذلك:

وبعدهُ يشفع كلُّ مرسلٍ ... وكلُّ عبد ذي صلاحٍ وولي
ويُخرج الله من النيرانِ ... جميعَ من ماتَ على الإيمان
في نهر الحياة يُطرحونا ... فحما فيحيون وينبتونا
كأنَّما ينبت في هيآتِهِ ... عبُّ حميل السَّيْل في حافاته

تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في طريق الرؤية قول النَّبيّ ﷺ «حتَّى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشركُ باللهِ شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممَّن يشهد أن لا إله إلاّ الله فيعرفونهم في النار بأثرِ السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة»[1]. الحديث تقدم بطوله.

وتقدم حديث أبي سعيد المتفق عليه أيضاً بطوله ـ وفيه في نعت المرور على

(١) تقدم ذكره.

الصراط: «حتى يمر آخرهم يُسحب سحباً، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدة في الحق، قد تبيَّن لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار إذا رأوا أنَّهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربَّنا إخواننا كانوا يصلُّون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غار في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخْرجوه، فيُخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا ـ قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرأوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ (النساء/٤٠) فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبّارُ: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبَّةُ في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدْخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خيرٍ قدَّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»[1]. وفي لفظ مسلم «حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشد مناشدة لله في استقصاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنا كانوا يصومون معنا ويصلُّون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربَّنا ما بقي فيها أحَدٌ ممَّن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدْتُم في قلبه مثقال دينار من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربَّنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا بهم. يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً. ثم يقول:

---

(١) تقدم ذكره.

ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً»، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إنْ لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء/٤٠) فيقول الله عَزَّ وجَلَّ: شفعتِ الملائكة وشَفَعَ النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قَطّ قد عادوا حمماً، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نَهْر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبَّة في حميل السَّيْلِ، ألا ترونها تكونُ إلى الحجر أو إلى الشَّجَرِ، ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض. فقالوا يا رسولَ اللهِ كأَنَّكَ كنت ترعى بالبادية، قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهلُ الجنَّة هؤلاء عتقاءُ اللهِ الذين أدخلهم اللهُ الجنة بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموهُ فهو لكم، فيقولون ربَّنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضل من هذا. فيقولون: ربَّنا أيُّ شيءٍ أفضل من هذا؟ فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً»[1].

وفيهما من حديثه أيضاً أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «يُدْخل اللهُ أهل الجنة الجنةَ يدخل من يشاء في رحمته ويدخل أهل النارِ النارَ. ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبَّةٍ من خردل من إيمان فأخرجوهُ، فيُخرجون منها حمماً قد امتحشوا فيُلْقَوْنَ في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبَّةُ إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتويةً ـ وفي رواية لمسلم: كما تنبت الغثاءة في جانب السيل»[2].

وله عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أَمَّا أهل النار الَّذِينَ هم أهلها فإنَّهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً.

(٢) رواه البخاري (٧٢) في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم (١/١٧٢/ح ١٨٤) في الإيمان، باب إثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار.

بخطاياهم ـ فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أُذِنَ بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل. فقال رجلٌ من القوم: كأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد كان بالبادية»[1].

وللترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «وعَدَني ربِّي أن يدخل الجنة من أُمَّتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب. مع كلِّ ألفٍ سبعون ألفاً وثلاث حثياتٍ من حثيات ربِّي» هذا حديث حسن غريب[2].

وله عن عبدِ اللهِ بن شقيق قال: كنت مع رهطٍ بإيلياء فقال رجلٌ منهم: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول «يدخل الجنة بشفاعةِ رجلٍ من أُمَّتي أكثر من بني تميم. قيل: يا رسول سواك؟ قال: سواي» فلما قام قلت: من هذا؟ قالوا هذا ابن أبي الجذعاء. هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن أبي الجذعاء هو عبدالله، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد ورواه ابن ماجه[3].

وللترمذي أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إنَّ مِنْ أُمَّتي من يشفع للفئام من الناس، منهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل. حتى يدخلوا الجنة. هذا حديث حسن[4].

---

(١) راه مسلم (١/١٧٢ ـ ١٧٣/ح ١٨٥) في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

(٢) رواه الترمذي (٤/٦٢٦/ح ٢٤٣٧) في صفة القيامة، باب رقم «١٢». وقال هذا حديث حسن. وأحمد (٥/٢٥٠) وابن ماجة (٢/١٤٣٣/ح ٤٢٨٦) في الزهد، باب صفة أمة محمد. وإسناده حسن من رواية اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد الألهاني وهو حمصي. وإسماعيل في روايته عن أهل بلدة صدوق وهو كذلك هنا.

(٣) رواه الترمذي (٤/٦٢٦/ح ٢٤٣٨) في صفة القيامة، باب رقم «١٢» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه (٢/١٤٤٣ ـ ١٤٤٤/ح ٤٣١٦) في الزهد، باب ذكر الشفاعة والدارمي (٢/٣٢٨) وأحمد (٣/٦٣ و٤٦٩ و٤٧٠) و(٥/٢٥٧ و٣٦١ و٢٦٧ و٣١٣ و٣٦٦). وهو حديث صحيح.

(٤) رواه الترمذي (٤/٦٢٧/ح ٢٤٤٠) في صفة القيامة، باب رقم «١٢» وقال هذا حديث حسن. وأحمد (٣/٢٠ و٦٣) وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف.

وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: يخرجُ قومٌ من النار بشفاعة محمدٍ فيدخلون الجنة ويُسمَّونَ الجهنَّميين» ورواه ابن ماجه[1]. وله عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «خُيِّرْتُ بين الشّفاعة وبين أن يدخل نصف أُمَّتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنَّها أعمُّ وأكفى، ترونها للمتَّقين، لا ولكنها للمذنبين الخطَّائين المتلوِّثين»[2].

وله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «أتدرون ما خيَّرني ربِّي الليلة؟ قلنا: اللهُ ورسولُه ﷺ أعلم، قال: فإنَّه خيَّرني بين أن يُدخل نصف أُمَّتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعة. قلنا: يارسول الله ادع الله أنْ يجعلنا من أهلها. قال: هي لكُلِّ مسلم»[3]. ورواه الترمذي بلفظ «فاخترتُ الشفاعة، وهي لمن مات لا يُشْرِكُ باللهِ شيئاً»[4]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً مشهورة مستفيضة بل متواترة، وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية، وتقدم في أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة، وبقي من النصوص في هذا الباب كثير، وبالله التوفيق.

---

(١) رواه البخاري (١١/٤١٨) في الرقاق، باب صفة الجنة والنار، وأبو داود (٤/٢٣٦/ح ٤٧٤٠) في السنة، باب في الشفاعة، والترمذي (٤/٧١٥/ح ٢٦٠٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/١٤٤٣/ح ٤٣١٥) في الزهد، باب ذكر الشفاعة.

(٢) رواه ابن ماجة (٢/١٤٤١/ح ٤٣١١) في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وإسناده صحيح.

(٣) رواه ابن ماجة (٢/١٤٤٤/ح ٤٣١٧) في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وإسناده صحيح.

(٤) الترمذي (٤/٦٢٧ ـ ٦٢٨/ح ٢٤٤١) في صفة القيامة، باب رقم «١٢» وابن حبان في صحيحه (٩/١٦٨/ح ٧١٦٣ ـ إحسان) والحاكم في المستدرك (١/٦٧). والحديث صحيح وإن اختلف على إسناده.

فهرس المجلد الثاني من كتاب معارك القبول

النوع الثاني من نوعي التوحيد: توحيد الطلب والقصد،
وأنه معنى لا إله إلا الله هذا التوحيد هو الذي أرسل الله به رسله
وأنزل من أجله كتابه ٣٩٣
وهو الذي أمر الله رسوله بقتال من تولى عنه وأبى ٤٠٨
وهو الذي حوته لفظه الشهادة ٤١٠
النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها ٤١٥
معناها الذي دلت عليه أنه ليس بالحق إله يعبد إلا الله ٤١٦
سبعة شروط يتوقف عليها الانتفاع بالشهادة ٤١٨
أولها العلم بمعناها نفياً وإثباتاً ٤١٨
الثاني اليقين المنافي للشك ٤١٩
الثالث قبول مقتضاها بالقلب والإقرار به باللسان ٤٢٠
الرابع الانقياد لما دلت عليه ٤٢١
الخامس الصدق فيها المنافي للكذب ٤٢٢
السادس الإخلاص وتصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك ٤٢٣
السابع محبة هذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه،
ومحبة أهلها العاملين بها ٤٢٤
أحاديث أن الشهادتين سبب لدخول الجنة لا تنافي أحاديث الوعيد ٤٢٧

تعريف العبادة وذكر أنواعها، وأن صرف شيء
منها لغير الله شرك ٤٣٤
العبادة اسم جامع لكل ما يرضي الله ٤٣٧
الدعاء هو العبادة ٤٤٢
من أنواع العبادة الخوف من الله ٤٤٣
ومن أنواعها التوكل على الله ٤٤٥
ومن أنواعها رجاء الله ولقاؤه ٤٤٨
ومن أنواعها الرغبة إلى الله والرهبة منه والخشوع له ٤٤٨
ومن أنواعها خشية الله ٤٤٩
ومن أنواعها الإنابة إلى الله والخضوع له ٤٥١
ومن أنواعها الاستعانة بالله وحده ٤٥٢
ومن أنواعها الاستغاثة به، والذبح له ٤٥٣
ومن أنواعها النذر له دون غيره ٤٥٤
من شرط النذر أن يكون في طاعة، وما يطيقه العبد، وفيما يملك،
وأن لا يكون في مكان كان يعبد فيه غير الله... الخ ٤٥٥

الاسلام والإيمان والإحسان ٥٧٥
حديث جبريل في تعليمنا الدين: برواية عمر ٥٧٥
الحديث به عن ابن عمر ٥٧٩
الحديث به عن أبي هريرة ٥٨٢
الحديث به عنه وعن أبي ذر ٥٨٤
الحديث به عن ابن عباس ٥٨٦
الحديث به عن أبي عامر ٥٨٧
الإيمان قول وعمل ٥٨٧
مرتبة الإسلام ٥٩٥
مرتبة الإيمان ٥٩٧
مرتبة الإحسان ٦١١

أركان الإسلام الخمسة: ٦١٣
الأول الشهادتان ٦١٩
الثاني إقامة الصلاة ٦٢١
الثالث الزكاة ٦٢٩
الرابع الصيام ٦٣٨
الخامس الحج ٦٣٩
أمور تدخل في مسمى الإيمان والإسلام ٦٤٢
حديث «الإسلام بضع وسبعون شعبة» ٦٤٧
شرح هذا الحديث ٦٥٥
الأركان الستة للإيمان: الأول الإيمان بالله ٦٥٥
الثاني الإيمان بالملائكة ٦٥٦
منهم الموكل بالوحي ٦٥٨
ومنهم الموكل بالغيث وتصاريفه ٦٥٩
ومنهم الموكل بالصور، والموكل بقبض الأرواح ..... ٦٥٩ - ٦٦٠
والموكل بحفظ العبد في كل حالاته ٦٦١
والموكل بحفظ الأعمال من خير وشر ٦٦٢
والموكلون بفتنة القبر، والمبشرون للمؤمنين، وخزنة جهنم ..... ٦٦٥ - ٦٦٦
والموكلون بالنطفة في الرحم ٦٦٦
ومنهم حملة العشر والكروبيون ٦٦٧
ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر ٦٦٩
ومنهم الموكل بالجبال، وزوار البيت المعمور،
وملائكة صفوف وقيام وركع وسجد ٦٦٩
الركن الثالث الإيمان بكتب الله المنزلة ٦٧١
الإيمان بكل ما فيها من الشرائع ٦٧٣
الركن الرابع الإيمان برسل الله ٦٧٥
وأول رسل الله نوح وخاتمهم محمد ﷺ ٦٧٨

وخمسة منهم من أولى العزم ٦٧٩
الركن الخامس الإيمان بالمعاد وقيام الساعة ٦٨١
الإيمان بأمارات الساعة ٦٨٨
ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت ٧٠٣
لكل مخلوق أجل محدود وأمد ينتهي إليه لا نعلمه ٧٠٤
أن يكون الموت في بال كل امرىء فيعمل صالحاً ٧٠٧
التأهب للمصير قبل نزوله ٧٠٨
الإيمان بما بعد الموت ومنه سؤال القبر ٧١٢
الكلام على آية ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾
وآية ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ ٧١٣
نصوص السنة في إثبات عذاب القبر ٧٢١
نصوص الكتاب والسنة في لقاء الله ٧٤٨
ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور ٧٥١
رواية لقيط بن عامر عند وفوده على النبي ﷺ
الحديث الطويل عن عمل الغيب ٧٦٥
تعليق ابن القيم على هذا الحديث ٧٦٨
تفسير ابن القيم لغريب مفردات هذا الحديث ٧٦٩
فصل ـ منكرو البعث أربعة أصناف: الطبائعية، والدورية،
ومشركو العرب، وملاحدة الجهمية، وشرح أبيات عنهم
في نونية ابن القيم ٧٧٦
ومن الإيمان باليوم الآخر الايمان بالنفخ في الصور ٧٩٩
حديث الصور يرويه اسماعيل بن رافع قاضي المدينة
بسنده عن أبي هريرة ٨٠٠
تعليق ابن كثير على حديث اسماعيل بن رافع ٨٠٧
الاجتماع ليوم الفصل، وهو يوم التغابن ٨١٤
حشر الخلائق للعرض، ومعنى العرض ٨٢٢

براءة الناس يومئذ بعضهم من بعض ٨٢٦
صحائف الأعمال تؤخذ باليمين وبالشمال ٨٤٠
فصل ـ فيما جاء في الميزان ٨٤٤
فصل ـ فيما جاء في الصراط ٨٥٠
فصل ـ فيما ورد في الجنة والنار وأنهما حق ٨٥٧
اعتقاد وجودهما الآن ٨٦٠
دوامهما وبقاؤهما بابقاء الله لهما ٨٦٣
حديث يؤتى بالموت يوم القيامة كهيئة كبش أملح فيذبح ٨٦٥
اخراج عصاة الموحدين من النار بعد أن تمسهم بقدر ذنوبهم ٨٦٦
ما قالته اليهود في النار ٨٦٧
أبيات من نونية ابن القيم عن عقيدة جهم في النار ٨٦٩
فصل ـ فيما جاء في الحوض والكوثر ٨٧١
فصل ـ في الأحاديث عن لواء الحمد ٨٨٤
فصل ـ في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود ٨٨٦
فصل ـ في اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة ٨٩٤